

**THE BOOK WAS  
DRENCHED**





QUP-731-28-4-81-10,000.

**OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY**

Call No.

Ag 115 c  
2.1

Author

Title

This book should be returned on





# جَهْرُ خَطِّ الْعَرَبِ

فِي عِصْوَ الْعَرَبِ فِي الزَّاهِرَةِ

الجزء الثالث

العصر العباسي الأول

ويليه ذيل الجهرة

تأليف

أحمد زكي صقوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

مكتبة دار الكتب والخطوط العامة في القاهرة

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

# تصدير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وقتنتي إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء والنهاية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » في خطب العصر العباسي الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطا وتحريرا ، وشرحا وتعليقا ، ويليه ذيل الجمهرة ، في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة .

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

» الثالث : في نثر الأعراب .

» الرابع : في خطب النكاح .

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريفة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قضيت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإني أتبذل إلى المولى القدير

أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسدد خطانا جميعا إلى سبيل

أحمد زكي صفوت

الإرشاد ، إنه الكبير المتعال

ذي القعدة سنة ١٣٥٢

حربالغاهرة في مارس سنة ١٩٣٤

## فهرس مأخذ الخطب فى هذا الجزء

---

- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » التاسع
- صبح الأئشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول - التاسع
- نهاية الأرب : اشهاب الدين النويرى : » السادس
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- المقد الفريد : لابن عبدويه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى
- أمالى السيد المرتضى : » الأول - الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » التاسع - العاشر
- تاريخ الكامل : لابن الأثير : » السادس
- مروج الذهب : للمسعودى : » الثانى
- وفيات الأعيان : لابن خلكان : » الأول - الثانى

مواسم الأدب: للسيد جعفر اليتي العلوي : الجزء الثاني  
الصناعتين: لأبي هلال العسكري  
مقدمة ابن خلدون  
المنية والأمل: لأحمد بن يحيى المرتضى

---



## الباب الرابع

# الخطبة والبصيا

في

## العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة  
( توفي سنة ١٣٦ هـ )

صعد أبو العباس<sup>(١)</sup> السفّاح المنبر حين بويع له بالخلافة ، فقام في أعلاه ،  
وصعد عمه داود بن علي فقام دونه ، وتكلم أبو العباس ، فقال :  
« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعَظَّمَهُ ، واختاره  
لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وَكَهْفَهُ<sup>(٢)</sup> وحِصْنَهُ ، والقُوَّامَ به ، والذابِّين عنه ،  
والناصرين له ، وألزمنا كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وجعلنا أحمقَ بها وأهلها ، وخصنا

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة  
سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الزور واللجأ .

بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ آبَائِهِ ، وَأَنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ <sup>(١)</sup> ، جَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا <sup>(٢)</sup> ، حَرِيصًا عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَهًا وَفَارِحِيًا ، وَوَضَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَابًا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ <sup>(٣)</sup> أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَأَكُ <sup>(٤)</sup> اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَذِلَّةٌ لِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَأَعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَضْلَنَا ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ حَقَّنَا وَمَوَدَّتَنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ النَّفَى <sup>(٥)</sup> ، وَالْغَنِيمَةَ نَصِيبَنَا ، تَكْرِمَةً لَنَا ، وَفَضْلًا عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمْتَ السَّبِيَّةَ الضَّلَالُ أَنْ غَيْرَنَا <sup>(٦)</sup> أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَتْ <sup>(٧)</sup> وَجُوهُهُمْ ! يَمَّ وَلَمْ يَأْيِهَا النَّاسُ ؟ وَبَنَّا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهْلَتِهِمْ ، وَأَتَقَدَّمُ بَعْدَ هَلَكَتِهِمْ ، وَأُظْهِرُ بِنَا الْحَقَّ ، وَأُدْحَضُ بِنَا الْبَاطِلَ ، وَأُصْلِحُ بِنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِدًا ، وَرَفَعُ بِنَا الْخَسِيسَةَ ، وَأَتَمُّ بِنَا النَّاقِصَةَ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاظُفٍ وَبِرٍّ وَمَوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَانًا عَلَى سُورٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنَّةً وَمِنْحَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى

[١] النِّبْعُ فِي الْأَصْلِ : شَجَرُ الْقَيْ وَالسَّهَامِ . [٢] الْمَتُّ بِالْتَحْرِيكِ : دُخُولُ اللَّشَقَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ .

[٣] الْغَنِيمَةُ ، وَكُلُّ مَا اسْتَقْفَرُ مِنَ الْعَمَلِ . [٤] مَا أَعَادَهُ عَلَيْهِ أَيْ صِيَرَهُ لَهُ .

[٥] الْغَنِيمَةُ . [٦] يَرِيدُ الْمَوْلِينَ . [٧] شَاهَ وَجْهَهُ شَوْهًا بِالْفَتْحِ : قَبِجَ .

بينهم ، فخوروا موارِيثَ الْأُمِّ ، فعدلوا فيها ، وَوَضَعُوا مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ،  
وَجَرَّجُوا خِمَاصًا<sup>(١)</sup> مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْوَانُ فَابْتَزُّوْهَا وَتَدَاوَلُوهَا بَيْنَهُمْ ،  
فَجَارَوْا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلَى<sup>(٢)</sup> اللَّهُ لَهُمْ حِينَئِذٍ آسَفُوهُ<sup>(٣)</sup> ،  
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا  
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَتَحَ بَنَا ،  
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَا كَمُ الْخَيْرِ ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ  
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

. يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنتُمْ حَمَلٌ مَحَبَّتَنَا ، وَمَنْزِلٌ مَوَدَّتِنَا ، أَنتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْتَبِهُوا عَنْ  
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْتَبِهِكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَنَا كَمُ  
اللَّهِ بَدَوْلَتَنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا ، وَقَدْ زِدْتُمْ فِي أُعْطِيَاتِكُمْ  
مِائَةَ دَرَاهِمَ ، فَاسْتَمْدُوا ، فَأَنَا السَّقَّاحُ الْمُبِيحُ ، وَالتَّائِرُ الْمُبِيرُ<sup>(٤)</sup> .

وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَعَكُ<sup>(٥)</sup> ، فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَسَمِعَ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ ،  
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَّاقٍ<sup>(٦)</sup> الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ :

(تاريخ الطبري ٩ : ١٢٥ ، وصرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ )

## ٢ - خطبة داود بن علي

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّنَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِيرَاثَنَا  
مَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْشَعَتْ<sup>(٧)</sup> حَنَادِسُ الدُّنْيَا ،

[١] جبايا جمع خميس من خمس البطن مثله اليم أى خلا ، والخمصة : الجماعة ، وهو خمدان بالضم ،  
وخميس المشا ضمير البطن . [٢] أهله . [٣] أغضبوه . [٤] أباه : أهله .

[٥] الوعك : أذى الحمى ووجعها ، وألم من شدة التعب . [٦] جمع مرقاة جمع اليم وكسر ها .  
[٧] قشعت الريح السحاب : كسفته كآشفته فأقشع واغشع وقشع ، والخنادس جمع خندس بكسر الخاء ،  
والدال ، وهو الظلمة



وانكشف غطاؤها ، وأشرق أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مظلها ،  
 وبَرَخ القمر من مَبْرِغِه ، وأخذ القوسَ باريها ، وعاد السهم إلى النَّزْعَةِ <sup>(١)</sup> . ورجع  
 الحق إلى نِصابه <sup>(٢)</sup> ، في أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم .  
 أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لِنُكَثِرَ لُجَيْنًا ، ولا  
 عِقِيانًا <sup>(٣)</sup> ، ولا نُخَفِرَ نَهْرًا ، ولا نَبْنِي قَصْرًا ، وإنما أَخْرَجْنَا الْأَنْفَةَ مِنْ ابْتِزَامِ  
 جَقْتِنَا ، والغضبُ لبني عمنا ، وما كَرَّتُنَا <sup>(٤)</sup> مِنْ أُمُورِكُمْ ، وَبَهَظْنَا مِنْ شَتُونِكُمْ ،  
 وَلَدَدَ كَانَتْ أُمُورُكُمْ تُرْمِضُنَا <sup>(٥)</sup> ، وَنَحْنُ عَلَى فُرْشِنَا ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْنَا سَوْهُ سِيرَةِ بَنِي أُمِيَّةَ  
 فِيكُمْ ، وَخُرْقُهُمْ بِكُمْ ، وَاسْتِذْلَالُهُمْ لَكُمْ ، وَاسْتِثَارُهُمْ بِفَيْتِكُمْ وَصِدْقَاتِكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ  
 عَلَيْكُمْ ، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِمَّةُ الْمَبَاسِ  
 رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ فِيكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَنَعْمَلَ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَنَسِيرَ فِي الْمَائَةِ مِنْكُمْ  
 وَالْخَاصَّةَ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَبًّا تَبًّا لِبَنِي حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ وَبَنِي  
 مِرْوَانَ ، آثَرُوا فِي مَدَنِهِمْ وَعَصَرَمَ الْمَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ ، وَالِدَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الدَّارِ  
 الْبَاقِيَةِ ، فَرَكِبُوا الْآثَامَ ، وَظَلَمُوا الْآثَامَ ، وَاتَّهَكُوا الْمَحَارِمَ ، وَغَشَوْا الْجَرَائِمَ ،  
 وَجَارُوا فِي سِيرَتِهِمْ فِي الْعِبَادِ ، وَسُنَّتِهِمْ فِي الْبِلَادِ ، الَّتِي بِهَا اسْتَلْدُوا تَمَرُّبُلَ الْأَوْزَارِ ،  
 وَتَجَلَّبَبَ الْآصَارِ <sup>(٦)</sup> ، وَمَرَحُوا فِي أَعْنَةِ الْمَعَاصِي ، وَرَكَضُوا فِي مِيَادِينِ النَّتَى ،  
 جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ ، وَأَمْنًا لِمَكْرِ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمْ بِأَسُّ اللَّهِ يَكَاثًا وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحُوا  
 أَحَادِيثَ ، وَمَزَقُوا كُلَّ مَمْزَقٍ ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدَانَا <sup>(٧)</sup> إِبْهَمَ مِنْ مِرْوَانَ ،

[١] جمع نازع وهو الرامي يشدوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصار الأمر إلى النزعة أي قام بإصلاحه  
 أهل الأئمة ، وعاد السهم إلى النزعة : رجع الحق إلى أهله . [٢] أصله . [٣] ذهباً .  
 [٤] كرهه القوم كضرب ونصر : اشتد عليه كآكرهه . [٥] أرضه : أوجسه وأحرقه ،  
 أرومض الحر القوم : اشتد عليهم فأقام . [٦] جمع لاسر كحل وهو الذنب . [٧] نصرنا عليه .

وقد غرّه بالله الثرؤور ، أرسل لمدو الله في عِنايته ، حتى تَعَزَّرَ في فَضْلِ خِطامه ،  
فظن عدو الله أن لن تَقْدِرَ عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكايده ، ورمى بكتائبه ،  
فوجد أمامه ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه ونِقْمته ، ما مات  
باطله ، وتَحَقَّقَ ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، وردَّ إلينا  
حقنا وإزتنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر  
بعد الصلاة ، أنه كَرِهَ <sup>(١)</sup> أن يَخْلُطَ بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استنجام  
الكلام ، بعد أن اسْتَحَقَّرَ <sup>(٢)</sup> فيه شدة الوغث ، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ،  
فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان : المتبع للسفلة الذين  
أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، يابдал الدين ، وانتهاك حريم المساكين ،  
الشاب <sup>(٣)</sup> المتكهل المتهمل ، المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا  
الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ، ومناهج التقوى » - فمَجَّ الناس له بالدعاء -  
ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ : إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاك  
الله لنا شَيْعَتَنَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج <sup>(٤)</sup> بهم حجبتنا ، وأظهر  
بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تشبثون ، فأظهر فيكم  
الخليفة من هاشم ويصُّ به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، وتقل إليكم  
السلطان وعز الإسلام ، ومنَّ عليكم بإمام منحة العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة <sup>(٥)</sup> ،

[١] أي لأنه كره . [٢] استحققر الخائب : اتبع في كلامه . [٣] كانت سنة ٤٠ هـ

الحلقة ٢٨ سنة ١٠٤ هـ . [٤] نصر . [٥] آل لك رعبته إيالا : ساسهم ،

وآل على القوم إيالا وإيالة : ولى .

نغذوا ما آتاكم الله بشكر، والزمو طاعتنا، ولا تُخَدِّعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ، فإنَّ الأمر أمركم، فإنَّ لكلَّ أهل بيت مصراً، وإنَّكم مصرنا، ألا وإنَّه ماصِّد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار يده إلى أبي العباس - فاعلموا أنَّ هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

( تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣ )

### ٣ - خطبة داود بن عليّ وقد ارتج على السفاح

وروى أنَّه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر، قام بوجه كورقة المصحف، فاستجيا فلم يتكلم، فنهض داود بن عليّ حتى صعد المنبر، فقال المنصور: فقلت في نفسي : مُبِخُنًا وكِيرْنَا ويدعو إلى نفسه، فلا يختلف عليه اثنان، فانتضيت سيفي، وغطيته بثوبي<sup>(١)</sup>، وقلت: إن فعل ناجزته، فمارق عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم قال: «أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله، ولأثرُ الفِعال أجْدَى عليكم من تشقيق<sup>(٢)</sup> المقال، وحسبكم بكتاب الله مُتَمَتِّلًا<sup>(٣)</sup> فيكم، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم، والله - قسما برا لا أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحقُّ به من عليّ بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا، فليظنَّ ظانُّكم، وليهنس هامسكم» قال أبو جعفر: ثم نزل، وشتمت<sup>(٤)</sup> سيفي .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٢، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣، ومواقف الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار: «وغطيت ثوبي» وهو تحريف . [٢] شق الكلام: أخرجه أحسن مخرج .  
[٣] امثل طريقته: تبعها فلم يعبها . [٤] شام سيفه يشبهه: حمده (واسته أيضاً: ضد) .

## ٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مُفْرِط - فأزجج عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلّده الله سياسة رعيته ، عُقِلَ من لسانه ، عند ما يُمَهَّد من بيّانه ، ولكل مرتقٍ بهزٌ<sup>(١)</sup> ، حتى تنقسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورغد عيشكم » . ( أمالي السيد المرتضى : ١٦ )

## ٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أعدكم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولأعْمَلَنَّ الذين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولأُعْمِدَنَّ السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولأعطينكم حتى أرى العطية ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة<sup>(٢)</sup> الملعونة في القرآن ، كانوا لكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها ، ولا يلبى عليكم منهم وإلّا إلا تَنْتَبِهْتُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وإن كَانَ لا خير في جميعهم ، مَنْعُوكُم الصلاة في أوقاتها ، وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا الْمُقْبِلَ بِالْمَذْبِرِ<sup>(٣)</sup> ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد عَنَقَ الله جَورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبيكم ، فما نُوخِرَ لكم عَطَاءُ ، ولا

[١] البهر : استطاع النفس من الإعياء . [٢] هي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم ، تحطها الله نكتة للمشركين إذ قالوا : إن النار تحرق الحجر فكيف تنبت .  
[٣] انظر قول زياد بن أبيه في خطبته البراء الجزء الثاني ص ٢٥٧ .

نضيع لأحد منكم حقاً ، ولا تُجترِك في بَعث ، ولا تُخاطرِ بكم في قتال ، ولا تبدِّلكم دون أنفسنا ، واللهُ على ما تقولون وكيلٌ بالوفاء والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة

ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣)

## ٦ - خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قُتل مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - خطب السفاح ، فقال : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ » نكص بكم ي أهل الشام آلُ حرب وآل مروان ، ينسكبون<sup>(١)</sup> بكم الظلم ، ويتهورون بكم مَدَاحِضَ<sup>(٢)</sup> الزَّلَقِ ، يَطْشُونَ بكم حَرَمَ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> وَحَرَمَ رَسُولِهِ<sup>(٤)</sup> ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : « رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتَيْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ » أما أمير المؤمنين فقد ائتنف<sup>(٥)</sup> بكم التوبة ، واغفر لكم الزَّلَّةَ ، وبَسَطَ لَكُمْ الْإِقَالَةَ<sup>(٦)</sup> ، وعاد بفضله على تقصمكم ، وبجمله على جهلكم ، فليُفْرِخْ رُوعُكُمْ<sup>(٧)</sup> ، ولتطمئن به داركم ، وليقطع مَصَارِعُ أوائلكم ، « فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا » . (المقد الفريد ٢ : ١٤٥)

## ٧ - خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي - عم السفاح - لما قتل مروان ، فقال :

[١] تكبح : متى مشياً متصفاً . [٢] جمع مدحضة : وهي الزلّة . [٣] يشير إلى ما كان من مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة ، ورميه الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان .  
[٤] يشير إلى وفاة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة المري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية .  
[٥] استأنف وابتدأ . [٦] أقال عثرته : رفعه من سقوطه . [٧] الروع بالضم القلب ، أو موضع الفرع منه ، والروع بالفتح : الفرع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرخ منها ، أي ليخرج الروع من روعكم ولتهدهوا ولطمشوا .

« الحمد لله الذى لا يفوته من طلب ، ولا يُعجزه من هرب ، خذعت وأله  
الأشقر نفسه ، إذ ظن أن الله تممه ، ويأتى الله إلا أن يميت نوره ولو كره  
الكافرون ، فحتى متى ، وإلى متى ؟ أما والله لقد كرهتهم العبدان <sup>(١)</sup> التى  
اقترعوها ، وأمسكت السماء دَرَّها <sup>(٢)</sup> ، والأرض رِيَّعها <sup>(٣)</sup> ، وقبَّل الضرع <sup>(٤)</sup> ،  
وجفز الفئيق <sup>(٥)</sup> ، وأتمم <sup>(٦)</sup> جليباب الدين ، وأبطلت الحدود ، وأهدرت الدماء ،  
وكان ربك بالمرصاد ، قد مدد <sup>(٧)</sup> عليهم ربهم بذنبيهم فسوأها ، ولا يخاف  
عقباها ، وملئنا الله أمرهم عباد الله ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ،  
فإنه من دواعى المزيد ، أحاذنا الله وإياكم من مضلات الأهواء ، وبغفات الفتن ،  
فلما نحن به وله . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

## ٨ - خطبة داود بن علي بمكة <sup>(٨)</sup>

وخطب داود بن علي الناس بمكة فى أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال :  
« شكراً شكرياً ، إنا والله ما خرجنا لنخفر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصرأ ،  
أظن عدو الله أن لن تقدِر عليه ، أن رُوخى <sup>(٩)</sup> له من خطامه ، حتى عثر فى  
فضل زمامه ؟ فالآن حيث أخذ القوس باريها ، وعادت النبل إلى التزعة ، ورجع  
الملك فى نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة - والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن

[١] أى أعواد النابر ، واقترعوها : أى علوها . [٢] مطرها . [٣] الربيع : السماء والزيادة .  
[٤] فعل : يبس جلده على عظمه . [٥] الفئيق : الفعل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا  
يركب ، والجفز : كشمس السرة فى الشئ ، ولم تذكر كيب الآلة ضبط فله ، وياء فى اللسان : « الجفز :  
سرعة الفئى يمانية ، حكاهما ابن دريد ، قال : ولا أدرى ما معناها » ، وفى رواية مواسم الأدب : « وجفل  
فئيق العرك » . [٦] أتمم الثوب وسمل ، كدخل وكرم : أخفق .  
[٧] دعم القوم ، ودعم عليهم : طعنهم فأهلكهم ، فسوأها : أى الدنسة ، أى معهم بها فلم يفلت  
منهم أحد . [٨] ولله أبو العباس الكوفة وسوادها ، ثم ولله المدينة ومكة واليمن واليمامة سنة ١٣٢  
وولاه إمارة الحاج فى هذه السنة ، ومات بالمدينة فى ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبرى ج ٩ ص ١٤٧) .  
[٩] أى لأن رُوخى له ، ظن أن لن تقدر عليه .

فِي قُرْشَنَا - أَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ<sup>(١)</sup>، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ - وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا تَخْرُجُ مِنْكُمْ أَحَدٌ . (تهذيب الكامل ١ : ١٨ ، والمعقد الفريد ٢ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

## ٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أَيُّهَا النَّاسُ : حَتَّامٌ يَتَتَفَّ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ<sup>(٢)</sup> ؟ أَمَا أَنِّي لِرَافِدِكُمْ أَنِّي يَهُبُ . مِنْ نَوْمِهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَأَى<sup>(٣)</sup> عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْتَسِبُونَ ، أَغَرَّكُمْ الْإِهْمَالُ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ؟ هِيَاهُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كُنْفٌ ، وَالسَّيْفُ مُشَمَّرٌ<sup>(٤)</sup> ! حَتَّى يُبَيِّدَ قَبِيلَةً قَبِيلَةً وَيَعْصُ كُلُّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ<sup>(٥)</sup> وَيُقَمِّنَ رَبَاتِ الْخُدُورِ حَرَّاسِرًا<sup>(٦)</sup> يَمَسَحْنَ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ<sup>(٧)</sup> (المعقد الفريد ٢ : ١٤٦)

## ١٠ - خطبة أخرى له<sup>(٨)</sup>

وخطب فقال : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، انْعَظْ أَمْرُؤُ بَغِيرِهِ ، اعْتَبِرْ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ » ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمٍ

[١] الخراء : العجم لأن الغالب على ألوانهم البياض والحررة .

[٢] الصريح : المستغنى ( والغيت أيضا ) . [٣] غلب . [٤] شهر سيفه كنع ، وشهره بالتشديد : انتضاء فرقه على الناس . [٥] تنقيف الرماح : تسويتها . [٦] قوله ويقمن : أى الرماح ، والضمير يعود على ( كل متقف ) . [٧] هذه الخطبة أوردتها ابن قتيبة ، وعزاها إلى داود بن علي ، ونسبها صاحب المعقد إلى النصور ، وأنه قالها لما قتل الأيوبيين ( راجع القديج ٢ : ص ١٤٥ ) .

ونصها كما أوردتها : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، انْتَبَهْ أَمْرُؤُ لِحَظِهِ ، نَظَرِ أَمْرُؤُ فِي يَوْمِهِ لَعَدِهِ ، فَخَسِيَ الْقَصْدَ ، وَقَالَ الْفَضْلُ ، وَجَانِبِ الْمُجَرَّ ، ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمٍ سَيْفِهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ بِكُمْ دَاءٌ هَذَا دَوَاؤُهُ ، وَأَنَا زَعِيمٌ لَكُمْ بِشَفَانِهِ ، فَلْيَعْتَبِرْ عَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَإِنَّمَا بَدَا الْوَعِيدُ الْإِقْطَاعُ ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ » والمجهر : الفيح من الكلام .

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع » . ( عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ١١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس

وبلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس ، فافترع المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَغْدَرًا يَا هَلْ الْخَمَرُ <sup>(١)</sup> والتبديل ؟ أَلَمْ يَرَدَّعْكُمْ الْفَتْحُ الْمُبِين <sup>(٢)</sup> ، عَنْ الْخَوْضِ فِي ذِمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ حَتَّى تَحْمِلُوا أَوْزَارَكُمْ وَأَوْزَارَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَيْفَ قَامَتْ شِفَاهُكُمْ بِالشَّكْوَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ بَعْدَ أَنْ حَانَتْ آجَالُكُمْ فَأَرْجَاهَا ، وَانْبَعَثَتْ دِمَاؤُكُمْ خَفَقَتَهَا ، الْآنَ يَا مَنَابِتِ الدِّمَنِ ، مَشَيْتُمْ الضَّرَاءَ <sup>(٣)</sup> ، وَذَيْتُمُ الْخَمَرَ <sup>(٤)</sup> ، أَمَّا مُحَمَّدٌ وَالْعَبَّاسُ إِنْ عُدْتُمْ لِمِثْلِ مَا بَدَأْتُمْ ، لَأُحْصِدُنْكُمْ بِطَبَّاتِ السِّیُوفِ ، ثُمَّ يُفْنِي رَبُّنَا عَنْكُمْ ، وَنُسْتَبْدِلُ غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ .

مَهْلًا يَا زَوَايَا <sup>(٥)</sup> الْإِرْجَافِ ، وَأَبْنَاءَ النِّفَاقِ ، عَنْ الْخَوْضِ فِيمَا كَفَيْتُمْ ، وَالتَّخْطِىَ إِلَى مَا خُذَرْتُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَ نَفُوسٌ ، وَيَقْلُ عَدَدٌ ، وَيَذَلَّ عِزٌّ ، وَمَا أَنْتُمْ وَتِلْكَ ؟ أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا مِنْ إِبْرَاطِ الْمُسْتَضْمِقِينَ . شَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؟ بَلَى وَالْحَجَرِ وَالْحَجَرِ <sup>(٦)</sup> ، وَلَكِنَّهُ حَسَدٌ مُضْمَرٌ ، وَحَسَكٌ <sup>(٧)</sup> فِي الصَّدُورِ ، فَرُغْمَا لِلْمُعَاطِسِ <sup>(٨)</sup> ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ <sup>(٩)</sup> » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

[١] الخمر : الخمر ، أَرَأَيْتُمْ . [٢] في الأصل « أَلَمْ يَرَعْلَ الْفَتْحُ الْمُبِينِ عَنْ الْخَوْضِ فِي ذِمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » وهو تحريف . [٣] الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، يقال : تَوَارَى الصَّيْدُ مِنْهُ فِي ضَرَاءٍ ، وَفُلَانٌ يَمْشِي الضَّرَاءَ : إِذَا مَشَى مُسْتَخْفِياً فِيمَا يُوَارَى مِنَ الشَّجَرِ . [٤] في الأصل « وَذَيْتُمْ الْخَمَرَ » وهو تحريف ، وصوابه ما ذكرناه ، والخمر بالتحريك : كُلُّ مَا وَارَدَ مِنْ شَجَرٍ أَوْ بَنَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَخَمْرٌ كَفَرَحٌ : تَوَارَى ، وَمِنْ أَشْأَلِهِمْ : « يَدْبُ لَهُ الضَّرَاءُ » وَيَعْنِي لَهُ الْخَمْرُ « وَهُوَ مَا لِي يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَخْتَلِ صَاحِبُهُ . [٥] الروايات جمع رَاوِيَةٌ : وَهِيَ الْمَزَادَةُ فِيهَا الْمَاءُ . [٦] الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حَوَاهُ الْحَطِيمُ الْمَدَارُ بِالْكَعْبَةِ مِنْ جَانِبِ السَّمَاءِ . [٧] الحسك : الحقد والمداوة . [٨] المعاطس جمع معطس كجاس ومقعد وهو الأنف ، والرغم : القتل . [٩] وروى صاحب العقد



## ١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :

« أما بعد ، فقد يجِدُ المُعَسِّر ، ويُعَسِّرُ المُوسِّر ، ويُفْلُ الحَدِيد ، ويقطع الكَلِيل ، وإنما الكلام بعد الإخام ، كالإشراق بعد الإظلام ، وقد يمزُب البیان ، ويُعَقِّم الصواب ، وإنما اللسان ، مُضْغَمَةٌ مِنَ الْإِنْسَان ، يَفْتَرُ بِفُتُوْرِهِ إِذَا تَكَلَّل ، ويثُوبُ بانبساطه إذا ارتجَلَ ، أَلَا وإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا ، وَلَا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ ، وَنَحْنُ بَعْدُ أَمْرَاءُ الْقَوْل ، فِينَا وَشَجَّتْ <sup>(١)</sup> أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَّا تَهَدَّلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَخَيَّرَ مِنْهُ مَا أَحْلَوَى وَعَذَّبَ ، وَنَطَرَّحَ مِنْهُ مَا ائْتَلَوْحَ وَخَبِثَ ، وَمَنْ بَعْدَ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرِفُ فِيهَا فَضْلُ الْبَيَان ، وَفَضْلُ الْخُطَاب ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعَانَ » ثم نزل <sup>(٢)</sup> .

(كتاب الصناعتين ص ٢١ ، وأمال السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٥)

بعض هذه الخطبة وعزها إلى أبي جعفر المنصور ، فقال : « خطب المنصور حين خروجه إلى الشام قال :

شَفِئْتُهُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا مهلا روايا الإرجاف ، وكهوف التفائق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع المقدم الفرید ٢ : ١٤٥ - والشفتة : الطبيعة والمادة ، وهو مثل لأبي أخزم الطائي ، وكان له ابن يقال له أخزم ، وكان طافا ، فبات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدم أبي أخزم فأدموه فقال :

إِن بَنِي خُرَجُونِي بِاللَّهِ شَفِئْتُهُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

أَي لَنْ هُوَ لَاءُ أَشْبَهُوا أَبَاكَ فِي الْعُزْق : يَضْرِبُ فِي قَرَبِ الشَّيْءِ ، وَيَكَلِّمُ : يَجْرَحُ .

[١] وشجت الروق والأغصان كوحده وشجا ووشبجا : اشتبكت ، والواشجة : الرحم المشبكة .

[٢] وروى الحمصى في زهر الآداب بعض هذا القول وعزاه إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

« صمد أبو العباس السفاح النخعي ، فارتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، بضعة

## ١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي <sup>(١)</sup> عم السفاح ، فقال :

يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرَّكم لين أسامي ، وطولُ إيناسي ؟  
حتى ظن جاهلُكم أن ذلك لقلولِ حدٍّ ، وفورِ جدٍّ ، وخورِ قنائةٍ <sup>(٢)</sup> ، كذَّبتِ  
الظنونُ ، إنها العِثرةُ بَعْضُها من بعض ، فإذا قد استوليتُم العافية ، فعندي فِطام  
وفيكالك ، وسيف يَقْدُ الهامَ ، وإني أقول :

أغرَّكم أني بأكرمِ شيمةٍ      رفيقٌ ، وأني بالفواحشِ أخرقٌ ؟  
ومثلي إذا لم يُجْزَ أحسنَ سَميه      تكلمُ نِعْماءُ فيها فتَنطِقُ  
لعمري لقد فاحشتني فغلَبَتني      هنيئاً مريئاً أنت بالفُحشِ أرفقُ

(القد الفريد ٢ : ١٤٦)

## ١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب العقد قال :

لما قَدِمَ النعمان بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السفَّاح في ثمانين

من الإنسان ، يَكِيلُ إذا كَلَّ ، وينفسيح بانفساحه إذا قَسَحَ ، ونحن أمراء الكلام ، منا  
تفرعت فروعه ، وعليتنا تهدلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هذرا ، ولا نسكت إلا  
معتبرين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « الله هو ! لو خطب بمثل ما اعتذر ،  
لكان من أخطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي <sup>(٣)</sup> اه .

والهزيمة بفتح الاء وقد تكسر : الهزيمة من الهم ، والهدر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون القال  
مصدر هذر في منطقه كجرب ونصر .

[١] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد ولاء السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،  
ثم ولاء مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الحبر بجوت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره المنصور على  
عمل مصر ثم خرج إلى فلسطين ، ومات وهو حامل حمى بفسرين . [٢] ضعف .

رجلا من بنى أمية ، وُضعت لهم الكراسى ، ووضعت لهم نَمَارِقُ <sup>(١)</sup> ، وأجلسوا عليها ، وأجلس الغمر مع نفسه فى المصلى ، ثم أذن لشيئته فدخلوا ودخل فيهم سُدَيْف بن ميمُون <sup>(٢)</sup> ، وكان متوشحاً سيفاً ، متنكباً قوساً ، وكان طويلاً آدم <sup>(٣)</sup> ، فقام خطيباً .

فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضَّلالُ بما حَبِطَت <sup>(٤)</sup> أعمالهم أنْ غيرَ آلِ محمد أولى بالخلافة ؟ فلمَ وبِمَ أيها الناس ؟ لكم الفضلُ بالصَّحابة ، دون حقِّ ذوى القرابة ، الشركاء فى النسب ، الأكفاه فى الحسب ، الخاصَّة فى الحياة ، الوفاة <sup>(٥)</sup> عند الوفاة ، مع ضَرْبهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم فى الأولى جائِعكم ، فكم قَصَمَ الله بهم من جَبَّارٍ باغٍ ، وفاسق ظالم ، لم يُسْمَعْ بِمِثْلِ العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدأبيه ، وجِلْدَةٌ ما بين عينيه <sup>(٦)</sup> ، أُمِينُهُ لَيْلَةُ الْعَقَبَةِ <sup>(٧)</sup> ، وَرَسُولُهُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وحاميه يوم حُنَيْنٍ <sup>(٨)</sup> ، لا يَرُدُّهُ رَأْيَا ، ولا يَخَافُ لَهُ قَمَماً ، إنكم والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث ما اختاره الله لكم ، تَبَيَّنِي <sup>(٩)</sup> مرَّةً ، وَعَدَوِي <sup>(١٠)</sup> مرة ، وكنتم بين ظَهْرَانِي قوم قد آثَرُوا العاجِلَ على الآجِلِ ، والفانى على الباقي ،

[١] نَمَارِقُ جمع نَمْرَقَة كقنفذة : وهى الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبى العباس السفاح .

[٣] وصف من الأئمة ، وهى كالمسرة وزنا ومعنى . [٤] فسدت . [٥] الوفاة جمع واف .

[٦] خطاب الوليد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحاجاج جِلْدَةٌ

ما بين عيني » ألا وإنه جِلْدَةٌ وجهي كله » - البيان والتبيين ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ - .

[٧] يوم مبايعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً معهم امرأتان

وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أن يحضر

أمر ابن أخيه ليتوثق له . [٨] كان العباس من بيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُزُوة

حنين ، حين انزعم المسلمون أول اللوصة ، وكان آخذاً بلبجام بقلته . [٩] يريد أبا بكر الصديق رضى

الله عنه ، وهو من قبيلة بن مرة بن كعب بن لؤى . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو من

عدى بن كعب بن لؤى .

وجعلوا الصدقات، في الشهوات، والقيء، في اللذات والغناء، والمغانيم، في المحارم،  
إذا ذُكروا بالله لم يذكروا، وإذا قُدِّموا بالحق أُذِّبُوا، فذلك زمانهم، وبذلك  
كان يعملُ شيطانهم<sup>(١)</sup>. (العقد الفريد ٢ : ٣٠١)

## ١٥ - خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح<sup>(٢)</sup>، فقال :  
« الحمد لله الذي حمّد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد  
رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى ، واختاره من خلقه ، نفسه من  
أنفسهم ، وبيته من بيوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ،  
وأشهد ملائكته على حقه ، قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل  
بيته ، فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على اللأواء<sup>(٣)</sup>  
والشدة ، وأغضى على الاستبداد والآثرة ، ثم إن قوماً من أهل بيت الرسول  
صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان ، من  
عمل بطاعة الشيطان ، وعداوة الرحمن ، بين ظهرائي قوم آثروا العاجل على  
الآجل ، والفاني على الباقي ، إن رُتِقَ جَوْرُ فُتِقَوْهُ ، أوفِقَ حق رَتَقَوْهُ ، أهل مُحمور  
وماخُور ، وطنائير<sup>(٤)</sup> ومزائير ، إن ذُكِّروا لم يذكروا ، أوقدُّموا إلى الحق  
أذِّبُوا ، وجعلوا الصدقات ، في الشبهات ، والمغانيم ، في المحارم ، والقيء ، في

[١] نفي هذه الخطبة مروية في خطبة أبي مسلم الخراساني الآية بعدما ، ولكني آثرت إبراد الروابين  
جماً كما وردتا . [٢] وذلك في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الشدة .  
[٤] الطنائير : جمع طنبور كصفور ، وهو الذي يلعب به .

النبي، هكذا كان زمانهم، وربه كان يعمل سلطانهم، وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم، فلم يَجمِ أيها الناس؟ ألكم الفضل بالصَّحابة، دون ذوي القرابة، الشركاء في النسب، والورثة في السَّلب<sup>(١)</sup>، مع ضربهم على الدين جاهلكم، وإطعامهم في الجُذب جائعكم، والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة قط، وما زلتم بعد نبيه تخارون تيمناً مرة، وعدوياً مرة، وأموياً مرة، وأسدياً<sup>(٢)</sup> مرة، وشقياناً مرة، ومزوانياً مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا بيته<sup>(٣)</sup>، يضربكم بسيفه، فأعطيتموها عتوة، وأنتم صاغرون، ألا إن

[١] مايلب، والمراد ورثته في الخلافة. [٢] هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد. [٣] قال ابن أبي الحديد: «يعني نفسه لأنه لم يكن معلوم النسب» وقد اختلف فيه أهو مولى أم عربي. وقال ابن خلكن في (وفيات الأعيان ١: ٢٨٠) في ترجمته: «أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان الحراساني القائم بالدعوة العباسية، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سدوس بن جودون من ولد بزرجهر بن البختكان الفارسي، وقد اختلف الناس في نسبه، فقيل إنه من العرب، وقيل إنه من السجم، وقيل من الأكراد، وفي ذلك يقول أبو دلالة:

أبا جرم ما غير الله نسبه على عبده حتى يغيره الجبد  
ألى دولة المنصور حاولت غدرة ألا إن أهل الدر آباؤك الكرد

وقال ابن طباطبا في الفخرى ص ١٢٣: «أما نسبه ففيه اختلاف كثير، فقيل: هو حر من ولد بزرجهر، وأنه ولد بأصفهان، ونشأ بالكوفة، فافصل إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فغير اسمه، وكناه بأبي مسلم، وثقفه وفتقه، حتى كان منه ما كان.

وقيل هو عبد تنقل في الرق، حتى وصل إلى إبراهيم الإمام، فلما رآه أعجبه سمته ونقله، فأبانه من مولاة وثقفه وفتقه، وصار يرسله إلى شيعته وأصحاب دعوته بخراسان، وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان.

وأما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليط بن عبد الله بن عباس، وكان لعبد الله بن عباس جارية فوقع عليها مرة، ثم اعترفها مدة، فاستنكحها بها فوطئها، فولدت منه غلاماً سمته سليطاً، ثم ألقته ببسبب الله بن عباس، وأنكره عبد الله ولم يترف به، ونشأ سليط، وهو أكره الخلق إلى عبد الله بن عباس، فلما مات عبد الله نازع سليط وراثته في ميراثه، وأعجب ذلك بني أمية ليفضوا من علي بن عبد الله ابن عباس، فأعانوه وأوصوا قاضي دمشق في الباطن، فبال إليه في الحكم وحكم له باليراث، فادعى أبو مسلم حين قويت شوكته أنه من ولد سليط هذا.

وذكر ابن خلكن أن المنصور قال له قبل قتله، وقد عدد له مساوئ وقتلته منه: «ترعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس! لقد اوتيت لا أم لك مرتقى صبا!».

آل محمد أئمة الهدى ، ومَنَارُ سبيل التقي ، القادة القادة السادة ، بنو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَمُنْزَلُ جبريل بالتنزيل ، كم قصم الله بهم من جبار طاغ ، وفاسق باغ ، شَيد الله بهم الهدى ، وَجَلَّى بهم العمى ، لم يُسمع بمثل العباس ، وكيف لا تخضع له الأمم لواجب حق الحرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وإحدى يديه ، وَجِلْدَةٌ بين عينيه ، أُمِينُهُ يوم العَقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ<sup>(١)</sup> ، ورسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يوم حُنَيْنٍ ، عند ملتقى الفَتَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ، ولا يَفْصِي له حكماً ، الشافع يوم نِيقِ العَقَابِ<sup>(٢)</sup> ، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٥)

## ١٦ — خالد بن صفوان وأحوال السفاح

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْمَنِيُّ مِنْ سُمَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ ، فَفَخَّرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْعَارِثِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : لَمْ لَا تَتَكَلَّمُوا يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَخْوَالُ<sup>(٤)</sup> أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ : « فَأَتَيْتُمْ أَعْمَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتَهُ » قَالَ خَالِدُ : « وَمَا عَصَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا بَيْنَ نَاصِجٍ بُرْذٍ ، وَدَابِغٍ جِلْدٍ ، وَسَائِسٍ قِرْدٍ ، وَرَاكِبٍ عَزْدٍ<sup>(٥)</sup> ، دَلَّ عَلَيْهِمُ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس في غزوة أحد ، وذلك أن جيش المسلمين خرج من مكة لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب بث به إليه عمه العباس الذي لم يخرج معهم في هذه الحرب عتجا بما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المسلمين ( وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يتم إسلامه ) .

[٢] موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن العباس شفع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة ضداً الذي صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] انظر الجزء الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ربيعة بنت حبيد الله ابن حبيدة بن عبد الدان بن الحارث الحارثي ، ولذا كان يقال له ابن الحارثية . [٥] الرد : الحار .

هذه<sup>(١)</sup>، وغرستهم فارة<sup>(٢)</sup>، وملكتهم امرأة<sup>(٣)</sup>؟ . (البيان والتبيين ١ : ١٨٤)

\* \*

وروى الحصري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة<sup>(١)</sup> الشرف ، وعزيرين<sup>(٢)</sup> الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لمما<sup>(٣)</sup> ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طعما<sup>(٤)</sup> ، وأوفام ذمما ، وأبدم همما ، الجمرة في الحرب ، والرند<sup>(٥)</sup> في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب<sup>(٦)</sup> » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسنته ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب

[١] يشير إلى حديث المحدث مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِضِينَ ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَكَثَرَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يزعمه اللوزخون من أن سيل العرم الذي خرب اليمن كان سببه قرض الجرذ لداء مأرب - انظر الجزء الأول ص ٣٤٣ . [٣] هي بليقيس (بالكسر) ملكة سبأ .

[٤] الهامة : رأس كل شيء . [٥] الرنين : الأنف ، أو ما صلب من عطشه ، ومن كل شيء أوله . [٦] في الأصل « أما » وأراه عرفا ، وصوابه « لمما » والله جمع لمة بالكسر ، وهي الشعر الجاوز شعبة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرند : العطاء والصلة . [٩] العجب : أصل الذنب ، ومؤخر كل شيء .

أبو العباس لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرْد ، وسائس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دَلَّ عليهم هُدُهد ، وغرقهم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . ( زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٣٤٦ )

## ١٧ - خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأَهمم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي الدَّارِ »<sup>(١)</sup> ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ »<sup>(٢)</sup> ، وأنت ابن الأَهمم ، والصحيح خير من الأَهمم<sup>(٣)</sup> ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلم ؟ وقد هَشَمْتَكَ هاشم ، وأُثْمِتَكَ<sup>(٤)</sup> بنو أمية ، وخَزَمْتَكَ بنو مخزوم ، وَجَمَحْتَكَ بنو جَمَح<sup>(٥)</sup> ؟ فأنت عبد دارم<sup>(٦)</sup> تفتح إذا دخلوا ، وتُغْلِقُ إذا خرجوا ، فقام العبدري مخموماً . ( آمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢ )

[١] وتعلم الآية الكريمة : « وَسَقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعُ أُمْغاًهُمْ » .

[٢] صفوان جمع صفوانة : وهي الحجر الصلب الضخم كالصفوان والصفاة ، والآية الكريمة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَفَسَدَ لَهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » . [٣] هم كفروح : انكسرت ثناياه من أصولها فهو أَهمم . [٤] فادتك . [٥] انظر الجزء الثاني ص ٩٠ . [٦] وكانت الحجابة في بني عبد الدار ، انظر الجزء الثاني ص ٩٠ أيضاً .



## ١٨ — خالد بن صفوان يرثى صديقاله

وقال الجاحظ : قيل لرجل — أراه خالد بن صفوان <sup>(١)</sup> — مات صديق لك، فقال :  
« رحمة الله عليه ، لقد كَانَ يَمْلَأُ المِينَ جَمَالًا ، والأَذُنَّ يَانَا ، ولقد كَانَ يُرْجَى  
فَلَا يَخْشَى ، وَيُشَى فَلَا يَمُتَّى ، وَيُعْطَى فَلَا يُنْطَى ، قَلِيلًا لَدَى الشَّرِّ حُضُورُهُ ،  
سَلِيمًا لِلصَّدِيقِ ضَمِيرُهُ » . ( البيان والبيان ٣ : ٢٣١ ، والأمال ٢ : ١٧٤ )

## ١٩ — خالد بن صفوان يمدح رجلا

وذكر خالد رجلا ، فقال :

« كَانَ وَاللهُ بَدِيعَ المنطِقِ ، دَاقَ <sup>(٢)</sup> الجُرْأَةَ ، جَزَلَ الأنْفَاطَ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ،  
ثَابِتَ العُقْدَةِ ، رَقِيقَ الحَوَاشِي ، خَفِيفَ الشَّفَتَيْنِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، رَحْبَ الشَّرَفِ ،  
قَلِيلَ الحَرَكَاتِ ، خَفِيَ الإِشَارَاتِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، حَسَنَ الطَّلَاوَةِ <sup>(٣)</sup> ، حَيَّيَا جَرِيثًا ،  
قَتُولَا صَمُوتًا ، يَقُولُ الحَزَّ <sup>(٤)</sup> ، وَيُصِيبُ المَفَاصِلَ ، لَمْ يَكُنْ بالمُعْذَر <sup>(٥)</sup> فِي مَنَظَرِهِ ،  
وَلَا بِالزَّمِينِ <sup>(٦)</sup> فِي مَرُوءَتِهِ ، وَلَا بِالخَرِيقِ <sup>(٧)</sup> فِي خَلِيقَتِهِ ، مُتَبَوِّعًا غَيْرَ تَابِعٍ ،  
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ : » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٧ )

## ٢٠ — كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الوُلاَةِ : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلًّا بِقِسْطِهِ

[١] ورواية الغال : من الأصمى قال خالد بن صفوان لثقي بن يديده : رحم الله أباك . . . الخ .

[٢] مأخوذ من : « سيف دلق » أى سهل الخروج من محده ، ويقال : اندلق السيل أى اندفع ،  
واندلق السيف : أى شق جلته فخرج منه . [٣] الطلاوة مثنية : القبول . [٤] الحز : القطع .

[٥] عذر فى الأمر تذكيرا ، إذا نصر ولم يجتهد . [٦] أى اللبيب ، والزمامة كسحابة : الماعة ،

زمن كفرح فهو زمن وزمين . [٨] الخرق الثنى لا يحسن العمل والصرف فى الأمور .

من وجهك وكرامتك <sup>(١)</sup> ، حتى كأنك من كلِّ أجد ، وحتى كأنك لست من أحد . (الأمال : ١ : ٢١٦ ، وزمر الآداب : ٣ : ٣٤٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شيبنة لخالد بن صفوان : « مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟ »  
قال : « مَنْ سَدَّ خَلِّي ، وَغَفَّرَ لِي ، وَقَبِلَ عَلَيَّ » . (الأمال : ١ : ١٩٨)  
وذكر شبيب عنده مرة ، فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية » . قال الجاحظ : « وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة » . (البيان والتبيين : ١ : ١٨٤ ، وزمر الآداب : ٣ : ٢٠٩)

وقال خالد : « ما الإنسان ، لولا اللسان ، إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة موهمة » ،  
وفال : « أَتَقْوَا مَجَانِيْقَ <sup>(٢)</sup> الضُّعْفَاءِ » يريد الدعاء (البيان والتبيين : ١ : ١٩٠)  
وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحَرْدَلِ ، وَيُقْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمِرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ ! » . (زمر الآداب : ٢ : ٨٥)

## ٢١ — عمارة بن حمزة والسفاح

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوائز نفيسة وكسوة وصلة ، وأذن مجلسه :

« وَصَلَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكَ ، فَوَاللَّهِ لَنُؤْثِرَنَّ شُكْرَكَ عَلَى كُنُوزِ <sup>(٣)</sup> صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرَ لَيَقْصُرَ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مَنَازِنِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ فَضْلًا عَلَيْنَا ، بِالنَّقْصِ مِمَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْْنَا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِنَقْصِ <sup>(٤)</sup> شُكْرُنَا » .  
(زمر الآداب : ٣ : ٣٤٦)

[١] وفي رواية زمر الآداب : « من ظفرك ومجلىك في صوتك وعدك » .

[٢] جمع متجنيق بفتح الميم وكسرهما : آلة ترمى بها الحجارة . [٣] كنه الشيء : حقيقته .

[٤] في الأصل : « لبعض » وأراه مجرّفا .

## خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

### ٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إنا أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأنيده ، وحارسه على ماله ، أحمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلاً ، إن شاء أن يفتحني فتعني لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» أن يوفقني للرشد والصواب ، وأن يلممني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

( العقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٥١ ، تاريخ الطبري ٩ : ٣١٠ )

### ٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه <sup>(١)</sup> :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ <sup>(٢)</sup> مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أمرهم بترم ، وقول عدل ، وقضاء فصل ، والحمد لله الذي أفلج <sup>(٣)</sup> حججته ، وبُمدد للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة عَرَضًا ، وآلَفَ إِرثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عز صاحب العقد هذه الخطبة إلى سليمان بن علي ( انظر ج ٢ من ١٤٥ ) ، وكذا صاحب مواسم الأدب ( انظر ج ٢ : ١١٥ ) . [٢] قيل المراد بزبور جنس الكتب المنزلة ، وبالذكر اللوح المحفوظ . [٣] نصر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ<sup>(١)</sup> ، لَقَدْ حَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم ترى من بُرِّ مُمَظَّلَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَقَصِيرٍ مَشِيدٍ ، أَمَلَهُمُ اللَّهُ حَتَّى بَدَلُوا السَّنَةَ ، واضطهدوا العِثْرَةَ<sup>(٣)</sup> ، وَعَتَدُوا<sup>(٤)</sup> واعتَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثم أخذهم فحل ثَمْسٌ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرَأً<sup>(٥)</sup> .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والكمال لابن الأثير ٦ : ١٢ )

## ٢٤ - خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بندا » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تَفْأَلَمُوا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدُ خاطئة ، وظلمُ ظالم ، لَمَشَيْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فِي أَسْوَاقِكُمْ ، وَلَوْ عَلِمْتُ مَكَانَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنِّي لَأْتَيْتُهُ حَتَّى أَدْفَعَهُ إِلَيْهِ » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٠ )

## ٢٥ - خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن<sup>(١)</sup> وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

[١] النصة : الفقرة والقطعة والجمع عضون ، وجعل المفركون القرآن عِضِينَ أى فرقا : فرقوا فيه القول ، بجلوه كذبا وسعرا وكهانة وشعرا ، فهم قد ( عضّوه ) بالشديد أعضاء ، أى جزّوه أجزاء ، وهو يريد هنا المؤمنين يفر إلى أنهم عطلوا بعض أوامر القرآن بما أتوه من الأعمال ، من رمى الحكمة واضطهاد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستحق منها هلاك أهلها ، ومشيدي : مرفوع ، أو مطلى بالقيدي ( بالكسر ) وهو ما طلى به الحائط من جص ونحوه ، أى معطل خال من ساكنيه أيضا . [٣] العثرة : لعل الرجل ورمحه وهديره الأدنول . [٤] عند ( مثلث النون ) عن الطريق : ماله . [٥] الصوت الخفي . [٦] هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حله المنصور هو وأهل بيته ، من المدينة إلى الرقاق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في غيايات السجون حتى ماتوا بسجن الكوفة ، وكان يتخوف أن يخاله علي الخلافة محمد بن عبد الله هذا ( وهو محمد الملقب بالنفس الزكية ) وقد خرج عليه بالمدينة فوجه المنصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم علي المنصور بالبصرة فقتل أيضا في هذه السنة .

« يا أهل خُرَّاسان : أتمَّ شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خيرٌ منا ، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب ، تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ، فقام فيها علي بن أبي طالب ، فتلطَّخ ، وحكَّم عليه الحكمين ، فافترقت عنه الأمة ، واختلفت عليه الكلمة ، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه ، وبطانته وثِقائه فقتلوه ، ثم قام من بعده الحسن بن علي ، فوالله ما كان فيها برجل ، قد عرضت عليه الأموال فقبلها ، فدرس إليه معاوية : إني أجمعك ولئ عهدي من بعدى ، فخدعه فانسَلخ له مما كان فيه ، وسلمه إليه ، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً ، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن علي ، فخدعه أهل المراق وأهل الكوفة ، أهل الشقاق والنفاق ، والإغراق في الفتن ، أهل هذه المدرة السوداء - وأشار إلى الكوفة - فوالله ما همى بحرب فأحاربها ولا سَلِمَ فأسالِمها ، فرَّق الله بيني وبينها ، فخذلوه وأساموه حتى قتل ، ثم قام من بعده زيد بن علي ، فخدعه أهل الكوفة وغرَّوه ، فلما أخرجوه <sup>(١)</sup> وأظهروه أساموه ، وقد كان أتى محمد بن علي <sup>(٢)</sup> ، فناشده في الخروج ، وسأله ألاَّ يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يُصَلَّب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده عُمى داود بن علي ، وحذَّره عَذْر أهل الكوفة ، فلم يقبل وتم <sup>(٣)</sup> على خروجه ، فقتل وصلب بالكناسة <sup>(٤)</sup> ، ثم وثب علينا بنو أمية ، فأماواتوا شرفنا ،

[١] وقد خرج في خلافة هشام بن عبد الملك ، فقاتله يوسف بن عمر الثقفي والي المراق ، وقتل وصلب سنة ١٢١ هـ . [٢] يريد أباه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . [٣] تم على الأمر : استمر عليه . [٤] موضع بقرب الكوفة .

وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا تِرة<sup>(١)</sup> يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فنفونا من البلاد ، فصرنا مرة بالطائف . ومرة بالشَّام ، ومرة بالشرأة<sup>(٢)</sup> ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا ، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ، ودَمَعَ بحكمكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا ، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه ، فقر الحق مَقَرَّه ، وأظهر مناره ، وأعز أنصاره ، وقُطِع دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فلما استقرت الأمور فينا على قَرَارها من فضل الله فيها ، وحُكْمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظلما وحسدا منهم لنا ، وبنينا لما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا به من خلافته ، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْهِنا عن عُدُوهم لَبِئْسَتِ الْخِلَتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيتُ من هذا الأمر ما أتيت بجهالة ، بلغني عنهم بعض السَّقَمِ والتَّعَرُّمِ<sup>(٣)</sup> ، وقد دَسَسْتُ لهم رجالا ، فقلت : قم يا فلان ، قم يا فلان ، نخذ معك من المال كذا ، وحدوثُ لهم مثالا يعمَلون عليه ، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة ، فدَسَّوْا إليهم تلك الأموال ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير ، إلا بايعهم بيعة استحلَّتْ بها دماءهم وأموالهم ، وحلَّتْ لي عند ذلك بنقضهم بيعتي ، وطلبهم الفتنة ، والتماسهم الخروج على ، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين » ثم نزل وهو يتلو على دَرَج المنبر هذه الآية

[١] ثَار . [٢] موضع بين دمشق والمدينة (الكرك الآل) .

[٣] الأصل فيه : تعرَّبه : تعرَّقه وترع ما عليه من اللحم .

« وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٤١ )

٢٦ - خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شنَّ<sup>(١)</sup> المنصور عليه درعه ، وتقلد سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

مَالِي أَكْفَكِفُ عَنْ سَعْدٍ وَتَشْتُمِي؟ وَلَوْ شِئْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوْمٍ لَبِئْسَتْ اخْتِلَافِ الْجَهْلِ وَالْجُبْنِ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزُوا عَمَّا قَنَاهُ ، فَاعْصِدُوا الْكَافِي ، وَمَا شَكُرُوا الْمُنِيمَ ، فَإِذَا حَاوَلُوا أَشْرَبَ رَتْقًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيَّتُ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أُصِلُ ذَا رَحِمٍ حَاوِلَ قَطِيعَتِهَا ، وَلَئِنْ لَمْ يَرْضَ بِالْمُفَوِاطِلِ مَا لَمْ يَوْجِدْ عِنْدِي ، فَلْيُتَّقِ ذُو نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَمُتِي ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ » . ( واسم الأدب ٢ : ١١٩ )

## ٢٧ -- خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني<sup>(٢)</sup> ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ . لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسِرُّوا غَشَّ الْأَعْمَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِيده ، وَفَلَّتْ لِسَانُهُ ، وَصَفَحَتْ وَجْهَهُ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِأَمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَاءِ حَقِّهِ ، إِنَا

[١] شنَّ عليه درعه : صيغتها . [٢] قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله لحرب عمه عبد الله بن علي - وكان قد خرج عليه بالعام كما سيأتي - فلما ظفر أبو مسلم ، وغتم جميع ما كان في عسكر عبد الله ، وانتهز عبد الله إلى البصرة ، أرسل المنصور بغير خذمه للحفاظ على ما في العسكر من الأموال ، ففضض أبو مسلم ، وقال : أبين على العماء ، غائن في الأموال ! وشتم المنصور ، وعزم على الخلاف ، وأن يتوجه إلى خراسان ، فجعل للمنصور يتلطف به حتى استفد منه إليه وقتله .

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقُوقَكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَارَعَنَا عُرُوءَ  
هَذَا الْقَمِيصِ أَجْزَرُ نَاهِ خَبِيٍّ هَذَا النِّعْدِ ، وَإِنْ أَبَاسَلَمْ بَايَعَنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى  
أَنَّهُ مِنْ نَكْتِ بَنَا فَقَدْ أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكْتِ بَنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ  
عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَنْعُنَا رِغَايَةُ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

( تاريخ الطبرى ٩ : ٣١٣ ، وجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٨ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقَلَةِ الشُّكْرِ ، فَتَحُلَّ بِكُمْ النِّقْمَةُ ،  
وَلَا تَسْتُرُوا غِشَّ الْأَعْمَةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ،  
وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِعِ نَظَرِهِ ، وَإِنَّا لَا نَجْهَلُ حَقُوقَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقًّا ، وَلَا نَنْسَى  
الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَّرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمَنْ نَارَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْطَانًا أَوْ رَأْسَهُ  
خَبِيءٌ <sup>(١)</sup> هَذَا النِّعْدِ ، وَالسَّلَامُ » . ( مواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٩ - قوله وقد قوطع فى خطبته

وخطب يوم الجمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأُسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ :  
أَذْكُرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعْنَا سَمِعًا  
لِمَنْ فَهِمَ عَنْ اللَّهِ ، وَذَكَرْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي  
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ صَلَّيْتُ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَاتِلُ ، فَوَاللَّهِ



ما أردت بها وجه الله، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فمُؤَبِّدٌ فَصَبَرَ ،  
وأهونُ بها ، وإياك لو همتُ <sup>(١)</sup> ! فاهْتَبِلْهَا <sup>(٢)</sup> إذ غفرتُ ، وإياك وإياكم معشرَ  
الناس أختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصّلت ، فردوا الأمر إلى  
أهله ، ثورِدوه مَوَارِدَه ، وتُصَدِّروه مَصَادِرَه . ثم عاد في خطبته ، فكأنه  
يقروها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والقصد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٦ ،  
والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢ )

### ٣٠ . المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى  
والعباس بن محمد وغيرهما ، فذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا  
عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَبَّارًا لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ لَحْنَانًا مَجْنُونًا ، وَكَانَ  
سُلَيْمَانُ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَقَرْبُهُ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ أَعْوَرَ بَيْنَ تُحَيْنٍ ، وَكَانَ هِشَامُ رَجُلَ  
الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمِيَّةٍ ضَابِطِينَ لِمَا مُهَّدَ لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ ، يَحُوطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ  
وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ ، مَعَ تَسْتُهُمْ مَعَ الْأُمُورِ ،  
وَرَفَضِهِمْ أَدَانِيَّهَا ، حَتَّى أَفْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَحْدَاثٍ مُتَرَفِّعِينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَمِطَلُوا <sup>(٣)</sup>  
النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا الْعَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرِّيَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النِّقْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ  
اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، آمِنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ ، مُسْتَخَفِّينَ بِحَقِّ الرِّيَاسَةِ ،  
ضَعِيفِينَ عَنِ رِسْمِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّةَ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢١٥ )

[١] أى لو همت بمقاتلتها . [٢] اغتنمها . [٣] نطقت النعمة : بطردها وحرقها .

### ٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صَفَرِ قریش ، مَنْ هو ؟ قالوا :  
 أمير المؤمنين ، الذي راضَ <sup>(١)</sup> الملكَ ، وسَكَنَ الزلازلَ ، وحَسَمَ الأدواءَ ، وأبَادَ  
 الأعداءَ ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : فعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك  
 ابن تَرَوَان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن  
 معاوية <sup>(٢)</sup> ، الذي عَبَرَ البحرَ ، وقطعَ الفقرَ ، ودخلَ بلدًا أعجميًا مُفْرَدًا ، فَصَّرَ  
 الأمصارَ ، وَجَنَّدَ الأجنادَ ، ودَوَّنَ الدواوينَ ، وأقامَ مُلْكًا بعد انقطاعه ، بحسن  
 تدبيره ، وشدة شكيمة ، إن معاوية نهضَ بِمَرْكَبٍ حَمَلَهُ عَلَيْهِ ثَمَرُ وَعِثَانٍ ،  
 وَذَلَّلَ لَهُ صَعْبَهُ ، وعبد الملكَ يَتَّبِعُهُ تَقْدَمُ لَهُ عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين يطلبُ غيره  
 واجتماعَ شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّدٌ بِرَأْيِهِ ، مستصحبٌ لعزمه .  
 (العقد الفريد ٢ : ٣٠٢)

### وصايا المنصور لابنه المهدي

#### ٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يا بُنَيَّ لَا تُبْرِمَ أَمْرًا حَتَّى تَتَكَّرَفَ بِهِ ، فَإِنْ  
 فِكْرَةُ الْعَاقِلِ مِرَّاتُهُ ، تُرْبِهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتُهُ ، واعلم أن الخليفة لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا  
 التَّقْوَى ، وَالسُّلْطَانُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى  
 النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْمَقْوَبَةِ ، وَأَنْتَقِصُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُودُونِهِ .  
 (نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، والعقد الفريد ١ : ١٤ )

[١] ذال . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المروفي بالداخل

مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسياق .

### ٣٣ - وصية أخرى له

وصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك  
 بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سقط فيه دفاتر علمه ، وعليه  
 قُلْ لا يَأْمَنُ عَلَى فَتْحِهِ وَمِفْتَاحِهِ أَحَدٌ ، يَصُرُّ مِفْتَاحَهُ فِي كُمِّ قَبِيصِهِ - فقال  
 للمهدى : انظر هذا السقط فاحتفظ به ، فإن فيه علم آباءك ما كان وما هو كائن  
 إلى يوم القيامة ، فإن أحرزتك أمرتُ فانظر في الدفتر الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،  
 وإلا فالثاني والثالث حتى تبلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكُرُاسة الصغيرة ، فإنك  
 واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإنباك أن تستبدل بها ،  
 فإنها يبتك وعزك ، قد جمعتُ لك فيها من الأموال ، ما إن كسبر عليك الخراج  
 عشرين سنين ، كان عندك كفاية لأرزاق الجنود والنفقات ، وعطاء الذرية ، ومصالحة  
 الثغور ، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عايراً ، وما أظنك  
 تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تظهر كرامتهم وتقدمهم ، وتكثر الإحسان  
 إليهم ، وتمعظم أمرهم ، وتوطئ الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزهم ،  
 وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مواليك فأحسن إليهم ، وقربهم ،  
 واستكثر منهم ، فإنهم مادّتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل ،  
 وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في  
 دولتك ، وديارهم دُونَكَ ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تحسن إليهم ،  
 وتتجاوز عن مُسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلّف من مات منهم في  
 أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تتم  
 بناءها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجل من بني سليم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تُدخل النساء في مَشورتك في أمرك ، وأظنك ستفعل »  
( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٩ )

### ٣٤ - وصية أخرى له

وروى المهدي أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين  
بعمدي ، يجعل لك فيما كَرَبَكَ وَحَزَنَكَ نَجْزِجاً ، وَيَرْزُقَكَ السَّلامَةَ وحسن  
العاقبة من حيث لا تحسب ، احفظ يا بني محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته ،  
يحفظ الله عليك أمورَكَ ، وإياك والدمَ الحرام ، فإنه حُوب <sup>(١)</sup> عند الله عظيم ،  
وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك  
في العاجل ، وأقيم الحدود ، ولا تعتد فيها فنبور <sup>(٢)</sup> ، فإن الله لو علم أن شيئاً  
أصلح لدينه ، وأزجرَ عن معاصيه من الحدود ، لأمرَ به في كتابه ، واعلم أنه من  
شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى  
في الأرض فساداً ، مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا  
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ  
يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ،  
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان  
يا بني حبلُ الله المتين ، وعُرْوَتُهُ الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحُطَّهُ ، وحصنه  
وذُبْ عنه ، وأوقع بالملحدين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه  
بالعقاب لهم ، والمثلثات <sup>(٣)</sup> بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحْكَمِ القرآن ،  
واحكم بالعدل ولا تُبْطِطْ ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجع في

الدواء ، وَعَفَّ عَنْ النَّعْيِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عملك  
بصلة الرَّحِمِ وَبِرِّ الْقَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ <sup>(١)</sup>  
الثَّغُورَ ، وَاصْبِطِ الْأَطْرَافَ ، وَأَمِّنِ السُّبُلَ ، وَخَصَّ الْوَاسِطَةَ <sup>(٢)</sup> ، وَوَسَّعِ الْمَعَاشَ ،  
وَسَكَّنِ الْعَامَةَ ، وَأَدْخِلِ الْمُرَافِقَ عَلَيْهِمْ ، وَأَصْرِفِ الْمَكَارِهَ عَنْهُمْ ، وَأَعِدَّ الْأَمْوَالَ  
وَاخْزَنْهَا ، وإياك والتبذير ، فَإِنَّ النُّوَائِبَ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ ، وَالْحَوَادِثُ غَيْرُ مَضْمُونَةٍ ،  
وَهِيَ مِنْ شَيْمِ الزَّمَانِ ، وَأَعِدَّ الرِّجَالَ وَالْكَرَاعَ <sup>(٣)</sup> وَالْجُنْدَ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَإِيَّاكَ  
وَتَأْخِيرَ عَمَلِ الْيَوْمِ إِلَى غَدٍ ، فَتَدَارِكَ عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَتَضِيعُ ، جُدْ فِي إِحْكَامِ الْأُمُورِ  
النَّازِلَاتِ لَأَوْقَاتِهَا أَوْ لَا فَأُولَا ، وَاجْتَهِدْ وَشَمِّرْ فِيهَا ، وَأَعِدِّ رِجَالًا بِاللَّيْلِ لِمَعْرِفَةِ  
مَا يَكُونُ بِالنَّهَارِ ، وَرِجَالًا بِالنَّهَارِ لِمَعْرِفَةِ مَا يَكُونُ بِاللَّيْلِ ، وَبَاشِرِ الْأُمُورِ بِنَفْسِكَ  
وَلَا تَضَجَّرْ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَفْشَلْ ، وَاسْتَعْمِلْ حَسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ ، وَأَسِئْ  
الظَّنَّ بِعَمَالِكَ وَكُتَّابِكَ ، وَخُذْ نَفْسَكَ بِالتَّقِيقِظِ ، وَتَفَقَّدْ مَنْ يَبِيتُ عَلَى بَابِكَ ،  
وَسَهِّلْ إِذْنَكَ لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ فِي أَمْرِ النَّزَاعِ إِلَيْكَ ، وَوَكِّلْ بِهِمْ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ ،  
وَنَفْسًا غَيْرَ لَاهِيَةٍ ، وَلَا تَنْتُمْ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَنْتَمْ مِنْذُ وَلِيٍّ الْخِلَافَةِ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ  
نَحْمَضٌ إِلَّا وَقَبْلَهُ مُسْتَيْقِظٌ ، هَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ .

(تأريخ الطبري ٩ : ٣٢٠)

### ٣٥ - خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب  
بالنفس الزكية <sup>(١)</sup> على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
ثم قال :

[١] أى إماماً بالمناصفة . [٢] للتوسط . [٣] الكراع : اسم يجمع الخيل .

[٤] كل بنو هاشم - الطالبيون والعباسيون - قد اجتمعوا أخريات العصر الأموي ، وتذاكروا حالهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بنائه القبة الخضراء ، التي بناها معاندة لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأنصار المؤاسين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وعملوا بغير كتابك ، وغيرُوا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، فأخصهم عدداً ، وأقتلهم بدداً <sup>(١)</sup> ولا تبق على الأرض منهم أحداً » . ( ذيل الامال ص ١٢١ )

### ٣٦ - وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد (أو إبراهيم)

ووصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمد النفس الزكية (أو إبراهيم) ، فقال :

« أَيُّ بُنَى ، إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ ، فَأَذِّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنِّي ،

وما هم عليه من الاضطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أمية من الاضطراب ، وانفقوا على أن يدعوا الناس إليهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نبايه ، فانفقوا على مبايعة النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورجلهم فضلا وشرفا وعلما ، وشاء القدر أن يضفر العباسيون بالخلافة ، فوليا السفاح ثم المنصور ، ولم يكن للمنصور من منذ تبوأ عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقته ، وأغراه بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إليه ، وكانوا يمتدحون فيه الفضل والشرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أبيهما عبد الله بن الحسن ، فقال : لا علم لي بهما - وكانا قد تقييا خوفا منه - فلما أعتل عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قديمي ، لما رضىتهما عنهما ، سبحان الله ! آتيك بولدي لتقتلها ؟ قدض عليه ، وعلى أهل من بني الحسن وحبيهم في سجن الكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدم ، ولم يزل النفس الزكية متفرجا منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفا منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده واقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبته أعيان المدينة ، ثم غلب عليها ، وعزل عنها أميرها ، ورتب عليها مالا وفاضا ، فوجه المنصور لقتاله جيشا بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت الغلبة لمعسكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبدين : متفرقين .

أى بنى كُفَّ الأذى ، وارْقُضْ البَذَا<sup>(١)</sup> ، واستمعن على الكلام بطول الفكر ،  
 فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعاتٍ يضر فيها  
 الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما  
 تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، لأنه يُزِدُكَ بِمشورته ، واعلم يا بنى أن رأيك  
 إذا احتجت إليه وجدته نائماً ، ووجدت هواك يقظاناً ، فإياك أن تستبدَّ برأيك ،  
 فإنه حينئذ هواك ، ولا تفعل فِعْلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرْذِيكَ ، وأن  
 نتيجة لا تجنى عليك » . ( زمر الآداب ١ : ٩٢ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨ )

### ٣٧ - قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمداً - وكان عبد الله فى السجن - بَعَثَ برأسه إليه  
 مع الرّيع حاجبه ، فوضع بين يديه ، فقال :  
 رَحِمَكَ اللهُ أَبَا الْقَاسِمِ ، فقد كنت من « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا  
 يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ،  
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثم تمثل :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ الدَّلِّ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سُوءَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم التفت إلى الرّيع ، فقال له : « قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن  
 نعمتك مثلها ، والموعِدُ اللهُ تعالى » قال الرّيع : فَا رَأَيْتُ الْمَنْصُورَ قَطُّ  
 أَكْثَرَ انْكَسَاراً مِنْهُ حِينَ أَبْلَغْتَهُ الرِّسَالَةَ . ( زمر الآداب ١ : ٩٠ )

### ٣٨ - امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اعترضته امرأةٌ معها صبيّان ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، أَيْتَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضَرَّعَهُمَا <sup>(١)</sup> خَوْفُكَ ، فَتَأَشَّدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصْعَرَ لِهَما خَذَّكَ ، فَيَنأَى عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لَتَعَطِفُكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النِّسْبِ ، وَأَوَاصِرُ <sup>(٢)</sup> الرَّحِمِ » .

فالتفت إلى الربيع ، فقال : أَرُدُّ عَلَيْهِمَا ضِياعَ أَيُّهُمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ . ( زمر الآداب : ١ : ٩٦ )

### ٣٩ - جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمَنْصُورِ وَنَصْرِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا ظَفِرَ الْمَنْصُورُ أَحْضَرَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ <sup>(٣)</sup> بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرَ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ إِنْطَبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمُورٍ <sup>(٤)</sup> عِيُونِهِمْ ، وَيُحْمَرُ <sup>(٥)</sup> نَخْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدَّرَ فَفَقَّرَ ، فَاقْتَدِ بِأَيْهِمْ شَتَّى ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَمُفُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : « إِنْ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ مَهْمَمْتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قُدْرَتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . ( زمر الآداب : ١ : ٩٦ )



وروى صاحب المقد قال :

[١] أَذْلَمَهَا . [٢] أَوَاصِرُ جَمْعُ آصِرَةٍ ، وَالْآصِرَةُ : حَبْلٌ صَغِيرٌ يَشُدُّ بِهِ أَصْفَلُ الْخِيَابِ ( وَهِيَ أَيْضًا الرَّحِمُ وَالْقَرَابَةُ ) . [٣] هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ الصَّادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٨ هـ . [٤] فِي الْأَصْلِ « يَمُورٌ » وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا ، وَقَدْ أَصْلَحْتُهُ « يَمُورٌ » يُقَالُ : يَمُورُ الْبَثْرُ أَيْ طَلْعُهَا ، وَسَدَّ عِيُونَهَا الَّتِي يَنْبَغُ مِنْهَا الْمَاءُ . [٥] جَرُّ النَحْلِ : قَطْعُ جَارِهِ .



لما حج المنصور مبراً بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : على جمعفر بن محمد ، قتلنى الله إن لم أقتله ، فطُل به ، ثم أُلح عليه ، فخر ، فلما كُشِف الستريته وبيته ، ومثل بين يديه ، همس جمعفر بشفتيه ، ثم تقرب وسلم ، فقال : « لاسلم الله عليك يا عدو الله ، تعمل على التوائل في ملكي ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فقفر ، وأنت على إرث منهم ، وأحق من تأسى بهم » ، فنكس أبو جمعفر رأسه ملكياً ، وجمعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلیّ أبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة <sup>(١)</sup> ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صاغ يمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه وبسائله ، ثم قال : يا ربيع ، عجل لأبى عبد الله كسوته وجأثرته وإذنه . ( العهد الجديد ١ : ١٤٥ )

٤ - صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله <sup>(٢)</sup> ، وصار إلى المنصور ، أتر الربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رؤس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عرّفتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسن بلائى ، وقديم نعمتى عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شق العصا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : المشبكة . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخو النفس الزكية ، وقد خرج على المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتال النفس الزكية فقاتله وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .

فعله ، أليم العقاب ، وعظيم المذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إماماً بلائاً للجيل  
لديه ، وَرَبَّ<sup>(١)</sup> نَعَمَاءَهُ السَّابِقَةِ عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة  
الله عليه ، وما يؤمله من الخير العاجل والآجل ، عند الغفور عَمَّنْ ظلم ، والصفح عَمَّنْ  
أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسِيئَتَهُمْ لِحُسْنِهِمْ ، وفادَروهم لَوَفِّيهِمْ .

( البيان والبيان ٣ : ١٨٠ )

## ٤١ — استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup> من الشام ، قَدِمَ على المنصور وقد منهم ،  
فقام عِدَّةٌ منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن النِفَارِيُّ ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وقد مباحاة ، وإنما نحن وقد تَوَبَّه ، وإنا ابْتَلِينَا بِفِتْنَةٍ  
استخفَّتْ كَرِيمَتَنَا ، واستغزَتْ حَلِيمَتَنَا ، ونحن بما قَدَّمْنَا مُتَغَرِّفُونَ ، ومما سَكَّفَ  
منامُتَدِرُونَ ، فَإِنْ ثَمَّاعَيْنَا فَبِمَا أَجْرَمْنَا ، وَإِنْ تَمَعْنَا عَنْا فَبِفَضْلِكَ عَلَيْنَا ، فاصْفَحْ عَنَّا  
إِذْ مَلَكَتْ ، وَاثْمُنْ إِذْ قَدَّرْتَ ، وَأَحْسِنْ إِذْ ظَفِرْتَ ، فطالما أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ  
أَسَاءَ مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال للحَرَمِيِّ : هذا خطيبهم ، وأمر  
بِرَدِّ ضِيَاعِهِ عَلَيْهِ بِالْفُوطَةِ<sup>(٣)</sup> .

( العقد الجديد ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ٩ : ٣٠٧ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

[١] رب الشيء : حجه وزاده ، ورب الشيء : ربه حتى أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إِذِ  
السَّلاح قَالَ لِي إِنَّ ظَهَرْتَ عَلَى مَرْوَانَ الْجَعْدَى — وكان السَّلاح أَرْسَلَ لِقَاتِلَ مَرْوَانَ بِالشَّامِ — فَأَنْتَ وَلِيَّ الْعَهْدِ  
بَعْدِي ، وَهَدَى لِي جَمَاعَةً بِذَلِكَ . فَأَرْسَلَ لِلْمَنْصُورِ أَبَا مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيَّ لِحَاجَتِهِ فَهَزَبَهُ ، وَهَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى  
الْبَصْرَةِ ، وَنَزَلَ عَلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، فَفَقَعَ فِيهِ سُلَيْمَانٌ إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَمْنَهُ ، فَأَجَاءَ إِلَيْهِ حَبِيبُهُ وَمَاتَ فِي  
حَبِيبِهِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ بَنَى لَهُ بَيْتًا ، وَجَعَلَ فِي أَسَاسِهِ مَلْعًا ، ثُمَّ أَجْرَى الْمَاءَ فِيهِ ، فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَيْهِ فَتَلَّتْ «

[٣] كورة دمشق .

## ٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن حُرَيْمٍ للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلالهم <sup>(١)</sup> مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أُعطيتَ فشكرتَ ، وإتليتَ فصَبَرْتَ ، وقَدَرْتَ فمفوت » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقامُ عَذْلٌ ، والتجاوزُ فَضْلٌ ، والمتفضلُ قد جاوزَ حَدَّ الْمُتَنَصِّفِ ، فنحن نُعِذُّ أمير المؤمنين بالله أن يَرْضَى لنفسه بأوكسٍ <sup>(٢)</sup> النصيبين ، دون أن يبلغَ أرفعَ الدَّرَجَتَيْنِ » .

وقال آخر : « من انتقم فقد شقَّ غيظَ نفسه ، وأخذ أقصى حقه ، وإذا انتقمتَ فقد انتقصتَ <sup>(٣)</sup> ، وإذا عفوت تطولت <sup>(٤)</sup> ، ومن أخذ حقه ، وشقَّ غيظَه ، لم يجب شكره ، ولم يُذكر في العالمين فضله ، وكَظَمَ الغيظَ جِلْمٌ ، وأَلْجَمَ صَبْرٌ ، والتشقيَّ طَرَفٌ من العَجْزِ <sup>(٥)</sup> ، ومن رَضِيَ ألا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلا سِتْرٌ رقيقٌ ، وحجابٌ ضعيفٌ ، لم ينجِز في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم ، ولم ترأه أهل النُهي ، والمنسويين إلى الحِجَابِ والثَّقِي ، مدَحُوا الحُكَّامَ بِشِدَّةِ العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصَّفَحِ ، وبكثرة الاعتقار ، وشدة النفاق ، وبعْدُ المَعايِبِ مستعدٌّ <sup>(٦)</sup> لعداوة أوياء المُنْذِبِ ، والعامي مستدعٍ لشكرهم ، آمِنٌ من مكافأتهِم <sup>(٧)</sup> أيام قُدْرَتِهِم ، ولأن مُبْتَنَى عليك باتساع الصدر ، خير من أن يُبْتَنَى عليك بضيق الصدر <sup>(٨)</sup> ، على أن إقالتك عثرة عباد الله ،

[١] في الأصل « إجلالهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلالهم » أي في قتلهم ومهاجمهم من الجلبة بالحرّيك وهي الرياح . [٢] من الوكس كودد : وهو التفضل .

[٣] أي انتقمس حقه بخروجنا عليك ، لغى لك الانتقام منا لأخذ حقه .

[٤] تطول عليه : امتنّ وتفضل . [٥] وفي زهر الآداب : « من الجرع » .

[٦] وفي زهر الآداب : « مستودع » . [٧] مجازاتهم .

[٨] وفي زهر الآداب : « خير من أن توصف بضيقه » .

مُوجِبٌ لِإِقَاتِكَ عَثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مُوصُولٌ بِمَقْوِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعِقَابُكَ لَهُمْ مُوصُولٌ بِمِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

(البيان والبيان ٢ : ٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨)

### ٤٣ - أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع <sup>(١)</sup> ، فقال : سألني ما تريد ، فقد سكنت حتى نطقت ، وخففت حتى ثقلت ، وقللت حتى أكثرت ، فقال : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَزْهَبُ بُحْلَكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عُمرَكَ ، وَلَا أَسْتَصْنِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْنِمُ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنِ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَأَن يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصَحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لَكَ أَحَدٌ » قال : صدقت ، على بهذا منك أَحْلَكَ هَذَا الْمَحَلَّ ، فَسَأَلَنِي مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ « الْفَضْلُ » <sup>(٢)</sup> وَتُوَثِّرَهُ وَتَحِبَّهُ ، قَالَ : يَارَبِيعَ ، إِنْ الْحُبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوهَبُ ، وَلَا رِيبَةَ تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تَوَكَّدَهُ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ ، قَالَ : صدقت ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمَ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ مُثْمَوْتِي ، لَعَلَّ مَالَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ عِبَتِي ، قَالَ : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْحَبَّةَ يَارَبِيعَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَّبُهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتُصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ ، قَالَ : صدقت .

(زهر الآداب ٢ : ١٦٣)

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وزر المنصور ، وكان مهيأً ضيماً كافياً حليماً ، ولم يزل وزيراً المنصور إلى أن مات المنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة للمهدي ، ثم سعى إلى إعادته إلى الخلافة ، ففعل سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وزر لرشيد بني البرامكة ، ولابنه الأمين كاسياتي .

#### ٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن عُبيد على المنصور بعدما بايع للهدي ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطّدت له الأمور ، وهى تصير إليه ، وأنت عنه مسئول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأمرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذى فى يديك ، لو بقى فى يد غيرك ، لم يصل إليك ، فأحذر ليلةً تَمَحَضُ عن يوم لا ليلة بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صيحبك عشرين سنة ، لم ير لك عليه أن يتصحبك يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشئ من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي فى يدك ، فتمال وأصحابك فاكفني ، قال عمرو : « أدعنا بمثلك ، تسخ أنفسنا بموتك ، يبابك ألف مظلمة ، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق » .

(مروج الذهب ٢ : ٢٤٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ ، والقصد الفريد ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٩ : ١٤٨)

#### ٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد فى الأرض ، وما يحُول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلّى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البنى والفساد فى الأرض ؟ وما الذى يحُول بين الحق

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتُ مسامعي ما أَرْمَضَنِي <sup>(١)</sup> ، قال : يا أمير المؤمنين إن أَمَنَتْنِي على نفسي ، أَنبَأْتُكَ بالأُمُور من أصولها ، وإِلَّا احتَجَزْتُ منك ، واقتصرت على نفسي ، ففيها لِي شَاغِلٌ ، فقال : أَنْتَ آمِنٌ على نفسك فقل ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البني والفساد لَأَنْتَ ، قال : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع ، والصَّغَرَاءُ والبيضاء <sup>(٢)</sup> في قَبَضَتِي ، والحُلُوءُ والحامِضُ عندي ؟ قال : وهل دخل أحدًا من الطمع ما دَخَلَكَ ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسامين وأموالهم ، فأَغْفَلْتَ أُمُورهم ، واهْتَمَمْتَ بجمع أموالهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حِجَابًا من الجِصِّ والآجُرِّ ، وأبوابًا من الحديد ، وَحِجَبَةً مِمَّهم السلاحُ ، ثم سَجَنْتَ نفسك فيها عنهم ، وبعثتَ عُمَّالَكَ في جِبَايةِ الأموال وجمعها ، وقوَّيتهم بالرجال والسلاح والكُرَاعِ ، وأمرتَ بِالْأَدْخَالِ على الناس إلا فلان وفلان ، نَقَرُ سَمِيَّتِهِمْ ، ولم تأمر بِإِصَالِ المظلوم ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري ، ولا الضعيف الفقير ، ولا أَحَدًا إِلَّا وِلَهُ في هذا المال حق ، فلما رَأَيْتَ هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثَرْتَهُمْ على رِعِيَّتِكَ ، وأمرتَ أَلَا يُحْجَبُوا عَنْكَ ، تَجْنِي الأموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما بَأْسُنَا لَانْخُونِهِ وقد سَجَنْتَ لَنَا نَفْسَهُ ؟ فَأُتِمُّرُوا بِالْأَدْخَالِ إِلَيْكَ من علم أخبار الناس شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا ، ولا يخرج لك عامل ، فيخالف أُمُورهم إِلَّا قَصَبُوهُ <sup>(٣)</sup> عندك ونَفَوهُ ، حتى تسْقُطَ منزِلَتُهُ ، ويصغرُ قَدْرُهُ ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعَظَمَهُم الناس وهاجَومَ ، فكان أول من صَانَهُمُ عُمَّالَكَ بالهدايا والأموال ، ليقووا بها على ظلم رِعِيَّتِكَ ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من

[١] أوجعت وآلمت . [٢] الصغراء والبيضاء : الدناير والدرام .

[٣] هاجبوه وشتبوه ، وفي العقد الفريد : « خَوَّوْهُ » .

رعيك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع بئياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء منتظم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك الرجل ، فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفاً منهم ، فلا يزال المظلوم يحتلف إليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويعتل عليه ، فإذا أجهد وأخرج وظهرت ، صرخ بين يديك ، فضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تشكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقد منتهأ مرة ، وقد أصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوماً بكاء شديداً ، فنه جلساؤه على الصبر ، فقال : أما إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكني أبكي لمظلوم الباب يصرخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمي ، فإن بصري لم يذهب ، نادوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلوماً ؟ فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله ، غلبت رافقه بالشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلب رافقك بالمسكين على شح نفسك ؟ فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبراً في الطفل ، يسقط من بطن أمه ، وماله على الأرض مالاً ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست بالذي تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد

السلطان ، فقد أراك الله عِبراً في بنى أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكرّاع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلت إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة ، لا تُدْرِك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك مُلك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك ، وعَمِلَتْه جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه <sup>(١)</sup> يداك ، ومشت إليه رجلاك ، هل يُغْنِي عنك ما شحّصت عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعهُ من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أُخْلَقْ ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفْرَعُونَ إليهم في دينهم ، ويرضون بهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسدّدوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حجّ بابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النّى والصدقات مما حل وطاب ، واقسمه بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُستعدوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤذنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجاسه ، وَطَلِبَ الرجل فلم يوجد .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والقعد الفريد ١ : ٣٠٤)

## ٤٦ - مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي <sup>(٢)</sup> : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بطأ بك عنى ؟

[١] اكتسبته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه وله يبذلك سنة ٨٨ هـ ، وتوفى سنة ١٥٧ م ببيروت ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من فخذ



قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذى تريد منى ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت : أنظر ما تقول ، فإن « مَكْحُولًا »<sup>(١)</sup> حدثنى عن عطية بن بشر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بَلَغَهُ عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سِيَقَتْ إليه ، فإن قَبِلها من الله بِشُكْرٍ ، وإلَّا كَانَتْ حُجَّةً من الله عليه ، ليزداد إنكاً ، ويزداد الله عليه غَضَبًا ، وإن بَلَغَهُ شَيْءٌ من الحق فرضى ، فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السخط ، ومن كرهه فقد كَرِهَ اللهَ ، لأن الله هو الحق المين » فلا تَجْهَلَنَّ ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعى : فسل على الربيع السيف ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فاتهره المنصو وقال : أمسيك ، ثم كلمه الأوزاعى ، وكان فى كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به ، والله سَأَلْتُكَ عن صغيرها وكبيرها ، وقَتَلَهَا وتَقِيرُهَا »<sup>(٢)</sup> ، ولقد حدثنى عُرْوَةُ بن رُوَيْمٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن راجع يَبِيتُ غُلًا لرعيته إلا حَرَّمَ الله عليه راحمة الجنة » لتحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرًا ، ولما استطاع من عَوْرَاتِهِم سائرًا ، وبالقِسْط فيما بينهم قائمًا ، لا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ منه رَهَقًا<sup>(٣)</sup> ، ولا مُسِيئُهُمْ عُدْوَانًا ، فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ، ويردع عنه المناققين ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ، ماهذه الجريدة بيدك !

الكلام من اليمن ، وقيل : بطن من همدان ، وقيل الأوزاع : قرية بدمشق ، ولم يكن عبد الرحمن منهم ، وإنما نزل فيهم ، فليست إليهم ، وهو من سبي اليمن .

[١] هو مكحول بن عبد الله الشامي ، معلم الأوزاعى ، وكان من سبي كابل ، وقع إلى سعيد بن العاص ، فوجه لأمراء من هذيل فأعطته ، قال الزمري : الطاء أربعة : سعيد بن السيب بالدينة ، والشمي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشأم ، ولم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا ، وسمع أنس ابن مالك وغيره ، وكان مقلده يدمشق ، وتوفى سنة ١١٨ هـ .

[٢] الليل : السحابة التى فى شق النواة ، والغير : الفترة التى فى ظهر النواة . [٣] ظلمًا

اخذَها لا تملأ قلوبهم رُعباً ، فكيف من سفك دماءهم ، وشقق أبشارهم ، وأنهب<sup>(١)</sup> أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين : إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرايا لم يتعمده ، فهبط جبريل ، فقال : « يا محمد ، إن الله لم يعثك جباراً تكسر قرون أمتك » واعلم أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمارها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقاب<sup>(٢)</sup> قوس أحدكم من الجنة ، أو قذة<sup>(٣)</sup> خير له من الدنيا بأسرها » إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بق الملك لمن قبلك لم يصل إليك يا أمير المؤمنين ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لآذام ، فكيف من يتقمصه ؟ ولو أن ذنوبا<sup>(٤)</sup> من صديد أهل النار صب على ماء الأرض لآجنه<sup>(٥)</sup> ، فكيف بمن يتجرعه ؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب ، فكيف من سلك<sup>(٦)</sup> فيها ، ويرد فضلها على عاتقه ؟ وقد قال عمر ابن الخطاب : « لا يقوم أمر الناس إلا حصيف<sup>(٧)</sup> المقدمة ، بعيد النيرة<sup>(٨)</sup> لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخون في الحق على جيرة<sup>(٩)</sup> ، ولا تأخذه في الله لومة لأثم » .

واعلم أن السلطان أربعة : أمير يظلف<sup>(١٠)</sup> نفسه ومماله ، فذلك له أجر المجاهد في سبيل الله ، وصلاته سبعون ألف صلاة ، ويد الله بالرحمة على رأسه تُرْفرف ، وأمير رتّع ورتع مماله ، فذلك يحيل أثقاله وأثقالا مع أثقاله ، وأمير

[١] جعلها نهباً ينفار عليه . [٢] القاب : ما بين القبض والسية ( وسية القوس كدنة : ما عطف من طرفيها ) . [٣] ريش السم . [٤] الذنوب : اللو . [٥] جعله آجناً أى متغير الطعم واللون . [٦] قيد . [٧] حصف الرجل كككرم : استحكم عقله فهو حصيف ، وأحصف الحبل : أحكم قتله . [٨] النيرة : [٩] أحق : حقد خدلاً لا ينحل ، وأحق الصلب : لرق بالطن ، والجيرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية ، والمراد أنه لا يضر للمقد والمحق . [١٠] يكف .

يُظْلِفُ نَفْسَهُ، وَيَرْتَعُ عَمَالَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، وَأَمِيرٌ يَرْتَعُ وَيُظْلِفُ عَمَالَهُ، فَذَلِكَ شَرُّ الْأَكْيَاسِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات والأرض والجبال ، قَائِبِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا يُكَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أَنَّ الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمُ ، وَالْكَبِيرَةَ الضَّحْكُ ، وَقَالَ : فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا تَحْمِلُهُ الْأَيْدَى ؟ فَأَعْيذكُ بِاللَّهِ أَنْ يُخَيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّ قَرَابَتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ الْخُلَافَةِ لِأَمْرِهِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا صَفِيَّةُ تَحْمِلُ مُحَمَّدًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً ، فَقَالَ : « أَيْ عَمٍّ ، نَفْسُ تُحْمِلُهَا ، خَيْرُكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » نَظَرًا لِعَمِّهِ ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَّ فِيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا ، وَلَا عَنْهُ دَفْعًا ، هَذِهِ نَفْسِيحَتِي إِنْ قَبِلْتَهَا فَلنَفْسِكَ تَحْمِلُهَا ، وَإِنْ رَدَدْتُهَا فَلنَفْسِكَ بَخَسْتُ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ ، قَالَ : بَلَى ، تَقَبَّلَهَا وَنَشْكُرُ عَلَيْهَا ، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ . ( البغدادي ١ : ٣٠٥ ، وعيون الأخبار ٢ : م ٣٣٨ )

#### ٤٧ — نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للنصور

وَدَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَرِّ بْنِ هُبَيْرَةَ<sup>(١)</sup> عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : تَوَسَّعَ تَوْشَعًا قُرْشِيًّا ، وَلَا تَضِقْ ضَيْقًا حِجَازِيًّا .

[١] ولقن فسر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وجمع له مروان بن محمد ولاية البصرة والكوفة ، وكان آخر من جمع له العراقيان من الولاة ، ولما استظهرت عليه جيوش خراسان ، وهزمت عسكره لحق بمدينة

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدثنا ، فقال : « يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد محضت<sup>(١)</sup> لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأتأراه<sup>(٢)</sup> المنصور بصرة ، ثم قال : لا يميز مُلكٌ يكون فيه مثلُ هذا ! . ( تهذيب الكامل ١ : ٢٨ )

## ٤٨ — معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن<sup>(٣)</sup> بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنك يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك لجلد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقيّة ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأبى الدولتين أحب إليك ، هذه أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إليّ .

( البيان والنبين ٣ : ٢٢٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٠٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦١ )

واسط ، فتحصن بها ، ولما يوعى السفاح بالخلافة وجه أخاه أبا جعفر المنصور لقتله ، غصره بواسط شهراً ، ثم أمنه وانتفع البلد صلحا ، ثم قتله .

[١] أخلصت . [٢] أتأراه البصر : أتبعه إياه ، وحدد إليه النظر .

[٣] كان جواداً شجاعاً جريلاً المطاع كثير المروءة ، وكان في أيام بني أمية متغلباً في الولايات ، منقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجاهر المنصور يزيد بمدينة واسط كما فعلنا ، أبلى يومئذ من مع يزيد بلاد حسنا ، فلما قتل يزيد خاف معن من أبي جعفر المنصور ، فاستتر عنه مدة ، ولم يزل مستتراً حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل خراسان ثاروا على المنصور ، وجرت معركة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية — وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة — وكان معن متوارياً بالقرب منهم ، فخرج متكرراً معهما مثلها ، وتقدم إلى القوم ، وقاتل قدام المنصور قتالاً أبان فيه عن نجدة وشهامة وقرقرهم ، فلما أفرج عن المنصور ، قال له : من أنت وعملك ؟ فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأمنه المنصور وأكرمه ، وصار من خواصه ، وولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صناع كانوا يعملون في داره بمدينة بست ، فقتلوه وهو يخدمهم ، وبعثهم ابن أخيه يزيد بن يزيد بن زائدة ، فقتلهم بأسرم .

## ٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه النية ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين من يذكره القلبُ ، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ له ، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر الغلمان ، تمنانى من الإكثار » ، فأمر بتسهيل حجابهِ ، وأجزل صلته . ( زهر الآداب ٣ : ١٦١ )

## ٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابى على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبقيك الله ، ويريد فى سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس فى كل وقت توأمٌ بذاك ، قال : « ولم يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أستقصِرُ عمرك ، ولا أخافُ بُخلك ، ولا أغتمُ مالك ، وإن سؤلك لشرف ، وإن عطاءك لزين ، وما بامرى بَذَل وجهه إليك تقصّر ولا شين » . فأحسن جائزته وأكرمه . ( الصنائع ص ٤٠ ، العقد الفريد ١ : ١٣٩ )

## ٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهنه

وروى القلقشندى قال : تعرضت أعرابية للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السفاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، اختسب الصبر ، وقدم الشكر ، فقد أجزل الله لك الثواب ، فى الحالين ، وأعظم عليك المنّة فى الحاديتين ، سلكك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ، فسلم فيما سلكك ، واشكر فيما منحك ، وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملّكك من أمر الدنيا والدين » .

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأة المنصور عن أبي العباس مُقَدِّمَهُ مِنْ  
مَكَّةَ ، قَالَتْ : « أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ، فَلَا مَصِيبَةَ أَجَلٍ مِنْ مَصِيبَتِكَ ، وَلَا عِوَضَ  
أَعْظَمَ مِنْ خِلَافَتِكَ » . ( صبح الاعشى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥ )

## ٥٢ — خطبة محمد بن سليمان <sup>(١)</sup> يوم الجمعة

( وكان لا يفتيها )

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله  
بالحدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يتمصم بالله  
ورسوله ، فقد اعتصم بالمرزوة الوثقى ، وسعد في الأولى والآخرة ، ومن يفتص  
الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً ، أسأل الله أن يجعلنا  
وإياكم ممن يُطِيعُهُ وَيُطِيعَ رَسُولَهُ ، وَيَتَّبِعَ رِضْوَانَهُ ، وَيَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ  
لَهُ وَبِهِ ، أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْكُمَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَرْضَى لَكُمْ مَا عِنْدَ  
اللَّهِ ، فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ أَفْضَلَ مَا نَحَاثَ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَتَدَاعَوْا إِلَيْهِ ، وَتَوَاصَوْا بِهِ ،  
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . ( البيان والتبيين ٢ : ٦٥ ) .

## ٥٣ — وصية مسلم بن قتيبة

وقال مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ <sup>(٢)</sup> : « لَا تَطْلُبَنَّ حَاجَتَكَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ : لَا تَطْلُبْهَا

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور  
وتوفى سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استشاره المنصور في قتل أبي مسلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ  
إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فقال : حسبك يا بن قتيبة ، لقد أودعتها أذاً واعية ( وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ ) .

إلى الكذاب ، فإنه يُقَرِّبُها وهي بعيدة ، ويبعدها وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك ، وهو يضرُّك ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأْكَلَةٌ ، فإنه يحمل حاجتك وقلة حاجته . (الأمل ٢ : ١٩٠)

## ٥٤ — خطبة المهدي ( توفي سنة ١٦٩ هـ )

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمدُه على آلائه<sup>(١)</sup> ، وأجده لبلائه<sup>(٢)</sup> ، وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المُجْتَبَى<sup>(٣)</sup> ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُمُوس<sup>(٤)</sup> العِلْمِ ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضاغن ، وفرقة وتباين ؛ قد استهوتهم شياطيئهم ، وغلب عليهم قُرْناؤهم<sup>(٥)</sup> ، فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعة بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحسكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والالتناء إلى ما يقرب من رحمته ، وينجى من سخطه ، ويُنَالُ به مالهديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَكَلُمُ

[١] نعمه ، والفرد إلى كمال شمس ، والركشس ، وأنى كمها وإلى كرمها .

[٢] البلاء : يكون منعة ، ويكون محنة . [٣] المختار . [٤] الدروس والاعاء .

[٥] الفرين : للمصاحب ، والشيطان : للفرون بالإسنان لا بإفاره .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَنُفِثَ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ  
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أَتْرَافٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا يُجْزَى نَفْسٌ  
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ وَلَا تُنْصَرُونَ ؛  
يَوْمَ لَا يُجْزَى وَاللَّهُ عَنِ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقٌّ ، فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا  
دَارُ غُرُورٍ ، وَبَلَاءٍ وَشُرُورٍ ، وَاضْمَحَلَالٍ وَزَوَالٍ ، وَتَقَلُّبٍ وَاتِّعَالٍ ، قَدْ أَفْنَتْ  
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَعتَهُ ،  
وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْهُ ، وَمَنْ أَمْلَهَا <sup>(١)</sup> كَذَبَتْهُ ، وَمَنْ رَجَاها خَذَلَتْهُ ، عِزُّهَا ذُلٌّ ،  
وَعِظَمُهَا فَقْرٌ ، وَالسَّعِيدُ مِنْ تَرْكِهَا ، وَالشَّقِيُّ فِيهَا مِنْ آثَرِهَا ، وَالْمَغْبُوتُونَ فِيهَا مِنْ بَاعِ  
حَظِّهِمْ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِمْ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ ،  
وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ <sup>(٢)</sup> ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ بِالْكَفْظِ <sup>(٣)</sup> ،  
وَتَنْدَمُوا فَلَا تَنَالُونَ النَّدَمَ ، فِي يَوْمٍ حَسْرَةٍ وَتَأْسُفٍ ، وَكَأَبَةٍ وَتَلَفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ  
كَأَلْيَامٍ ، وَمَوْقِفُ صَنْتِكَ الْمَقَامَ ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كَتَابَ اللَّهُ ،  
يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »  
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلْهَاكُمْ  
التَّسْكَاتُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ  
بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

(المعد الفريد ٢ : ١٤٦)

[١] أمله أملا وأمله بالتخفيف والتشديد . [٢] ذكايرو : نما وصلح .

[٣] الكفم : الخلق أو الله ، أو مخرج النفس ، أي قبل الموت .



# مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

روى ابن عبد ربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحامكت عليهم العمال وأغفقت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكاة ، على أن نكتثوا بيعتهم ، ونقضوا موثقتهم ، وطرودوا العمال ، والقوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يحب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقل عثرتهم ، واغفر زلتهم ، واحتمل دألتهم ، تطوئاً بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحجة ، ووفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذحجه الله أعباء الخلافة ، وقلده أمور الرعية ، رفيقاً بمذارسلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمدلة في رعيته ، تسكناً إلى كنفه ، وتأنساً بعفوه ، وتثق بجمعه ، فإذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ، ولا إغضاء ، ولا مدهانة ، أثره للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بجمعه ، والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطرودوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم جخطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتنسلاً باعتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلأه ، وبعث إلى قمر من لحمة<sup>(١)</sup> ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى<sup>(٢)</sup> بالابتداء ، وقال للعباس<sup>(٣)</sup> بن محمد : أي عم تمقّب قولنا ، وكن حكماً بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللعنة : الثرابة . [٢] جمع مولى ، وهو هنا القريب كإبن العم ونحوه .

[٣] هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخو المنصور .

ولديه موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

## ٥٥ - مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشفائهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التي جعلتنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وقرسان الهزاهز<sup>(١)</sup> ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها<sup>(٢)</sup> ، وقيأتهم ظلالها ، وعصتهم شدائدُها ، وقرمتهم<sup>(٣)</sup> نواجذُها ، فلو جمعت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارب توافق نظرك ، وأحاديث تقوى قلبك ، فأما نحن معاشير عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إمضاء عدلك ، وإنفاذ حكمك ، وإظهار حقك » .

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفي كل حال تدبير ، يُبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا » .

قال نعم : أيها المهدي : أنت متسع الرأي ، وثيق العقدة ، قوي المنة<sup>(٤)</sup> ، بليغ الفطنة ، معضوم النية ، محذور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ،

---

[١] الهزاة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس . [٢] جمع سجل كشس ، وهو الدلو العظيمة مملوءة . [٣] قرم الطعام : أكله ، والنواجذ : أقصى الأخراس . [٤] القوة .

مَعَانٍ بِالظَّفَرِ ، يَهْدِي إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ هَمَّتَ فِي عَزَمِكَ مَوَاقِعُ الظَّنِّ ، وَإِنْ  
اجْتَمَعَتْ صَدَعٌ فَلَمَّكَ مَلْتَبِسُ الشَّكِّ ، فاعزم يَهْدِي اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ  
يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ ، فَإِنْ جَنُودُكَ جَمَّةٌ ، وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ،  
وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : « الْمَشَاوِرَةُ وَالْمَنَاظِرَةُ بِأَبَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحُ بَرَكَاتٍ ، لَا يَهْلِكُ  
عَلَيْهِمَا رَأْيٌ ، وَلَا يَتَفَيَّلُ <sup>(١)</sup> مَعَهُمَا حَزْمٌ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَخْضُرُكُمْ ،  
فَلَا فِي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

## ٥٦ - مقال الربيع بن يونس <sup>(٢)</sup>

وقال الربيع :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنْ تَصَارَيْفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بِيَمَضٍ  
مَعَارِيضُ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خَرَّاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةِ الشَّقَّةِ <sup>(٣)</sup> ،  
مُتَفَارِقَةِ السَّبِيلِ . فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَثُبْرَمِ التَّقْدِيرِ ، وَأَبَابِ الصَّوَابِ ،  
رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ ، وَلَا دُونُهُ  
مَمْلُوقٌ لْخُصُومَةٍ عَائِبٌ ، ثُمَّ خَبَّتِ الْبُرْدُ <sup>(٤)</sup> بِهِ ، وَانْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ ، كَانَ  
بِالْحَرَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَقْضِيهِ ، فَمَا أَيْسَرُ أَنْ  
تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلَ ، وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبُ ، بِمَحْقَاتِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ،  
وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُحْدِثَ رَأْيًا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ انْفَرَجَتْ  
الْحَلَقُ ، وَتَحَلَّلَتْ الْمُقَدَّ ، وَاسْتَرَخَى الْحِقَابُ <sup>(٥)</sup> ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ لَعَلَّ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قَالَ رَأْيُهُ وَتَبِيلٌ : أَخْطَأَ وَضَعَفَ . [٢] وَزَرَ لِأَبِي جَعْفَرٍ النَّصُورَ وَقَتْلَهُ الْهَادِي سَنَةَ ١٧٠ هـ .

[٣] الْبُعدُ وَالسَّفرُ الْبَعِيدُ . [٤] جَمْعُ بَرْدٍ : وَهُوَ الرُّسُولُ ، وَخَبَّتْ : أَسْرَعَتْ .

[٥] الْحِقَابُ : مَا تَعْدُوهُ الْمَرَأَةُ فِي وَسْطِهَا .

كصدر الأولى ، ولكن رأى أيها المهدي وفقك الله ، أن تصرف إجابة النظر ،  
وتقليب الفكر فيما جعنتنا له ، واستشترتنا فيه من التدبير لحربهم ، والحيل في  
أمرهم ، إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس  
موصوفاً بهوى في سواك ، ولا متهماً في أثره عليك ، ولا ظليماً<sup>(١)</sup> على دُخلة<sup>(٢)</sup>  
مكروهة ، ولا منسوباً إلى بدعة محذورة ، فيقدح في ملكك ، ويريض<sup>(٣)</sup>  
الأمور لنيرك ، ثم تُسند إليه أمورهم ، وتفوض إليه حربهم ، وتأمره في عهدك  
ووصيتك إياهم ، بلزوم أمرك ما لزمت الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي ،  
عند استعالة الأمور ، واشتداد الأحوال التي يُنقض أمرُ الغائب عنها ، ويثبت  
رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ، فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه  
ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأخذ النظر  
إن شاء الله .

## ٥٧ - مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي ، إن وليّ الأمور ، وسائس الحروب ، ربما نحى جنوده ،  
وفرق أمواله في غير ماضيقٍ أمرٍ حزبه<sup>(٤)</sup> ، ولا صَنَظلة حال اضطرتّه ، فيقعد  
عند الحاجة إليها ، وبمد التفريق لها ، عديماً منها ، فاقداً لها ، لا يثق بقوة ، ولا  
يصول بعدة ، ولا يفرغ إلى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ، أن تُنفي  
خرائنك من الاتفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة

[١] منها . [٢] دخلة الرجل مثله ، ودخيلته : بنته ومذهبه .

[٣] في كتب اللغة : راضه وروحه : ذلّه ، وأراض الأرض جعلها رياضاً . [٤] اشتدّ عليه .

الأخطار، وتقرير القتال ، ولا تُسرِّعُ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعينك غيرهم ، ولكن اغزم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلمهم <sup>(١)</sup> بالرفق ، وأبرق <sup>(٢)</sup> لهم بالقول ، وأرعد نحومهم بالفعل ، وابتعث البعوث ، وجند الجنود ، وكتب الكتاب ، واعقد الأولوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك مؤجّه إليهم الجيوش مع أختق قوادك عليهم ، وأسوهم أثراً فيهم ، ثم ادسّ الرسل ، وابتعث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضاً على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التعاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فإن مرّام الظفر باليلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة <sup>(٣)</sup> بالكتب ، والمكيدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى الموزع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المواتاة <sup>(٤)</sup> ، أنقذ من القتال بضبات السيوف ، وأسنة الرماح . كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكيدة ، أحكم عملاً ، وأطف منظرًا ، وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف للأموال ، والتفريز والخطار <sup>(٥)</sup> ، ولتعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كشيعة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم

[١] خادعهم . [٢] رعد وبرق ، وأرعد وأبرق : تهدد وتوعد .

[٣] ناصبه الحرب والعداوة : ألقها . [٤] الموافقة . [٥] الخطارة

على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غَشَّة ، إن ائتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نُوره ، وأبرق ضوؤه ، وتتمثل صوابه للعيون ، وتجسّد حقه في القلوب ، ولكن فوق كلّ ذى علم عليم » . ثم نظر إلى ابنه علي ، فقال : ما تقول ؟

## ٥٨ — مقال علي بن المهدي

قال علي بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَخْلَعُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من دونك أحداً ، يَقْدَح في تغيير ملكك ، وَيُريِض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسرَ ، والشأن أصغر ، والحال أدلّ ، لأن الله مع حقه الذي لا يَخْذله ، وعند موّعه الذي لا يَخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفّست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، ويحدث من عندهم فتى ، أطمعت أمر الرب ، وأطفأت نائرة الحرب ، ووفرت خزائن المال ، وطرختَ تفرير القتال ، وهمل الناس تحمّل ذلك على طبيعة جودك ، وسجية حلمك ، وإسجاح<sup>(١)</sup> خليقتك ، ومعدّلة نظرك ، فأمنت أن تُنسب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي ذُرْبَة ، وإن منمتهم ما طلبوا ، ولم تُجِبهم إلى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميّذات الخطاب ، فما أربُّ المهدي أن يعيد إليّ طائفة من رعيته ،

مقرّين بمملكته ، مُذْعِنِينَ بطاعته ، لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ قُدْرَتِهِ ، وَلَا يُبْرِنُونَهَا مِنْ عُبُودِيَّتِهِ ، فَيَمْلِكُهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَخْلَعُ نَفْسَهُ عَنْهُمْ ، وَيَقِفُ عَلَى الْحِيلِ مَعَهُمْ ، ثُمَّ يَحَازِيهِمُ السُّوءَ فِي حَدِّ الْمَقَارَعَةِ ، وَمِضْمَارِ الْمَخَاطَرَةِ ، أُرِيدَ الْمَهْدَى - وَفَقَهُ اللَّهُ - الْأُمُورَ ؟ فَلَمْ يَرَى لَا يَنَالُهَا وَلَا يَطْفُرُ بِهَا إِلَّا بِإِتِّفَاقٍ أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يَطْلُبُ مِنْهُمْ ، وَأَضْعَافَ مَا يَدَّعَى قَبْلَهُمْ ، وَلَوْ نَالَهَا ، فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ ، وَوُضِعَتْ بِخَرَائِطِهَا <sup>(١)</sup> بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا ، وَطَالَ عَلَيْهِمْ بِهَا ، لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ ، وَبِهِ يُعْرَفُ ، مِنَ الْجُودِ الَّذِي طَبَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِهِ ، وَتَهْنِئَةً <sup>(٢)</sup> نَفْسِهِ فِيهِ ، فَإِنْ قَالَ الْمَهْدَى : هَذَا رَأْيُ مُسْتَقِيمٍ سَدِيدٍ ، فِي أَهْلِ الْخِرَاجِ الَّذِينَ شَكَّوْا ظِلْمَ عَمَالِنَا ، وَتَحَامُلَ وُلَاتِنَا ؛ فَأَمَّا الْجُنُودُ الَّذِينَ تَقَضَّوْا مَوَاقِيقَ الْعَهْدِ ، وَأَنْطَقُوا لِسَانَ الْإِرْجَافِ ، وَفَتَحُوا بَابَ الْمَعْصِيَةِ ، وَكَسَرُوا قَيْدَ الْفِتْنَةِ ، فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ أَجْمَلَهُمْ نَسْكَالًا لَنِيرِهِمْ ، وَعِظَةً لِسَوَامٍ ، فَيَعْلَمُ الْمَهْدَى أَنَّهُ لَوْ أَتَى بِهِمْ مَغْلُولِينَ فِي الْحَدِيدِ ، مُقَرَّرِينَ <sup>(٣)</sup> فِي الْأَصْفَادِ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ اتَّسَعَ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ عَفْوُهُ ، وَلَا قَالَةَ عَثَرَتِهِمْ صَفْحُهُ ، وَاسْتَبْقَامَ لِمَا فِيهِ مِنْ حَرْبِهِ ، أَوْلَمِنْ يَأْزَأُهُمْ مِنْ عَدُوِّهِ ، لَمَّا كَانَ يَدْعَا مِنْ رَأْيِهِ ، وَلَا مُسْتَنْكَرًا مِنْ نَظَرِهِ ، لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ عَفْوًا ، وَأَشَدَّهَا وَقَمًا ، وَأَصْدَقَهَا صَوْلَةً ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاضَلُهُ <sup>(٥)</sup> عَفْوٌ ، وَلَا يَتَكَاهَدُهُ <sup>(٦)</sup> ضَفْعٌ ، وَإِنْ عَظُمَ الذَّنْبُ ، وَجَلَّ الْخَطْبُ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدَى وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحُلَّ عُقْدَةَ الْغَيْظِ ، بِالرَّجَاءِ لِحَسَنِ ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْعَفْوِ عَنْهُمْ ، وَأَنْ يَذْكَرَ أَوَّلَى حَالَتِهِمْ ، وَصِيعَةَ عِيَالَتِهِمْ ، بِرَأْيِهِمْ ، وَتَوْسُّمًا لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ ،

[١] جمع خريطة وهي وعاء من آدم وغيره يشرح على مائه . [٢] التهمة : الحاجة وبلوغ العبرة في الشيء . [٣] مقيدون . [٤] الأصفاة : القيود : جمع صفد كسبب . [٥] تماطله الأمر : عظم عليه . [٦] تكاهده الأمر : شق عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبمحبتهم يقول ، وإعنا  
ممثلهم فيما دخلوا فيه من مسأخطة ، وتمرضوا له من معاصيه ، وانطوا فيه عن  
إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو ثقل من حاله لهم ، أو تغير  
من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين ، أصاب أحدهما خبل  
عارض ، ولمحو حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد  
أخوه إلا رقة له ، ولطفاً به ، واحتياجاً لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً  
عليه ، وبراً به ، ورحمة له .

فقال المهدي : أما على فقد نوى سمت الليان <sup>(١)</sup> ، وفَضَّ القلوب في أهل  
خراسان ، ولكل نبيٍّ مُستَقَرٍّ ، فقال : ماترى يا أبا محمد يعني موسى ابنه (الهادي) .

## ٥٩ - مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أيها المهدي : لَا تَسْكُنْ إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ،  
وأنت ترى الدماء تسيل من خذل فعلهم ، الحان من القوم ينادي بمَضْمَرَة شر ،  
وَحَقِيقَة حَقْد ، قد جعلوا المعاذير عليها سِتْرًا ، واتخذوا العِلَل من دونها حجابًا ،  
رجاء أن يدافعوا الأيام بالآخر ، والأمور بالطويل ، فيكسروا حِيل المهدي فيهم ،  
ويُفْنُوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتلاحق مآذمتهم ، وتستفحل حربهم ،  
وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قولهم في حال غِرَّة ، ولباس أَمْنَة ، قد قَتَرَ  
لها ، وأنس بها ، وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وَبَرَدَتْ عليه  
جلودهم من المناصبَة بالقتال ، والإضرار للقراع ، عن داعية ضلال ، أو شيطان

[١] الليان : الملاينة . مصدر لاین ، والسمت : الطريق .



فساد ، لَرَهَبُوا عواقب أخبار الوُلاة ، وَغِبَّ سكون الأمور ، فَلِشِدْدِ المهدى وفقه الله أزره<sup>(١)</sup> لهم ، وَيَكْتَبُ كُتَابَهُ نَحْوَهُمْ ، وَلِيَضَعَ الأَمْرَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَحْضُرُهُ فِيهِمْ ، وَلِيُوقِنَ أَنَّهُ لَا يَمْطِيهِمْ خُطَّةٌ يَرِيدُ بِهَا صَلَاحَهُمْ ، إِلَّا كَانَتْ دُرْبَةً إِلَى فَسَادِهِمْ ، وَقُوَّةً عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ ، وَدَاعِيَةً إِلَى عَوْدَتِهِمْ ، وَسَبَبًا لِفَسَادِ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْجُنُودِ ، وَمَنْ يِيَّابُهُ مِنَ الْوُفُودِ الَّذِينَ إِنْ أَقْرَمَهُمْ ، وَتَلَكَ الْعَادَةَ ، وَأَجْرَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَرْبَ ، لَمْ يَبْرَحْ فِي فَتَقٍ حَدَثَ ، وَخِلَافٍ حَاضِرٍ ، لَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ دِينَ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا ، وَإِنْ طَلَبَ تَغْيِيرَهُ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْعَادَةِ ، وَاسْتِمْرَارِ الدُّرْبَةِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالْمَقْوَبَةِ الْمُفْرِطَةِ ، وَالْمُثُونَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَالرَّأْيُ لِلْمُهْدَى وَفَقَهُ اللَّهُ أَنْ لَا يُقِيلَ عَثَرَتَهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُمْ ، حَتَّى تَطْلُغَ الْجِيُوشُ ، وَتَأْخُذَهُمُ السُّيُوفُ ، وَيَسْتَحِرَّ<sup>(٢)</sup> بِمِ الْقَتْلِ ، وَيُحْدِقَ بِهِمُ الْمَوْتُ ، وَيَحِيطُ بِهِمُ الْبَلَاءُ ، وَيُطَبِّقُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّ ، فَإِنْ فَعَلَ الْمُهْدَى بِهِمْ ذَلِكَ ، كَانَ مَقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سَوَاءٍ فِيهِمْ ، وَهَزِيمَةً لِكُلِّ بَادِرَةٍ شَرٍّ مِنْهُمْ ، وَاحْتِمَالُ الْمُهْدَى فِي مَثُونَةِ غَزَوَتِهِمْ هَذِهِ ، تَضَعُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً ، وَتَفْقَاتٍ عَظِيمَةً .

فَقَالَ الْمُهْدَى : « قَدْ قَالَ الْقَوْمُ ، فَاحْكُمْ يَا أَبَا الْفَضْلِ »

٦٠ - مَقَالُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

« أَيُّهَا الْمُهْدَى : أَمَّا الْمَوَالِي فَأَخَذُوا بِفُرُوعِ الرَّأْيِ ، وَسَلَكُوا جَنَابَاتِ الصَّوَابِ ، وَتَعَدَّوْا أُمُورًا قَصَّرَ بِنَظَرِهِمْ عَنْهَا ، أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ تِجَارِيَهُمْ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا الْفَضْلُ فَأَشَارَ بِالْأَمْوَالِ أَنْ لَا تُنْفَقَ ، وَالْجُنُودِ أَلَّا تُفَرَّقَ ، وَأَنْ لَا يُنْطَى الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا ، وَلَا

يُنْذِلْ لَهُمْ مَاسَأُلُوا ، وَجَاءَ بِأَمْرَيْنِ ذَلِكَ اسْتِصْفَارًا لِأَبْرَهُمْ ، وَاسْتِهَانَةً بِمُحْرِمِهِمْ ،  
وَأِنَّمَا يَبِيحُ جَسِيَمَاتِ الْأُمُورِ صِفَارُهَا .

وَأَمَّا عَلَى ، فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَإِفْرَاطِ الرَّفْقِ ، وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمِطَ أَمْرَهُ ،  
وَسَفِهَ حَقَّهُ ، اللَّيْنُ بَحْتًا ، وَالْخَيْرُ تَحْضًا ، لَمْ يَخْلِطْهُمَا بِشَدَّةٍ تَعَطَّفَ الْقُلُوبُ عَنْ لَيْنِهِ ،  
وَلَا بِشَرٍّ يَحْبِسُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ ، فَقَدْ مَلَّكَهُمُ الْخَلْعَ لِعَذْرِهِمْ ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ  
إِثْنِيْ أَعْنَاقَهُمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّهُمْ وَلَا شَدَّةٍ ،  
فَنَزَوَةٌ <sup>(١)</sup> فِي رِءُوسِهِمْ ، يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَصْرِخُونَ بِهَا  
رَأْيَ الْمَهْدَى فِيهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ ، وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِاللَّيْنِ الْمَخْضِ ،  
وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ ، فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ ، وَالرَّأْيُ فِيهِمْ ، وَمَا قَدْ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ  
مِنْ مِثْلِهِمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالْمَلِكِ  
الْكَبِيرِ ، مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا تُذَكِّرُهُ الْفِكْرُ ، وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ، ثُمَّ دَعَا  
النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسْوَقُهُمْ بِهَا إِلَى  
الْجَنَّةِ ، لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا .

وَأَمَّا مُوسَى ، فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِشَدَّةٍ لِّلَّيْنِ فِيهَا ، وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ لِاخْيَرِ  
مَعَهُ ، وَإِذَا أَضْمَرَ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ ، وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ ، الْخَوْفَ مُفْرَدًا ، وَالشَّرَّ  
مُجَرَّدًا ، لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ ، وَلَا لَيْنٌ يَّتَنِيهِمْ ، اشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَانْقَطَعَتْ  
الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحِمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَالْأَنَافَةُ مِنَ الذَّلَّةِ ،  
وَالِامْتِنَاعُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ ، وَالِاسْتِبْسَالِ فِي  
الْقِتَالِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ ، وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى

بِغَضَةٍ لازمة ، وعداوة باقية ، ثُورث النفاق ، وتُمَقِّبُ الشقاق ، فإذا أمكتهم فرصة ، أو ثابَّتْ<sup>(١)</sup> لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشدَّ مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي ، أ كفى دليل ، وأوضح برهان ، وأين خبر بأن قد أجمع رأيه ، وحزَّم نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ماسألوه من العدل . قال المهدي : ذلك رأى .

## ٦١ - مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمرًا فِطامٍ لما تَكَرَّر ، وعاد اللين أهدى قائد إلى مائِحِبِّ ، ولكن أرى غير ذلك » .

قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنَّ بما أدعى ، حتى يأتي بيئته عادلة ، وحُجَّة ظاهرة ، فاخرج عما قلت » قال هرون : « أيها المهدي ، إن الحرب خدعة<sup>(٢)</sup> ، والأعاجم قوم مكررة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن مائسرون على ظاهر مائتمنون ، وربما اقترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محبوبة تُبْطِن ، واستسرَّ بمخدولة لا تَعْلَن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدَّم يده ، وموضع ميسمه<sup>(٣)</sup> لا يتعجل بالدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدي « وفاقه الله » أن يَفِرَّ<sup>(٤)</sup> باطن أمرهم فَرَّ

[١] رجعت . [٢] خدعة يسكون الدال وتثليث الحاء ، وبضم الحاء وفتح الدال ، أي تنقضي بخدعة .

[٣] اللبسم : المكواة . [٤] فر الدابة : كشف عن أسناتها ليعرف سنها .

المُسِنَّة ، وِيَخْضُ ظَاهِرُ حَالِهِمْ تَخْضُ السَّقَاءُ ، بِتَابَعَةِ الْكُتُبِ ، وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ ، وَمَوَالَاةِ الْعِيُونِ ، حَتَّى تُهْتَكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ ، وَتُكْشَفَ أَعْطِيَةُ أُمُورِهِمْ ، فَإِنْ انْفَرَجَتْ الْحَالُ وَأَقْفَضَتِ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ ، أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ ، وَاتَّقَادَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِدِينٍ يَعْتَقِدُونَهُ ، وَإِثْمٍ يَسْتَحِلُّونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا ، وَرِمَاهُمْ بِعُقُوبَةٍ لَا عَفْوََ مَعَهَا ، وَإِنْ انْفَرَجَتِ الْعِيُونُ ، وَاهْتَضَرَتِ السُّتُورُ ، وَرُفِعَتِ الْحُجُبُ ، وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيئَةٌ <sup>(١)</sup> ، وَالْأُمُورُ بِهِمْ مُعْتَدِلَةٌ ، فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا ، وَأَعْمَالٍ يُنْكَرُونَهَا ، وَظُلُمَاتٍ يَدْعُونَهَا ، وَحَقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا ، بِمَانَّةٍ سَابَقَتْهُمْ ، وَدَالَّةٍ مَنَاصِحَتْهُمْ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدَى - وَقَفَّهَ اللَّهُ - أَنْ يَتَسَعَ لَهُمْ بِمَا طَلِبُوا ، وَيَتَجَافَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا ، وَيَشْعَبَ <sup>(٢)</sup> مِنْ أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا ، وَيَرْتُقَ مِنْ فَتَقِهِمْ مَا قَطَعُوا ، وَيَوَلَّى عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبَا ، وَيَدَاوِي بِذَلِكَ مَرْضَى قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ ، فَإِنَّمَا الْمَهْدَى وَأُمَتُهُ ، وَسَوَادُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الرَّفِيقِ ، وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ ، وَالرَّاعِي الْمَجْرَّبِ الَّذِي يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ غَنَمِهِ ، وَضَوَائِلِ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا ، وَيُرَدِّدَ الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسٍ جَمَاعَتِهَا ، ثُمَّ إِنْ خَرَّاسَانَ بِخَاصَّةٍ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَّةٌ مُحْمُولَةٌ ، وَمَانَّةٌ مُقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مُعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ، لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسَيُوفُ دَعْوَتِهِ ، وَأَنْصَارُ حَقِّهِ ، وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدَى الْاضْطِعَانُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا الْمَوَازَاةُ لَهُمْ ، وَلَا التَّوَعُّرُ <sup>(٣)</sup> بِهِمْ ، وَلَا الْمَكَافَاةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حَسَنِ الْأُمُورِ ضَمِيمَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَائِلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ ،

[١] مَرَعُ الْوَادِي كَكَرَمِ مَرَاةٍ : أَخْصَبَ بِكَثْرَةِ الْكَلَاءِ فَهُوَ مَرِيعٌ .

[٢] تَصْلَحُ . [٣] تَوَعَّرَ الرَّجُلُ : تَشَدَّدَ .

أحزمُ في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والنهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وَقَعَ الحيا<sup>(١)</sup> » ، حتى خرج خروج القَدَح من الماء ، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعُوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثني بدمه هرون ، ولكن مَن لأعنة الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أمن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟  
٦٢ -- مقال صالح بن علي<sup>(٢)</sup>

قال صالح :

« لسنا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِراسة رأيك ، وبمضَ لَحَظَاتِ نظرك ، وليس ينفضُ عنك من بيوتات العرب ، ورجالاتِ المعجم ، ذودين فاضل ، ورأي كامل ، وتدبير قوي ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة<sup>(٣)</sup> ، مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم القزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد ثوليه أُمرك ، وتُسند إليه ثَقْرُك ، إلا أراك الله ماتحب ، وجمع لك منه ما تريد .

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم »

٦٣ -- مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قوم ذوو عزّة ومنّة ، وشياطين خدعة ،

زُرُوع الحِمِيَّة فِيهِمْ نَابِتة ، وَمَلَابِس الْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَة ، فَالرَّوِيَّة عَنْهُمْ عَازِبَة ،  
وَالْمَجَلَّة فِيهِمْ حَاضِرَة ، تَسْبِقُ سَيُولُهُمْ مَطَرُهُمْ ، وَسَيُوفُهُمْ عَذْلُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ بَيْنَ  
سِفْلَةٍ لَا يَمْدُو مَبْلَغُ عَقُولِهِمْ مَنْظَرَ عِيُونِهِمْ ، وَبَيْنَ رُؤْسَاءٍ لَا يُلْجَمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ ،  
وَلَا يُفْطَمُونَ إِلَّا بِالْمُرِّ ، وَإِنْ وَلَّى الْمَهْدَى عَلَيْهِمْ وَضِيْعًا لَمْ تَنْقُذْ لَهُ الْعِظَاءُ ، وَإِنْ  
وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيْفًا تَحَامَلُ عَلَى الضَّعْفَاءِ ، وَإِنْ أَخْرَجَ الْمَهْدَى أَمْرَهُمْ ، وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ ،  
حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَسَمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ بَنِي أَبِيهِ نَاصِحًا ، يَتَّقَى عَلَيْهِ  
أَمْرَهُمْ ، وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أُمَلَاؤُهُمْ <sup>(١)</sup> ، بَلَا أَنْفَةٍ تَلْزَمُهُمْ ، وَلَا حِمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ ، وَلَا  
مُصِيبَةٍ تَنْفَرُّهُمْ ، تَنْفَسْتَ الْأَيَّامَ بِهِمْ ، وَتَرَاحْتَ الْحَالَ بِأَمْرِهِمْ ، فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنْ  
الْفَسَادِ الْكَبِيرِ ، وَالضِّيَاعِ الْعَظِيمِ ، مَا لَا يَتَلَفَاهُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ جَدَّ ،  
وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ وَإِنْ جَهَّدَ ، إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ ، وَشَرِّ كَبِيرٍ ، وَلَيْسَ الْمَهْدَى وَفْقَهُ  
اللَّهُ فَاطِمًا حَادَاتِهِمْ ، وَلَا قَارِعًا صَفَاتِهِمْ <sup>(٢)</sup> ، بِمَثَلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهُمَا ، وَلَا  
عِدْلَ <sup>(٣)</sup> فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مُوَصَّلٌ بِسَمْعِكَ ، وَيَدٌ مُمَثِّلَةٌ لِعَيْنِكَ ،  
وَصَخْرَةٌ لَا تَرْغَزُ ، وَبُهْمَةٌ <sup>(٤)</sup> لَا تُنْثَى ، وَبَازِلٌ <sup>(٥)</sup> لَا يُفْرَعُهُ صَوْتُ الْجُلْجُلِ ،  
نَقَى الْعَرِضَ ، نَزَّيَهُ النَّفْسَ ، جَلِيلَ الْخَطَرِ <sup>(٦)</sup> ، اتَّضَمَّتِ الدُّنْيَا عَنْ قَدْرِهِ ، وَسَمَا  
نَحْوَ الْآخِرَةِ بِهِمَّتِهِ ، وَجَعَلَ الْغَرَضَ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا ، وَالْغَرَضَ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ  
مَوْطِنًا ، فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا ، وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا ، وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ ، وَأَنْصَحُ  
بَنِي أَبِيكَ ، رَجُلٌ قَدْ غُدِّيَ بِلَطِيفِ كِرَامَتِكَ ، وَتَبَّتْ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ ، وَنَشَأَ عَلَى

[١] جَمْعُ مَلَأَ كَسَبَ وَهُوَ الْجَمَاعَةُ . [٢] الصَّفَاتُ : الْحِجَرُ الصَّالِدُ الضَّخْمُ . [٣] الصِّدْلُ : النُّظِيرُ .

[٤] الْبُهْمَةُ : الصَّخْرَةُ ، وَالشَّجَاعُ الَّذِي لَا يَمْتَدِي مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى . [٥] الْبَازِلُ : الْجَلُّ فِي السَّنَةِ  
النَّاسَةِ ، وَالرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي تَجَرُّبَتِهِ . [٦] الْقَدْرُ .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتَه أمرهم ، وحملته ثِقَلهم ، وأسندتَ إليه ثَغَرهم ، كان قُفلاً فتحه أمرُك ، وباباً أغلقه نهْيُك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينهُ وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم المنصَفة ، وملك المَعْدلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذئب بين صدورهم ، وأسكن لك في السَّوِيذاء داخل قلوبهم ، طاعةً راسخةً العروق ، باسقةً الفروع ، متماثلةً في حواشي عوامهم ، متمكنةً من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نقوه ، ولا يلزمهم حقٌ إلا أدوه ، وهذا أحدهما ، والآخِرُ عُوْدٌ من غِيَضَتِكَ <sup>(١)</sup> ، وَبَعَّةٌ من أرومتك ، قِيَّ السن ، كَهْلُ الحِلْم ، راجحُ العقل ، محمود الصَّرامة ، مأمونُ الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، ويسطّط عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهدي ، فسقطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجيوش إليهم ، ولا تمنعك ضراعة <sup>(٢)</sup> سنّه ، وحدثاته مؤلّده ، فإن الحِلْم والثقة مع الحدثاء ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به ، من مكارم الأخلاق ، وعحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كإفراخ عِتاق الطير ، المُحَكِّمة لأخذ الصيد بلا تَذريب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم ، والعزم والحزم ، والجود والثوّد ، والرّفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مُسْتَحْكِم لكم ، متكامِلٌ عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائر ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

« أَفْتَأْ »<sup>(١)</sup> أَهْلَ يَبْتَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذَكَرَ ، وَأَهْلَ خِرَاسَانَ فِي حَالِ عَزٍّ عَلَى مَا وَصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ ، وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِعُرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجُيُوشِ ، وَالْهَيْئَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مُهُولَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَفْتَمِزُونَ بِهَا مَنَةً ، وَيَحْتَقِرُونَ بِهَا فِيهِ ، وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي النَّهْوضِ بِهِ ، وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ ، وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخِرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجُيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَحْتَبِرُوا مَنَةَ الْبَأْسِ وَالتَّجَدُّدِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ<sup>(٢)</sup> وَالْهَيْئَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ ، وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينِ إِخْتِبَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ ، وَبَيَّابَ الْمَهْدِيِّ - وَفَقَّهُ اللَّهِ - رَجُلٌ مَهِيْبٌ ، نَبِيْهِ ، حَنِيْكَ ،<sup>(٣)</sup> صَيِّتٌ . لَهُ نَسَبٌ زَالِكٌ ، وَصَوْتُ مَالٍ ، قَدْ قَادَ الْجُيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِالْمَنَةِ ، وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثَّقَةِ ، فَلَوْلَا هُ الْمَهْدِيُّ أَمْرُهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : « جَانِبْتَ قَصْدَ الرِّمِيَّةِ ، وَأَيَّنْتَ إِلَّا عَصَبِيَّةً ، إِذْ رَأَيْتُ الْحَدَثَ مِنْ أَهْلِ يَبْتَئَا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ ؟ » . قَالُوا : « لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَاسْتِجَاجِهِ<sup>(٤)</sup> ، وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَسَرَّادُونَ عِبَادِهِ ، عِلْمٌ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَمَعْرِفَةٌ مَا تَجْرِي

[١] جمع فتي كَيْفِيٍّ وَأَيْتَامٍ . [٢] الصَّوْتُ وَالْعِبَاتُ وَالصَّيْتُ : الذِّكْرُ الْحَسَنُ . [٣] حَتَّكَ .

[٤] هُوَ لَسِيْجٌ وَحْدَهُ : لَا نَظِيرَ لَهُ مُنْفَرِدٌ بِمُخَالَفَةِ عَمُودَةٍ لَا يَمُرُّ فِيهَا غَيْرُهُ ، كَمَا أَنَّ الثَّوْبَ النَّفِيسَ لَا يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهِ غَيْرُهُ ، أَيْ لَا يَمُرُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي السَّيِّئِ .



عليه المقادير من حوادث الأمور ، ورَيْبُ المنون <sup>(١)</sup> الْمُخْتَرِمَةُ لِخَوَالِي القرون ،  
وَمَوَاضِي الملوكة ، فَكَّرَ هُنَا شُسُوعَهُ <sup>(٢)</sup> عَنْ مَحَلَّةِ الملك ، ودار السلطان ، ومقرّ  
الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقرّ الجنود ، وَمَعْدِنُ الجُود ،  
وَجَمْعُ الأموال ، التي جعلها الله قُطْبًا لِمَذَارِ الملك ، ومِصْنِدَةً لقلوب الناس ، وَمَثَابَةً  
لإخوان الطمع ، وثَوَارِ الفتن ، ودَوَاعِي البِدْع ، وفُرْسَان الضلال ، وأبناء الموت ،  
وقلنا إِنْ وَجَّهَ المهدي وَلِيَّ عَهْدِهِ ، فحدث في جيوشه وجنوده ، ما قد حدث بجنود  
الرسول من قبله ، لم يستطع المهدي أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بغيره ، إِلَّا أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ،  
وهذا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وهول شديد ، إِنْ تَنَقَّسَتْ الأيَّامُ بِمَقَامِهِ ، واستدارت الحال  
بِإِمَامِهِ ، حتى يَقَعَ عِوَضُ لَا يُسْتَفْنَى عَنْهُ ، أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، صار ما بعده  
مما هو أعظم هَوَلاً ، وأَجَلَ خَطَرًا ، له تَبَعًا ، وبه متصلاً .

## ٦٥ - مقال المهدي

قال المهدي :

« الْخَطْبُ أَيْسَرُ مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأمرَ عليه ، نحن  
أَهْلُ البيت نَجْرِي من أسباب القضايا ، ومَوَاقِعِ الأمور ، على سَابِقٍ من العلم ،  
ومَحْتَمٍ من الأمر ، قد أنبأت به الكتبُ ، وَتَنَبَّأتْ عليه الرسلُ ، وقد تناهى  
ذلك بِأَجْمَعِهِ إلينا ، وَتَكَامَلَ بِمَحْدَافِهِ <sup>(٣)</sup> عِنْدَنَا ، فيه نَدْبَرُ ، وعلى الله تَوَكَّلْ ،  
إِنَّهُ لَا بُدَّ لَوَلِيِّ عَهْدِي ، وولِيَّ عَهْدِ عَقْبِي بعدي ، أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ البعوثُ ،  
وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسلَهُ ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيَلَةٌ ،

[١] المنون المنية ( مؤنث ) والمختزمة : للهلكة ، والخوَالِي جمع خَالِيَة وهي الماضية .

[٢] شمع كتبه شمساً وشسوماً : يند فخر شامع وشسوع .

[٣] جمع حذفور كحصفور أو حنظار كقرطاس وهو الجانب .

ثم يخرج نَشِيطًا إِلَيْهِمْ ، حَتَّى عَلَيْهِمْ ، يريد أن لا يدعَ أحداً من إخوان الفتن ،  
ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بحرَّ القتل ، وألبسه قناع القهر ،  
وقلَّده طوق الذل ، ولا أحداً من الذين عملوا في قصِّ جناح الفتنة ، وإخماد نار  
البدعة ، ونُصرة ولاة الحق ، إلا أجرى عليهم دِيَمَ فضله ، وجداولَ نهله ، فإذا  
خرج مُزْمِعاً به ، مُجْمِعاً عليه ، لم يَسِرْ إلا قليلاً حتى يأتيه أن قد عملت حيله ،  
وكذّحت كُتبه ، ونفّذت مكائده ، فهدأت نافرة القلوب ، ووقعت طائرة  
الآهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فبيل نظراً لهم ، وبراً بهم ، وتمطفاً  
عليهم ، إلى عدو قد أخاف سيولهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيدَ الله  
الحرام ، وسلب تجارهم رزقَ الله الحلال ؛ وأما الآخر فإنه يوجّه إليهم ، ثم تمتد  
له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فإذا امتحنت الفِرَق بقراباتها  
له ، وجّعت أهل النواحي بأعنائهم نحوه ، فأصغت إليه الأفتدة ، واجتمعت له  
الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصّد لأول ناحية بَحَثَ<sup>(١)</sup> بطاعتها ، وألقت  
بأزمئتها ، فألبسها جناح نعمته ، وأزّلها ظِلَّ كرامته ، وخصّها بمظيم حباه<sup>(٢)</sup> ،  
ثم عمّ الجماعة بالمُعْدِلَةِ ، وتمطّف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا  
فِرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركته ، ووصلت إليها منفعتُه ، فأغنى فقيرها ،  
وجَبَّرَ كسيرها ، ورفع وضعفها ، وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية ينلب عليها  
الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وتُبْطِئ عن إجابته ، وتتناقل  
عن حقه ، فتكون آخر مَنْ يَبْعَثُ ، وأبطأ مَنْ يوجّه ، فيصطلي عليها مَوْجِدَةٌ ،  
ويبتغى لها عِلَّةً ، لا يلبث يُجِدُ<sup>(٣)</sup> بحقٍ يلزمهم ، وأمر يجب عليهم ، فتستلحمهم

[١] يخ بالحق مجزوماً : أقره وخضع له . [٢] عطائه . [٣] ينضب .

الجيش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحربهم القتل ، ويحيط بهم الأشر ، ويفنيهم  
التدبّع ، حتى يُحزّب البلاد ، ويؤتّم الأولاد ، وناحية لا يسطّ لهم أماناً ، ولا يقبل  
لهم عهداً ، ولا يجعل لهم ذمّة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرّع جلباب  
الفتنة ، وربّض في شقّ العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب  
هزّابهم ، في أجبج البحار ، وقُلل الجبال ، وسحّيل<sup>(١)</sup> الأودية ، وبطون الأرض ،  
تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً ، حتى يدعّ الديار خراباً ، والنساء أيتاماً ، وهذا أمر  
لا نعرف له في كتبنا وقتاً ، ولا نصحّح منه غير ما قلنا تفسيراً ؛ وأما موسى ولى  
عهدي ، فهذا أوانُ توجّهه إلى خراسان ، وحلوله بجزّجان ، وما قضى الله له من  
الشخص إلىها ، والمقام فيها ، خير للمساكين مغبّةً ، وله بإذن الله عاقبة من المقام  
بحيث يُغمر في لجج بحورتها ، ومدافع سيولها ، ومجامع أمواجها ، فيتصاغر عظيم  
فضله ، ويتذأب<sup>(٢)</sup> مشرق نُوره ، ويتقلّل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه  
من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ .

## ٦٦ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن ولىّ عهدك أصبح لأمتك ، وأهل ملتك ، علماً قد تنفّت  
نحوه أعناقها ، ومدّت سمّته أبصارها . وقد كان لقرب داره منك ، ومحلّ  
جواره لك ، عطل<sup>(٣)</sup> الحال ، غفل الأمر ، واسع المذر . فأما إذا انفرد بنفسه .  
وخلا بنظره . وصار إلى تديره . فإن من شأن العامة أن تنفقّ مخارج رأيه .

[١] الجليل : بطن السيل . [٢] يضطرب .

[٣] عطل ( كفرح ) من المال والأدب خلا فهو عطل كقفل وعنى .

وتستقصيت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله ، في برّه ومزّحمته . وإقسطه <sup>(١)</sup> ومعدّته ، وتديره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه . ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الأشياء عليهم ، وأملاك الأمور بهم ، وأثرها لقلوبهم ، وأشدها استمالة لرايهم ، وعطفاً لأهوائهم . فلا يفتأ المهدي - وفقه الله - ناظرًا له فيما يقوى محمد مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزين لحاله . وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لأمره ، وأجل موقعا في قلوب رعيته ، وأحد حالا في نفوس أهل ملته . ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له . وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من ترّحمته تظهر من فعله . وممدلة تنتشر عن أثره . وحجة للخير وأهله ، وأن يختار المهدي - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة . وفقهاء أهل كل مصر ، أقواما تسكن العامة إليهم إذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا . ثم تسهل لهم عمارة سبيل الإحسان ، وتفتح باب المعروف . كما قد كان فتح له ، وسهل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت . ثم بعث في ابنه موسى ، فقال :

## ٦٧ — مقال المهدي

« أَيْ مُبْنِيَّ . إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسَمْتَ وَجْهَ الْعَامَةِ نُصْبًا ، وَلَمَتْنِي أَعْطَاكِ الرِّعْيَةَ فَايَةً ، فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ . وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَمَلِكٌ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ . فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَانَهُمْ بِخِلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . كَأَفْكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَانَهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَانَهُ مِنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَتْرَةً مِنْ رِيسِهِ .

وبقايها من صفوة خلقه ، وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ، وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ، وَيَتَخَذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَاراً ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَاناً . يَسُدُّونَ الْخُلُلَ ، وَيُقِيمُونَ الْمِيزَانَ ، وَيُدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفَسَادَ ، وَأَنْ أَهْلَ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ الْمَظَالِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدْفِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزِّهِمْ ، وَنُزَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ ، وَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفَحَتُهَا ، وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ، أَخَذَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَوَاعِيَ الْبِدْعِ . وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَاجِرَ وَمَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ، وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذَاتَهُمْ ، وَرَفَعَ بِهَا صَعَتَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمَلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ، بَعْدَ لِبَاسِ الذِّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ ، وَمُخَالَفَةِ الْأَمْسِ ، وَجَهْدِ الْبَاسِ وَالضَّرِّ . فَظَاهَرُوا عَلَيْهِمْ لِبَاسَ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ، ثُمَّ اعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ ، وَمَائَتَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَحُرْمَةَ مَنَاصِحَتِهِمْ ، بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِنَابَةِ لِحُسْنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئَتِهِمْ .

أَيُّ بَنِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ . فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا بِالْإِنْصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَثَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَاجْعَلْ أَعْمَالَ الْمُنْذَرِ وَوَلَاةَ الْحَجِجِ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ ، وَانصَافَةً مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لَأَنْفُسِهِمْ رِجَلاً تَوَلَّيَهُ أَوْرَاقَهُمْ ، وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِماً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنَ جُحِدَتَ ، وَإِنْ أَسَاءَ عُذِرْتَ .

هؤلاء عمال العذر، وولاة الحجج، فلا يسقطن عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انقاد السنة المزجفين، وكبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا، ويعمرًا خبتك متعلقًا، رجلان: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح، والآخر له دين غير مغموز، وه وضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آدابًا نافعة، وآثارًا باقية، من محاسنك وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فتستشيره في حربك، وتدخله في أمرك، فرجل أصبته كذلك، فهو يأوي إلى محملي، ويرعى في خضرة جناني، ولاندع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقوامًا يكونون جيرانك وسمارك، وأهل مشاورتك فيما تورد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدر، فسر على بركة الله، أصبحك الله من عونه وتوفيقه دليلًا يهدي إلى الصواب قلبك، وهاديًا ينطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد <sup>(١)</sup>.

(العقد الجديد ١ : ٥٧)

[١] ملاحظة: أقول: وهذا يناق ما ورد في التاريخ: إذ للعروف أن المهدي توفي في الحرم سنة ١٦٩ وأعقبه الهادي، الذي توفي في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي بعد وفاة المهدي والهادي، مع أنه ذكر في سياق خبرها أن المهدي أمر محمد بن الليث بحفظ مراجعهم، وإثبات مقالهم في كتاب، أي أنها كتبت في المجلس الذي حدث فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضًا أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وبقيت محفوظة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور، على أننا نشكك فيها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من مسحة الكتابة الفنية المنسقة .

## ٦٨ — ابن عتبة يعزى المهدي ويهنته

لما توفى المنصور دخل ابن عتبة<sup>(١)</sup> مع الخطباء على المهديّ ، فسلم فقال :  
« آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما  
خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عفتي  
أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ،  
وأحتسب عند الله أفضل الرزية » . ( البيان والنبين ٢ : ١٠٣ ، والقدر الفريد ٢ : ٣٥ )

## ٦٩ — يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود<sup>(٢)</sup> أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال :  
لبيك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروب لموجدتك ، شريك بغضتك ، قال : « ألم أرفع  
قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى  
ونعمي ما لم أجِدْ عندك طاقة لحمله ، ولا قياماً بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى  
أظهر<sup>(٣)</sup> عليك ، وردّ كيدك إليك ! » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فأني معترف ، وإن  
كان بسماية الباغين ، ونعائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا حائذ  
بكرمك ، وعصم شرفك » .

[١] وفي العهد الفريد « أبو العيلاء المحدث » .

[٢] وكان المهدي قد فوض إليه الأمور كلها ، وسلم إليه الدواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط  
عليه . وسبب ذلك أنه دفع إليه رجلاً من العلويين ، وقال له : أحب أن تكفي أمره ، فلما صار العلوي في  
يده ، قال له : يا يعقوب تلق الله بدمي ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة رضي الله عنها ، وليس  
لي إليك ذنب ؟ فرق له ، وخلي سبيله ، ونعى الخبر إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى ظفر به ،  
واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله منه أمير المؤمنين ، قال : مات ؟ قال :  
اعم ، فاستحلّفه ، فخلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يجر جواباً ، فأمر بحبسه في بئر مظلمة ، وما زال  
يحوسا حتى عفا عنه الرشيد وتوفي سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أمان عليك .

فقال : لَوْلَا الْحَنْثُ<sup>(١)</sup> فِي دَمِكَ لَأَلْبَسْتُكَ قَيْصًا لَا تَشُدُّ عَلَيْهِ أَزْرَارًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ، فَتَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : « الْوَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ ، وَالْمُودَّةُ رَحِمَ ، وَمَا عَلَى الْمَفْوَ نَدَمَ ، وَأَنْتَ بِالْمَفْوَ جَدِيرٌ ، وَبِالْحَاسَنِ خَلِيقٌ » ، فَأَقَامَ فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ . ( زمر الآداب ٣ : ٢٠٧ )

## ٧٠ . رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وَقَدَّمَ عَلَى الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ : فَقَالَ : « أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ نَائِبًا عَنِ الْعَرَبِ ، وَشَغَلَتْنَا الْحُرُوبُ عَنْ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ، فَيَكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ ، دُونَ التَّفْسِيرِ » ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : أَنْتَ أَخْطَبُ مِنْ سَمِعْتَهُ . ( الصناعتين ص ٤٠ )

## ٧١ — مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دَخَلَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : تَكَلِّمْ ، فَقَالَ :

« إِنَّهُ لِمَا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، قُنَا قَامَ الْأَدَاءُ عَنْهُمْ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِإِظْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكَيْفَانِ ، وَلَا سِيَّمَا حِينَ اتَّسَمَتْ بِمِيسَمِ التَّوَاضُعِ ، وَوَعَدَتْ اللَّهُ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِثَارَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهُ ، فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّمْحِيصِ ، إِيْتِمَّ مُؤَدِّيْنَا عَلَى مَوْعُودِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَقَابِلُنَا عَلَى مَوْعُودِ الْقَبُولِ ، أَوْ زَيْدِنَا تَمْحِيصُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السُّرُورِ وَالْمَلَانِيَةِ ، وَيُحْمَلِيْنَا حِلْيَةَ

[١] فِي الْأَصْلِ « الْمَسْبِ » وَأَرَى أَنَّهَا مَعْرِفَةٌ عَنْ « الْحَنْثِ » وَهُوَ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ وَالْإِنِّم .



الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَجَبَ الله عنه العِلْمَ ، عَذَّبَهُ على الجهل ، وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْعِلْمَ وَأَدْبَرَ عَنْهُ ، وَمَنْ أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْهِ عِلْمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ ، فَقَدْ رَغِبَ عَنْ هَدْيَةِ اللَّهِ وَقَصَّرَ بِهَا » ، فَأَقْبَلَ مَا أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ أَلْسِنَتِنَا ، قَبُولَ تَحْقِيقٍ وَعَمَلٍ ، لَا قَبُولَ شُكْمَةٍ وَرِيَاءٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْدَمُكَ مِنْهَا إِعْلَامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أَوْ مُوَاطَاةٌ عَلَى مَا تَعْلَمُ ، أَوْ تَذْكِيرٌ لَكَ مِنْ غَفْلَةٍ ، فَقَدْ وَطَّنَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَزْوِلِهَا ، تَعْزِيَةً عَمَّا فَاتَ ، وَتَحْصِينًا مِنَ التَّمَادِي ، وَدَلَالَةً عَلَى الْمَخْرَجِ ، فَقَالَ : « وَإِنَّمَا يُنَزَّغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » فَأَطْلَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِكَ ، بِمَا يَنْوِّرُ اللَّهُ بِهِ الْقُلُوبَ ، مِنْ إِيثارِ الْحَقِّ ، وَمَنَابِذَةِ الْأَهْوَاءِ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ ، يُرْ أَتْرُكَ وَأَتْرُكُ اللَّهُ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

( المقد الفريد ١ : ٣٠٣ ، وعيون الأخبار م ٢ : ٣٣٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٨١ )

## ٧٢ — عظة شبيب بن شيبه للمهدى

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ <sup>(١)</sup> لِمَهْدِي : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اللَّهُ إِذْ قَسَمَ الْأَقْسَامَ فِي الدُّنْيَا ، جَعَلَ لَكَ أَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْآخِرَةِ ، إِلَّا مِثْلَ مَا رَضِيَ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، فَأَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَعَلَيْكُمْ نَزَلَتْ ، وَمِنْكُمْ أُخِذَتْ ، وَإِلَيْكُمْ تُرْجَعُ »

( المقد الفريد ١ : ٣٠٧ )

## ٧٣ — خطبته في تعزية المهدي بابتنته

لَمَّا مَاتَتِ الْبَائِقَةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ ، جَزَعَ عَلَيْهَا جَزَعًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، فَجَلَسَ لِلنَّاسِ يَعْزُوهُ ، وَأَمَرَ الْأَيُّحَ جَبَّ عَنْهُ أَحَدٌ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّعَازِي ،

[١] هو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأهم القرى القمي وهو ابن عم خالد بن صفوان . توفي في حدود سنة ١٧٠ هـ .

واجتهدوا في البلاغة ، وفي الناس من ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب ، فأجمعوا على أنهم لم يسمعوها تمزية أوجز ، ولا أبلغ ، من تمزية شبيب بن شيبه ، فإنه قال :

« أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً ، وأعقبك صبراً ، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا تزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى ردّه »<sup>(١)</sup> .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢١ )

## ٧٤ — خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قيل لبعض الخلفاء إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستمد له ، فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لرجوت أن يفتضح ، فأمر رسولاً فأخذ يده إلى المسجد فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ، ثم قال :

« ألا إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الحادر<sup>(٢)</sup> ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الحادر : فأشبه منه صولته ومضاءه ؛ وأما البحر الزاخر : فأشبه منه جوده وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر : فأشبه منه نوره وضياءه ؛ وأما الربيع الناضر : فأشبه منه محسنه وبهائه ، ثم نزل وأنشأ يقول :

وموقفٍ مثل حدِّ السيف قمتُ به    أنحي النمار وترميني به الحدق<sup>(٣)</sup> .

فما زلت ، وما ألقيت كاذبةً    إذا الرجال على أمثاله زلقوا

( المقفد الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، زهر الآداب ٣ : ٢٠٩ )

[١] روى صاحب المقفد أن شيبه هزى بهذا القول المنصور على أخيه أبي العباس (المقفد الفريد ٢ : ٣٥٠) .

[٢] الحدر : أجة الأسد ومنه يقال أسد حادر ، وأخدر الأسد نرم الأجمة . وأخدر البرن الأسد :

ستره فهو مخدر بكسر الهمزة وفتحها . [٣] النمار : ما تجب حاجته .

## ٧٥ — كلمات لشبيب بن شيبه

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في الثروة ، وصلة في المجلس » .

وقال للمهدى يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ، ما أراك في أيك » . ( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ )

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال : « رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .

( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

## ٧٦ — خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى الهادي ، أخرج هرثمة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأقعدته للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد ابن برمك - وكان محبوساً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد في تلك الليلة<sup>(١)</sup> ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله يمتنّ ولطفه ، منّ عليكم معاشر أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ،

[١] وكان الهادي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويخلع أخاه هرون . وسمى إلى الهادي يحيى ابن خالد ، وقبل له لأنه ليس عليك من هرون خلاف ، وإنما يشده يحيى بن خالد ، فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى وأمر بحبسه .

وَمَعِدِنَ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانَ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نِعْمِهِ  
الَّتِي لَا تَحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَإِيَادِيهِ التَّامَّةِ ، أَنْ جَمَعَ أَلْفُكُمْ ،  
وَأَعْلَى أَمْرِكُمْ ، وَشَدَّ عَصْدُكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوْكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، وَكُتِّمَ أَوَّلَى  
بِهَا وَأَهْلَهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُتِّمَ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ الْمُرْتَضَى ،  
وَالَّذَابِنِ بِسَيْفِهِ الْمُنْتَقَصَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَضَ  
مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ أَتَمَّةُ الْجَوْرِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،  
وَالْأَكْلِينَ النَّيِّءَ وَالْمُسْتَأَثِّرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،  
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْيُرُوا فِيغْيُرَ بِكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأَثَّرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِي  
الْإِمَامَ ، قَبْضُهُ إِلَيْهِ ، وَوَلَّى بِعَهْدِهِ رَشِيدًا مُرَضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَهْوَفًا رَحِيمًا ،  
مِنْ مُحْسِنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسِيئِكُمْ بِالْمَفْوَعَطُوفَا ، وَهُوَ أَمْتُهُ اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ  
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،  
يَمِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّافَةِ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةَ لَكُمْ ، وَقَدَّمَكُمْ أَعْطَايَاكُمْ فِيكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،  
وَيَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي يَبُوتِ الْمَالِ مَا يَنْبُوبُ عَنْ  
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرُ مُقَاضِي لَكُمْ بِذَلِكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَعْطَايَاكُمْ ،  
وَحَامِلًا بَاقِي ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَخْدُثَ فِي النَّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ  
مِنْ الْفُصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى يَبُوتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
وَكَثَرَتْهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدَّدُوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ  
الْمَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ  
عَلَيْكُمْ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النِّعْمَاءِ ،

لعلكم ترحمون ، وأعطوا صَفْقَةَ أيمانكم ، وقوموا إلى بيعتكم ، حاطكم الله وحاط عليكم ، وأصلح بكم وعلى أيديكم ، وتولاكم ولاية عِبَادَةِ الصالحين .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ٤٨ )

## ٧٧ — خطبة هرون الرشيد (توفى سنة ١٩٣ هـ)

« الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، وتوكل عليه ، مفوضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه على قَترَةٍ من الرسل ، ودُرُوسٍ <sup>(١)</sup> من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرة ، بشيراً بالنعم المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ، فأدى عن الله وعده ووعدته ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن فى التقوى تكفيرَ السيئات ، وتضميفَ الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وأحذركم يوماً تشخص <sup>(٢)</sup> فيه الأبصار ، وتُملَن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم الثنابن <sup>(٣)</sup> ، ويوم التلاق ، ويوم التناد ، يوم لا يُستعْتَب من سيئة ، ولا يُزْدَاد من حسنة ، يوم الآزفة <sup>(٤)</sup> ، إذ القلوب لدى الحناجرِ كاطمين ، ما لظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع ، يعلمُ خائنة الأعين <sup>(٥)</sup> وما تخفى الصدور ، وأتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفسٍ ما كَسَبَتْ وهم لا يظلمون .

[١] دروس : اعاء . [٢] شخص بصره كنع : فتح عليه ، وجعل لا يطرف .

[٣] يوم القيامة ، ومعنى بذلك لأن أهل الجنة الذين فيه أهل النار يأخذونهم في الجنة لو آمنوا .

[٤] القيامة ، من أرف كفرح : دنا وقرب . [٥] بمارقتها النظر إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تُخلَقُوا عبثاً ، ولن تُشْرَكُوا سُدًى ، حصَّنُوا إيمانكم بالأمانة ،  
 ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا  
 زكاة له » . إنكم سَفَرٌ<sup>(١)</sup> مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار  
 بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،  
 فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهما للمؤمنين .  
 قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَاسْتَكْبِهَا الَّذِينَ  
 يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
 ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأزْدَت<sup>(٢)</sup> ، وأوبقت كثيراً ، حتى  
 أكذبهم منايام ، فتناوشوا<sup>(٣)</sup> التوبة من مكان بعيد ، وحِيلَ بينهم وبين ما  
 يَشْتَهُونَ ، فأخبركم ربكم عن المثالات فيهم ، وصرَّف الآيات ، وضرب الأمثال ،  
 فرغَّب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائمهم بالقرون الخوالى جيلًا فجيلًا ،  
 وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن  
 بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزال عنهم الدنيا ،  
 وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتْهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،  
 « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن  
 الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ  
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه

[١] جماعة المسافرين . [٢] أهلكت وكفنا أوبقت . [٣] تناولوا .

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . آمُرُكُمْ بِمَا أُمِرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْهَا كَمَا عَنْهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . (الفرد القريد ٢ : ١٤٧)

## ٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

وصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :

« يَا مُعَزُّوزُ<sup>(١)</sup> ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك شُهْجَةً قَسَهُ ، وَنَمْرَةً قَلْبَهُ ، فَصِيْرٌ يَدُكُ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةٌ ، وَطَاعَتُهُ لَكَ وَاجِبَةٌ ، فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أمير المؤمنين ، أَقْرِئْهُ الْقُرْآنَ ، وَعَرِّفْهُ الْأَخْبَارَ ، وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ ، وَعَلِّمَهُ السَّنَنَ ، وَبَصِّرْهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدَائِهِ ، وَامْنَعْهُ مِنَ الضَّحِكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَرَفِّعْ مَجَالِسَ الْقَوَادِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ ، وَلَا تَعَزَّزْ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُنْتَهِمٌ فَائِدَةً تُفِيدُهُ بِهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ ، فَتُمِيتَ ذَهَنَهُ ، وَلَا تُفْنِنَ فِي مَسَاعِدِهِ ، فَيَسْتَطِيعَ الْفِرَاقَ وَيَأْلَفَهُ ، وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَائِنَةِ ، فَإِنَّ أَبَاهَا فَعَلِيكَ بِالشَّدَةِ وَالْعِلْفَةِ » . (مقدمة ابن خلدون ص ٦٢٢)

## ٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي ( قتل سنة ١٨٧ هـ )

وهاجت العصبية بالشَّامَ بين أهلها في عهد الرشيد ( سنة ١٨٠ هـ ) وتفاقم أمرها ، فاغتم لذلك الرشيد ، وعقد لجعفر بن يحيى على الشَّامَ ، وقال له : إما أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ أَوْ أَخْرَجَ أَنَا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : بَلْ أَقْبَلُكَ بِنَفْسِي ، فَشَخَّصَ فِي جِلَّةِ الْقَوَادِ وَالْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ ، فَأَتَانِمْ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، وَقَتَلَ زَوَاقِلَهُمْ<sup>(٢)</sup> وَالتَّلَصُّصَةَ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَدْعُ بِهَا رَحْمًا وَلَا فَرَسًا ، فَمَادُوا إِلَى الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، وَأَطْفَأُوا تِلْكَ النَّارَ .

[١] هو علي بن المبارك الأحمر صاحب الكسائي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان معبوراً بالنحو واسع اللفظ ، ومات سنة ٢٠٦ هـ ، أو سنة ٢٠٧ هـ . انظر ترجمته في «زمره الألباء في طبقات الأدباء» ص ١٢٥

[٢] الرواقيل : الصنوس .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقبل يديه ورجليه، ثم مَثَلَ بين يديه، فقال :  
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آتَسَ وَحَشَتِي ، وَأَجَابَ دَعْوَتِي ، وَرَحِمَ  
 قَصْرِعِي ، وَأَنَسَا<sup>(١)</sup> فِي أَجْلِي ، حَتَّى أَرَانِي وَجْهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرَمَنِي بِقُرْبِهِ ، وَأَمَتَّنِي  
 عَلَى تَقْضِيلِ يَدِهِ ، وَرَدَّنِي إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَذْكُرُ غَيْبَتِي عَنْهُ ،  
 وَتَخَرُّجِي وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي أَزْجَعْتَنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِمَعَاصِي لِحَقَّتَنِي ، وَخَطَايَا أَحَاطَتْ  
 بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - لَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ  
 عَنِّي ، إِشْفَاقًا عَلَى قُرْبِكَ ، وَأَسَفًا عَلَى فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَعْجَلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ  
 الْإِشْتِيَاقُ إِلَى رَوْيَتِكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي فِي حَالِ الْغَيْبَةِ ، وَأَمَتَّنِي بِالْمَافِيَةِ ،  
 وَعَرَّفَنِي الْإِجَابَةَ ، وَمَسَكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فَلَمْ  
 أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدِمْ إِلَّا عَنْ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلٌ  
 دُونَكَ ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَا أَعْظَمَ مِنَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ - لَتَدْعَايُنِي مَا لَوْ  
 تَعَرَّضَ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا ، لَخَاتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَمَّا رَأَيْتَهَا عِوَضًا مِنْ  
 الْمَقَامِ مَعَكَ . »

ثم قال له بِمَقِيبِ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ :

« إِنَّ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يُثِيلِيكَ<sup>(٢)</sup> فِي خِلَافَتِكَ ، بِتَدْرِ مَا يَعْلَمُ مِنْ  
 نِيَّتِكَ ، وَيُرِيكَ فِي رِعْيَتِكَ ، غَايَةَ أَمْنِيَّتِكَ ، فَيُصْلِحُ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيَجْمَعُ  
 أَفْئَتَهُمْ ، وَيَلْمُ شَعْمَتَهُمْ ، حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِلتَّمَسُّكِ  
 بِطَاعَتِكَ ، وَالْإِعْتَصَامِ بِحَبْلِ تَرَضَاتِكَ ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ مُسْتَحَقُّهُ ،  
 وَفَارَقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ كُوْرِ الشَّامِ وَهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ عَلَى



ما قَرَطَ من معصيتهم لك ، متمسكون بحبلك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لعفوك ، واثقون بحُكْمِكَ ، مؤملون فضلك ، آمِنون بادرَتِكَ ، حالهم في اتِّلافهم كحالهم كَانَتْ في اختلافهم ، وحالهم في اُلفتهم كحالهم كَانَتْ في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتعمُّده <sup>(١)</sup> لهم ، سابقٌ لمعذرتهم ، وصلةُ أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدِّمٌ عند مسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كُنْتُ قد شَخَّصْتُ عنهم ، وقد أخذ الله شرارهم ، وأطفأ نارهم ، ونفَى مُرافقتهم <sup>(٢)</sup> ، وأصلَحَ دُهماءهم <sup>(٣)</sup> ، وأولاني الجليلَ فيهم ، ورزقني الانتصارَ منهم ، فإِذا ذلك كله : إلَّا ببركتك ويُمْنِكَ وريحِكَ <sup>(٤)</sup> ، ودوام دَوْلَتِكَ السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت إليهم إلَّا بوصيتك ، وما حامتهم إلَّا بأمرِكَ ، ولا سِرْتُ فيهم إلَّا على حَدٍّ ما مثَّلْتَهُ لِي ورَسْمَتَهُ ، ووقفتي عليه ، والله ما اتقادوا إلَّا لِذَعْوَتِكَ ، وتَوَحُّدِهِ <sup>(٥)</sup> الله بالصُّنْعِ لك ، وتخوفهم من سَطْوَتِكَ ، وما كَانَ الذي كَانَ مِنِّي ، وإن كُنْتُ قد بذلتُ جهدي ، وَبَلَغْتُ مجهودي ، قاضيا بمضَ حَقِّكَ عَلَيَّ ، بل ما ازدادت نعمتُكَ عَلَيَّ عِظْمًا ، إلَّا ازدادتْ عن شكرِكَ عِجْزًا وضمفًا ، وما خَلَقَ اللهُ أَحَدًا من رعيَّتِكَ ، أبعدَ من أَن يُطْمِعَ نَفْسَهُ في قضاء حَقِّكَ مِنِّي ، وما ذلك إلَّا أَن أكونَ بِإِذْلٍ مُّهِجَتِي في طاعتِكَ ، وكلُّ ما يقرب إليَّ موافَقَتَكَ ، ولكنِّي أعْرِفُ من أياديك عندي مَا لَا أعْرِفُ مِثْلَهَا عند غَيْرِي ، فكيف بشكري ! وقد أَصْبَحْتُ وَاحِدَ أَهْلِ دَهْرِي ، فيما صنَعْتَهُ فِي وِبي ؟ أم كيف بشكري ! وإنما أَقْوَى على شكرِكَ بِإِكرامِكَ

[١] تفيدُه الله برحمته : غمره بها . [٢] جمع مارق : وهو الخارج المائد .

[٣] الدُهماء : جماعة الناس . [٤] قولك .

[٥] تَوَحُّدَهُ الله تعالى بصنعه : عصمه ولم يَكَلِّه لى غيره .

إياي ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكرى فى إحصاء ما أوليتنى ، لم يأتِ على ذلك عدى ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهفى دون كل كهف لى ؟ وكيف بشكري ! وأنت لا ترضى لى ما أراضه لى ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من نعمتك عندى ما يستغرق كل ما سلف عندك لى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تُسبِنى ما تقدم من إحسانك إلى ، بما تُجدده لى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تقدّمى بطوّلك على جميع أ كفاى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت ولى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت المكرم لى ؟ وأنا أسأل الله الذى رزقنى ذلك منك من غير استحقاق له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شِقْصٍ<sup>(١)</sup> من عُشر عَشِيره - أن يتولّى مكافأتك عنى ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن يَقْضِ عَنّى حَقَّك ، وجليل مَنِّك ، فإن ذلك ييده ، وهو القادر عليه .

(تاريخ العربى ١٠ : ٦٦)

## ٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشد

روى صاحب العقد قال :

« كَانَتْ أُم جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى<sup>(٢)</sup> - وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَحْطَبَةَ - أَرْضَعَتْ الرُّشِيدَ مَعَ جَعْفَرٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ رُبِّى فِى حِجْرِهَا ، وَغُذِّى بِرِسْلِمِهَا<sup>(٣)</sup> ، لِأَنَّهُ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرُّشِيدُ يَشَاوِرُهَا مُظْهِراً لِأَكْرَامِهَا ، وَالتَّبَرُّكَ بِرَأْيِهَا ، وَكَانَ آتِىَ وَهُوَ فِى كِفَائِهَا أَنْ لَا يَحْجُبُهَا ، وَلَا اسْتَشْفَعَتْ لِأَحَدٍ إِلَّا

[١] الشَّقْصُ : السَّهْمُ وَالتَّصِيبُ ، وَالتَّعْتِيزُ : جُزْءٌ مِنْ عَشْرَةٍ كَالْمِثَارِ وَالْمِثَرِ .

[٢] كَانَ الْبِرَامِكَةُ قَدْ اسْتَأْثَرُوا بِشُيُونِ الدَّوْلَةِ وَأَمَوَالِهَا ، وَغَلَبُوا الرُّشِيدَ عَلَى سُلْطَانِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِى مَلِكِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ إِلَّا رِسْمُهَا وَصُورَتُهَا - وَحَدِيثُهَا فِى ذَلِكَ طَوِيلٌ ، لَيْسَ هَاهُنَا مُوضَعُهُ - فَنَزِمَ عَلَى نَكْبَتِهِمْ ، حَتَّى انْتَهَزَ فُرْصَةَ رَجُوعِهِ مَعَهُمْ مِنَ الْحُجِّ سَنَةَ ١٨٧ ، فَقَتَلَ جَعْفَرًا لَيْلًا فِى طَرِيقِهِ ، وَفُضِيَ عَلَى يَحْيَى وَابْنِهِ الْفَضْلَ وَبَقِيَةِ الْبِرَامِكَةِ ، وَحَبَسَهُمْ فِى سَجْنِ الزَّانِقَةِ إِلَى أَنْ مَاتُوا فِيهِ . وَاسْتَصْنَى أَمْوَالَهُمْ وَضِيَاعَهُمْ . [٣] الرِّسْلُ : الْبِن .

شفعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فكنت ، ومُبهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجت ، واحتجب الرشيد بعد قدومه <sup>(١)</sup> ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومثت <sup>(٢)</sup> بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها ، واضعةً لثامها ، محتفية <sup>(٣)</sup> في مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : طُر <sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أَدْخِلْهَا يا عبد الملك ، فربّ كبد غدتها . وكرُبة فرجتها ، وعَوَزة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتفياً حتى تلقاها بين عمدة المجلس ، وأكبَّ على تقبيل رأسها ، ومواضع ثديها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أَيْعُدُّوْا عَلَيْنَا الزَّمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، وَيُخْرِدُكَ <sup>(٥)</sup> بنا البُهتان ، وقد ريتك في جِجْرى ، وأخذت برِضاءك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : طُرِكَ يَحْيى ، وأبوك بعد أَيْيك ، ولا أَصِفُه بأكثر مما عرّفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتعرّضه لِلْحَتَفِ في شأن موسى أخيه <sup>(٦)</sup> ، قال لها : يا أم الرشيد ، أَمْرُهُ

[١] أى من الحج . [٢] توسلت . [٣] احتنى : مثنى حافياً .

[٤] الطائر : العاطفة على ولد غيرها ، الرضعة له ، في الناس وغيرهم ، للذكر وللأنثى .

[٥] يفضلك . [٦] قدّمنا أن الهادى كان قد اعترق خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستخلاف ابنه جعفر ، وقد سُمي إلى الهادى يحيى بن خالد ، وأنه يغد عليه أخاه الرشيد ، فقبضه وتمّ بقتله ، ويروى أنه قال للهادى في خلع الرشيد لما كمله فيه : « يا أمير المؤمنين ، إنك إن حلت الناس على نكت الأعمال ، هانت عليهم أمانتهم ، وإن تركتهم على يمة أخيك ، ثم بايعت لجعفر من بعده كان

سَبَقَ ، وقضاء حُمٍّ <sup>(١)</sup> ، وغضب من الله نَفَذَ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَخْجُو  
اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » <sup>(٢)</sup> . قال : صدقتِ فهذا مما لم يَمَحُ  
اللهُ ، فقالت : الفيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟  
فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميم لا تنفع <sup>(٣)</sup>

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول <sup>(٤)</sup> :

وإذا افتقرت إلى النخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالكَافِرِينَ الْفَيْضُ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ  
فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتي عيّنك فانظر أئى كف تبدل <sup>(٥)</sup>

ذلك أوكد ليعنه « فقال : صدقت ونسحت ، ول في هذا تدبير ، ولما أمر بحبه رفع إليه يحيى رقة .  
إن عندى نصيحة ، فدعها به ، قال : يا أمير المؤمنين ، أخلنى ، فأخلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرايت  
إن كان الأمر - أسأل الله ألا يبله ، وأن يقد منا قبله - أنظن أن الناس يسلون الخلافة لجفر ، وهو لم  
يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوم ؟ قل : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ،  
أنتأمن أن يسمو إليها أحقك ، وجلتهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أهلك ؟ فقال  
له : بهتني يا يحيى » وقال له : لو أن هذا الأمر لم يقد لأخيك ؟ أما كان ينبغي أن تقدمه له ؟ فكيف بأن  
تحمله عنه ، وقد عقدته المهدي له ؟ ولكن أرى أن تقر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فإذا بلغ جعفر  
وبلغ الله به ، أتبته بالرشيد تفلح همه ، وكان أول من يبايعه ويطلبه صفقة يده ، قيل قبل الهادي قوله  
ورأيه وأمر بالطلاق . [١] حم : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو اللوح المحفوظ .

[٣] التأم جمع تيممة : وهي السوفة التي تعلق على الصبي دفناً للعين ، أو للارض والبيت لأبي ذؤيب الهذلي .  
[٤] هو الأخطل . [٥] هذا البيت والذي قبله من قصيدة لمن بن أوس المزني مطلعها :

لمسك ما أدرى ، ولأى لأوجل على أينما تعدو للنية أول ؟ .

قال هرون : رضيت ، قالت : فقبّله لى يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجِده »<sup>(١)</sup> الله لِفَقْدِهِ « فأكبَّ هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لله الأُمُومِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتَكَ<sup>(٢)</sup> ما استشفعتُ إلا شَفَعْتَنِي . قال : واذكرى يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ أَنْ لَا شَفَعْتَ لِمَقْتَرِفِ ذَنْبَا ، فلما رآته صرَّحَ بمنهما ، ولاذ<sup>(٣)</sup> عن مطلبها ، أخرجت حقاً من زُرْمُذَةٍ<sup>(٤)</sup> خضراء ، فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خَفَضَتَهُ<sup>(٥)</sup> وذوائبه وثناياه ، قد غمست جميع ذلك فى المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ، وبما صار معى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ليحيى عبدك ، فأخذ هرون ذلك فلقمه ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً ، وبكى أهل المجلس ، ومرَّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق روى جميع ذلك فى الحق ، وقال لها : لَحَسَنٌ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ ، قالت : وأهلُ الْمَكَا فَاءَ أَنْتَ يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقبل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا » قالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لى به ألا تحجبنى ولا تَمْتَهِنَنِ<sup>(٦)</sup> ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أى يحزنه . [٢] الآية : القسم . [٣] أى لم يجبه . [٤] الزمرد والزمرد بالندال والندال . [٥] خفض الجارية كضرب خفضاً ، وهو كالتخال للسلام ، وقيل : خفض الصبي خننه ، فاستعمل فى الرجل ، والأعراف أن الخفض للراء والختان الصبي ، يقال للجارية خفضت ، وقام ختن . [٦] امتنه : اجتله .

أن نشتره بحكمة فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت غير مستقيمة لك ، ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضائك عمن لم يُسَخِّطْكَ ، قال : يا أم الرشيد أما لى عليك من الحق مثل الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين ، أنت أعزُّ علىَّ ، وم أحبُّ إلىَّ . قال : فتحكى في تمنية بغيرهم ، قالت : بلى قد وهبتك ، وجعلتك فى حلٍّ منه ، وقامت عنه ، وبقي مبهوتين ما يحير <sup>(١)</sup> لفظه .

( القد الفريد ٣ : ٢٣ )

## ٨١ - خطبة يزيد بن مزيد الشيباني

لما رضى الرشيد عن يزيد بن يزيد <sup>(٢)</sup> أذن له بالدخول عليه ، فلما مثل بين يديه قال : « يا أمير المؤمنين ، الحمد لله الذى سهَّل لى سبيلَ الكرامة بلقائك ، وردَّ علىَّ النعمة بوجه الرضا منك ، وكشف عنى ضبابه الكرب بإفضالك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين فى حال سُخْطِكَ جزاء المحسنين المراقبين ، وفى حال رضاك جزاء المنعمين المستبين المتطولين ، فقد جعلك الله - وله الحمد - تثبت <sup>(٣)</sup> تخرجاً عند الغضب ، وتعتن تطوُّلاً بالنعم ، وتستبق المروف عند الصنائع <sup>(٤)</sup> تفضلاً بالعفو » .

( القد الفريد ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبرى ١٠ : ١١٧ و زهر الآداب ٢ : ٢٨٧ )

[١] يحير : يرد . [٢] وذلك أن الوليد بن طريف الشاذى خرج فى عهد الرشيد بالجزيرة ، واشتدت شوكته ، وكثر تبعه سنة ١٧٩ ، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ، لحمل نخالته وإناكره ، وكانت البرامكة منحرمة عن يزيد ، فأغروا به الرشيد ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم (لأنه شيباني مثله) وإلا فشوكة الوليد بسيرة وهو يواعد ، وينظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مضضب ، يقول فيه : « لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بأنه لئن أخرت مناجزة الوليد ، ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين » ثم حل يزيد على الوليد فقتله وبث برأسه إلى الرشيد ، فلما انصرف يزيد بالظفر ، حجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسى أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل ، فلما وآه الرشيد طمك وسر ، وأنبل يصيح مرحباً بالأعرابي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه ونقاء صدره ( راجع أخباره فى الأغاني ١١ : ٨ ، وابن خلكان ٢ : ٢٨٣ ، والطبرى ١٠ : ٦٥ ) .

[٣] وفى رواية الطبرى « تيب » . [٤] وفى الطبرى : « وتعفو عن السوء » .

## ٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح<sup>(١)</sup> (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يَاهِلَ الشَّامِ ، إِنَّ اللَّهَ وَصَفَ إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ،  
وَأَشْبَاهَكُمْ فِي الْأَجْسَامِ ، فَحَذَرُمْ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَإِذَا  
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ،  
يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ الْمَدُّوا فَأَحْذَرْتُمْ ، فَأَتَدَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُوقِفُكُمْ ؟ »  
فَقَاتَلَكُمْ اللَّهُ أَنْتَى تُصْرَفُونَ ؟ جُثَّتْ مَائِلَةٌ ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ ، تَشْبُثُونَ<sup>(٢)</sup> الْفِتْنِ ،  
وَتَوَلُّونَ الذُّبُرَ ، إِلَّا عَنْ حَرَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دَرَيْتُكُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَحَرَّمَ رَسُولُهُ ، فَإِنَّهُ مَغْرَاكُمْ ،  
أَمَّا وَحُرْمَةُ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لِتَنْفِرُنَّ خِفَافًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَا وَسِعَتِكُمْ إِرْفَامًا وَنِكَالًا .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٦)

## ٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين  
قد أصيب الليلة بآبن له ، ووُلد له آخر ، فلما دخل عليه قال : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَ لَكَ ، وَلَا سَاءَ لَكَ فِيمَا سَرَّكَ ، وَجَعَلَ هَذِهِ بِهَذِهِ ، مَثُوبَةً عَلَى  
الصَّبْرِ ، وَجَزَاءً عَلَى الشُّكْرِ » .

(العقد الفريد ٢ : ٣٥)

## ٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَبَ<sup>(١)</sup> لَهُ ابْنَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَاتِبُهُ « قُمَامَةُ » فَسَعِيَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ ،  
وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ،  
وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفِّرَا

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولى الرشيد بلاد الجزيرة والشام وغيرها .

[٢] توفدون . [٣] الدريقة : الحلقة يحلم الظن والرى عليها . [٤] طاده

بالنعمه ، وَجُحوداً لِّجَلِيلِ الْمِنَّةِ وَالتَّكْرِمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُؤِثُ<sup>(١)</sup> »  
 إذن بالندم ، وتمرّضتُ لاستحلال النِّقَم ، وما ذاك إلا بنى حاسدٍ ، نافسنى فيك  
 مودة القربة ، وتقديم الولاية ، إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فى أمته ، وأمينه على عِثْرَتِهِ ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداء النصيحة ،  
 ولها عليك العدلُ فى حُكْمِها ، والتثبتُ فى حَادِثِها ، والنُفْرانُ لذنوبها » ، فقال  
 له الرشيد : « أَتَضَعُ لى من لسانك ، وترفع لى من جَنَانِكَ ؟ هذا كَأَتَبُكَ قامةً ،  
 يُخْبِرُ بِغَلَّتْكَ ، وفسادِ نيتك ، فاسمَعْ كلامه » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس  
 فى عَقْدِهِ<sup>(٢)</sup> » ، ولعله لا يقدر أن يَعْضَهُنِ<sup>(٣)</sup> ولا يَبْهَتَنِي بما لم يَعْرِفْهُ منى » ،  
 وَأُخْضِرَ قامةً ، فقال له الرشيد : تكلم غيرَ هائبٍ ولا خائف ، قال : « أقولُ إنه  
 عازم على الغدر بك والخلاف عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذلك يا قامة ؟  
 قال قامة : نعم ، لقد أردتَ خَتْلَ<sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف  
 لا يكذب على من خلقى ، وهو يَبْهَتَنِي فى وجهي » ؟ فقال له الرشيد : « وهذا  
 ابنك عبد الرحمن يخبرنى بِمَتَوَلِّكَ ، وفساد نيتك ، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك  
 بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك ، فَبِمَ تدفعهما عنك ؟ » ، فقال عبد الملك :  
 « هو مأمور ، أو طاق عيور ، فإن كَانَ مأموراً : فَعَدْوَر ، وإن كَانَ عاقاً : ففاجر  
 كفور ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بعداوته ، وحذّر منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ  
 وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ، فنهض الرشيد وهو يقول : « أَمَا أَمْرُكَ  
 فقد وَصَحَ ، ولكنى لا أَفْجَلُ حتى أعلم الذى يُرْضَى الله فيك ، فإنه الحكم بيني

[١] رجعت . [٢] أى ما يستقدمه . [٣] عضه كمنه : كذب وتمّ ، وعضه فلاتا : بهته وقال

فيه ما لم يكن . [٤] ختل : خدعه .



وينيك » ، فقال عبد الملك : « رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً  
فإنى أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاء »

\*\*\*

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، فسلم لما دخل ، فلم يردّ عليه ، فقال  
عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، ولا أجاذب منازعاً وخصماً . قال : ولم ؟  
قال : لأن أوله جرى على غير السنة ، فأننا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال :  
لم تردّ على السلام ، أنصف نصفه العوام ، قال : السلام عليكم اقتداء بالسنة ،  
وإشارة للعدل ، واستعمالاً للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال :  
وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد  
ثم قال : « أما والله لكأنى أنظر إلى شؤبوبها <sup>(١)</sup> قد جمع ، وعارضها <sup>(٢)</sup> قد لمع ،  
وكأنى بالوعيد قد أوزى ناراً تسطع ، فأقلع عن برّاجم <sup>(٣)</sup> بلا مصاصم ، ورءوس  
بلا غلاصم <sup>(٤)</sup> فهلا مهلاً ، فبي والله مهل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدير ،  
وألقت إليكم الأمور أثناء <sup>(٥)</sup> أزمتها ، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط  
باليدي ، لبوط <sup>(٦)</sup> بالرجل » . فقال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولألك ،  
وفي رعيته التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع

[١] الشؤبوب : الدفة من المطر ، ومع : سال واضب .

[٢] العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والضير للفتنة المفهومة من سياق الحديث .

[٣] جمع برجة كقنفذة : وهي مقاصد الأصابع ، أو ظهر القصب من الأصابع ، والمصاصم جمع مصمم  
ككبر وهو موضع السوار أو اليد . [٤] جمع غلصة بالفتح وهي رأس المقوم وهو الموضع الثاني في

الحلق . [٥] أثناء الشيء ومثانيه طاقاته ، واحدها ثنى كحل ومثناة بفتح الهم وكسرهما .

[٦] لبط به الأرض ضرب ، ولبط البعير كضرب : خبط يده وهو يدير .

الثواب ، فقد نَحَلْتُ لك النصيحة ، وَحَضْتُ <sup>(١)</sup> لك الطاعة ، وَشَدَدْتُ أَوَاخِي <sup>(٢)</sup> ملكك بأثقل من رُكْنِي يَلْعَلُ <sup>(٣)</sup> ، وتركت عدوك مشتغلا <sup>(٤)</sup> ، فإلله الله في ذى رحمتك أن تقطعه - بمد أن يبلته <sup>(٥)</sup> - بِظَنِّ أَفْصَحَ الْكِتَابِ لِي بِمَقْصِدِهِ <sup>(٦)</sup> ، أَوْ يَنْبِيْ بَاغٍ يَنْهَسُ <sup>(٧)</sup> اللحم ، وَيَالِغُ <sup>(٨)</sup> الدَّم ، فقد والله سهلت لك الوعور ، وذلت لك الأمور ، وَجَعَلْتُ على طاعتك القلوب في الصدور ، فكم من ليلٍ نَعَامٍ <sup>(٩)</sup> فيك كأبدته ، ومقام ضيق لك قُمته ، كنت فيه كما قال أخو بني جعفر ابن كلاب :

ومقام ضيقٍ فَرَجَتْهُ يَبْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلْ  
لو يقوم الفيلُ أو فيَّاله زَلَّ عن مثل مقامي وَرَحَلْ <sup>(١٠)</sup>

فقال له الرشيد : « أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك » .  
ولم يزل عبد الملك محبوساً حتى تُوُفِيَ الرشيد ، فأطلقه محمد الأمين وعقد له

على الشام <sup>(١١)</sup> . (تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والفرد المريد ١ : ١٤٣ ،  
والسكامل لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٣)

[١] أخلعت . [٢] جمع آخية وتشد : عروة تربط إلى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة ، وأخيت للدابة تأخية : صنعت لها آخية وربطتها بها . [٣] يللم أو ألم أو يرمم : ميقات العين : جبل على مرحلتين من مكة . [٤] وفي رواية القد : « وتركت عدوك سبيلا تتلووه الأقدام » .  
[٥] بليت فلانا : لزمته . [٦] الضه بكون الضاد وفتحها : الكذب والتمويه . [٧] نهس اللحم كثر وسع : أخذ به يقدم أستانه وتفه . [٨] ولغ الكلب في الإناة ومنه وبه يلغ كيب ويالغ : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه لحركة . [٩] ليل النعام أطول ليالي الشتاء .  
[١٠] زحل من مقامه : زال كثر حول . [١١] وقد جعل للأمين عهد الله به : لئن قتل وهو حي ، لا يعطى للمؤمن طاعة أبداً ، فبات قتل الأمين ، فدفن في دار من دور الإمارة ، فلما خرج للمؤمن يرد الروم أرسل إلى ابن له : حول أباك من داري ، فنبشت عظامه وحوكت .

# ٨٥ — قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله به قال :

« والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ ، ولا تَمَنَيْتُهُ ، ولا نَصَبْتُ له ولا أَرَدْتُهُ ، ولو أَرَدْتُهُ لكَانَ إِلَى أَسْرَعِ من الماء إلى الحَدُورِ <sup>(١)</sup> ، ومن النار إلى يَتَسِ العَرَفِج <sup>(٢)</sup> ، وإني لمأخوذ بما لم أجنِّ ، ومستول عما لا أعرف ، ولكنه حين رَأَى للملك قَيْنَا <sup>(٣)</sup> ، وللخِلافة خَطِيرَا <sup>(٤)</sup> ، ورأى لي يدَا تنالها إذا مَدَّتْ ، وتبلغها إذا بُسِطَتْ ، ونفسًا تَكْمُلُ لِحِصَالِهَا ، وتستحقها بِفِعَالِهَا ، وإن كُنْتُ لم أَخْتَرْ تلك الخِصَالِ ، ولم أَصْطَلِحْ تلك الفِعَالِ ، ولم أُرْشَحْ لها في السِّرِّ ، ولا أُشْرَتْ إليها في الجَهْرِ ، ورآها تَحْنُ إِلَى حَنِينِ الوَالِدَةِ الوَالِهَةِ ، وتَمِيلُ إلى مِثْلِ المَلُوكِ <sup>(٥)</sup> ، وخاف أن تَرُغِبَ إِلَى خَيْرٍ مَرُغَبٍ ، وَتَنْزِعَ إلى أَخْصَبِ مَنْزِعٍ ، فَاقْبَضِي عِقَابَ من مَهَرٍ في طَلِبِهَا ، وَجَهْدٍ في التَّمَسُّكِ ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا حَبَسَنِي عَلَى أُنَى أَصْلَحَ لها وَتَصْلَحُ لِي ، وَالْيَقِينُ بِهَا وَتَلْيَقِينِي بِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِذَنْبٍ جَنِيْتُهُ فَاتُوبَ مِنْهُ ، وَلَا تَطَاوَلْتُ لَهُ فَاحْطُ نَفْسِي عَنْهُ ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا صَرْفَ لِعِقَابِهِ ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ ، إِلَّا بِأَنْ أُخْرِجَ لَهُ مِنْ جِدِّ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحَزْمِ ، فَكَيْفَا لَا يَسْتَطِيعُ الْمِضْيَاعُ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَاقِلُ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ عَاقِبَتِي عَلَى عِلْمِي وَحِلْمِي ، أَمْ عَاقِبَتِي نَسْبِي وَسِنِي ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ عَاقِبَتِي عَلَى جَمَالِي ، أَمْ عَاقِبَتِي عَلَى عَجَبَةِ النَّاسِ لِي ، وَلَوْ أَرَدْتَهَا لَأَتَجَنَّبْتُهُ عَنِ التَّفَكِيرِ ، وَشَفَلْتُهُ عَنِ التَّنْدِيرِ ، وَلَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْخَطْبِ

(الطه الفرید ١ : ١٤٣)

إلا اليسير .

[١] المكان المنحدر . [٢] شجر . [٣] جذيرا . [٤] عظيم القدر .

[٥] العاجزة المتعاطلة على الرجال .

## ٨٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنه فقال :

« أَيْ بَنِي أَحْلُمُ ، فَإِنْ مِنْ حُلْمٍ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ اِزْدَادَ ، وَالْقَى أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِنْ لَقَاءَهُمْ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَعُ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ <sup>(١)</sup> ، وَالصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَصِمُّ الْقَلْبَ ، الْمُزَاحُ يورث الضَّغْنَانِ ، وَحَسَنُ التَّدْيِيرِ مَعَ الْكَفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ ، وَالْاِقْتِصَادُ يُثَمِّرُ <sup>(٢)</sup> الْقَلِيلَ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ <sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْحِطُّ الْقَنَاعَةُ ، وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ ، وَرَبِّمَا أَبْصَرَ الْعَمَى رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأُ الْبَصِيرَ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْحِرْفَةِ <sup>(٤)</sup> خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، اِرْقُ فِي الطَّلَبِ ، وَأُجَلِّ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ ، قَدْ جَزَّ إِلَى حَرْبٍ <sup>(٥)</sup> ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا كُلُّ مُلِحٍّ بِمُحْتَاجٍ ، وَالْمَغْنُونُ مِنْ غَيْنٍ نَصِيبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتَ عُتْبَاهُ ، وَفَاكِهٌ مِنْ أُمِنْتَ بِلَوَاهُ ، لَا تَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَشَاهِدًا إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أَنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُنْ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظُلْمِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَمِيَ فِي مُضَرَّتِهِ وَتَفَعُّكُ ، وَعَوْدُ نَفْسِكَ السَّمَّاحِ ، وَتَخْيِيرُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنُهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةُ ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ ، وَالصُّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّعَلُّلُ آيَةُ الْبُخْلِ ، وَمَنْ الْفِقْهُ كِتْمَانُ السَّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطُولُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقَنَاعَةُ رَاحَةُ الْأَيْدِي ، وَالشَّرَفُ التَّقْوَى ، وَالْبَلَاغَةُ مَعْرِفَةُ رَتَقِ الْكَلَامِ وَفَتْحُهُ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أعتبه : أعطاه الغنى أى الرضا . [٢] ينسى ويكثر . [٣] يهلك .

[٤] الحرمان . [٥] حربه حرباً كطبله : سلب ماله . [٦] أنجح : صار قاصح .

يستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّرَ في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما نَقَضَ بعضه بعضا ، وَمَنْ سَعَى بالنِّمَّةِ حَذِرَهُ البعيد ، وَمَقَّتَهُ القريب . من أطال النظر بإِرادَةٍ تامةٍ أدرك الغاية ، ومن تَوَانَى في نفسه ضاع ، من أسرف في الأمور انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللَّجَاجَةُ تورث الضَّياع للأُمُور ، غِبَّ الأدبَ أحمد من ابتدأه ، مُبادرةُ الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُعَقِّبُ العِيَّ ، لَا تُحَدِّثُ من لَا يُقْبَلُ بوجهه عليك ، وَلَا تُنصِتُ لمن لَا يَنْبَغِي <sup>(١)</sup> بحديثه إليك ، البلادة للرجل هُجْنَةٌ ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ عاجزٌ إِلَّا تَأَخَّرَ ، الإحجام عن الأمور يُورث العجزَ ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الخط ، سوء الطَّعْمَةِ <sup>(٢)</sup> يُفْسِدُ العِرْضَ ، وَيُخْلِقُ الوجه ، وَيَمَحَقُ الدين ، الهَيْبَةُ قرين الحرمان ، والجَسَارَةُ قرين الظَّفَرِ ، وَفَيْتُكَ من أنصفك ، وأخوك مَن عَاتَبَكَ ، وشريكك مَن وَفَى لك ، وَصَفِيَّتُكَ من آثَرِكَ ، أَعْدَى الأَعْدَاءِ العقوقُ ، اتِّبَاعُ الشهوة يُورث الندامةَ ، وَفَوْتُ الْفُرْصَةِ يورث الحُسرةَ ، جميع أركان الأدب التَّائِي لِالرَّفَقِ ، أَكْرَمَ نفسك عن كل دَنِيَّةٍ ، وإن ساقطك إلى الرغائب ، فإنك لَا تجد بما تبذل من دينك ونفسك عَوَضًا ، لَا تَسَاعِدُ <sup>(٣)</sup> النساءَ فَيَمْلِكَنَّكَ ، واستبق من نفسك بقيَّةً ، فإنهن أن يرين أنك ذو اقتدار ، خيرٌ من أن يطلعن منك على انكسار ، لَا تَغْلِكِ المرأةَ الشَّفَاعَةَ لغيرها ، فتميلَ من شَفَعَتْ لها عليك معها ، أَيْ بنى ، إِنِّي قد اخترت لك الوصيةَ ، وَحَضَّتْكَ النصيحةَ ، وَأَدَيْتُ الحقَّ إلى الله في تَأْدِيكَ ، فَلَا تُغْفِلَنَّ الأخَذَ بِأحسنها ، والعملَ بها ، والله موفِّقك .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

## ٨٧ - وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وَصَّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سريّة ، ونحن يبلاد الروم فقال له :  
« أنت تاجرٌ الله لعباده ، فكن كالضارب الكيس ، الذى إن وجد ربحاً  
تَجَرَّ ، وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن  
من احتيالك على عدوك ، أشدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك <sup>(١)</sup> » .

( البيان والتهيين ٢ : ٥٤ )

## ٨٨ - كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السماك <sup>(٢)</sup> - :

« خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً فى النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها طاعةً ،  
وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السُّلطان ما لم يخاطبه البَطَرُ ،  
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الإخوان من لم يخاضع ، وخير  
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُحْتَسَبُ ذلك الرجال عند الفاقة والحاجة » .  
( دهر الأدباء ٢ : ٢٠٥ )

## ٨٩ - ابن السماك والرشيد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل  
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابن السماك كما أمرتني ، قال : أدخله ،

[١] أوردت هذه الوصية فى الجزء الثانى ص ١٨٥ موزعة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب  
القد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبرى - ج ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفى سنة ٨٤ كانت غزوة عبد الله بن  
عبد الملك بن مروان الروم ، فتح فيها النصيحة - كسيفة - » وعزاها الجاحظ إلى عبد الملك بن صالح كما ترى  
فى هذه الرواية . [٢] كان راهباً أبداً حسن الكلام صاحب مواظ ، وهو كوفى قدم بهنداد زمن  
الرشيد ، فمكث بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : اتَّقِ اللَّهَ وَخُذْهُ لِشَرِيكَ لَهُ ،  
وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاقِفٌ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّكَ ، ثُمَّ مَصْرُوفٌ إِلَى إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ ،  
لَا ثَالِثَةَ لَهَا : جَنَّةٌ أَوْ نَارٌ ، فَبَكَى هَرُونَ حَتَّى اخْضَلَّتْ <sup>(١)</sup> لِحْيَتُهُ ، فَأَقْبَلَ الْفَضْلُ  
عَلَى ابْنِ السَّمَاكِ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَهَلْ يَتَخَالَجُ أَحَدًا شَيْءٌ فِي أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
مَصْرُوفٌ إِلَى الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؟ لِقِيَامِهِ بِحَقِّ اللَّهِ ، وَعَدْلِهِ فِي عِبَادِهِ ، وَفَضْلِهِ ،  
فَلَمْ يَحْفَلِ بِذَلِكَ ابْنُ السَّمَاكِ مِنْ قَوْلِهِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ هَذَا - يَعْنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ - لَيْسَ وَاللَّهِ مَعَكَ وَلَا  
عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ ، فَبَكَى هَرُونَ حَتَّى أَشْفَقْنَا عَلَيْهِ ،  
وَأَغْمَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ ، فَلَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ حَتَّى خَرَجْنَا .

قَالَ : وَدَخَلَ ابْنُ السَّمَاكِ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ اسْتَسْقَى مَاءً ،  
فَأَتَتْ بِقُلَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَلَمَّا أَهْوَى بِهَا إِلَى فِيهِ لِيَشْرِبَهَا ، قَالَ لَهُ ابْنُ السَّمَاكِ : عَلَى  
رِسْلِكَ <sup>(٢)</sup> يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَوْ  
مُنِمْتَ هَذِهِ الشَّرْبَةَ ، بِكُمْ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ؟ قَالَ : بِنِصْفِ مَلَكِي ، قَالَ : اشْرَبْ  
هَذَا اللَّهُ ، فَلَمَّا شَرِبَهَا ، قَالَ لَهُ : أَسَأَلْتُكَ بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
لَوْ مُنِعْتَ خُرُوجَهَا مِنْ بَدَنِكَ ، بِمَاذَا كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ، قَالَ : بِجَمِيعِ مَلَكِي ،  
قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ : إِنْ مُلِكَا قِيمَتُهُ شَرْبَةً مَاءٍ لَجِدِيرٌ إِلَّا يُنَافَسَ فِيهِ ، فَبَكَى هَرُونَ ،  
فَأَشَارَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ إِلَى ابْنِ السَّمَاكِ بِالْأَنْصَرَفِ ، فَانْصَرَفَ .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٤٩)

## الفتنة بين الأئمين والمأمون

### وفد الأئمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأئمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد<sup>(١)</sup> ، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحبب أن يكون بقربه - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن تميم ، وإلى صالح صاحب المصلى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، وألا يدعوا وجهاً من اللين والرفق إلا بلغوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتابه ، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفموا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

### ٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أخاك قد تحمّل من الخلافَةِ ثِقْلاً عظيماً ، ومن النظر في أمور الناس عِثْناً جليلاً ، وقد صدّقت نيّته في الخير ، فأعوزّه الوزراء والأعوان والكُفّاءة على العِذْل ، وقليل ما يأنسُ بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فزع إليك في أموره ، وأملك الموازنة والمكانة<sup>(٢)</sup> ،

---

[١] ذكروا أن الفضل بن الربيع وزير الأئمين ، كان قد خاف للمأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطرس من إحضار جميع ما كان في عسكره إلى الأئمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون ، وعلم أن الخلافَةَ إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه ، فحسن للأئمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأئمين ولا حزمه - واتفق مع الفضل جماعة على ذلك ، فدل الأئمة ، إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فنهوه عن ذلك وحذروه طائفة البغي وتكت اليهود ، وقالوا له : لا تجرى الفواد على الكثرة للأئمين وعلى الخلع فيخلعوك ، فلم يلتفت إليهم ، ومال إلى رأى الفضل بن الربيع ، وشرع في خلع المأمون باستدعائه إلى بغداد ، فلم يتخدد وكثب يتنذر . [٢] المعاونة .



ولسنا نستبطنك في برّه ، اتهاماً لنصرته ، ولا نحضّك على طاعة ، تخوّفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانه ، فأجِبْ أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثر طاعته ، وأعنه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق ، وصلة الرحم ، وصلاح الدولة ، وعزّ الخلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجعل له الخيرة والصّلاح في عواقب رأيه .

### ٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خرقٌ ، والاقتصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربه من شهيد غيره من أهل بيته ، ولا يجد عنده غنى ، ولا يجد منه خلفاً ، ولا عوّضا ، والأمير أولى من برّ أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبته ، فإن القدوم عليه فضلٌ وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وَكْفٌ<sup>(١)</sup> في الدين ، وضرر ومكروه على المسامين . »

### ٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إننا لا نريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحن نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ،

وَتَنَاوَلْكَ قَرْعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَتَلَقَّى بِهَا رَعِيَّتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقْعُدَ يُغْنِ اللَّهُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضْعَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى  
طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ » .

### ٩٣ - خطبة صالح صاحب المصلى

وتكلم صالح صاحب المصلى ، فقال :

« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ،  
وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَّهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوَّلِيَّائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ،  
وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقِهِ ، وَصَلَاحُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ،  
إِذْ أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوَلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
بِكِتَابِهِ ، وَوَتِّقَ بِمَعَاوَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى  
الْقُدُومِ عَلَيْهِ صَلَاحٌ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسْكَوْنَ لَأَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ ، وَفَقِّ  
اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالذِّمَّةِ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ » .

### ٩٤ - خطبة المأمون

فحمد الله المأمون ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« قَدْ عَرَفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مَا لَا أَنْكِرُهُ ،  
وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازَرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْهَ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا لَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
مُقَدَّمٌ ، وَالْمَسَارِعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَاقِفُهُ حَرِيصٌ ، وَفِي الرِّوَايَةِ تَبْيَانُ الرَّأْيِ ، وَفِي  
إِعْمَالِ الرَّأْيِ نَصْحُ الْعِزَّازِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

عنه تنبُّطًا ومدافعةً ، ولا أقتدِّم عليه اعتسافًا وعَجَلَةً ، وأنا في ثَمَرٍ <sup>(١)</sup> من ثَمَرِ نور المسلمين ، كَلَبِ عَدُوَّهُ ، شَدِيدُ شَوْكَتِهِ ، وإن أَهْمَلْتُ أَمْرَهُ لم آمَنْ دُخُولُ الضَّرَرِ والمَكْرُوهِ على الجنود والرعية ، وإن أَقَمْتُ عليه لم آمَنْ قُوَّةٌ مَا أَحَبَّ من معونة أمير المؤمنين وموازرتِهِ وإِثَارِ طَاعَتِهِ ، فَانصِرُّوا حَتَّى أَنْظُرَ في أَمْرِي ، وَيَصِحَّ الرَّأْيُ فِيمَا أَعَزِمُ عَلَيْهِ من مَسِيرِي إن شاء الله .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُعْفِيَهُ من الشخوص إليه ، وأن يُقَرِّه على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غَنَاءًا على المسلمين .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٦ )

## ٩٥ - وصية السيدة زبيدة لعلي بن عيسى بن ماهان

وَمَنَى الشَّريين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشًا كثيفًا بقيادة علي بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشًا بقيادة طاهر بن الحسين ، فلما أراد على الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة زُبَيْدَةَ <sup>(٢)</sup> والدة الأمين فودَّعها ، فقالت له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين ، وإن كَانَ ولدي ، إليه تناهت شفقتي ، وعليه تكامل حِذْرِي ، فَإِنِّي على عبد الله مُنْعَطِفَةٌ مُشْفِقَةٌ لِمَا يَحْدُثُ عَلَيْهِ من مكروه وأذى ، وإِنَّمَا ابْنِي مَلِكٌ نَافَسَ أَخَاهُ في سلطانه ، وَغَارَاهُ <sup>(٣)</sup> على ما في يده ، والكريم يؤكل لحمه ، وَيُؤَيِّمُهُ غَيْرُهُ ، فَاعْرِفْ لِعَبْدِ اللَّهِ حَقَّ والده وأخوته ، ولا تَجَبَّهْ <sup>(٤)</sup> بالكلام ، فَإِنَّكَ لست نظيره ، ولا تَقْتَسِرْهُ <sup>(٥)</sup> اقتسار العبيد ، ولا تُرْهِهْ <sup>(٦)</sup>

[١] الثمر : موضع الخافقة من فروج البلدان . [٢] هي السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن النصور .

[٣] في الأصل : « غاره » وأراه عرفا من « غراه » ، غارجه مفارقة وغراه : لاجيته .

[٤] جبّه كنهه : لقبه بما يكره . [٥] قسره واقسره : قهره .

[٦] أرهه : أضغفه ، وفي الفري : « ولا توهنه » وأوهنه : أضغفه أيضا ، والنل : القيد

بقيد ولا غُلٌّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تمنع عليه في السير ، ولا تساور في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقل على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شمتك فاحتمل منه ، وإن سَفِه عليك فلا تراءه .

ثم دفعت إليه قيداً من فِصَّة ، وقالت : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٩ ، والفهرى ص ١٩٥ )

## ٩٦ - وصية الأمين لابن ماهان

وخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد ( في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ ) وخرج معه الأمين يشيعه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أَمْنَعُ جُنْدَكَ مِنَ الْمَبَثِّ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالْفَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيِ ، وَقَطْعِ الشَّجَرِ ، وَاتِّهَاكِ النِّسَاءِ ، وَوَلِّ أَرِيَّ يَحْيَى بْنَ عَلِيٍّ <sup>(١)</sup> ، وَاضْمُمْ إِلَيْهِ جَنْدًا كَثِيفًا ، وَثَرِّمِهِ لِيُدْفَعَ إِلَى جَنْدِهِ أَرْزَاقَهُمْ مِمَّا يَحْيَى . مِنْ خَرَّاجِهَا ، وَوَلِّ كُلَّ كُورَةٍ تَرَحَّلَ عَنْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْ جَنْدِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ وَوَجَّهَهَا فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَلَا تَعَاقِبْ أَخَا بَأَخِيهِ ، وَضَعْ عَنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ رِيعَ الْخُرَّاجِ ، وَلَا تَأْمَنْ أَحَدًا رِمَاكَ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعْنٍ فِي أَصْحَابِكَ بِرِمْحٍ ، وَلَا تَأْذَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَشْخَصْتَهُ ، فَلْيَكُنْ مَعَ أَوْثَقِ أَصْحَابِكَ عِنْدَكَ ، فَإِنْ غَرَّهُ الشَّيْطَانُ فَنَاصَبَكَ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَأْسِرَهُ أَشْرًا ، وَإِنْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى بَعْضِ كُورِ خُرَّاسَانَ ، فَتَوَلَّ إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِنَفْسِكَ ، أَقْصَمْتُ كُلَّ أَوْصِيكَ بِهِ » .

قال: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين، قال: سر على بركة الله وعونه.

(تاريخ الطبري ١٠: ١٥٠)

## ٩٧ - استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان، فلما جاز حُلوانَ، لَقِيَتْهُ القوافل من خُرَاسان، فكان يسألها عن الأخبار، فيقال له: إن طاهراً مقيم بالرّى، يَعْرِضُ أصحابه، وَيَرْمِي<sup>(١)</sup> آتِه، فيضحك ثم يقول:

«وما طاهر؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني، أو شرارة من ناري، وما مثل طاهر يتولّى على الجيوش، ويلقى الحروب»، ثم التفت إلى أصحابه فقال: «والله ما بينكم وبين أن ينقص انتصاف الشجر من الريح العاصف، إلا أن يبلغه غُبُورُنا عقبه<sup>(٢)</sup> هَمْدَان، فإن السَّخَالَ<sup>(٣)</sup> لا تقوى على نِطَاح الكِبَاش، والثعالب لا ضبر لها على لقاء الأسد، فإن يُقِمَّ طاهر بموضعه يكن أول معرُضٍ لِطُغْيَاتِ<sup>(٤)</sup> السيوف وأُسْنَةِ الرماح».

وسار حتى صار في أول بلاد الرّى، وأتاه صاحب مقدّمته وقال: «لو كنت - أبق الله الأمير - أذَكَيْتَ العيون، وبعثت الطلائع، وارتدّت موضعاً تُعَسْكَرُ فيه، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به، كان ذلك أبلغ في الرّأى، وأنسَ للجند».

قال: «لا، ليس مثل طاهر يستمعد له بالمكايد والتحفّظ، إن حال طاهر تُثَوِّلُ إلى أحد أمرين، إما أن يتحصّن بالرّى، فينبّهته<sup>(٥)</sup> أهلها، فيكفونامثوتته،

[١] يصلح. [٢] العتبة: مرق صعب من الجبال. [٣] السخال جمع سحلة بالفتح: وهو ولد الفم ذكر أو أنثى. [٤] الطغيات جمع طبة وهي حد السيف. [٥] بهته كمنه: أخذه بقدة، قال تعالى: «بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ»، وفي مروج الذهب: «فينب به».

أَوْ يُخَذِّلُهَا وَيُذْبِرُ رَاجِعًا لَوْ قَرُبَتْ خِيُولُنَا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ .

وَأَنَاهُ بِحِجِّي بْنِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : « اجْمَعْ مَتَفَرِّقِ الْمُسْكَرَ ، وَاحْذَرِ عَلَى جَنْدِكَ الْبِيَاتَ ، وَلَا تَسْرِحِ الْخَيْلَ إِلَّا وَمَعَهَا كَنْفٌ <sup>(١)</sup> مِنَ الْقَوْمِ ، فَإِنَّ الْمَسَاكِرَ لَا تُسَاسُ بِالْتَوَانِي ، وَالْحُرُوبَ لَا تَدْبَرُ بِالْإِغْتِرَارِ ، وَالثَّقَّةُ أَنْ تَحْتَرِزَ ، وَلَا تَقْلَ : الْحَارِبُ لِي طَاهِرٌ ، فَالْشَّرَارَةُ الْخَفِيَّةُ رُبَّمَا صَارَتْ ضِرَامًا <sup>(٢)</sup> ، وَالثَّمَلَةُ مِنَ السَّيْلِ رُبَّمَا اغْتَرَبَتْ بِهَا وَتُهْمُونَ ، فَصَارَتْ بَحْرًا عَظِيمًا ، وَقَدْ قَرُبْتُ عَسَا كَرْنَا مِنْ طَاهِرٍ ، فَلَوْ كَانَ رَأْيُهُ الْمَرْبَ لَمْ يَتَأَخَّرْ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قَالَ : اسْكُتْ ، فَإِنَّ طَاهِرًا لَيْسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَى ، وَإِنَّمَا يَتَحَفَظُ الرِّجَالُ إِذَا تَقَيَّتْ أَقْرَانُهُمْ ، وَتَسْتَعِدُّ إِذَا كَانَ الْمُنَاوِي <sup>(٣)</sup> لَهَا أَكْفَاهَا وَنَظَرَاهَا .  
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩)

## ٩٨ - حَزَمَ طَاهِرٌ وَقُوَّةَ عِزِّهِ

وَعَسَكَرَ طَاهِرٌ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الرَّيِّ ، وَأَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَلَاءِ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ جَنْدَكَ قَدْ هَابُوا هَذَا الْجَيْشَ ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفًا وَرَعْبًا مِنْهُ <sup>(١)</sup> ، فَلَوْ أَقَمْتَ بِمَكَانِكَ ، وَدَافَعْتَ الْقِتَالَ إِلَى أَنْ يَشَامَهُمْ <sup>(٢)</sup> أَصْحَابُكَ ، وَيَأْتَسُوا بِهِمْ ، وَيَسْرِفُوا وَجْهَ الْمَأْخِذِ فِي قِتَالِهِمْ » ، فَقَالَ :

« لَا ، إِنِّي لَا أُوتِي مِنْ قَلَّةِ تَجَرِبَةٍ وَحَزَمٍ ، إِنَّ أَصْحَابِي قَلِيلٌ ، وَالْقَوْمُ عَظِيمٌ سَوَادُهُمْ ، كَثِيرٌ عَدْدُهُمْ ، فَإِنْ دَافَعْتُ الْقِتَالَ ، وَأَخَّرْتُ الْمُنَاجَزَةَ ، لَمْ آمَنْ أَنْ يَطْلُعُوا عَلَى قُلْتِنَا وَعُورَتِنَا ، وَأَنْ يَسْتَمِيلُوا مَنْ مَعِيَ بِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ ، فَيَنْفِرَ عَنِّي

[١] الكنف : الجماعة . [٢] الفرام : اشتعال النار في الحلقاء وغيرها ، ودقائق المطالب . لذي  
يسرع اشتعال النار فيه . [٣] المناوي .

[٤] وكانت عدة عسكر ابن ماهان خمسين ألفًا ، وذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكرا كان أكثر رجالا ، وأقرب كراما ، وأظهر سلاحا ، وأتم عدة ، وأكل هيئة من عسكره ، وروى أن طاهرا كان في أقل من أربعة آلاف . [٥] شاما وتشاما : ضم أحدهما الآخر ، وللمنى اقتربا .

أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن ألف الرجال بالرجال ،  
والْحِم (١) الخيل بالخيال ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صَبْرَ مُحْتَسِبٍ للخير ،  
حريصٍ على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يَرْزُقَ الله الظفر والْفَأْج (٢) ، فَذَلِكَ  
الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فلست أول من قاتل قَتْلًا ، وماعند الله  
أَجْزَلُ وَأَفْضَلُ . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٠١)

## ٩٩ ... طاهر يشد عزيمته جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتابته ، وَكَرَدَسَ كَرَادِيْسَهُ (٣) ، وسوَّى صفوفه ،  
وجعل يَمْرَ بِقَائِدٍ قَائِدًا ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين تَرَوْنَ من  
أهل الثَّكُوتِ والندَر ، إن هؤلاء ضيَّعُوا مَا حَفِظْتُمْ ، وصَفَّرُوا مَا عَظَّمْتُمْ ، ونَكثُوا  
الْأَيْمَانَ الَّتِي رَعَيْتُمْ ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقاتلون على الندَر والجهل ، أصحاب  
سَنَابٍ وَنَهَبٍ ، فلو قد غَضَضْتُمْ الْأَبْصَارَ ، وَأَثْبَتُمْ الْأَقْدَامَ ، قَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ ،  
وَفَتَحَ عَلَيْكُمْ أَبْوَابَ عِزِّهِ وَنَصْرِهِ ، فَجَالِدُوا طَوَاغِيتَ (٤) الْفِتْنَةِ ، وَيَمَاسِيبَ النَّارِ  
عَنْ دِينِكُمْ ، وَدَافِعُوا بِحَقِّكُمْ بِاطْلِمِهِمْ ، فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ  
وهو خير الحاكمين . »

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وَقَتِلَ (٥)

[١] أى أقرن الخيل بالخيال ، من قولهم : ألحَّت الحرب فالتحمت ، والملمع فم الميم وفتح الحاء : الماصق  
بالقوم ، ولحم الشيء بالشيء : ألصقه به . [٢] الفوز والظفر . [٣] الكراديس جمع كردوسة  
بالضم ، وهي القطعة العظيمة من الخيل ، وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة .

[٤] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال ، واليما سيب جمع يسوب : وهو الرئيس  
الكبير . [٥] روى أن نبي على بن عيسى ورد إلى الأمين وهو على الشط يعيد السك ، فقال للذي  
أخبره : ويك دعني ، فإن كثرتا قد اسطاد سمكتين ، وأنا ما اسطدت شيئا بسد - وكان كثر خلدا  
خصيا له وكان يحبه - .

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،  
فهزم وقتل أيضاً . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٢ )

## ١٠٠ — وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

ونذب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد  
ابن يزيد ، قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده  
رُقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :

« ينام نوم الظربان »<sup>(١)</sup> ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته قرجه ،  
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،  
وشغله قدحُه ، فهو يجري في لهوه ، والأيام تُسرع .<sup>(٢)</sup> في هلاكه ، قد شمر  
عبدُ الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب<sup>(٣)</sup> أسمه ، يرميه على بعد الدار بالتحف  
النافذ ، والموت القاصد<sup>(٤)</sup> ، قد عي له المنايا على مُتون الخيل ، وناط<sup>(٥)</sup> له البلاء  
في أسنة الرماح ، وشفار السيوف .

ثم استرجع وتغلل بأبيات للبعيث<sup>(٦)</sup> ، ثم التفت إلى فقال :

« يا أبا الحارث ، إنا وإياك لنجری إلى غاية ، إن قصرنا عنها ذمنا ، وإن  
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قويننا ، وإن

[١] الظربان : دوية فوق جرو الكلب مثقلة الريح كثيرة الفس ، يضرب بها المثل فيقول : « أفسى من  
ظربان » . [٢] في الأصل « تضرع » وأراه محرفاً . [٣] أصيب : أفضل من صاب السهم يصيب  
صيا : أي أصاب ، وصم صيوب كصبور . [٤] اتقاصد أي الكاسر ، من القصد بالفتح : وهو  
الكر بأى وجه كان ، أو بالنصف ، كالنصف ، يقال قصد الحقة وقصدها : كسرهما وفصلها فنقصت .  
[٥] علق . [٦] هو خدش بن بشر المجاشعي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى جريراً .



ضَعُفُ ضَعْفَنَا ، إِنْ هَذَا قَدْ أَلْقَى يَدَهُ إِلَاءَ الْأَمَةِ الْوَكْفَاءِ <sup>(١)</sup> ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ،  
وَيَعْتَمِدُ عَلَى الرُّوْيَا ، وَقَدْ أَمَكَّنَ أَهْلَ اللَّهِوِ وَالْخُسَارَةَ مِنْ مَعَمِهِ ، فَهَمْ يَمْعِدُونَهُ  
الظَّفَرَ ، وَيَعْتُونَهُ عُقْبَ <sup>(٢)</sup> الْأَيْلَامِ ، وَالْهَلَاكَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنَ السَّيْلِ إِلَى قِيَعَانِ <sup>(٣)</sup>  
الرَّمْلِ ، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ تَهْلِكَ بِهِلَاكِهِ ، وَنَعَطَبُ بِعَطَبِهِ .

وَأَنْتَ فَارِسُ الْعَرَبِ وَابْنُ فَارِسِهَا ، وَقَدْ قَزَحَ إِلَيْكَ فِي لِقَاءِ هَذَا الرَّجُلِ  
(طَاهِر) ، وَأَطْمَعُهُ فِيمَا قَبْلَكَ أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَصِدْقُ طَاعَتِكَ ، وَفَضْلُ  
نَصِيحَتِكَ ؛ وَالثَّانِي يُؤْمِنُ تَقْيِينَتَكَ <sup>(٤)</sup> ، وَشِدَّةَ بَأْسِكَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِإِزَاحَةِ عِلَّتِكَ ،  
وَبَسْطِ يَدِكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ ، غَيْرَ أَنْ الْاِقْتِصَادَ رَأْسَ النِّصِيحَةِ ، وَمِفْتَاحَ الْيُؤْمَنِ  
وَالْبَرَكَاتِ ، فَأُنْجِزْ حَوَائِجَكَ ، وَعَجِّلِ الْمَبَادِرَةَ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّيكَ  
اللَّهُ شَرَفَ الْفَتْحِ ، وَيَلْمُ بِكَ شَعَمَتَ هَذِهِ الْخِلَافَةِ وَالْدَوْلَةِ .

فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ طَلَبَ مَطَالِبَ لَمْ تَرُقْ فِي عَيْنِ الْأَمِينِ  
فَفَضِيبَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ . (تَارِيخُ الطُّبْرِى ١٠ : ١٥٨ ، وَزَمَرُ الْأَدَابِ ٢ : ١٥٨)

### ١٠١ - وَصِيَّةُ الْأَمِينِ لِأَحْمَدَ بْنِ مَزِيدَ

ثُمَّ نَدَبَ عَمَّهُ أَحْمَدَ بْنَ مَزِيدَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْصُ دَخَلَ عَلَى الْأَمِينِ ، فَقَالَ :  
أَوْصِنِي أَكْرَمَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :

« أَوْصِيكَ بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالْبَنَى فَإِنَّهُ عِقَالُ <sup>(٥)</sup> النِّصْرِ ، وَلَا تَقْدِّمْ  
رَجُلًا إِلَّا بِاسْتِخَارَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ سَيْفًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ ، وَمَهْمَا قَدِّرْتَ عَلَيْهِ بِاللَّيْنِ ،

[١] وَصَفَ مِنَ الْوَكْفِ بِالْتَحْرِيكِ : وَهُوَ الْإِيْمُ وَالْعَيْبُ وَالنَّقْصُ ، وَكَفَّ كَفْرَحَ إِذَا أَمَّ ، وَفِي رِوَايَةِ  
الطُّبْرِى « الْوَكْمَاءُ » بِالْعَيْنِ ، وَهِيَ الْحَمَاءُ . [٢] الْقَبْ كَقَفْلٍ وَعَقَى : الْمَاكِةُ .  
[٣] الْقِيَعَانُ جَمْعُ قَاعٍ : وَهُوَ أَرْضٌ مَطْبُونَةٌ سَهْلَةٌ قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْهَا الْجِبَالُ وَالْأَكْلَامُ .  
[٤] النَّقِيَّةُ : النَّفْسُ وَالطَّيِّبَةُ . [٥] الْعِقَالُ فِي الْأَصْلِ : الْحَبْلُ الَّذِي تَفِيدُ بِهِ الدَّابَّةَ

فلا تتمدَّه إلى الخَرْقِ والشَّرْمِ، وأحسنِ صحَابَةَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الجُنْدِ ، وطالِغْنِي بِأخبارِكَ  
في كلِّ يومٍ ، ولا تخاطرِ بنفسِكَ طلبَ الزُّلْفَةِ<sup>(١)</sup> عِنْدِي ، ولا تستَقْهَا فيما تَخَوَّفُ  
رجوعَهُ عَلَيَّ ، وكنْ لعبدِ الله أَخًا مَصَافِيًا ، وقرِينًا بَرًّا ، وأحسنِ مجامعَتَهُ ،  
وصحبَتَهُ ومعاشرَتَهُ ، ولا تَحْذُلْهُ إِنْ اسْتَنْصَرَكَ ، ولا تَبْطِئْ عَنْهُ إِذَا اسْتَصْرَخَكَ ،  
ولتكنْ أَيْدِيكَما<sup>(٢)</sup> وَاحِدَةً ، وكَلِمَتُكَا مُتَّفَقَةً .

وتوجه أحمد بن مَرْزِد في عشرين ألفًا من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن  
قَحْطَبَةَ في عشرين ألفًا من الأبناء ، حتى نَزَلَ خَاتِئِينَ - قَرِيبًا مِنْ خُلَوَان - ولم يزل  
طاهر يَحْتَال في وقوع الاختلاف والشَّغَبِ بَيْنَهُمْ ، حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ،  
وقاتل بعضهم بعضًا ، فَأَخْلَوْا خَاتِئِينَ وَرَجَعُوا عَنْهَا ، دونَ أَنْ يَلْقَوْا طَاهِرًا .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٩)

## ١٠٢ - مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر الأمين تخليّة سبيله ، ويُوجب بذلك على  
نفسِهِ طاعته ونصيحته ، فلما قَوِيَ طاهر ، واستعلى أمرُهُ ، وهزمَ مَنْ هَزَمَ مِنْ  
قَوَادِ الْأَمِينِ وجيوشه ، دخل عبد الملك على الأمين ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنِّي أَرَى النَّاسَ قَدْ طَمِعُوا فَيْكَ ، وَأَهْلُ الْعَسْكَرِينَ قَدْ  
اعْتَمَدُوا ذَلِكَ ، وَقَدْ بَذَلْتَ صِمَاحَتَكَ ، فَإِنْ تَمَتَّ عَلَى أَمْرِكَ أَفْسَدَتْهُمْ وَأَبْطَرَتْهُمْ ،  
وإِنْ كَفَفْتَ أَمْرَكَ عَنِ الْعَطَاءِ وَالبَذْلِ أَسْخَطَتْهُمْ وَأَغْضَبَتْهُمْ ، وَلَيْسَ تُمْلِكُ  
الْجُنُودَ بِالْإِمْسَاكِ ، وَلَا يَبْقَى ثَبُوتُ الْأَمْوَالِ عَلَى الْإِنْفَاقِ وَالسَّرْفِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنْ  
جُنْدُكَ قَدْ رَغَبَتْهُمْ الْهَزَائِمُ وَنَهَكَتْهُمْ ، وَأَضْعَفَتْهُمْ الْحَرْبُ وَالْوَقَائِعُ ، وَامْتَلَأَتْ

[١] الزلفة والزلى : الفرية . [٢] أى أنت وعبد الله بن حميد بن قحطبة .

قلوبهم هيبةً لعدوم ، وَنُكُولاً<sup>(١)</sup> عن لقاءهم ومناهضتهم ، فَإِنْ سَيَّرْتَهُمْ إِلَى طَاهِر ، غَلَبَ بَقِيلٌ مَنْ مَعَهُ كَثِيرٌ ، وَهَزَمَ بِقُوَّةِ نَيْتِهِ ضَعْفَ نَصَائِحِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ قَوْمٌ قَدْ هَرَسَتْهُمْ<sup>(٢)</sup> الْحُرُوبُ ، وَأَذَبَتْهُمْ الشَّدَائِدُ ، وَجَلَّتْهُمْ مَنَاقِدُ إِلَى<sup>(٣)</sup> ، مَسَاجِعِ إِلَى طَاعَتِي ، فَإِنْ وَجَّهْنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اتَّخَذْتُ لَهُ مِنْهُمْ جُنْدًا يَعْظُمُ نِكَائِثُهُمْ فِي عَدُوهِ ، وَيُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ .

فَقَالَ الْأَمِينُ : « فَإِنِّي مُؤَلِّكُ أَرْحَمَ ، وَمُقَوِّيكُ بِمَا سَأَلْتَ مِنْ مَالٍ وَعُدَّةٍ ، فَمَجِّلُ الشُّخُوصِ إِلَى مَا هُنَاكَ ، فَاعْمَلْ صَلاَ يَظْهَرُ أَثَرُهُ ، وَيُحْمَدُ بَرَكَتُهُ ، بِرَأْيِكَ وَنَظَرِكَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، فَوَلَّاهُ الشَّامَ وَالْجَزِيرَةَ .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٠٣)

### ١٠٣ - الشغب في جيش عبد الملك بن صالح

وَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ الرَّفَّةَ<sup>(١)</sup> ، كَتَبَ إِلَى رُؤَسَاءِ أَجْنَادِ الشَّامِ وَوُجُوهِ الْجَزِيرَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ بُرِّجَتْ ، وَيَذْكُرُ بِأَسْئِهِ وَغَنَاؤِهِ إِلَّا وَعَدَهُ ، وَبَسَطَ لَهُ فِي أَمَلِهِ وَأَمْنِيَّتِهِ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ رِثَسًا بِمَدِّ رِثَسِ ، وَجَمَاعَةً بِمَدِّ جَمَاعَةٍ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَجَازَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ ، فَأَتَاهُ أَهْلُ الشَّامِ ، وَالرُّوَّاقِيلُ وَالْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ، وَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ حَتَّى كَثُرُوا ، بَيَّتَ أَنَّهُ شَبَتِ نَارُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ جُنْدِ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَبَيْنَ الرُّوَّاقِيلِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى تِلَاحِهِمْ وَاقْتِصَالِهِمْ ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِصَصٍ ، فَقَالَ :

[١] جينا وخوطا . [٢] جريتهم وأحكمتهم .

[٣] بعد على الررات . [٤] وسببها أن بعض جند أهل خراسان نظر إلى دابة كانت قد أخذت منه في إحدى الوقعات تحت بعض الرواقيل ، فتنقلق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلفا ، واجتمعت جماعة من الرواقيل والجند فتلاحوا ، وأطان كل فريق منهم صاحبه ، ثم اتسع لطاق الفتنة فالتقت وحدة الجيش .

« يَأْهَلْ حِصص ، الْمَرْبُ أَهَوْنُ مِنَ الْمَطَب ، والموت أَهَوْنُ مِنَ الذِّل ،  
إِنَّكُمْ بَعْدْتُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَخَرَجْتُمْ مِنْ أَقَالِيكُمْ ، تَرْجُونَ الْكَثْرَةَ بَعْدَ الثَّلَا ، وَالْعَزَّةَ  
بَعْدَ الذَّلَّةِ ، أَلَا وَفِي الشَّرِّ وَقَعْتُمْ ، وَإِلَى حَوْمَةِ الْمَوْتِ أُتِخْتُمْ ، إِنْ الْمَنَآيَا فِي شَوَارِبِ  
الْمَسْوَدَةِ <sup>(١)</sup> وَقَلَانِيهِمْ ، النَّفِيرُ النَّفِيرُ <sup>(٢)</sup> قَبْلَ أَنْ يَنْقَطَعَ السَّبِيلُ ، وَيَنْزِلَ الْأَمْرُ  
الْجَلِيلُ ، وَيَفُوتَ الْمَطْلَبُ ، وَيَسُورَ الْمَذْهَبُ ، وَيَعْدُ الْعَمَلُ ، وَيَقْتَرِبُ الْأَجَلُ » .  
وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا مُشْرِكُ كَلْبٍ ، إِنَّهَا الرَايَةُ السَّوْدَاءُ ، وَاللَّهُ مَا وَآتَتْ وَلَا عَدَلَتْ ، وَلَا ذَلَّ  
نَصْرُهَا ، وَلَا ضَعُفَ وَلِيَّهَا ، وَإِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ سَيُوفِ أَهْلِ خِرَاسَانَ فِي  
رِقَابِكُمْ ، وَأَنَارَ أَسْتَنْتُمْ فِي صُدُورِكُمْ ، اعْتَزِلُوا الشَّرَّ قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ ، وَتُخْطَوْهُ قَبْلَ  
أَنْ يَضْطُرَّكُمْ ، شَأْمُكُمْ ، دَارَكُمْ دَارَكُمْ ، الْمَوْتُ الْفَلَسْطِينِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْجَزْرِيِّ ،  
أَلَا وَإِنِّي رَاجِعٌ فَمَنْ أَرَادَ الْإِنصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مَعِيَ » .

ثُمَّ سَارَ وَسَارَ مَعَهُ حَامَةُ أَهْلِ الشَّأْمِ ، وَأَقْبَلَتْ الزَّوَاقِلُ حَتَّى أَضْرَمُوا مَا كَانَ  
يُجْمَعُ مِنَ الْأَعْلَافِ بِالنَّارِ ، ( وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩٦ هـ ) .

( تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٠ : ١٦٢ )

#### ١٠٤ - خُطْبَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى بْنِ مَاهَانَ

يَدْعُو إِلَى خُلْعِ الْأَمِينِ

وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ بِالرَّقَّةِ ، وَكَانَ مَعَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى  
ابْنُ مَاهَانَ ، فَأَقْبَلَ الْجَنْدُ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِالْتَّكْرِمَةِ وَالتَّعْظِيمِ ،  
وَضَرَبُوا لَهُ الْقُبَابَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوَادِ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْأَشْرَافُ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ  
فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ :

[١] كَانَتِ الْجُنُودُ الْخِرَاسَانِيَّةُ الَّتِي تَقَاتِلُ الْأُمَوِيَّينَ فِي سَبِيلِ لَعْنِ الدَّوَّةِ الْبَاسِيَّةِ يَعْمَلُونَ الرَّايَاتِ السَّوْدَ  
نَحْوًا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ السَّوْدَةِ . [٢] عَمَرَ إِلَى الْأَمْرِ كَخَرْبٍ نَقِيرًا : أَسْرَعَ إِلَيْهِ .

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تُجَاوَزُ بالبطر ، ونِعْمَ لَا نَسْتَصْحَبُ  
بالتجبر والتكبر ، وإن محمدًا يريد أن يُوتَعَ <sup>(١)</sup> أديانكم ، وينكث بينكم ، ويفرق  
جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواويل بالأمس ، وبالله إن  
طالت به مدة ، وراجعه من أمره قوة ، ليرجعن ويال ذلك عليكم ، وليعرفن  
ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم ، فاطمئنا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضمو  
عزّه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصرٌ إلا خذل ، ولا يمنعه مانع  
إلا قُتِل ، وما عند الله لأحد هَوَادَةٌ ، ولا يراقب على الاستخفاف بهوده ،  
والْحِنثُ بِأَيْمَانِهِ .

وخلع الحسين بن علي محمدًا الأمين وجبسه <sup>(٢)</sup> ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

### ١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى

فلما أصبح الناس من الند ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج  
الناس بمضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :

« أيها الناس ، والله ما أدري ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ،  
ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سِنًا ، ولا أكرمنا حَسَبًا ، ولا أعظمنا  
منزلةً ، وإن فينا من لا يَرْضَى بالدنيّة ، ولا يُقَاد بالخداعة ، وإني أولُكم ،  
تقض عهدَه ، وأظهر التفسيرَ عليه ، والإنكار لفعله ، فمن كان رأيُه رأيي :

فليعتزل معي . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوتع دینه بالإيم : أهده ، وأوتنه الله : أهلكه .

[٢] وكان حبس الحسين محمدًا الأمين في قصر أبي جعفر يومئذ .

## ١٠٦ - إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحرّبيّ، فقال: « يا معشر الحرّية، هذا يومٌ له ما بَعْدَه، لأنكم قد نَحِثُم وطال نومكم، وتأخّرتُم فَعُدُّم عليكم غيرُكم، وقد ذهب أُنوامٌ بِذِكْرِ خلعِ محمد وأُسره، فاذهبوا بِذِكْرِ فَكِّهِ وإِطلاقِهِ » .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكِفَايَةِ على فرس، فصاح بالناس: اسكتوا، فسكتوا، فقال:

« أيها الناس، هل تعتدُّون على محمد بقطعِ منه لأرزاقكم؟ قالوا: لا، قال: فهل قَصَّرَ بأحد منكم، أو من رؤسائكم وكبرائكم؟ قالوا: ما عَلِمْنَا، قال: فهل عَزَلَ أحداً من قَوَّادِكُم؟ قالوا: معاذَ الله أن يكون فعل ذلك، قال: فما بالكم خذَلْتُمُوهُ، وأَعْتَمَ عَدُوَّهُ على اضطهادِهِ وأُسره؟ أمّا والله ما قَتَلَ قومٌ خليفَتَهُم قَطُّ، إلا سَلَطَ اللهُ عليهم السيفَ القاتِلَ، وَالْحَتَفَ الجارِفَ، انهبوا إلى خليفَتكم وادفموا عنه، وقَاتِلُوا من أراد خَلْعَهُ والْفَتِكَ بِهِ » .

فنهضوا معه وقَاتَلُوا الحسين بن عليٍّ وأصحابه قتالاً شديداً، وأكثرُوا في أصحابه الجِراحَ، وأَسْرَوْا الحسينَ، ودخل أسد الحرّبيّ على محمد فكسر قيوده، وأَقْعَدَهُ في مجلسِ الخِلافةِ .

وَأَتَى الأمين بالحسين بن عليٍّ، فَلَاحَهُ على خِلافِهِ وقالَ لَهُ: أَلَمْ أَقْدِمُ أَبُكَ على الناسِ، وَأَوَّلُهُ أَعْنَةُ الخِيَلِ: وَأَمْلَأُ يَدَهُ مِنَ الأَمْوَالِ، وَأَصْرَفُ أَقْدَارَكُمْ في أَهْلِ خِرَاسَانَ، وَأَرْفَعُ مَنَازِلَكُمْ على غيركم من القَوَادِ؟ قال: بلى. قال: فما لَذي اسْتَحَقَّقْتُ بِهِ مِنْكَ أَنْ تَخْلَعَ طَاعَتِي، وَتُوَأَّبَ النَّاسَ علىَّ. وَتَنْدُبَهُم إلى قتالي؟

قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، ولألك الطلب بئارك ، ومن قُتِلَ من أهل بيتك ، ثم دعا له بخِلمة ، فخلعها عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى حُلوان ، وخرج الحسين ، فهرب في قَرَمٍ من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . ( تاريخ الطبري : ١٠ : ١٦٤ )

## ١٠٧ — خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى <sup>(١)</sup> إلى مكة والمدينة - وكان خطيباً فصيحاً جهوري الصوت - يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أنفضت الخلافة إليه بيت به والياً على مكة والمدينة ، فأقام والياً عليها حتى دخلت سنة ١٩٦ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بخلع عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وبث إلى الكتائب الذين كان الرشيد كتبها وعلقها في الكعبة ، فأخذها ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشين والفقهاء ، ومن كان شهد على مائى الكتائب من اليهود - وكان داود أحدهم - فقال داود : قد علم ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد والميثاق ، عند بيت الله الحرام ، حين يابنا لابنيه لتكون مع المظلوم منها على الظالم ، ومع المبني عليه على الباغي ، ومع المنذور به على النادر ، فقد رأينا ورأيتم أن محمداً ( الأمين ) قد بدأ بالظلم والبي والعدو على أخويه عبد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، وخلصهما ، وباع لابنه الطفل رضيع صغير لم يظم ، واستخرج الشرطين من الكعبة عاصياً ، فخرهما بالنار ، وقد رأيت خله ، وأن أباي لعبد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مظلوماً مبنياً عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا تبع لرايك ، ونحن خالوهم ملك ، فنجع الناس ، وخطبهم هذه الخطبة .

أما بعد ، يا أهل مكة ، فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأشيرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وَفَدَ اللهُ <sup>(١)</sup> ، وإلى قبيلتكم يَأْتُمُ المسلمون ، وقد عَلِمْتُمْ ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لَتَنْصُرُنَّ المظلومَ منهما على الظالم ، والمبني عليه على الباغي ، والمغدور به على النادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبنى والفدر ، وخالف الشروط التي أعطاهها من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لنا ولكم خَلْعُهُ من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبنى عليه ، المغدور به ، ألا وإني أشهدكم أني قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قَلَنْسُوْتِي هذه من رأسي - وخلع قَلَنْسُوْتِهِ عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةٍ <sup>(٢)</sup> . سلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - ثم قال : قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفكم ، فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٠ )

## ١٠٨ - خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من اتقواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :

[١] أى لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حبرة : ضرب من البرود اليمنية ، يقال : برود حبرة مثل عنبه على الوصف والإضافة ، وبرود حبرة : وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو وشم كقولك : ثوب قرمز ، والقرمز : صبغه .



« الحمد لله الذي يرفع ويضع ، وَيُعْطِي وَيَمْنَع ، وَيَقْبِضُ وَيَنْسُط ، وإليه  
المصير ، أحمدّه على نوائب الزمان ، وَخِذْلَانِ الْأَعْوَان ، وَتَشَتُّتِ الرِّجَال ، وَذَهَابِ  
الْأَمْوَال ، وَخُلُولِ النِّوَابِ ، وَتَوَقُّدِ الْمَصَائِب ، حَمْدًا يَدَّخِرُنِي بِهِ أَجْزَلَ الْجَزَاء ،  
وَيَرْفِدُنِي <sup>(١)</sup> أَحْسَنَ الْقَزَاء ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَمَا  
شَهِدَ لِنَفْسِهِ ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْأَمِين ، وَرَسُولُهُ إِلَى  
الْمُسْلِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السَّبْقِ إِلَى الْهُدَى ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ غَفْلَتِي  
كَانَتْ أَيَّامَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيْعِ وَزَيْرٍ عَلَى وَمَشِيرٍ ، فَادَّتْ <sup>(٢)</sup> بِهِ الْأَيَّامُ بِمَا تَزِمُنِي  
بِهِ مِنَ النَّدَامَةِ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، إِلَى أَنْ نَيْمَتُمُونِي فَأَنْتَبَهْتُ ، وَاسْتَعْتَمُونِي فِي  
جَمِيعِ مَا كَرِهْتُمْ مِنْ نَفْسِي وَفِيكُمْ ، فَبَذَلْتُ لَكُمْ مَا حَوَاهُ مُلْكِي ، وَنَالَتهُ مَقْدَرِي ،  
مِمَّا جَمَعْتُهُ وَوَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي ، فَقَوَّدْتُ <sup>(٣)</sup> مَنْ لَمْ يَحْزَ ، وَاسْتَكْفَيْتُ مَنْ لَمْ يَكْفِ ،  
وَاجْتَهَدْتُ - عِلِّمَ اللَّهُ - فِي طَلَبِ رِضَاكُمْ بِكُلِّ مَا قَدَّرْتُ عَلَيْهِ ، وَاجْتَهَدْتُ  
- عِلِّمَ اللَّهُ - فِي مَسَاءَتِي فِي كُلِّ مَا قَدَّرْتُمْ عَلَيْهِ ، مِنْ ذَلِكَ تَوْجِيحِي إِلَيْكُمْ عَلَى  
ابْنِ عِيسَى شَيْخِكُمْ وَكَبِيرِكُمْ ، وَأَهْلِ الرَّأْفَةِ بِكُمْ ، وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْكُمْ ، فَكَانَ مِنْكُمْ مَا يَطُولُ  
ذِكْرُهُ ، فَفَرَرْتُ الذَّنْبَ ، وَأَحْسَنْتُ وَاحْتَمَلْتُ ، وَعَزَيْتُ نَفْسِي عِنْدَ مَعْرِضِي  
بِشَنْوَذِ الطَّفَرِ ، وَحَرَصْتُ عَلَى مُقَامِكُمْ مَسْلُحَةً <sup>(٤)</sup> بِمُحْلُوانٍ مَعَ ابْنِ كَبِيرٍ صَاحِبِ  
دَعْوَتِكُمْ ، وَمَنْ عَلَى يَدَيْ أُمِّيهِ <sup>(٥)</sup> كَانَ تَغْرُكُمْ ، وَبِهِ تَمَّتْ طَاعَتُكُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدٍ  
ابْنُ قَضَبَةَ ، فَصَرْتُمْ مِنَ التَّائِبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، وَلَا صَبْرَ عَلَيْهِ ، يَقُودُكُمْ

[١] رَفَدَهُ وَأَرْفَعَهُ : أَعْطَاه . [٢] طَالُوهُ وَأَسْلَمَتْهُ . [٣] أَيْ أَخَذَتْهُ قَائِدًا .

[٤] الْمَسْلُحَةُ : الْقَوْمُ ذَوُو السِّلَاح . [٥] يَمْنَى جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدٍ بْنُ قَضَبَةَ ، وَهُوَ قِطْعَةٌ  
ابْنِ شَيْبَةَ الطَّائِي ، أَحَدُ السَّعَةِ الْمُبَاسِبَةِ وَالْفُرَادِ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْجِيُوشَ الْأُمَوِيَّةَ - انْظُرِ الْجُزْءَ الثَّانِي

رجل منكم وأتم عشرون ألفاً إلى عامين ، وعلى سيدكم متوئين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين عليّ ، تغلتموني وشتموني ، واتهمتموني وجبستموني وقيدتموني ، وأشياء منتموني من ذكرها ، حقدت قلوبكم ، وتلصقني طاعتكم أكبر وأكثراً ، فالحمد لله حمداً من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٥ )

## ١٠٩ - استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع<sup>(٣)</sup> لما ظفربه : « يا فضل ، أكان من حقّ عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أهلك وعندك أن تثلّبتني<sup>(٤)</sup> وتَسْبَيْني وتَحْرَضَ علي دى ؟ أتحبّ أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُذْرِي يُحَقِّدُكَ إِذَا كَانَ وَاضِحاً جليلاً ، فكيف إِذَا حَفَّتْهُ<sup>(٥)</sup> العيوبُ ، وقَبَحَتْهُ الذنوبُ ، فلا يضيّقُ عني مِنْ عَفْوِكَ ما وَسَّعَ غَيْرِي مِنْكَ ، فَأَنْتَ كَمَا قَالَ الشاعِرُ<sup>(٦)</sup> فيكَ :

صَفَوْحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا  
وَلَيْسَ يُبَالَى أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَنْشَأَ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] مسهل عن تلكؤ . [٢] توفي سنة ٢٠٨ . [٣] ثلّبه كضربه : لأمه وعابه .

[٤] مكنا في الأصل ، وربما كان « أخته » لقوله قبل : « إِذَا كَانَ وَاضِحاً » .

[٥] هو الحسن بن وجاء بن أبي الضمك .

## ١١٠ - خطبة ظاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين بغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بنى هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ . وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُسْذِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ غَلْبَتُنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَافَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَادًا لِدِينِهِ ، وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ ، وَصَبَّطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ الْمَنُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةِ ، وَجَمْعِ النَّفْيِ ، وَإِنْفَازِ الْحُكْمِ ، وَنَشْرِ الْعَدْلِ ، وَإِحْيَاءِ الشُّعَّةِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتِ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوقِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُخْلِدُ إِلَى الدُّنْيَا مَسْتَحْسِنٌ لِدَاعِي غُرُورِهَا ، مُحْتَلِبٌ دِرَّةً <sup>(١)</sup> نِعْمَتِهَا ، أَلْفٌ لَزَهْرَةٍ رَوْضَتِهَا ، كَلِفٌ بَرُونِقٍ بَهْجَتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وَفَاءِ مَوْعِدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَقِيَ عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَنَقَمَتِهِ ، لَمَّا نَكَبَ <sup>(٢)</sup> عَنْ عَوْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَهُ نَاهِيَهُ ، وَعَظَّمَتْهُ مُؤَدَّبَتُهُ ، فَنَمَسَكُوا بِدَقَائِقِ عُصْمٍ <sup>(٣)</sup> الطَّاعَةِ ، وَاسْتَلْكَوْا مَتَاحِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحْذَرُوا مَصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَّعُوا شَعَبَ الْأَلْفَةِ ، فَأَغَقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٦ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥٥ )

[١] الدرّة : اللّبن . [٢] عدل .

[٣] جمع عصام ككتاب ، وعصام القرية : رباطها وسيرها التي تحمل به .

## خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ - خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرو حين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :  
 « إن ثمرة العبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل  
 فائدة جليلة ، وتجارة مريجة ، فالمت حوضٌ مورود ، وكأس مشروب ، وقد  
 أت على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،  
 فما كان إلا عبداً دعي فأجاب ، وأمر فاطاع ، وقد سدد أمير المؤمنين كلمه ، وقام  
 مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ،  
 واغتنبوا بالنعماء والوفاء في خليفتم الباقي ، يأهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل  
 طالب ، وأمس واعظ ، واليوم منتقم ، وغد متظر » .

١١٢ - خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد  
 المنبر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني جمعتُ لله على نفسي ، إن أسترعاني أموركم أن أطيعه  
 فيكم ، ولا أسفك دماً عمداً لا تحيله حدوده ، ونسفك فرائضه ، ولا آخذ لأحد  
 مالا ، ولا أثاماً ، ولا نَحْلَةً <sup>(١)</sup> تحرّم عليّ ، ولا أحكم بهوى ، في غضبي ولا  
 رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلتُ لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ،

إِنِّي أَفِي رَغْبَةً فِي زِيَادَتِهِ إِيَّايَ فِي نِعْمَتِي ، وَرَهْبَةً مِنْ مَسْأَلَتِهِ إِيَّايَ عَنْ حَقِّهِ وَخَلْقِهِ ، فَإِنْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَلْتُ كُنْتُ لِلْغَيْرِ مُسْتَأْهِلًا ، وَلِلشَّكَالِ مُعَرَّضًا ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ ، وَأَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي الْمُمُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ .

### ١١٣ - خطبته يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمدُه وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحذره ، والعمل لما عنده ، والتنجز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يَسْلَمُ إِلَّا مِنْ اتِّقَاءِهِ وَرَجَائِهِ ، وَعَمَلٍ لَهُ وَأَرْضَاءِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا بَقِيَ بَعْدَ يَزُولِ عَنْكُمْ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بَكُمْ ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَمَ بَكُمْ ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَاتَّبَعُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرَكْكُمْ سُدًى ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، وَإِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِيهَا السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ ، لَجْدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ ، وَإِنْ غَائِبًا يَحْدُثُوهُ <sup>(١)</sup> الْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ ، وَإِنْ قَادِمًا يَحُلُّ بِالْفُوزِ أَوْ بِالشَّقْوَةِ لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ الْمُدَّةِ ، فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ ، وَنَصَحْ نَفْسَهُ ، وَقَدِّمْ تَوْبَتَهُ ، وَغَلِبْ شَهْوَتَهُ ، فَإِنْ أَجَلُهُ مُسْتَوْرٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يَزِينُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكِبَهَا ، وَيَعْنِيهِ التَّوْبَةُ لِيَسُوِّفَهَا ، حَتَّى تَهْجُمَ عَلَيْهِ

مَنْيَتُهُ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا ، فَيَالِهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ ، أَنْ يَكُونَ عَمْرُهُ عَلَيْهِ حِجَّةً ، أَوْ تَوَدُّدُهُ أَيَّامَهُ إِلَى شِقْوَةٍ ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مَنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ ، وَلَا تَقْصُرُهُ عَنْ طَاعَتِهِ غَفْلَةٌ ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَرْعَةً . إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، وَيُجِيبُهُ الْخَيْرَ ، وَإِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٤ - خطبته يوم الاضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرمة ، ووفق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خيله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المعدودات من النفر<sup>(١)</sup> ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ<sup>(٢)</sup> » فتقربوا إلى الله في

[١] يوم النفر : اليوم الذي ينفر فيه الناس من منى ، وهو بعد يوم القر ( ويوم القر بالفتح : اليوم الذي بعد يوم النحر ، لأن الناس يقرّون في منازلهم ) .

[٢] رجلا : أى مشاة ، جمع راجل كقيام وقيام ، وعلى كل ضامر : أى وركبانا على كل ضامر ، أى بهير مهزول ، يأتين : أى الضواصر ، صفة لضامر جلا على المعنى ، من كل فج عميق : أى طريق بعيد ، ليشهدوا منافع لهم : دينية ودنيوية ، في أيام معلومات : هى عمر ذى الحجة ، وقيل : أيام النحر ، من

هذا اليوم بذبائكم ، وعظموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ ، وارتفع جَزَاؤُ الْعَمَلَيْنِ<sup>(٢)</sup> ، وطالت مدة الفريقين ، اللَّهُ اللَّهُ ، فَوَافِهِ إِنَّهُ الْجِدُّ لَا اللَّعِبَ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص والصراف ، ثم العقاب والثواب ، فنجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

(حيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٤ ، والقدر الفريد ٢ : ١٤٨)

## ١١٥ - خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وسنة ، وابتهال ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيت الحرام ، فجعله خاتمة الشهر ، وأول أيام شهور الحج ، وجعله معقبا لمفروض صومكم ، ومُتَنَفِّلَ قِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يقال : « لَا كِبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ » ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي أَعْتَدَلْ فِيهِ يَقِينَكُمْ ، ولم يَحْتَضِرْ<sup>(٣)</sup> الشك في أحدكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لَا تُسْتَقَالُ بعده غُزْرَةٌ ، وَلَا تُحْطَرُّ قبله تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دونه ، ولا شيء بعده

بجدة الأنعام : الإبل والبقر والغنم التي تتحرر الضحايا ، ثم ليغضوا نفهم : أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم من نحو فس الأظفار ، وحلق العانة ، وغير ذلك . [١] أي يرفع إليه منكم العمل الصالح . [٢] أي عمل الخير وعمل الشر . [٣] يحضر

إِلَافُوقَهُ ، وَلَا يُبَيِّنُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَلَوِهِ <sup>(١)</sup> وَكَرْبِهِ ، وَلَا يَمِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ ، وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوَالِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَأَتِكَ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَاتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهْلَ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضِعَ مَوَازِينِكُمْ ، وَتَنْشُرَ صُحُفَكُمْ الْحَافِظَةَ لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُبَلِّغُ <sup>(٢)</sup> فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةَ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرُطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوَضَعَ الْكِتَابُ قَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ بِمَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ <sup>(٣)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَاصِيحِينَ » ، وَلَسْتُ أَنُهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مَا نَهَيْتُكُمْ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يَنْهَى عَنْهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَيْتُهُ أَعْيُنَكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذِمَّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ، وَنَهَى اللَّهُ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَقْرَأُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَلَا يَفْرُغُكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُورُ » ، وَقَالَ : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. الْآيَةُ » ، فَاسْتَفْعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا ،

[١] الملز : ما يهيب للريش عند حشجة الموت من وعدة واضطراب . [٢] يبل

[٣] القسط : العدل ، مصدر وصف به البالغة أو ذوات القسط .



واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فخذروا مَصَارِعَهَا ، وجَانَبُوا خُدَائِعَهَا ، وآثَرُوا طَاعَةَ الله فيها ، فَأَدْرَكُوا الْجَنَّةَ بما تركوا منها .

( عيون الأخبار ٧ : ص ٢٥٥ ، والمقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٦ — خطبة ابن طباطبا العلوي

وخطب محمد <sup>(١)</sup> بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حين انتهب قائدُ جيوشه أبو السرايا السريُّ ابن منصور قصرَ العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعدُ : فإنه لا يزال يَبْلُغُنِي أن القائل منكم يقول : إن بني العباس فينا لنا ، نخوضُ في دمائهم ، وَتَرْتَعُ في أموالهم ، وَتَقْبَلُ قولنا فيهم ، وَتُصَدِّقُ دعوانا عليهم ، حُكْمٌ بلا عِلْمٍ ، وَعَزْمٌ بلا رَوِيَّةٍ ! عَجَبًا لِمَنْ يُطْلَقَ بذلك لسانه ، ويحدِّث به نفسه ! أ بكتاب الله تعالى حَكَمَ ، أَمْ اِسْتَنَّةَ نبيه صلى الله عليه وسلم أَتَبِعَ ؟ أَيْ مَتَلِي <sup>(٢)</sup> معه طَمَعٌ ، أَمْ بَسَطَ يَدِي له بالجود أَمَلٌ ؟ هِيَهَات ! فازدو الحق بما نَوَى ، وأخطأ ذو الباطل بما تَمَنَّى ، حَقُّ كل ذي حقٍّ في يده ، وكل

[١] خرج بالكوفة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القيم بأمره في تدبير الحرب ، وقيادة جيوشه أبا السرايا السري بن منصور وكان سبب خروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين مما كان إليه من أعمال البلدان التي افتتحتها ، وتوجيه إلى ذلك الحسن بن سهل ، فلما فعل ذلك تحدث الناس بالبراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد أزاله قسراً حجباً فيه من أهل بيته ، ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وأنه يرم الأمور على هواء ، ويقتد بال رأى دونه ، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ، ووجوه الناس ، وأنفوا من غلبة الفضل على المأمون ، واجتهدوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتى في الأصهار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في عشرة آلاف فواقهم فهزموه واستباحوا عسكره ، فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة خلت من رجب سنة ١٩٩ ) مات ابن طباطبا فجأة ، فذكر أن أبا السرايا سمع ، وذلك أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير منه أبا السرايا ، وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أن لا أمر له معه فسه . [٢] في الأصل : « أَيْ مَتَلِي » وهو تحريف ، والصواب ما ذكرته .

مُدَّعٍ عَلَى حَجَّتِهِ ، وَيَلُ لِمَنْ اغْتَصَبَ حَقًّا ، وادعى باطلا ، أفلح مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وخاف من أرغم الحقُّ أَنَّهُ ، الْعَدْلُ أَوْلَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حُقِّ لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَحْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْعَدْلِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَرَارَةِ الْحَقِّ ، كُلُّ نَفْسٍ تَسْمُو إِلَى هِمَّتِهَا ، وَنِعَمَ الصَّاحِبُ الْقَنَاعَةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَكْرَمَ الْعِبَادَةُ الْوَرَعَ ، وَأَفْضَلَ الزَّادَ التَّقْوَى ، وَاعْمَلُوا فِي دُنْيَاكُمْ ، وَتَرَوْدُوا لآخِرَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَعْصِيَةَ وَهَيْمَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَتَحَقَّقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا تَعَاوُزُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْمُدَّوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنِ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الْحَقُّ أَجْلَحُ ، وَالسَّبِيلُ مِنْهَجٌ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ <sup>(١)</sup> ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، وَلِكُلِّ فِي الْحَقِّ سَعَةٌ ، مِنْ حَارِبِنَا حَارِبُنَا ، وَمَنْ سَأَلَنَا سَأَلَنَا ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لَنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ : وَرَجُلٌ قَالَ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكَفَى ، حَسْبُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ » .

(مواهب الأدب ٢ : ١١٣)

## ١١٧ - استعطف إبراهيم بن المهدي المأمون

لَمَّا ظَفِرَ الْمَأْمُونُ بِعَمَلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ <sup>(٢)</sup> أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، فَجِئَ بِإِبْرَاهِيمَ يُحْجِلُ <sup>(٣)</sup> فِي قِيُودِهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَا سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا حَفِظْتُكَ ، وَلَا رَعَاكَ ، وَلَا كَلَّاكَ <sup>(٤)</sup>

[١] أَلْجَحُ : أَيْ وَاضِحٌ بَيْنَ ، وَالنَّهْجُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ ، وَالْبَاطِلُ لِلْجَحِ : أَيْ يَتَرَدَّدُ فِيهِ صَاحِبُهُ ، فَلَا يَصِيبُ غَرْجًا . [٢] كَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ عَاهَدَ بِالْخِلَافَةِ لِعَلِيِّ الرِّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْعَبَّاسِيُّونَ بِنَبَادِ (وَكَانَ الْمَأْمُونُ بِمَرْجٍ حَاضِرَةً خِرَاسَانَ) مَاقِلَةَ الْمَأْمُونِ مِنْ هَاجِلِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْبَيْتِ الْعَبَّاسِيِّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَلَوِيِّ ، أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَغَلَبُوهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَبَايَعُوا مَهْمُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ سَنَةَ ٢٠١ هـ ، وَلَمَّا عَلِمَ الْمَأْمُونُ بِذَلِكَ جَدَّ فِي السَّيْرِ إِلَى بَنَدَادٍ ، وَهَرَبَ مَعَهُ إِبْرَاهِيمُ وَتَوَارَى .

[٣] حَجَلٌ لِلْفَيْدِ كَضَرْبٍ وَضَرْ : رَفَعَ وَجْهًا ، وَتَرْتٌ فِي مِثْلِهِ عَلَى رَجُلٍ . [٤] كَلَاةٌ : حَرْسُهُ .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : <sup>(١)</sup> على رِسْلِكَ <sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين ، ولى <sup>(٣)</sup> النارِ مُحْكَمٌ  
فى القصاص ، والمعفو أقربُ للتقوى ، ومن مدَّ له الاغترار فى الأمل ، هَجَمَتْ  
به الأناةُ على التلَف <sup>(٤)</sup> وقد أصبح ذنبى فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق  
كل <sup>(٥)</sup> عفو ، فإن تعاقبَ فَبَحَقَكَ ، وإن تَمَعَفُ فبفضلك ، ثم قال :

ذنبى إليك عظيمٌ وأنت أعظمُ منه

نفسُ بحقك أولاً فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن فى فمالى من الكرام فَكُنْهُ

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني سأورت أبا إسحق <sup>(٦)</sup> والعباس  
فى قتلك فأشارا على به ، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ لهما :  
بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيرَ فالفه يغير ما به ، قال : أما أن يكونا  
قد نصحاك فى عِظَم قدر الملك ، وما جرت عليه عادةُ السياسة فقد فعلا ، ولكن  
أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيثُ عَوَدَكَ الله ، ثم استعبر باكيًا ، فقال له  
المأمون : ما يُكيك ؟ قال : جَذَلًا ، إذ كان ذنبى إلى من هذه صِفَتُهُ فى الإنعام ،  
ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرِّمى يبلغ سَفْكَ دى ، فلم أمير المؤمنين  
وتفضله يُبلغاننى عفوه ، ولى بعدهما شفاعَةُ الإقرار بالذنب ، وَحُرْمَةُ الأب  
بعد الأب ، قال المأمون : « القدرةُ تذهب الحَقِيظَةُ <sup>(٧)</sup> ، والندمُ توبةٌ ، وعفوَ  
الله بينهما ، وهو أكبر ما يحاول ، يا إبراهيم : لقد حَبَيْتُ إلى العفو ، حتى خِفْتُ

[١] المهل والنوذة . [٢] صاحبه . [٣] وفى رواية : « ومن تناوله الاغترار بما مدَّ له من  
أسباب الرخاء ، أمن طادية النهر » . [٤] وفى رواية : « وقد أصبحت فوق كل ذى ذنب ، إذ  
أصبح كل ذى عفو دونك » ، وفى أخرى : « وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك »  
[٥] أبو إسحق هو للمتهم أخو المأمون ، والعباس هو ابن المأمون .  
[٦] الحفيظة : الغضب ، وفى رواية الأغانى أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن المهدي .

أَنْ لَا أُوجَرَ عَلَيْهِ ، أَمَا لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا لَنَا فِي الدُّفْعِ مِنَ اللَّذَّةِ ، لَتَقَرَّبُوا إِلَيْنَا بِالْجَنَائِيَّاتِ ، لَا تَرِيبٌ<sup>(١)</sup> عَلَيْكَ ، يَنْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ مَا يَبْلُغُ الصَّفْحَ عَنْ زَلَّتِكَ ، لَبَلَّغْتُكَ مَا أَمَلْتُ حَسَنُ تَوْصُلِكَ ، وَلَطِيفُ تَنْصُلِكَ » ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ مَالِهِ وَضِيَاعِهِ ، فَقَالَ :

رَدَدْتُ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ      وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتُ دَمِي  
فَأَبْتُ مِنْكَ - وَمَا كَأَقَاتِنَا - يَدٍ      هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ عَدَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ أَمْلُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي      مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ  
فَلَوْ بَدَّلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ      وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النَّمْلَ مِنْ قَدَمِي  
مَا كَانَ ذَلِكَ سِرْوِي عَارِيَةً رَجَعْتُ      إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهَبَّهَا كُنْتُ لَمْ تُلَمَّ

(الألفاظ ٩ : ٥٧ ، والمقد الفريد ١ : ١٤٢ ، والأمال ١ : ٢٠٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٩١)

## ١١٨ - إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، في مجلس الحكم ، في عقارٍ بناحية السَّوَادِ<sup>(٣)</sup> ، فزَرَى عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup> ابن المهدي ، وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دؤاد ، فأحفظه<sup>(٥)</sup> ذلك ، فقال : « يَا إِبْرَاهِيمَ إِذَا نَازَعْتَ أَحَدًا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ ، فَلَا أَعْلَمَنَّ أَنَّكَ رَفَعْتَ عَلَيْهِ صَوْتًا ، وَلَا أَشَرْتَ إِلَيْهِ يَدًا ، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ أَمَّا<sup>(٦)</sup> ، وَطَرِيقُكَ تَهَبًّا<sup>(٧)</sup> ، وَرِيحُكَ سَاكِنَةً ، وَكَلَامُكَ مُعْتَدِلًا ، وَوَفَّ مَجَالِسَ الْحُكُومَةِ حَقُوقَهَا ، مِنْ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْوَاجِبِ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَشْبَهُ بِكَ ، وَأَشْكَلُ لِمَذْهَبِكَ فِي

[١] لَا لَوْمَ . [٢] الْيَدُ : النِّعْمَةُ .

[٣] سَوَادُ الرِّاقِ ، وَالْمَقَادِرُ : كُلُّ مَا تَابَتْ لَهُ أَسْلُ كَالدَّارِ وَالنَّخْلِ ، وَتَلْجَعُ عَقَارَاتُ .

[٤] طَابَهُ . [٥] أَعْضَبَهُ . [٦] الْأَمُّ : الْقَصْدُ الْوَسْطَى . [٧] وَاضِحًا .

تَحْتَدِكُ<sup>(١)</sup> ، وَعَظِيمَ خَطَرِكَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَعَجَلْ ، قَرُبَ تَحَلَّةِ تَهَبُ رَيْثَا<sup>(٣)</sup> ، وَاللَّهِ يَمُصُّكَ مِنَ الزَّلَالِ ، وَخَطَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ ، وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ كَمَا أُنْعَمَ عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ رَبَّكَ خَكِيمٌ عَلِيمٌ .

قال إبراهيم : « أصلحك الله أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست بمأندٍ إلى ما ينيل<sup>(٤)</sup> مُرُوتى عندك ، ويُسقطنى من عينك ، ويُخرجنى من مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فهُنَأَ مَعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ ، اعْتَذَارَ مُقَرَّرٍ بِذَنْبِهِ ، بِاخِيَعٍ بِجُرْمِهِ<sup>(٥)</sup> ، فَإِنَّ النَّصَبَ لَا يَزَالُ يَسْتَفْزِنِي بِمَوَادِّهِ ، فَيَرْدَقِي مِثْلَكَ بِحِلْمِهِ ، وَتِلْكَ حَادَةُ اللَّهِ عِنْدَنَا مِنْكَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَقَدْ وَهَبْتَ حَقِّي مِنْ هَذَا الْمَقَارِ لِبَيْتِشُوعَ ، فَلَيْتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَقُولُ<sup>(٦)</sup> بَارِئُ<sup>(٧)</sup> الْجَنَايَةِ ، وَلَمْ يَتَلَفَ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ » .

( العدد الفردي : ٢٧ ، وزمر الآداب : ١ : ٢٢٢ )

## ١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : « لَا تَحْسَبْنِي أَغْفَلْتُ إِجْلَابَكَ مَعَ ابْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَتَأْيِيدَكَ لِرَأْيِهِ ، وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَرَجَمِي أَمْسُ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ : « لَا تُثْرِبَ<sup>(٨)</sup> عَلَيْنَكُمْ الْيَوْمَ يَتَغَبَّرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ الْمِنَةِ ، وَتُمَثِّلُ<sup>(٩)</sup> لِحِلَالِ الْغَفْوِ وَالْفَضْلِ » .

قال : هيهات ! تلك أجرام جاهلية ، عفا عنها الإسلام ، وجُرْمُكَ جرم في إسلامك ، وفي دار خلافتك . قال : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لَتَمْسِلَ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ

[١] أصْلَكَ . [٢] خَطَرَكَ . [٣] إِيْطَاء . [٤] يَمِيبُ وَيَقْصُ . [٥] مَر .

[٦] يَزِيدُ وَيَرْجِعُ . [٧] الْأَرْضُ : الْهَيْةُ .

[٨] لَا تُلْهِمُ . [٩] امْتَلِط طَرِيقَهُ : تَبِعْهَا ظَمَّ يَمْلُطُ .

العترة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله يبنى وينك، يقول الله تعالى : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » ، فهي للناس يا أمير المؤمنين سنة دخل فيها المسلم والكافر، والشريف والمشروف » قال : صدقت ، اجلس ، وَرِيتُ بِكَ زِنَادِي ، وَلَا بَرِحْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .

(المقد الفريد ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣)

## ١٢٠ . . . أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك في مَقْدَمِكَ ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعتك ، تقدمتَ مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ <sup>(١)</sup> ، وَأَيَسْتَ أَنْ يُعَايَنَ مِثْلَكَ ، أَمَا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ ، وَأَمَا فِيمَا بَقِيَ فَلَا نَرُجُوهُ ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونُثْنِي عَلَيْكَ ، خَصِبَ لَنَا جَنَابُكَ ، وَعَذُبَ ثَوَابُكَ ، وَحَسُنْتَ نَظَرْتُكَ ، وَكَرُمْتَ مَقْدَرَتَكَ ، جَبَرْتَ الْفَقِيرَ ، وَفَكَّكَتِ الْأَسِيرَ ، فإِنَّكَ يا أمير المؤمنين كما قال الأول :

ما زِلْتَ فِي الْبَذْلِ وَالْتَّوَالِ وَإِطْلَاقِ لِعَانٍ يَجْرُمُهُ غَلَقٍ <sup>(٢)</sup>

حتى تَمْنَى الْبِرَاءَ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَسْرَى فِي الْقَيْدِ وَالْخَلَقِ <sup>(٣)</sup>

(المقد الفريد ١ : ١٣٧)

[١] إذا أنه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع . [٢] العاني : الأسير ، والغلق : أصله من غلق الرهن إذا استخفه المرتين ، وذلك إذا لم يفتكك في الوقت المرسوم . [٣] البراء ككرام جمع برى .

## ١٢١ - أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وقدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يذك أحق يد بتقييل ، لعلوها في المكارم ، وبُندها من المآثم ، وأنت يوسف العوفي قلة التثريب ، من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، افرض حوائجهم . ( مروج الذهب ٢ : ٢١٩ )

## ١٢٢ - محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ريب دولتك ، وسليل نعمتك ، وعُصْن من أغصان دوحتك <sup>(١)</sup> ، أتأذن في الكلام ؟ قال : نعم ، قال : « أَسْتَنْحِ اللهَ حِيَاةَ دِينَا وَدُنْيَانَا ، وَرِيَاةَ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا بِقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُزِيدَ فِي صَمْرِكَ مِنْ أَصْحَارِنَا ، وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا ، وَيَقْبِكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْمَائِذِ بِفَضْلِكَ ، الْمَارِبُ إِلَى كَنْفِكَ وَظِلِّكَ ، الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاها . ( العقد الفريد ١ : ١٤٦ )

## ١٢٣ - الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل <sup>(٢)</sup> يوماً للمأمون :

« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، وسني ما أعطاك ، إذ قسم لك الخلافة ، ووهب لك معها الحجة ، ومكنك بالسلطان ، وحلّاه لك بالعدل ،

[١] الفوحة : الشجرة العظيمة .

[٢] وزير المأمون همد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج المأمون ابنته بوران ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

وَأَيْدِكَ بِالظَّفَرِ، وَشَفَعَهُ لَكَ بِالْعَفْوِ، وَأَوْجِبَ لَكَ السَّعَادَةَ، وَقَرَّنَهَا بِالسِّيَادَةِ، فَمَنْ  
فُسِّحَ<sup>(١)</sup> لَهُ فِي مِثْلِ عَطِيَّةِ اللَّهِ لَكَ؟ أَمْ مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الْمَوَاهِبِ  
مَا أَلْبَسَكَ؟ أَمْ مَنْ تَرَادَفَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ تَرَادُفُهَا عَلَيْكَ؟ أَمْ هَلْ حَاوَلَهَا  
أَحَدٌ وَارْتَبَطَهَا بِعَثَلٍ مَحَاوَلَتِكَ؟ أَمْ أَى حَاجَةٍ بَقِيَتْ لِرَعِيَّتِكَ لَمْ يَجِدْهَا عِنْدَكَ؟  
أَمْ أَى قِيمٍ لِلْإِسْلَامِ انْتَهَى إِلَى عَنَائِكَ وَدَرَجَتِكَ؟ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى، مَا أَعْظَمَ  
مَا خَصَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَى نِعْمَةٍ طُبِّقَتْ<sup>(٢)</sup> الْأَرْضُ  
بِكَ إِنْ أَدَّى شُكْرُهَا إِلَى بَارِئِهَا وَالنِّعَمِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا؟ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاءَ  
فِي فَلَكِهَا ضِيَاءً يَسْتَنِيرُ بِهَا جَمِيعَ الْخَلَائِقِ، فَكُلُّ جَوْهَرٍ زَاهٍ حُسْنُهُ وَنُورُهُ، فَهَلْ  
لَبَسَتْهُ زِينَتُهُ إِلَّا بِمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنْ نُورِكَ؟ وَكَذَلِكَ كُلُّ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، سَعِدَ  
بِأَفْعَالِهِ فِي دَوْلَتِكَ، وَحَسُنَتْ صَنَائِعُهُ عِنْدَ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّمَا نَالَهَا بِمَا أَيَّدَتْهُ مِنْ  
رَأْيِكَ وَتَدْيِيرِكَ، وَأَسْعَدَتْهُ مِنْ حَسَنِكَ وَتَقْوِيْعِكَ». (زهر الآداب ٣ : ٢٠٠)

## ١٢٤ - يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يمدح المأمون

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ<sup>(٣)</sup> : صِفْ لِي حَالِي عِنْدَ النَّاسِ، فَقَالَ :  
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ انْقَادَتْ لَكَ الْأُمُورُ بِأَرْزَمَتِهَا، وَمَلَكَتْكَ الْأُمَّةُ فُضُولَ  
أَعْيَتِهَا، بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَالْمَحَبَةِ لَكَ، وَالرَّافِقِ مِنْكَ، وَالْعِيَاذِ بِكَ، بِمِثْلِكَ فِيهِمْ،  
وَمِنْكَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى لَقَدْ أَنْسَيْنَهُمْ سَلَفَكَ، وَآيَسْتَهُمْ مِنْ خَلْفِكَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي جَعَلْنَا بِكَ بَعْدَ التَّقَاعِطِ، وَرَفَعْنَا فِي دَوْلَتِكَ بَعْدَ التَّوَاضُعِ ».

[١] أَى وَسِعَ . [٢] مَلَأَتْ وَعَمَتْ، وَالْإِسْتِفْهَامُ قِتْعَظِمَ .

[٣] مِنْ وَلَدِ أَكْثَمِ بْنِ صَبِيٍّ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ نَقِيْبًا طَالِمًا بِالْفَقْهِ بَصِيرًا بِالْأَحْكَامِ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْمَأْمُونِ،  
حَقٌّ لَمْ يَخْدُمْهُ أَحَدٌ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ جَيْمًا، وَقَدْ لَهَ أَضَاءُ الْقَضَاءِ، وَتَدَبَّرَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ، فَكَانَتْ الْوُزَرَاءُ  
لَا تَعْمَلُ فِي تَدْيِيرِ الْمُلْكِ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ مَطَالَمَةِ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ، وَتَوَلَّى سَنَةَ ٢٤٦ هـ، وَعَمَرَهُ ٨٣ سَنَةً .



فقال : يا يحيى ، أتَحْيِرُكُ أم أَرْتَجِلُ ؟ قال : قلت : وهل يَمْتَنِعُ فيكَ وصف ، أو  
يَتَعَذَّرُ على مادحك قول ، أو يُفَحِّمُ فيكَ شاعر ، أو يَتَلَجِّجُ فيكَ خطيب ؟  
( الصناعتين ص ٤٠ )

## ١٢٥ — أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فَعَنَّفَهُ المأمون ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ دَأْتِي ، وَلَبَسَ ثوبَ حُرْمَتِي ، وَمَتَّ  
عَيْتِلَ قِرَابِي ، غَفِرَ له فوقَ زَلَّتِي » فَأعْجَبَ المأمونَ كَلَامُهُ وَصَفَحَ عنه .  
( الأملال ٢ : ١٣٦ ، و زمر الآداب ٣ : ٨٩ )

## ١٢٦ — رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من حامل له فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَكْتُ لِي فِصَّةً إِلَّا فَضَّيْتُهَا ، ولا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبْتُ بِهِ ،  
ولا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمْتُهَا <sup>(١)</sup> ، ولا ضِيئةً إِلَّا أَضَاعْتُهَا ، ولا عِلْقًا <sup>(٢)</sup> إِلَّا عَلَّقْتُهَا ، ولا عَرَصًا  
إِلَّا عَرَضْتُ له ، ولا ماشيةً إِلَّا أَمْتَشَّيْتُهَا <sup>(٣)</sup> ، ولا جليلاً إِلَّا أَجْلَلْتُهُ ، ولا دقيقاً  
إِلَّا دَقَّقْتُهُ » ، فَعَجِبَ من فصاحته وقضى حاجته . ( زمر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٢٧ — عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن مسلم : كانت عليّ قُوَّةٌ أَنْتُوبُهَا في حَرَسِ المأمون ،  
فَكُنْتُ في نَوَاجِي لَيْلَةٍ ، فَنَجَرَجُ مُتَفَقِّدًا مِنْ حَضَرٍ ، فَعَرَفْتُهُ ولم يَمْرِفْنِي ، فقال :  
من أنت ؟ قلت : عمرو ، عَمَّرَكَ اللهُ ، ابنُ سعيد ، أَسْعَدَكَ اللهُ ، ابنُ مسلم ، سَلَّمَكَ

[١] المراد احتارها ، والأصل فيه غلّة : أى وضع في عنقه أو يده الخلل ( بالفم ) وهو القيد .

[٢] العلق : الفئس من كل شيء ، وعلق به ككسر أحبه ، أو هو « علقه » معشداً مبنياً  
للمجهول ، علق امرأة : أى أحبها . [٣] امتشّ : ماقى الضرع : أخذ جيمه .

الله ، فقال : أنت تكملوننا منذ الليلة ؟ قلت : الله يكلؤك قبلي ، وهو خير حافِظًا وهو أرحم الراحمين ، فقال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ      وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَّعَكَ      بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ  
(زهر الآداب ٢ : ١٣٧)

## ١٢٨ — الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بمض الدواوين ، فرأى غلاماً جليلاً على أذنه قلم ، فقال : مَنْ أنت يا غلام ؟ فقال :

« أنا يا أمير المؤمنين ، الناشئ في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك : الحسن بن رجاء » ، فقال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول ، وأمر برفع مرتبته .

(زهر الآداب ٢ : ١٧٣)

## ١٢٩ — سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ المأمون :

« لَوْلَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ قَصْدِهِ إِلَى بَحْدِيئِهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطَرَفِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ، وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فقال : « يفعل أمير المؤمنين ذلك ، لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حَدَّثْتَ ، مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ

مضى ، ولا يظن أنه يحُدُّ عند أحدٍ مِن بَقِي ، فإنك لَتَسْتَقْصِي حَدِيثِي ، وَتَقِفْ  
عند مقاطع كلامي ، وَتُخْبِرُ بِمَا كُنْتُ أَغْفَلُهُ مِنْهُ . ( زمر الآداب : ١٧٣ )

### ١٣٠ — أبو زهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كُنْتُ وَالِيَا بِأَرْمِينِيَّةَ ، فَغَبَرَ <sup>(١)</sup> أَبُو زَهْمَانَ الْمَلَأَفِي  
عَلَى بَابِي أَيَّامًا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيَّ مَثَلٌ يَنْبَغِي قَائِمًا بَيْنَ السَّمَاطِينَ <sup>(٢)</sup> وَقَالَ :

« وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَقْوَامًا لَوْ عَلِمُوا أَنَّ سَفَا التُّرَابِ يُقِيمُ مِنْ أَوْدٍ <sup>(٣)</sup> أَصْلَابَهُمْ ،  
لَجَمَلُوهُ مُسْكَةً <sup>(٤)</sup> لَأَزَامَا فِيهِمْ ، إِيثَارًا لِلتَّنْزِهِ عَنْ عَيْشِ رَفِيقِ الْحَوَاشِي ، أَمَّا وَاللَّهِ  
إِنِّي لَبَعِيدُ الْوَثْبَةِ ، بَطِيءُ الْمَطْفَةِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَثْنِيْنِي عَلَيْكَ إِلَّا مَثَلُ مَا يَصْرِفُنِي  
عَنْكَ ، وَلَآنَ أَكُونُ مُقْلًا مَقْرَّبًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُكْدِرًا مُبْعَدًا ،  
وَاللَّهِ مَا نَسْأَلُ عَمَلًا لَا نَضْبِطُهُ ، وَلَا مَالًا إِلَّا نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي  
صَارَ إِلَيْكَ فِي يَدَيْكَ ، كَانَ فِي يَدِ غَيْرِكَ ، فَأَمْسُوا وَاللَّهِ حَدِيثًا ، إِنْ خَيْرًا غَيْرِي ،  
وإِنْ شَرًّا فَشَرِّي ، فَتَحَبَّبْ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحَسَنِ الْبَشَرِ ، وَلِيَنِ الْجَانِبِ ، فَإِنْ حُبَّ  
عِبَادِ اللَّهِ مَوْصُولٌ بِحُبِّ اللَّهِ ، وَبِفَضْلِهِمْ مَوْصُولٌ بِفَضْلِ اللَّهِ ، لَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ  
عَلَى خَلْقِهِ ، وَرُقَبَاؤُهُ عَلَى مَنْ أَعْوَجَّ عَنْ سَبِيلِهِ . ( البيان والتبيين : ١٠٥ )

### ١٣١ — وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولَّاه المأمون الرِّقَّةَ ومصر وما بينهما <sup>(١)</sup> سنة ٢٠٦ هـ .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَا بَعْدُ : فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدِّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ ،  
وَخَشْيَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ وَمَزَالَةٍ سَخَطِهِ وَحِفْظِ رِعْيَتِكَ ، وَالزَّمْ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْ

[١] مكث . [٢] السَّمَاتَانِ مِنَ النَّاسِ : الْجَانِيَانِ ، يُقَالُ : مَعَى بَيْنَ السَّمَاتَيْنِ .

[٣] أعواج . [٤] المسكة : مَا يَمْسُكُ الْأَبْدَانُ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْفَرَابِ ، أَوْ مَا يَبْلُغُ بِهِ مِنْهَا .

[٥] أُنْتُهتَ هَذَا الْكِتَابُ هُنَا لِأَنَّهُ فِي عَدَادِ الرِّسَالِ .

العافية بالذكر لِمَادِك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وأثمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب<sup>(١)</sup> عنهم ، والدفع عن حريمهم وَيَنْصِتَهُمْ<sup>(٢)</sup> ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم<sup>(٣)</sup> ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومواخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسانك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فِكْرَكَ وعقلك وبصرَكَ ورؤيتَكَ ، ولا يَذْهَبْكَ<sup>(٤)</sup> عنه ذاهل ، ولا يَشْفَكَ<sup>(٥)</sup> عنه شاغل ، فإنه رأس أمرِكَ ، ومِلَاكُ شَأْنِكَ ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سُنَنِهَا ، في إسباغ<sup>(٦)</sup> الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتّل<sup>(٧)</sup> في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، وتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهي عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة<sup>(٨)</sup> الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الفح . [٢] اليضة : حوزة كل شيء .

[٣] وفي مقالة ابن خلدون : لسرهم ، والسر : النفس . [٤] ذهلت عن الشيء . ( كفتح ) غفلت . وقد حمى بنفسه . فيقال ذهات ، والأكثر أن حمى بالهزة ، فيقال : أذهاني فلان عن الشيء .

[٥] شغل من باب فتح وأشغله لنة جيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسبغ الوضوء : وفي كل عضو حقه .

[٧] تمهل ولا تسجل . [٨] استخار الله : طلب منه الحجة .

من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، واثام ما جاءت به الآثارُ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحقُّ لله عليك ، ولا تَمَلْ عن العدل فيما أحييت أو كَرِهت ، لِقَرِيبٍ من الناس أو بعيد ، وآثِرِ الفقهَ وأهله ، والدينَ وَحَمَلته ، وكتابَ الله والعاملين به ، فإنَّ أفضلَ ما تَرَيَنَّ به المرءَ الفقه في دين الله ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يَتَقَرَّبُ به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد البعاد معرفةً بالله عزَّ وجلَّ ، وإجلالا له ، وَدَرَكَاً للدرجات العُلا في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرِك ، والهيبة لسلطانك ، والأُنْسَة بك ، والثقة بمدلك ، وعليك بالاعتقاد في الأمور كلها ، فليس شيء أَيْنَ نفعاً ، ولا أَحْضَرَ أمناً ، ولا أَجْمَعَ فضلاً من القصد ، والقصد داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتقاد ، فأثره في دنياك كلها ، ولا تقصِّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد ، فلا غاية للاستكثار من البرِّ والسعي له ، إذا كَانَ يُطَلَّبُ به وجه الله ومرتضاه ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته ، واعلم أنَّ القصد في شأن الدنيا يُورث العزَّ ويحصِّن من الذنوب ، وإنك لن تَحُوطَ<sup>(١)</sup> نفسك ومن يملك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأتهِ واحتدِ به تتمَّ أمورك ، وتردَّ مقدرتك ، وتصلح خاصتك ومامتك ، وأحسن الظن بالله عزَّ وجلَّ تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، تَسْتَدِمُ به النعمة عليك ، ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ،

فإن إيقاع النهم بالبرآء، والظنون السيئة بهم مأثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه فيهم ، يُعينك ذلك على اصطناعهم <sup>(١)</sup> ورياضتهم ، ولا يحدنّ عدو الله الشيطان في أمرك مَفْعَرًا ، فإنه إنما يكتفى بالقليل من وهنك <sup>(٢)</sup> ، فيدخل عليك من الذم في سوء الظن ما ينقصك لذّة عيشك ، واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتُكفّي به ما أحبت كفايته من أمورك ، وتدعوه الناس إلى محبتك ، والاستقامة في الأمور كلها لك ، ولا يمتنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك ، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأُمور الأولياء ، والحياطة للرعية ، والنظر فيما يُقيمها ويُصلحها ، بل اتكن المباشرة لأُمور الأولياء ، والحياطة للرعية ، والنظر في حوائجهم وتَحُلْ مَثَوَاتِهِمْ ، آثَرٌ عندك مما سوى ذلك ، فإنه أقوم للدين ، وأحيا للسنة ، وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرّد بتقويم نفسك تفرّد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، وعجزى بما أحسن ، ومأخوذ بما أساء ، فإن الله جعل الدين حِرْزًا وَعِزًّا ، ورفع من اتبعه وعزّزه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى ، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تمطّل ذلك ولا تتهاون به ، ولا تؤخّر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفريطك في ذلك لما يُفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشبهة والبِدعات ، يسلم لك دينك ، وتهتم لك مرء وتك ، وإذا عاهدت عهدًا فف به ، وإذا وعدت

[١] اصطنعتك لنفسى : اخترتك لحاصة أمر استكنيك لإياه .

[٢] الوهن يسكون الهاء وتفتحها : الضعف .

الخير فَأَنْجِزْهُ ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وَأَغْمِضْ عن عيب كل ذى عيب من  
 رعيّتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وَأَبْغِضْ أهله ، وَأَقْصِ  
 أهل النعمة ، فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وأجلها تقريب الكذوب  
 والجُرْأَة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنيمة خاتمتها ، لأن  
 النيمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر ،  
 وأحبّ أهل الصدق والصلاح ، وأعزّ الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل  
 الرحم ، وابتنع بذلك وجه الله وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ،  
 واجتنب سوء الأهواء والجَوَر ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك  
 لرعيّتك ، وأنعم بالعدل فى سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك  
 إلى سبيل الهدى ، واملِكْ نفسك عند الغضب ، وآثِرِ الوَقَارَ والحلم ، وإياك  
 والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ  
 ما أشاء ، فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده  
 لا شريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله ،  
 يُعْطِيهِ من يشاء ، وينزعهُ ممن يشاء ، ولن تجد تغيير النعمة وحلول النعمة إلى  
 أحد ، أسرع منه إلى سحابة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ،  
 إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك  
 شره نفسك ، ولتكن ذاكرتك وكنوزك التى تدّخر وتكثير البر والتقوى والمعدلة ،  
 واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم والحفظ لديمّائهم <sup>(١)</sup> والإغاثة  
 للمهوفهم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت ودُخِرَت فى الخزان لا تُثْمِر ، وإذا

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقِّهِمْ ، وَكَفِّ الثَّوْنَةِ عَنْهُمْ ، تَمَّتْ وَرَبَّتْ  
 وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَّةُ ، وَتَرَيْنْتَ بِهِ الْوَلَاةَ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْعِزُّ  
 وَالْمَنْعَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزَ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرْ  
 مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حَقِّهِمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،  
 وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ،  
 وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكَنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ  
 رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمِلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ  
 لَطَاعَتَهُمْ ، وَأَطْيَبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أَرَدْتَ ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَدْتَ لَكَ فِي  
 هَذَا الْبَابِ ، وَاتَّعَظْ حِسْبَتَكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ،  
 وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَثْبِتْهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا  
 هَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُوْجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطُ  
 يُوْثِرُ الْبَوَارَ ، وَلِيَكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الثَّوَابَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ  
 أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمِ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ  
 فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةِ  
 الْمُحْسِنِينَ ، وَقَضَى الْحَقَّ فِيمَا تَحْمِلُ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا  
 تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمْلُئَنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا ، وَلَا  
 تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصْدَقَنَّ نَمَامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِيَنَّ فَاسِقًا ، وَلَا  
 تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا  
 تَجْبِينَ <sup>(١)</sup> بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حِظْنَ مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهُونَنَّ غَفْرًا ،



ولا تُظهِرن غضباً ، ولا تأتين بدخاً <sup>(١)</sup> ، ولا تمشين مَرَحاً ، ولا تركبن سَفَهًا <sup>(٢)</sup> ، ولا تَقْرَطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنمام عيناً ، ولا تُثْمِنُ عن الظلم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثرن مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدْخِلن في مشورتك أهل الدقة <sup>(٣)</sup> والبخل ، ولا تسمن لهم قولاً ، فإن ضررم أكثر من منفعتهم ، وليس شئ أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيته من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيته إنما تعتقد على محبتك ، بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن الماصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقِ شَحْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فسهل طريق الجود بالحق ، واجمل للمسلمين كلهم من نيتك حفظاً ونصيبةً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعدده لنفسك خُلُقاً ، وارض به عملاً ومذهباً ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، وأذّر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلاصاً وانسراحاً ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمةً في عدله ، وحِيطته <sup>(٤)</sup> وإنصافه ، وعنايته وشفقته ، وبره

[١] البزخ : الكبر . [٢] وفي اللقمة : « ولا تركبن سفهاً »

[٣] وفي اللقمة : « أهل الرّثه » . [٤] في اللقمة : « وعطيته »

وتوسعته ، فزایل مكرورة أحد البابين باستشعار تكلمة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقى إن شاء الله نجاحاً وصلاًحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل فى القضاء ، واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطف<sup>(١)</sup> ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جردك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، وأسدد<sup>(٢)</sup> فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من رعيته محابة ولا محاماة<sup>(٣)</sup> ولا لوم لائم ، وثبت وتأن ورقيب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف<sup>(٤)</sup> بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ( فإن الدماء من الله بمكان عظيم ) انتها كآلها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوم كبتاً<sup>(٥)</sup> وغيطاً ، ولأهل الكفر من معاديهمْ ذلاً وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غنى لفناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] النطب : اليب والصر والفساد . [٢] سدّ يسدّ كضرب : صار سديداً .

[٣] فى المقدمة : « ولا جملة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كبت : مرعه وأخزاه ، ورد المدوّ بغيظه وأذله .

له ، ولا تَكَلَّفْنِ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، وَاِجْعَلِ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى مَرُّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَعُ لِأَلْفَتِهِمْ ، وَأَلْزِمِ لِرِضَا الْعَامَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بَوْلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقَيِّمُهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطَوْكَ مِنْ عَقُومٍ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُهُ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصِلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِمْ ، فَاسْتَعْمَلْ عَلَيْهِمْ فِي كَوْنِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّيْدِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الْإِلَازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقْلُدُ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَتَّ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصَحَةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأُعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ ، فَدَرَزْتَ الْخَيْرَاتِ بِلَيْدِكَ ، وَفَشْتَ الْعِمَارَةَ بِنَاحِيَّتِكَ ، وَظَهَرَ الْخُصْبُ فِي كَوْنِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَانَتْ فِي أَمْوَالِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةٍ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَنَافِسٌ فِي هَذَا وَلَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَقْبَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كَوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ حَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجُوتَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصَحِ وَالصَّنْعِ فَأَمْنُهُ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَارْجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُذَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلَ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاثَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وبأشبه بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لندك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لعد أموراً وحوادث تُهلكك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تُغرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتماهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يحدوا حلفتهم <sup>(١)</sup> مساً ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك ، والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أحق مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ورمم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتماهد ذوى البأساء ويتامام وأراملهم ، واجمل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداء بأمير المؤمنين - أعزه الله - في المطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأضرء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية <sup>(٢)</sup> على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقواماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ، ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس

إِذَا أُعْطُوا حَقُّوهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانِيَّتِهِمْ ، لَمْ يُزْهِهِمْ ذَلِكَ ، وَلَمْ تُطِيبْ أَنْفُسَهُمْ دُونَ  
رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى وَلَاتِهِمْ ، طَمَعًا فِي نَيْلِ الزِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرِّفْقِ مِنْهُمْ ، وَرَبَّمَا  
بَرِمَ <sup>(١)</sup> الْمُتَصَفِّحُ لَأُمُورِ النَّاسِ ، لِكَثْرَةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ ، وَيَشْفَلُ فِكْرُهُ وَذَهْنُهُ مِنْهَا  
مَا يَنَالُهُ بِهِ مُؤَنَّةٌ وَمَشَقَّةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ يَرْغَبُ فِي الْعَدْلِ ، وَيَعْرِفُ عَاسِنَ أُمُورِهِ  
فِي الْعَاجِلِ ، وَفَضْلَ ثَوَابِ الْآجِلِ ، كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يَقْرُبُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَيَلْتَمِسُ  
رَحْمَتَهُ بِهِ ، وَأَكْثَرَ الْإِذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ ، وَأَبْرَزَ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَسَكَنَ لَهُمْ  
أَحْرَاسَكَ ، وَخَفِضَ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَعْلَاهُ لَهُمْ بَشْرَكَ ، وَلَبَّنَ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ  
وَالْمُنْطِقِ ، وَاعْطَفَ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ ، وَإِذَا أُعْطِيَتْ فَأَعْطِ بِسَمَاحَةٍ وَطِيبِ  
نَفْسٍ ، وَالتَّمَسَّ الصَّنِيعَةُ وَالْأَجْرُ غَيْرَ مَكْدُورٍ وَلَا مَنَانٍ ، فَإِنَّ الْمَطْيِئَةَ عَلَى ذَلِكَ تِجَارَةٌ  
مُرْتَبِحَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
أَهْلِ السُّلْطَانِ وَالرِّيَاسَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ ، ثُمَّ اعْتَصِمْ فِي أَحْوَالِكَ  
كُلِّهَا بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَحَبَّتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ  
وَكِتَابِهِ ، وَاجْتَنِبْ مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى سَخَطِ اللَّهِ ، وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ  
مُتَمَالِكًا مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَمَا يَنْفَقُونَ مِنْهَا ، وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا ، وَلَا تُنْفِقَ إِسْرَافًا ،  
وَأَكْثَرِ مَجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمَشَاوَرَتِهِمْ وَمَخَالَطَتِهِمْ ، وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السَّنَنِ  
وَإِقَامَتُهَا ، وَإِثَارُ مَكَارِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا ، وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَتِكَ  
عَلَيْكَ ، مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ يَمْنَعْهُ هَيْبَتُكَ مِنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرٍّ ،  
وَإِعْلَامِكَ مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ ، فَإِنْ أَوْلَتْكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَاكَ ، وَمُظَاهَرِيكَ لَكَ ،  
وَانْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَّابُكَ ، فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ

وقتا يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤارته وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر  
كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وضمك  
وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق  
فأمنه ، واستخبر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التبت فيه  
والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتبه إليهم ، ولا تقبل من  
أخدمهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف  
إلا على ذلك ، وقههم كتابي إليك ، وأكثِرِ النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله  
على جميع أمورك واستخبره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك  
وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة  
والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يُصلح عونك وتوفيقك ورؤسك  
وكلاءك ، وأن يُنزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ،  
حتى يحملك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسنام ذكراً وأمرأ ، وأن  
يُهلك عدوك ومن ناوأك وبني عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز  
الشیطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرُك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه  
قريب مجيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تنازعه الناس  
وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال :  
ما بقى أبو الطيب ( يعنى طاهراً ) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى  
والسياسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيضة ، وطاعة الخلقاء ، وتقويم

الخليفة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٣٩ )

### ١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج <sup>(١)</sup> فقال :  
« إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائبون عن محارمه ،  
الداعون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاه أمره ، الذين جعلهم  
رعاة الدين ، ونظام <sup>(٢)</sup> المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،  
وأهل مصيبتهم ، الذين أشيروا <sup>(٣)</sup> وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، وتركوا  
من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصَرُوا  
إِلَّاهُ يَنْصَرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر معقبكم الذي إليه تلجئون <sup>(٤)</sup> ،  
وعُدَّتكم التي بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع ، الذي دلكم الله عليه ، والجنة <sup>(٥)</sup>  
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غُضُّوا أبصاركم ، وأخفئوا أصواتكم في مصافكم ،  
وأمضوا قُدماً على بصائركم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين الرقي » أن للأمون بث طاهر بن الحسين لقتال حزة بن أكرم  
- مكثا فيه ، وفي الليل والنيل حزة بن أدرك بالذل - وهو زعيم فرقة الحورية إحدى فرق الخوارج  
السياردة ، وقد طأت في سجستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكبيرة ،  
وكان ظهوره في أيام مروان الرشيد سنة ١٧٩ ، وفي الناس في قتله إلى أن مضى صدر من إمام خلافة  
الأمون ، فلما تمكن للأمون من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته ، فلما ازداد إلا متوآ ،  
فبعث لقتاله طاهر بن الحسين ، فداوت بينه وبين حزة حروب قتل فيها من الفريقين قتيلين أئماً ،  
أكدم من أتباع حزة ، واتهم حزة إلى كرمال ، ثم استدعى الأمون طاهراً من خراسان ، فطعم فيها  
حزة ، وأقبل بجيشه من كرمال ، ففرج إليه عبد الرحمن التيسابوري في عشرين ألفاً فهزموه ، وقتلوا  
الألوف من أصحابه ، واهلك منهم حزة جريحاً ، ومات في هزيمته - انظر ص ٧٩ - .

[٢] النظام : السك يظلم فيه ، وملاك الأمر . [٣] يطروا .

[٤] اللبأ والمصم ، وكذا الوزر . [٥] كل ما بقي .

فإنه يقول : « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَبْغُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »  
أيدكم الله بمن الصبر، وَوَلَّيْكُمْ بِالْحَيَاةِ وَالنَّصْرِ . (العد التريد ٢ : ١٥٥)

١٣٣ - العباس بن المأمون والمعتصم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)  
قال العباس بن المأمون : لما أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ دَخَلْتُ ، فَقَالَ :  
هَذَا مَجْلِسُ كُنْتُ أَكْرَهُ النَّاسَ لِمَا لَوْسَى فِيهِ ، فَقُلْتُ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ  
تَعْفُو عَمَّا يَتَّقِنْتَهُ ، فَكَيْفَ تَعَاوِبُ عَلَى مَا تَوَهَّمْتَهُ ؟ » ، فَقَالَ : لَوْ أَرَدْتُ عِقَابَكَ ،  
لَتَرَكْتُ عِقَابَكَ . (زمر الآداب ٢ : ٩١)

### ١٣٤ - استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ  
مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَبَعُدَ ذِكْرُهُ ، فَكَتَبَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَلُوقٍ  
فِي النَّهْرُوسِ إِلَيْهِ ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ ، فَظَفَّرَ بِهِ ، فَحَمَلَهُ مُوثَقًا إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ  
أَبِي دُوَادٍ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا بَيْنَ الْمَوْتِ ، فَسَاهَالَهُ ، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ  
أَنْ يَفْعَلَهُ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ ، فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ ، فِي  
يَوْمِ الْمَوْكَبِ ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، دَمَا بِالنَّطْعِ<sup>(١)</sup>  
وَالسَّيْفِ فَأَخْضِرَا ، فَجَلَّ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا ، وَجَلَّ  
الْمُعْتَصِمُ يَصْعَدُ النَّظَرَ فِيهِ وَيَصُوبُهُ ، وَكَانَ جَسِيمًا وَسِيمًا<sup>(٢)</sup> ، وَرَأَى أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ  
لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَاتُهُ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنْظَرِهِ ، فَقَالَ : يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عَذْرُ فَاتِّبِعْ بِهِ ،  
أَوْ حُجَّةٌ فَأَذِلَّ بِهَا ، فَقَالَ : أَمَّا إِذَا قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَقُولُ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ،



ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَيِّينٍ « جَبَرَ بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكْ بِكَ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوْضَحَ بِكَ سُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَتَّخَذَ بِكَ شِهَابَ الْبَاطِلِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ ، وَتُعْمِي الْأَفْئِدَةَ السَّحِيحَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ ، وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَسَاءَ الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ اتِّقَاؤُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنِّي ، وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيَّ ، أَوْ لَاهُمَا بِامْتِنَانِكَ ، وَأَشْبَهُهُمَا بِخِلَافَتِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمَّا  
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُذِلِّي بِشُذْرِ وَحْجَةٍ  
يَعِزُّهُ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفُ  
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي  
وَلَكِنْ خَلْفِي صَيْدِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ  
كَأَنِّي أَرَامُ حِينَ أَنْتَ إِلَيْهِمْ  
فَإِنْ عَشْتُ حَاشَا خَافِضِينَ بِبَيْطَةِ  
فَكَمْ قَاتِلٍ لَا يَبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ  
فَتَبَسُّمُ الْمُتَعَصِّمِ وَقَالَ : « كَادَ وَاللَّهِ يَا تَعِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْعُذْلَ <sup>(١)</sup> ، أَذْهَبَ

[١] مملول . [٢] عثر وجهه كعصر وضرب خفشه ولطه وغربه . [٣] كثرتهم الموت .  
[٤] العذل كشمس وسبب : القوم ، وهو مثل ، وأول من قاله ضبة بن أد بن طابخة ، وكان له إبنان يقال لأحدهما سعد ، وللآخر سعيد ، فثرت إبل لضيبة تحت الليل ، فوجه ابنيه في طلبها ففترقا ، فوجدها سعد فرداها ، ومضى سعيد في طلبها ، فلقى الحرث بن كعب ، وكان على الغلام بردان ، فسأله الحرث إياها فأبى عليه فقتله وأخذ برديه ، فكان ضبة إذا أسمى فرأى تحت الليل سوادا . قال : أسعد أم سعيد ؟ فبكت ضبة بذلك ما شاء الله أن يبكت ، ثم إنه حج فوالى عكاظ ، فلقى بها الحرث بن كعب ، ورأى عليه

فقد غفرت لك الصبوة<sup>(١)</sup> ، ووهبتك للصبيّة ، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . ( القدر الجديد ١ : ١٤٥ ، وزمر الآداب ٣ : ٨٩ )

### ١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولي المهدي بالله<sup>(٢)</sup> بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حرّمته ، فقال : « أعزّ الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوي القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك » . ( زمر الآداب ٣ : ١٩٧ )

### ١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق ( المتوفى سنة ٢٣٣ هـ )

دخل أحمد بن أبي دواد<sup>(٣)</sup> على الواثق فقال : ما زال اليوم قوم في ثلبك وتقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، والله ولي جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورّائه ، وما ذكّ يا أمير المؤمنين من أنت ناصرُهُ ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى ابنه سعيد نمرهما ، فقال له : هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال بلى : أقيت غلاماً ، وهما عليه فسألته لإيها ، فأبى على قتلته ، وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : سيفك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطيني أنظر إليه فأبى أنظره صارماً ، فأعطاه الحرت سيفه ، فلما أخذه من يده هزمه وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له يا ضبة : أفي الفهر الحرام ؟ فقال : سبق السيف المنزل . [ ١ ] جملة الفتوة . [ ٢ ] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[ ٣ ] هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، ونصره الاعتزال ، كان مقرباً من المأمون أنبراً عنده ، ولما ولي المعتصم الخلافة جعله قاضي القضاء ، رمز يحيى بن أكثم ، وخسب به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلاً بائناً ولا ظاهراً إلا برأيه ، ولما مات للمعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ثم فليح في أول خلافة للتوكل ، فقتله ولده محمد القضاء مكانه ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ . [ ٤ ] أي معظمه ، وفي قراءة « كبره » بضم الكاف .

وَسَعَى إِلَى بَيْتِ عَزَّةَ مَعَشَرٌ جَعَلَ إِلَهَهُ خُدُودَهُنِ نَمَاهَا

(زمر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقدر الفريد ١ : ١٤٩)

### ١٣٧ — ابن أبي دؤاد والوائق أيضاً

وقال الواثق يوماً لابن أبي دؤاد تضرعاً بكثرة حوائجه : قد أخليت بيوت الأموال بطلمباتك للأئدين بك ، والمتوسلين إليك ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، تأنج شكرها متصلةً بك ، وذخايرها موصولة لك ، ومالي من ذلك إلا عِشْقُ اتصال الألسن بخلود المدح » ، فقال : « والله لا منعناك ما يزيد في عشقك ، ويقوى في هممتك فينا ولنا » ، وأمر فأخرج له خمسةً وثلاثين ألف درهم »  
(زمر الآداب ٢ : ٣١٠)

### ١٣٨ — ابن أبي دؤاد وابن الزيات

وكان بين القاضي أحمد بن أبي دؤاد وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١)</sup> منافسة وشحناء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاضي ، ويختص بقضاء حوائجه ، من التردد إليه ، فبلغ ذلك القاضي ، فجاء إلى الوزير فقال له :

« والله ما أجيئك متكثرًا بك من قلة ، ولا متمرِّزًا بك من ذلة ، ولكن أميز المؤمنين رتبك مرتبة أوجبَّت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك<sup>(٢)</sup> »  
(وفيات الأعيان ١ : ٢٥)

[١] وزر للمستمع ، والوائق من بعده ، ثم نكبه المتوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الواثق قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي داود إذا رآه قام واستقبل القبلية يسلي .

## ١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ محتسماً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، فلما نُكِب ابن الزيات <sup>(١)</sup> ، نُحِل الجاحظ مقيداً من البصرة ، وفي عنقه سلسلة ، وعليه قيض سَمَل <sup>(٢)</sup> ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنعة ، معديناً للساوئ ، وما فتنتني باستصلاحك لك ، ولكن الأيام لا تُصلح منك ، لفساد طَوَيتك ، ورداءة دَخِيلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ : « خَفَضَ عليك - أيْذك الله - فوالله لَأَن يكون لك الأمر على ، خيرٌ من أن يكون لي عليك ، وَلَأَن أُمِيءَ وَتُحْسِنَ ، أحسنُ في الأُحدوثِ عليك ، من أن أحسن وتسيء ، وَلَأَن تَعْمُو عني في حال قدرتك ، أَجَل بك من الاتِّقام مني » .

فقال أحمد : والله ما علمتُك إلا كثير ترويق الكلام ، خلٌ عنه الثُلُء والقيد ، وأحسن إليه ، وصَدَّره في المجلس .

( زهر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والمنية والأمل ص ٣٩ )

[١] كان في نفس التوكل من ابن الزيات شيء كثير ، وذلك أنه لما مات الواثق (وهو آخر التوكل) . أشار ابن الزيات بتولية ولد الواثق ، وأشار ابن أبي داود بتولية للتوكل ، وقام في ذلك وقد حقَّ عمله بيده وألبسه البردة ، وقبَّله بين عينيه ، وكان التوكل في أيام الواثق يدخل على ابن الزيات فيتجهمه ويغفل له في الكلام - يهتَرِب بذلك إلى الواثق - فغداً التوكل ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة ، أمره أربيعن يوماً حتى يطمئن إليه ، ثم قبض عليه وسجنه ، واستصغى أمواله . وكان ابن الزيات إيان وزارته قد اتخذ تنوراً من حديد ، وأطراف ساميره إلى داخل ، وهي قائمة مثل رموس المسالة ، يصب فيه من يستحقون العقوبة وكان إذا قال أحدهم أرحمني أيها الوزير . قال له : الرحمة خور في الطيبة ، فلما اعطاه التوكل أمر بادخله في التنور ، وقبده بخمسة عشر رطلاً من الحديد ، فقال : يا أمير المؤمنين أرحمني ، فقال له : الرحمة خور في الطيبة ، وفي في المذاب أربيعن يوماً حتى مات سنة ٢٤٣ هـ .

[٢] السمل : الخلق من الثياب .

١٤٠ - أبو العيْناء وابن أبي دُواد

وقال أبو العيْناء لابن أبي دُواد : إن قوماً من أهل البصرة قَدِمُوا إلى  
«سُرْمَنْ رَأَى» يَدَا عَلِيٍّ ، فقال : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مكرًا ،  
فقال : «وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :  
«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .  
( زهر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والعقد الفريد ١ : ١٤١ )

تم الجزء الثالث

ويليه

ذيل الجهرة



فهرس

# المجلد الثالث

من جمهرة خطب العرب

## الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أبي العباس السفاح وقد بوع بالخلافة	١	١
» داود بن عليّ	٢	٣
» داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح	٣	٦
» أخرى له	٤	٧
» » للسفاح بالكوفة	٥	٧
» السفاح بالشام حين قتل مروان	٦	٨
» عيسى بن عليّ » »	٧	٨
» داود بن عليّ بمكة	٨	٩
خطبته بالمدينة	٩	١٠
خطبة أخرى له	١٠	١٠
خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بني العباس	١١	١١
» وقد أرتج عليه	١٢	١٢
خطبة صالح بن عليّ	١٣	١٣
» سديف بن ميمون	١٤	١٣
» أبي مسلم الخراساني	١٥	١٥

١٧	١٦	خالد بن صفوان وأحوال السفاح
١٩	١٧	» » » ورجل من بني عبد الدار
٢٠	١٨	» » » يرثي صديقاً له
٢٠	١٩	» » » يمدح رجلاً
٢٠	٢٠	كلمات بليغة لخالد بن صفوان
٢١	٢١	عمارة بن حمزة والسفاح
٢٢		خطب أبي جعفر المنصور
٢٢	٢٢	خطبته بمكة
٢٢	٢٣	» » بعد بناء ببغداد
٢٣	٢٤	» ببغداد
٢٣	٢٥	» وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته
٢٦	٢٦	» حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن
٢٦	٢٧	» وقد قتل أبا مسلم الخراساني
٢٧	٢٨	خطبة أخرى
٢٧	٢٩	قوله وقد قوطع في خطبته
٢٨	٣٠	المنصور يصف خلفاء بني أمية
٢٩	٣١	» » عبد الرحمن الداخل
٢٩		وصايا المنصور لابنه المهدي
٢٩	٣٢	وصية له
٣٠	٣٣	» أخرى له
٣١	٣٤	» » »
٣٣	٣٥	خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه	٣٦	٣٣
قوله وقد قتل ابنه محمد	٣٧	٣٤
امرأة محمد بن عبد الله والمنصور	٣٨	٣٤
جعفر الصادق والمنصور	٣٩	٣٥
صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب	٤٠	٣٦
استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور	٤١	٣٧
» » » المنصور أيضاً	٤٢	٣٨
أبو جعفر للمنصور والربيع	٤٣	٣٩
مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور	٤٤	٤٠
» رجل من الزهاد » » »	٤٥	٤٠
» الأوزاعي بين يدي المنصور	٤٦	٤٣
نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة المنصور	٤٧	٤٦
معن بن زائدة والمنصور	٤٨	٤٧
» » » وأحد زواره	٤٩	٤٨
للنصور وأحد الأعراب	٥٠	٤٨
أعرابية تمرى المنصور وتهنئه	٥١	٤٨
خطبة محمد بن سليمان	٥٢	٤٩
وصية مسلم بن قتيبة	٥٣	٤٩
خطبة المهدي	٥٤	٥٠

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان ٥٢

مقال سلام صاحب المظالم ٥٥ ٥٣

» الربيع بن يونس ٥٦ ٥٤

» الفضل بن العباس ٥٧ ٥٥



مقال على بن المهدي	٥٨	٥٧
» موسى بن المهدي	٥٩	٥٩
» العباس بن محمد	٦٠	٦٠
» هرون بن المهدي	٦١	٦٢
» صالح بن علي	٦٢	٦٤
» محمد بن الليث	٦٣	٦٤
» معاوية بن عبد الله	٦٤	٦٦
» المهدي	٦٥	٦٨
» محمد بن الليث	٦٦	٧٠
» المهدي	٦٧	٧١
ابن عتبة يمزى المهدي ويهنئه	٦٨	٧٤
يعقوب بن داود يستعطف المهدي	٦٩	٧٤
رجل من أهل خراسان يخاطب بحضرة المهدي	٧٠	٧٥
مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي	٧١	٧٥
عظة شبيب بن شيبه للمهدي	٧٢	٧٦
خطبته في تعزية المهدي بابنته	٧٣	٧٦
خطبة أخرى له في مدح الخليفة	٧٤	٧٧
كلمات لشبيب بن شيبه	٧٥	٧٨
خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرشيد الخلافة	٧٦	٧٨
خطبة هرون الرشيد	٧٧	٨٠
وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين	٧٨	٨٢
خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي	٧٩	٨٢
استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد	٨٠	٨٥

خطبة يزيد بن يزيد الشيباني	٨١	٨٩
» عبد الملك بن صالح	٨٢	٩٠
عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته	٨٣	٩٠
غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح	٨٤	٩٠
قوله بعد خروجه من السجن	٨٥	٩٤
وصية عبد الملك بن صالح لابنه	٨٦	٩٥
» أخرى له	٨٧	٩٧
كلمات حكيمة لابن السماك	٨٨	٩٧
ابن السماك ولرشيد	٨٩	٩٧
<b>الفتنة بين الأمين والمأمون</b>		٩٩
وفد الأمين إلى المأمون		
خطبة العباس بن موسى	٩٠	٩٩
» عيسى بن جعفر	٩١	١٠٠
» محمد بن عيسى بن نهيك	٩٢	١٠٠
» صالح صاحب المصلى	٩٣	١٠١
» المأمون	٩٤	١٠١
وصية السيدة زبيدة لعلى بن عيسى بن ماهان	٩٥	١٠٢
» الأمين لابن ماهان	٩٦	١٠٣
استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين	٩٧	١٠٤
حزم طاهر وقوة عزمه	٩٨	١٠٥
طاهر يشد عزيمته جنده	٩٩	١٠٦
وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين	١٠٠	١٠٧
وصية الأمين لأحمد بن يزيد	١٠١	١٠٨

١٠٩	١٠٢	مقال عبد الملك بن صالح للأمين
١١٠	١٠٣	الشغب في جيش عبد الملك بن صالح
١١١	١٠٤	خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين
١١٢	١٠٥	» محمد بن أبي خالد
١١٣	١٠٦	إطلاق الأمين من سجنه وورده إلى مجلس الخلافة
١١٤	١٠٧	خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين
١١٥	١٠٨	» الأمين وقد تولى الأمر عنه
١١٧	١٠٩	استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون
١١٨	١١٠	خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين
١١٩		خطب المأمون

١١٩	١١١	خطبته وقد ورد عليه نهي الرشيد
١١٩	١١٢	» وقد سلم الناس عليه بالخلافة
١٢٠	١١٣	» يوم الجمعة
١٢١	١١٤	» يوم الأنصى
١٢٢	١١٥	» يوم الفطر
١٢٤	١١٦	خطبة ابن طباطبا العلوى
١٢٥	١١٧	استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون
١٢٧	١١٨	إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب
١٢٨	١١٩	استعطاف إسحاق بن العباس للمأمون
١٢٩	١٢٠	أحد وجوه بغداد يمدح للمأمون حين دخلها
١٣٠	١٢١	أحد أهل الكوفة يمدح للمأمون
١٣٠	١٢٢	محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي للمأمون

الخطبة أو الوصية

رقم  
الخطبة

الحسن بن سهل يمدح المأمون	١٢٣	١٣٠
يحيى بن أكثم يمدح للمأمون	١٢٤	١٣١
أحمد بنى هاشم والمأمون	١٢٥	١٣٢
رجل يتظلم إلى المأمون	١٢٦	١٣٢
عمرو بن سعيد والمأمون	١٢٧	١٣٢
الحسن بن رجاء والمأمون	١٢٨	١٣٣
سعيد بن مسلم والمأمون	١٢٩	١٣٣
أوزهمان يعظ سعيد بن مسلم	١٣٠	١٣٤
وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لمولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما	١٣١	١٣٤
خطبة عبد الله بن طاهر	١٣٢	١٤٦
العباس بن المأمون والمعتصم	١٣٣	١٤٧
استعطاف تميم بن جليل للمعتصم	١٣٤	١٤٧
بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله	١٣٥	١٤٩
أحمد بن أبي دواد والوائق	١٣٦	١٤٩
ابن أبي دواد والوائق أيضاً	١٣٧	١٥٠
ابن أبي دواد وابن الزيات	١٣٨	١٥٠
الجاحظ وابن أبي دواد	١٣٩	١٥١
أبو العيناء وابن أبي دواد	١٤٠	١٥٢

# فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

ح	أ
الحارث بن عبد الرحمن ٣٧	إبراهيم بن المهدي ١٢٥ - ١٢٧
الحسن بن رجاء ١٣٣	ابن السماك ٩٧
الحسن بن سهل ١٣٠	ابن طباطبا العلوي ١٢٤
الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ١١	ابن عتبة ٧٤
خ	ب
خالد بن صفوان ٢٠ - ١٩ - ١٧	أبو جعفر المنصور ٢٢ - ٢٣ - ٢٦
٥	٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦
داود بن علي	أبو زهمان العلاني ١٣٤
٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢	أبو العباس السفاح ١ - ٧ - ٨
داود بن عيسى ١١٤	أبو مسلم الخراساني ١٥
ر	ج
الربيع بن يونس ٣٩ - ٥٤	أحمد بن أبي دواد ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢
ز	د
السيدة زبيدة ١٠٢	إسحاق بن العباس ١٢٨
س	أم جعفر بن يحيى ٨٥
سديف بن ميمون ١٣	الأمين ١٠٣ - ١٠٨ - ١١٥
سميد بن مسلم ١٣٣	الأوزاعي ٤٣
سلام (صاحب المظالم) ٥٣	ت
ش	تميم بن جميل ١٤٧
شبيب بن شيبه ٧٨ - ٧٧ - ٧٦	ج
	الجاحظ ١٥١
	جعفر الصادق ٣٥
	جعفر بن يحيى البرمكي ٨٢

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

المأمون ١٠١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢

محمد بن أبي خالد ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤ - ٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

المهدي ٥٠ - ٦٨ - ٧١

- ن -

النفس الزكية ٣٢

- ه -

الهادي ٥٩

هرون الرشيد ٦٢ - ٨٠ - ٨٢

- ي -

يحيى بن أكرم ١٣١

يزيد بن عمر بن هيرة ٤٦

يزيد بن مزيد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صبيح ٧٨

تم فهرس أعلام الخطباء

- ص -

صالح (صاحب المصلى) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ١٣ - ٦٤

- ط -

طاهر بن الحسين

١٠٥ - ١٠٦ - ١١٨ - ١٣٤

- ع -

العباس بن المأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٣ - ٣٤

عبد الله بن طاهر ١٢٦

عبد الملك بن صالح

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٩

عثمان بن خزيم ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفضل بن الربيع ١٠٧ - ١١٧

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ
الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ
أرومض	أرومض	٢١	٤
لأولى	لأولى	٨	١٧
ثقلت	ثقلت	٧	٣٩
إن	إن	١٠	٤٣
المتصور	المتصور	٨	٤٤
سجالها	سجالها	٩	٥٣
الخطب	الخطب	١٠	٥٧
٣٠	٣٠	١٠	٦٠
بالمعدلة	بالمعدلة	١٤	٦٩
حُسنه	حُسنه	١٨	٧٧
الرشد	الرشد	٥	١٠٠
كل ما أوصيك	كل ما أوصيك	١٩	١٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تَجَمُّعُ خُطَبِ الْعَرَبِ

فِي عَصُورِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

وَيَحْوِي خَمْسَةَ أَبْوَابٍ :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربية

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

» الثالث : في نثر الأعراب

» الرابع : في خطب النكاح

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادر طريفة

لبعض الخطباء .



## فهرس المآخذ

- فتح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمع الأنفس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :
- لهي الدين بن على المراكشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :
- الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهاني : » الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين التويرى : » السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- المقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : » الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول - الثانى
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » السابع - الثامن
- مروج الذهب : للمسعودى : الجزء الثانى

- : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري
  - : بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور
  - : سرح العيون : لابن نباتة المصري
  - : سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزي
  - : مواسم الأدب للسيد جعفر اليتي العلوي : الجزء الثاني
  - : بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
  - : مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح
- 



## الباب الأول

في

### خطب الأندلسيين والمغاربة

٢ - خطبة عبد الرحمن الداخل ( المتوفى سنة ١٧١ هـ )

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل<sup>(١)</sup> ، يوم حربه مع يوسف الفهري<sup>(٢)</sup> صاحب الأندلس ، ورأى شدة مقاساة أصحابه قال :  
« هذا اليوم هو أسُّ ما يُنْفَى عليه ، إِمَّا ذَلكَ الدهر ، وإِمَّا عَزَّ الدهر ،  
فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرْبَحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون »  
ولما أُنْحِيَ أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال

---

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالمفرق ما أصابها ، وتبع السباح من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرَّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واستطاع بهيمته أن يؤسس هناك دولة أورثها عقبه حبة من الدهر ، وهي دولة بني أمية المغرب من سنة ١٣٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت حاضرة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير

[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عتبة بن نافع بن أبي القديوان وأمير معاوية على إفريقية والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ فدان له ٣ سنين وتسعة أشهر ، ومنه انتقل سلطانها إلى بني أمية .

« لا تستأصلوا شأفة <sup>(١)</sup> أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشدَّ عداوةً منهم »  
 — يشير إلى استبقائهم ، ليُستعان بهم على أعداء الدين — . (مع الطيب ٢ : ٧٠)

### ٣ — عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استعضر  
 الوفود إلى قُرطبة ، فأتوا <sup>(٢)</sup> عليه ، وإلى القعود لهم في قصره عدة أيام ، في  
 مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم ، بكلام سرهم ، وطيب قوسهم .  
 وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين <sup>(٣)</sup>  
 يستجديه ، فقال له :

« يا بن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك فرزت ، وبك  
 عُدْتُ ، من زمن ظلوم ، ودهر غشوم ، قَدَل المال ، وكثر العيال ، وشَحَّت <sup>(٤)</sup>  
 الحال ، فصيرتني إلى نَدَاك المآل ، وأنت وليّ الحمد والمجد ، والمرجو للرفد <sup>(٥)</sup> »  
 فقال له عبد الرحمن مسرعاً :

« قد سمعنا مقاتلك ، وقضينا حاجتك ، وأمرنا بمَوْنِكَ على دهرِكَ ، على  
 كُرْهنا لسوء مقامك ، فلا تعودن ولا سواك لمثله ، من إراقة ماء وجهك بتصريح  
 المسألة ، والإلحاف في الطلبة <sup>(٦)</sup> ، وإذا أَلَمَّ بك خطبٌ ، أو حَزَبَكَ <sup>(٧)</sup> أمرٌ ،  
 فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدوك ، كما نستُر عليك خلتك ، ونكفُ شمات المدو  
 عنك ، بمد رفعك لها إلى مالِكِكَ ومالِكنا — عزَّ وجهه — بإخلاص الدعاء ،  
 وصدق النية » .

[١] الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو إذا قطعت مات صاحبها ، والأصل ،

استأصل الله شأفته : أذهب كما تذهب تلك القرحة ، أو معناه أزاله من أصله .

[٢] اتل : انصب ، أي تاهبوا وتوافدوا عليه . [٣] بالشام .

[٤] شحت الأمر : غمره وغرقه . [٥] الرفد : السطاء والصلة .

[٦] الطلبة : الطلب . [٧] أي اشدد عليك ، والحلة : الحاجة .

وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون من حسن منطقه ، وبراعة أدبه ، وكفت فيما بعد ذوو الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه .

( فتح الطيب ٧ : ٦٨ )

٣ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة ولما فتح عبد الرحمن الداخل سرقسطة<sup>(١)</sup> ، وحصل في يده ثأرها الحسين الأنصاري ، وانتهى نصره فيها إلى غاية أمّله ، أقبل خواصه يهنئونه ، فجرى بينهم أحد من لا يؤتبه به من الجند ، فهتأه بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ أُسْبِغَ عَلَيَّ فِيهِ النِّعْمَةُ مَنْ هُوَ فَوْقَ ، فَأَوْجَبَ عَلَيَّ ذَلِكَ أَنْ أُنْعِمَ فِيهِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، لِأَصْلِيَّتِكَ مَا تَعَرَّضْتُ لَهُ مِنْ سُوءِ النَّكَالِ ، مَنْ تَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبَلَ مُهْنَتًا رَافِعًا صَوْتَكَ ، غَيْرَ مُتَجَلِّجٍ وَلَا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الْإِمَارَةِ ، وَلَا عَارِفٍ بِقِيمَتِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ تَخَاطَبُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ ! وَإِنْ جِهَلْتُكَ لِيَحْمِلَكَ عَلَى الْعَوْدِ لِمَثَلِهَا ، فَلَا تَجِدْ مِثْلَ هَذَا الشَّافِعِ فِي مِثْلِهَا مِنْ عَقُوبَةٍ . » فقال : « وَلَمَلْ فَتُوحَاتِ الْأَمِيرِ يَقْتَرِنَ اتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِ جَهْلِي وَذُنُوبِي ، فَتَشْفَعَ لِي مَتَى أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الزُّلَّةِ ، لَا أَعِدُ مِنْهُ اللَّهُ تَعَالَى . »

فتهلل وجه الأمير ، وقال : ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نَبْهَوْنَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِذَا لَمْ تَجِدُوا مَنْ يَنْبَهِنَا عَلَيْهَا ، وَرَفَعَ رَتْبَتَهُ وَزَادَ فِي عَطَائِهِ . ( فتح الطيب ٢ : ٧٠ )

٤ - تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كَانَ الْمُنْذَرُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ<sup>(٢)</sup> سَيِّئُ الْخُلُقِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، كَثِيرُ الْإِسْوَءِ إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ ، مُفْرِطُ الْقَلْقِ مِمَّا يَقَالُ فِي جَانِبِهِ ، مُعَاقِبًا عَلَى

[١] مدينة على نهر إبرة . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط ( الثاني ) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكثر النشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقة من ثقائه أن يبنى بجبل منقطع عن العمران بناءً يُسكن فيه ابنه ، وألاً يدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر في ذلك المكان ، وبقي وحده ، ونظر إلى ما سأل به من الملك ، صَجِرَ وقال للثقة : عسى أن يصلني غلمانى وأصحابى آتسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك محنته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاشه <sup>(١)</sup> بمكانه ، فلما وقف الأمير على رفقته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رقعتك ، تشكوما أصابك من توحش الانفراد ، في ذلك الموضع ، وَتَرَعَبَ أَنْ تَأْتَسَ بِخَوْلِكَ <sup>(٢)</sup> وعبيدك وأصحابك ، وإن كَانَ لك ذنب يترتب عليه أن تطول سَكنائك في ذلك المكان ، وما فعلتُ ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيتُك تُكثر الضَجَرَ والنشكى من القال وَالْقِيل ، فأردنا راحتك بأن نَحْجُبَ عَنْكَ سَمَاعَ كلامٍ من يَرَفَعُ لَكَ وَيَنِمُّ ، حتى تستريح منهم » .

فقال له : « سَمَاعُ ما كنتُ أضجِرُ منه ، أخفُ على من التوحد والتوحش ، والتخلى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهى » .

فقال له : « فَإِذَا قد عَرَفْتَ وتَأَذَّنْتَ ، فارجع إلى ما اعتدته ، وَعَوَّلْ على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم تَر ، وقد قال النبي صلى الله

[١] وليس الكتاب : « لاني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد » ، وهدمت فيه من كنت آتس إليه ، وأصبحت مسلوب العز ، فقيد الأمر والنهى ، فإن كَانَ ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبته ، وعلمه مولاي ولم أعلمه ، فإني صابر على تأديبه ، ضارِع إليه في عفوه وصفحه .

وإني أمير المؤمنين ونفسه لكاهله ولا طار يمانع الدهر »

[٢] الخول : مثال الخدم والمحم وزنا ومعنى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتهم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقرب الناس إلى ، وأحبهم في ، وبعد هذا فإيخو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكار علي ، وسنخط لما أفعله في جانبك ، أو جانب غيرك ، بما لو أطلعني الله تعالى عليه لسأني ، لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب ، بسّر بعضها عن بعض ، فيما يحول فيها ، وإنك لدو همة ومطمح ، ومن يكن هكذا يصبر ويُنْفِصِ وَيَحْمِلِ ، وَيُبدِلُ بالعقاب الثواب ، ويصبر الأعداء من قبيل الأصحاب ، ويصبر من الشخص على ما يسوء ، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ، ولقد يخف على اليوم من قاسيت من فعله وقوله ما لو قطعتم عضواً عضواً لما ارتكبه مني ، ما شفيت منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع من حولي ممن يُحْسِنُ وَيُسِيءُ ، فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ، ونظرت إلى المسيء يعود عسناً ، والمحسن يعود مسيئاً ، وصرت أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بني مَعَالِي الأمور ، وإن جاعها في التناضى ، ومن لا يتناضى لا يسلم له صاحب ، ولا يُقَرَّبُ منه جانبٌ ، ولا ينال ما تترقى إليه همته ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُسِيناً حين يحتاج إليه .

فقبل المنزريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تخلّق بالخلق الجليل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورفع قدره . (عج الطيب ٢ : ٣٢٧)

ه — عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً

وقال له أبوه يوماً : إن فيك آتية مفترطاً ، فقال له : حق لفرع أنت أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني ، إن العيون تجمُّ التَّيَّاه ، والقلوب تنفِرُ عنه ، فقال ز

يا أبى ، لى من العزّ والنسب وعلو المكان والسلطان ما يَحِلُّ<sup>(١)</sup> عن ذلك ، وإنى لم أرايونا إلا مُقْبِلَةً عَلَى<sup>(٢)</sup> ، ولا الأسماع إلا مُصْنِفَةً إِلَى<sup>(٣)</sup> ، وإن لهذا السلطان رَوْثًا يُرِيقُهُ التَّبَدُّلُ ، وَعُلُوًّا يَخْفِضُهُ الانْبِسَاطُ ، ولا يصونه وبشرّفه إلا التَّيَّةُ والالتباض<sup>(٤)</sup> ، وإن هؤلاء الأندال ، لهم ميزان يَسْبُرُونَ<sup>(٥)</sup> به الرجل منا ، فَإِنْ رَأَوْهُ رَاجِعًا ، عَرَفُوا لَهُ قَدْرَ رَجَاحَتِهِ ، وإن رأوه ناقصًا عاملوه بنقصه ، وصَيَّرُوا تَوَاضِعَهُ صِفْرًا ، وَتَخَفُّضَهُ خِسَّةً ، فقال له أبوه : قُلْ أَنْتَ أَفَاقِبُ وَمَا رَأَيْتَ .  
( فتح الطيب ٢ : ٣٢٩ )

## ٦ - يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بـمال جزيل ، فلما كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، جَاءَهُ بِمَدْحٍ آخَرَ ، فَقَالَ أَحَدُ خُدَّامِ يَعْقُوبَ :  
هَذَا اللَّثِيمُ لَهُ دَيْنٌ عِنْدَنَا يَقْتَضِيهِ ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلقك مجبولاً على كُرْهِ رَبِّ الصَّنَائِعِ ، فاجِرٍ عَلَى مَا جُعِلْتَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِكَ ، وَلَا تَكُنْ كَالْأَجْرِبِ يُعْدِي غَيْرَهُ ، وإن هذا رجل قَصَدْنَا قَبْلُ ، فَكَانَ مِنَّا مَا أَشْرَ<sup>(١)</sup> بِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى الْعُودَةِ ، وَقَدْ ظَنَنَّا فِيْنَا خَيْرًا ، فَلَا تَخَيِّبْ ظَنَّهُ ، وَالْحَدِيثُ أَبَدًا يَحْفَظُ الْقَدِيمَ ، وَقَدْ جَاءَنَا عَلَى جِهَةِ التَّهْنِئَةِ بِالْعَمْرِ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُطِيلَ عَمْرَنَا ، حَتَّى يَكْثُرَ تَرَدُّدُهُ ، وَيُذَيِّمَ نَعْمَنَا حَتَّى

[١] فى الأصل : « يجمل » ، وأرى صوابه : « يحل » .

[٢] جرى فى ذلك على سنن أى مسلم الخراسانى ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تكلموا الناس الا مرمأ ، ولا تلغظوم الا شروا ، لتتلى صدورهم من هيتكم » - انظر القدر الفريد ٢ : ٢٩٩ -

[٣] السبر : امتحان لحدود الجرح . [٤] أمر : مرج .



نجد ما نُثَمِّم به عليه ، ويحفظ علينا مَرُوءتنا ، حتى يميننا على التجمل معه ، ولا يُثَلِّينا بجليل مثلك ، يَقْبِضُ أَيْدِيَنَا عن إسداء الأيادي .

وأمر للشاعر بما كان أَمَر له به قبلُ ، وأوصاه بالمود عند حلول ذلك الأوان

ما دام العمر . ( نوح الطيب ٢ : ٣٣٠ )

٧ - وفاة الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز

واعذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كَانَ الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً للوزير هاشم بن عبد العزيز ، ثابِتاً على مودته ، فلما قَضَى الله على هاشم بالأمر ، أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الأموي<sup>(١)</sup> ذِكْرَه في جماعة من خُدَّامه ، والوليدُ حاضِرٌ ، فنسبه إلى الطيش وَالْمَعْلَة والاستبداد برأيه ، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد ، فقال :

« أصلح الله تعالى الأمير ، إنه لم يكن على هاشم التخيُّر في الأمور ، ولا الخروج عن المقدور ، بل قد استعمل جهده ، واستفرغ نصحه ، وقضى حقَّ الإقدام ، ولم يكن مِلاكُ النصر يده ، فغذله من وثيق به ، وَكَسَلَ عنه من كان معه ، فلم يُزحزح قَدَمُه عن موطن حِفَاظِهِ ، حتى مُلِكَ مُقْبِلاً غير مُذِير ، مُبْلياً غير فَشِيل ، فجوَّزى خيراً عن نفسه وسلطانَه ، فإنه لا طريقَ للمَلَم عليه ، وليس عليه ما جتته الحرب النُشُوم ، وأيضاً فإنه ما قصد أن يوجد بنفسه إلاًيضاً للأمير ، واجتناباً لِسُخْطِهِ ، فإذا كَانَ ما أَعْتَمَدَ فيه الرضا جَالِبَ التقصير ، فذلك معدودٌ في سوء الخط » .

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ الى سنة ٢٧٣ هـ ، وكان غزاه لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو سنة أشهر أو أكثر بحرق وبنف ، وله في العدو وقعة وادى سليط ، وحى من أمهات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها .

فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنفيذ هاشم ، وسعى في تخليصه .  
( مع الطيب ٢ . ٢٢٠ )

## ٨ — خطبة منذر بن سعيد البلوطي <sup>(١)</sup> ( المتوفى سنة ٣٥٥ هـ )

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله <sup>(٢)</sup> ، بلغ من عزّة الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجية تزدلف إليه ، تطلب مهادنته ، وتتهدي إليه أنفس الذخائر ، ومن جملتهم قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية ، فقد رغب في موادعته ، وبث إليه سنة ٣٣٨ هـ وفداً من قبله بهدية له ، فتأهب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً رائعاً ، أحب أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ، وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهباً من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم صنيعة الفقيه محمد بن عبد البر بالتأهب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ، بهرّه هولّ المقام ، وأبّهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غشي عليه وسقط

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حافظاً فيه ، شديد المارضة حاضر الجواب عتيده ، ثابت الحجة ، ولي بقرطبة قضاء الجماعة — المبرع عنه في الفرق بقضاء القضاء — لعبد الرحمن الناصر ، ثم لابنه الحكم المستنصر ، ستة عشر طاماً من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٥٥ هـ ، لم يحفظ عليه فيها جور في قضية ، ولا قسم بشير سوية ، ولا ميل لهوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من تسمى من أمراء بني أئمة بالأندلس بأمر المؤمنين عندما اتكأ أمر الخلافة بالشرق ، وغلب موالى الترك على بني العباس ، وبلغه إلى المقدر قتله مولاه مؤسس الظفر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ القالي - صاحب الأمالي ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق - : ثم فارغ هذا الوهمي <sup>(١)</sup> ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكتاً متفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطي - وكان ممن حضر في زُمرَةِ الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مراقاته ، فوصل افتتاح أبي عليّ لأول خطبته بكلام كان يسُحّه سَحّاً ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والتَّعَدُّدُ لآلائه ، والشكر لِتَعَمُّاته ، والصلاة والسلام على محمد صَفِيّه وخاتمِ أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحقّ إلا الضلال ، وإني قد قُدتُ في مقام كريم ، بين يَدَيِ مَلِكٍ عظيم ، فَأَصْغُوا <sup>(٢)</sup> إلیّ معشَرَ المَلَأَ بأسماعكم ، وَأَتَقِنُوا عَنِي <sup>(٣)</sup> بأقنُدتكم ، إن من الحق أن يقال لِلْمُحِقِّ صدقت ، وَلِلْمُبْطِلِ كَذَبَتْ ، وإن الجليلَ تعالى في سماءه ، وتقدّس في صفاته وأسمائه ، أمر كَلِمَتَهُ موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكر قومه بأيام الله جل وعزّ عندهم ، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوَةٌ حَسَنَةٌ ، وإني أذكركم بأيام الله عندهم ، وتَلَاْفِيهِ لَكُمْ بِخِلاَفَةِ أمير المؤمنين ، الَّتِي لَمْتُ شَعْبَكُمْ ، وَأَمَنْتُ سِرْبَكُمْ <sup>(٤)</sup> ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقوّاكم ، ومُستَندَئِنٍ فنصركم ، وَلَاءَ الله رِعايَتكم ، وأسند

[١] الوهمي : الشق في الشيء . [٢] الذي في كتب القنة : « أسمى إليه سمه : أماله ، وأسمى

إليه : مال بسمه نحوه » ولعل زيادة الباء في « بأسماعكم » من النسخ لا من الخطيب .

[٣] هكذا في نصح الطيب ، ولي مطبع الأعراس : « ومنوا عليّ بأقنُدتكم » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أيام ضَرَبَتُ الفتنَةُ مُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأجاطت بكم شَعْلُ النفاق ، حتى صرتم في مِثْلِ حَدَقَةِ البعير ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتغير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرءاء <sup>(١)</sup> ، وانتقلتم يَمُنُّ سياسته إلى تمهيد كَنَفِ العافية بعد استيطان البلاء .

أُنْشِدُكُمْ باللهِ معاشرَ الْمَلَأَ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسُّبُلُ مخوفة فأمّنتها ، والأموال متهبة فأحرزها وحصّنها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمّرها ، ونور المسلمين مُتَضَمِّنة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاءَ الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشقّ صدوركم ، وصيرتم يداً على عدوكم ، بعد أن كَانَ بِأُسْكُمْ يَنِينُكُمْ .

فَأُنْشِدُكُمْ الله ، ألم تكن خلافته قُفْلُ الفتنَةِ بعد انبلاجها من عقابها ؟ ألم يَتَلَاَفَ صَلَاحُ الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ؟ ولم يَكِلْ ذلك إلى القُوَادِ والأجناد ، حتى باشره بالقُوَّةِ والمُهَيَّجَةِ والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، ورَفَضَ الدَّعَاةَ ، وهي محبوبه ، وترك الرُّكُونَ إلى الراحة ، وهي مطلوبة ، بِطَوِيَّةٍ صحيحة ، وعزيرة صريحة ، وبصيرة ثابتة ، نافذة ثابتة ، وريح هابئة غالبة ، وَنُصْرَةٌ من الله واقعة واجبة ، وسُلْطَانٌ قاهر ، وَجِدٌّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متَحَمِّلاً لِلنَّصَبِ ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنَةِ عند حَدِيثِهَا ، ولم يبق لها غَارِبٌ إِلَّا جَبَّهُ <sup>(٢)</sup> ، ولا نَجَمَ <sup>(٣)</sup> لأهلها قَرْنٌ إِلَّا جَدَّهُ ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرءاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] الغارب : الكمل ، أو ما بين المنام والنعق ، وجبهه : قطعه .

[٣] في الأصل : « نجم » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أى ظهر وطلع ، وجده : قطعه .

فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، وِلمَ أمير المؤمنين لشعكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقبصين والأذنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍّ عميق ، وبلد سحيق <sup>(١)</sup> ، لأخذ حَبْل <sup>(٢)</sup> بينه وبينكم جُمْلَةً وتفصيلاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ولن يخاف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليها قائم ، وجفنها غير قائم « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَهَلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » ، وليس في تصديق ما وعد الله ارباب ، ونكل نبياً مُستقرً ، ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين <sup>(٣)</sup> خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالعمنة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً ، وأكثرهم جمعاً ، وأجلهم صنماً ، لا تُهاجون ولا تُدادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستمينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والنزاهة الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة : وسعى في تفريق الجماعة ، وتزق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سحيق : بعيد . [٢] أى ماهدة بينه وبينكم . [٣] هكذا في فتح الطيب ، ومطبعة الأنس ، ولعلّ صوابه : « أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين » .

وقد علمتم أن في التعلق ببعضيتها ، والتمسك بمروتها ، حفظ الأموال ، وحققن الدماء ، وصالح الخاصة والذمماء <sup>(١)</sup> ، وأن بدوام <sup>(٢)</sup> الطاعة تُقام الحدود ، وتوفى العهود ، وبها وُصِلت الأرحام ، ووُضِحت الأحكام ، وبها سَدَّ الله الخلل ، وأمن السبل ، ووُطِّأ الأكناف ، ورفع الاختلاف ، وبها طاب لكم القرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين الساعين في شقِّ عصاكم ، وتفريق مملكتكم ، الآخذين في مخاذهل دينكم ، وهتك حریمكم ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين ، مستغفراً الله الغفور الرحيم ، فهو خير النافرين .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وكان الناصر أشدهم تعجباً منه ، فولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهاء ، ثم توفى محمد بن عيسى القاضي ، فولاه قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهاء . ( نفع الطيب ١ : ١٧٢ ، ومطح الأضواء ص ١٣ )

## ٩ — خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً — وأراد التواضع — فكان من فصول خطبته ، أن قال :

« حتى متى ، وإلى متى ، أعِظْ ولا أتعِظْ ، وأزجر ولا أنزجر ؟ أدل الطريق

[١] الذمماء : جماعة الناس . [٢] في الأصل : « بدوام » ، وأظنه : « بدوام » .

إلى المستدئين ، وأبقى مقيماً مع الحائرين ! كلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إن  
هي إلا فتنتك تُضِلُّ بها مَنْ نَشا ، وتَهْدِي مَنْ نَشا ، أنتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا ، وأنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما  
تكفلت لي به ، ولا تحزمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك ،  
يا أرحم الراحمين . ( فتح الطيب ١ : ٢٢٢ )

١٠ - أحد حساد الرمادي الشاعر والمنصور بن أبي عامر

( المتوفى سنة ٣٩٤ هـ )

وقال المنصور بن أبي عامر المُعَاوِيَّ (١) يوماً لأبي عمر يوسف الرمادي  
الشاعر : كيف ترى حالك معي ؟ فقال : « فوق قدرى ، ودونَ قدرك (٢) » ،  
فأطرقَ المنصورُ كالنفضبان ، فأُتِىَ الرماديُّ وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَرَ منه ،  
وجمل يقول : أخطأتُ ! لا والله ، ما يُفْلِحُ مع الملوك من يعاملهم بالحق ، ما كَانَ  
ضَرَّتْني لو قلت له : إني بلغتُ السماء ، وتغنطتُ بالجوزاء ! وأنشد :

متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا  
وكان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور ، فوجد فرصة فقال :

[١] هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك  
المعافري . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان عظيماً في قومه ، وله في الفتح أثر ، وكان  
الحكم بن الناصر قد استوزر ابن أبي عامر ، ونفوس إليه أموره ، وترقت حاله عنده ، ثم توفى الحكم  
سنة ٣٦٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام ، وكانت سنة سبع سنين ، فخدم ابن أبي عامر نفسه بالتغلب عليه  
لصغر سنه ، وتم له ما أُمِلَ ، فتغلب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يحيا بجية الملوك ، وتسمى  
بالحاجب المنصور ، وغنمت الكتب والمخطوطات والأوامر باسمه ، وأمر بالدعاء له على النابر باسمه عقب الدعاء  
للخليفة ، ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء له على النابر ، وكتابة اسمه في السكة والطرز ،  
وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .  
[٢] يريد « ودون ما ينبغي أن يسطيه منك لئلي » .

« وَصَلَّ اللَّهُ لِمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَ ، إِنَّ هَذَا الصَّنِيفَ صَنَفُ زُورٍ وَهَذَانِ ، لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا <sup>(١)</sup> وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابُ مَنْ غَلَبَ ، وَأَصْحَابُ مَنْ أَخْصَبَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ أَجْدَبَ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ : « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِيمُونَ ، وَهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » وَالْإِبْتِعَادُ مِنْهُمْ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ يُسْتَحْسَنُ إِلَّا مِنْهُمْ ؟ » .

\* \*

فرفع المنصور رأسه - وكان مُحَامِي أهل الأدب والشعر - وقد اسودَّ وجهه ، وظهر فيه الغضب المُفْرِط ، ثم قال :

« مَابَالُ أَقْوَامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَمِيتُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ فِيمَا لَا يَذَرُونَ ، أَيُرْضَى أَمْ يُسَخِطُ ؟ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُبْتَعِثُ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْعَثَ ، قَدْ عَلِمْنَا غَرَضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءَةِ ، وَحَسَدُكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ سَلَا عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ

وَعَرَفْنَا غَرَضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلَسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلُغُ أَحَدًا غَرَضَهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ <sup>(٢)</sup> ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَغَارًا ، وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَحِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الْإِلَ : السَّعْدُ .

[٢] مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « تَقْرُبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ طَمَعُ فِي غَيْرِ طَمَعٍ .



بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان الفامر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثرة .  
والله لو حكّمته في بيوت الأموال ، لرأيت أنها لا ترجع ما تكلم به قلبه ذرةً ،  
وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا  
تحكموا علينا في أوليائنا ، ولو أبصرتم منا التغير عليهم ، فإننا لا تتغير عليهم  
بغضّنا لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإننا من نريد إبعاده لم نُظهِر له  
التغير ، بل ننبذُه مرة واحدة ، فإن التغير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو  
كنتُ مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لتفرقتم أيدي سبّا (١) ،  
وجُوبتُ أنا مجانبَة الأجر ، وإنّي قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا  
عن مرضاتي ، فتجبّوا سُخْطِي بما جئتموه على أنفسكم .



ثم أمر أن يُردّ الرمادي ، وقال له : أعِدْ عليّ كلامك ، فارتع ، فقال :  
الأمرُ على خلاف ما قدرت ، الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن  
لثانيه ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلغنا أن النعمان بن المنذر خَشَا قَمَ النابذة بالدُر ، لكلام  
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُر عن ذلك ، ما هو أثوّه وأحسن حائده ،  
وكتب له ببالٍ وخَلَع وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى التكلم في شأن  
الرمادي - وقد كان يغوص في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلّ به مما رأى وسمع -

---

[١] من أمثالهم أيضاً : « ذهبوا أيدي سبّا ، وتفرقوا أيدي سبّا » ، واليد : الطريق  
أي فارقهم طرقهم التي سلكوها كما تحرق أهل سبّا في مذاهب مختلفة . ضرب المثل بهم ، لأنه لما غرق مكانهم ،  
وذمبت جناتهم ، تبددوا في البلاد - انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ - وقد بنوا أيدي سبّا ،  
وأيدي سبّا على السكون لكونه مركباً تركيب خمسة عشر .

وقال : « وَالْمَجَبُّ مَنْ قَوْمٌ يَقُولُونَ : الْإِتْعَادُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَوَّلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، نَعَمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مَفَاخِرٌ ، يَرِيدُ تَحْلِيدَهَا ، وَلَا أَيَادٍ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا ، فَأَيْنَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

عَلَى مُكْثَرِهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ      وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ <sup>(١)</sup>  
وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو ذُلْفٍ      بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمُخْتَصَرِهِ  
فَإِذَا وَلَّى أَبُو ذُلْفٍ      وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ <sup>(٢)</sup>

أَمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ أَكْرَمُ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ؟ بَلَى ، وَلَكِنْ مُحِبَّةُ الشُّعْرَاءِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، أَحْيَتْ غَايِرَ ذِكْرِهِمْ ، وَخَصَّصَتْهُمْ بِمَفَاخِرِ عَصْرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ لَمْ تَخْلُدِ الْأَمْدَاحُ <sup>(٣)</sup> مَا يَزِمُ ، قَدَّرَتْ ذِكْرَهُمْ ، وَدَرَسَتْ نَفَرَهُمْ .

( فتح الطيب ٢ : ٢٢٦ )

١١ - ابن اللبابة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح  
لما مات المعتصم بن صمادح <sup>(٤)</sup> ملك المروية ركب البحر ابنته وولت عهد  
الوائق عز الدولة ، وفارق الملك كما أوصاه والده المعتصم .

[١] البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

[٢] البيتان لعل بن جيلة الأبارى اللقب بالكوك من قصيدة قالها في مدح أبي ذلف أنقاس بن عيسى السجلى - وكان جواداً محمداً - وفيها يقول :

كل من في الأرض من عرب      بين يديه إلى حضرة

مستجير منه مكرمة يكتسبها يوم      مفترقه

وهذا البيتان الأخيران أحفظا عليه المؤمن ، فطلبه حتى ظفر به ، فسل لسانه من قناه ، ويقال : بل هرب ولم يزل متوارداً منه حتى مات ، قال صاحب الأغاني : « وهذا هو الصحيح من القوائن ، والآخر شاذ » .  
[٣] لم أجد هذا البيت في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها : « المدحة بالكسر والمدح بالأدوحة بالضم : ما يمدح به ، والجمع مدح ككتب ومدائح ومدائح » .

[٤] هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب المروية « بلد بالأندلس على الساحل الجنوبي » ، وكان منافقاً للمعتد بن هبادة صاحب إشبيلية متناوفاً له ، وقد سعى به لدى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين

قال أبو بكر بن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقة جُور الدهر، حتى اجتمعت  
بيجاية<sup>(١)</sup> مع عز الدولة بن المعتصم، فإني رأيت منه خير من يُجتمع به، كأنه  
لم يخلقه الله تعالى إلا للملك والرياسة، وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تيمّم  
من تحت حموله، كما ينمّ فرند<sup>(٢)</sup> السيف وكرمه من تحت الصدا، مع حفظه  
لفنون الأدب والتواريخ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه، ولطافة ذهنه،  
ولقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه  
الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، ورغب إلى أن أستاذنه في ذلك، فلما  
أعلمت عز الدولة قال:

« يا أبا بكر، إنك لتعلم أنا اليوم في مُحول وصيق، لا يتسع لنا معهما، ولا  
يحمل بنا الاجتماع مع أحد، لاسيّما مع ذي أدب ونباهة، يلقانا بين الرحمة،  
ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا، ونكايد من ألفاظ توجّه، وألحاظ تفجّع،  
ما يحدّد لنا همّا قد بلي، ويُنحي كدّاً قد فني، ومالنا قدرة على أن نجود عليه  
بما يرزى عن همنا، فدعنا كأننا في قبر، تدرّع لسهام الدهر، بدرع الصبر،  
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخر،  
فكأننا لم نكشِف حالنا لسوانا، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا نحمل غيرك بحملك». .  
قال ابن اللبانة: فلا والله ممى بلاغة لا تصدّر إلا عن سداد، ونفس أئمة  
متمكنة من أعنة البيان، وانصرفت متمثلاً:

---

وأفسد ما بينهما، وكان ابن عباد قد استنصر ابن تاشفين لصد غارة الإسبان، فغير بحبيشه من مراکش  
إلى الأندلس، وأبلى بلاء حسناً في قتالهم حتى دارت عليهم الدائرة في وقعة الرّلالة، ثم مال على ملوك  
الطوائف، فاكسح دولهم، ودانت له الأندلس. [١] بيجاية: بلد بالمغرب على ساحل بلاد الجزائر.  
[٢] جوهره.

لسانُ الفتى نصفٌ ، ونِصفُ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدم  
وَكأنَّ ترى من صامتٍ لك مُعجِبٍ زيادته أو نقصه في التكلم<sup>(١)</sup>  
(عج الطيب ٢ : ٢٢٨)

## ١٢ - دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

بحضرة ابن تاشفين

لما تألب بنو حشون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة<sup>(٢)</sup> ،  
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخار ، فقصد إلى حضرة  
الإمامة « مراکش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد  
غصَّ بأربابه ، فقال :

« إنه لمقام كريم ، نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ، ونصلى على خيرة أنبيائه ،  
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحابة نجوم الليل البهيم<sup>(٣)</sup> ،  
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفى  
نصيراً وظهيراً ، ونفزع إليك مما دهمنا<sup>(٤)</sup> فى حماك ، ونبئُ إليك ما لحقنا من  
الغيم ، ونحن تحت ظِلِّ عِلاك ، ويأبى الله أن يذهم من احتنى بأمر المسلمين ،  
ويُصابَ بِضيمٍ من أدعَ بِحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى  
حق أمرك الذى عضده<sup>(٥)</sup> مؤيدك ، لتسمع منها ما تحبّره برأيك وتنقذه ، وإن  
قاضيكَ ابن الوحيدى الذى قدّمته فى مالقة للأحكام ، ورضيت ببدله فيمن بها

[١] البطلان زهير بن أبى سلمى من معلقته . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجنوبى .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسمع ومنع : غشيه .

[٥] عضده كمنصره : أصاب عضده ، والمراد بمؤيده بنو حشون ، والمعنى : إن بنى حشون - وكانوا  
أحقّ بتأييد أمرك وتوطيده - قد أوهنوه وأوهوه بضرهم لأحكام القاضى ، والظن فيها ، أو معنى  
عضده : لصره ، فالمراد بمؤيده القاضى الوحيدى ، والمعنى على ذلك ، إن القاضى القائم بأمرك يذأب على  
لصره ، وتبليت دفاعه ، باتهاجه طريقى الحق فى حكمه ، ولو غضب من جراء ذلك فربى من الرمية .

من الخاصة والعوام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحسن سيرته ، وَيُرْضَى  
 اللَّهُ تَعَالَى وَيُرْضَى النَّاسُ بظاهره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرَيْنَا  
 لَهُ مَوْقِفٌ خِزْيٌ ، وَلَمْ يَزَلْ جَارِيًا عَلَى مَا يُرْضَى اللَّهُ تَعَالَى وَيرضيك ورضينا ،  
 إِلَى أَنْ تَمَرَضْتَ بِنُحُوسِ الطَّعْنِ فِي أَحْكَامِهِ ، وَالْهَدَّ مِنْ أَعْلَامِهِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا  
 أَنْ اهْتِضَامَ الْمَقْدَمِ ، رَاجِعٌ عَلَى الْمَقْدَمِ ، بَلْ جَمَحُوا فِي لَجَاجِهِمْ ، فَعَمُوا وَصَمُّوا ،  
 وَقَمَلُوا وَأَمَضُوا مَا بِهِ تَهْمُوا ، وَإِلَى السُّتْبِ رَفَعَ الْكَفَّ مِنْ قَدْ جَفَّ عَنْهُ مَسِيلُ  
 عَيْنٍ وَنَهْرٍ .

فَلَا سَمْعَهُ بِبَلَاغَةِ أَعْقَبَتْ نَصْرَهُ وَنَصَرَ صَاحِبَهُ . (مع الطب ٢ : ٢٤٠)

١٣ - موعظة ابن أبي رندة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبي رندة الطرطوشي<sup>(١)</sup> مرة على الأفضل<sup>(٢)</sup> بن أمير الجيوش  
 فوعظه ، وقال له :

« إِنْ الْأَمْرَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ ، إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مِنْ كَانَ  
 قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ ، بِمَثَلٍ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي مَا خَوَّلَكَ مِنْ هَذِهِ  
 الْأَمَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُكَ عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْقِمَاطِ وَالْقَتِيلِ<sup>(٣)</sup> ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

[١] هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى الطرطوشي  
 (بضم الطاءين) ، وقد فتَحَ الطاء الأولى ، نسبة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس ) ويعرف بابن أبي رندة  
 وكان زاهداً عابداً متورطاً متقللاً من الدنيا قَوَّالاً لِحَقِّ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَدَخَلَ بَنْدَادَ الْبَصْرَةِ ،  
 وَسَكَنَ الشَّامَ مَدَّةً ، وَحَرَسَ بِهَا ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ يَكْرَهُهُ ، فَلَمَّا وَلَّى بِسَمَةِ الْمُأْمُونِ بْنِ الْبَطَّاحِيِّ  
 أَكْرَمَ الطَّرْطُوشِيَّ إِكْرَامًا كَثِيرًا ، وَلَهُ أَلْفُ الشَّيْخِ « سَرَّاجُ الْمُلُوكِ » وَتَوَفَّى بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ ٥٢٠ هـ .  
 [٢] هـ. الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالي حاكم عكا ، فأُرْسِلَ  
 إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْفَاتَمِيُّ الْمُسْتَنْصَرُ بِأَمَلِهِ الْقُدُومَ إِلَى مِصْرَ لِاصْلَاحِ أحوَالِهَا الْمُعْظِرَةِ إِذْ ذَاكَ ، فَقَدِمَ إِلَيْهَا ، وَتَوَلَّى  
 شُئُونَهَا ، وَأَقَامَ مَوْجِعًا ، وَصَارَتْ لَهُ فِيهَا السُّكْنَةُ النَّافِثَةُ ، ثُمَّ لَابَنَهُ الْأَفْضَلَ .

[٣] التغير : التمرة التي في ظهر النواة ، والقماطير : القشرة الرقيقة التي بين النواة والتمر ، والقَتِيلُ :  
 مَا يَكُونُ فِي شَقِّ النَّوَاتِ .

عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحدّافيرها ، فسخر له الإنس والجِن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء<sup>(١)</sup> حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنَنْ »<sup>(٢)</sup> أو أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فاعدّ ذلك نعمة كما عدّتموها ، ولا حسيبها كرامة كما حسيبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي »<sup>(٣)</sup> أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ، فافتتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم . (فتح الطيب ١ : ٣٦٣)

١٤ - خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين

(المتوفى سنة ٥٣٤ هـ)

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت<sup>(١)</sup> مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فلما حضروا بين يديه قام :

[١] الرخاء : الريح اللينة . [٢] أى فأعط منه من شئت . [٣] بلاد : اختبره .

[٤] هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المغرب سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، وقيل إنه أتى أبا حامد الغزالي ، ثم رجع إلى المغرب ، وقامت دعوته في أوّل الأمر في صورة أسمر بالمعروف ، ثم عاد عن المنكر ، فاتبه بعض القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والفتاوى إلى الخير ، وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم جعل يذكر المهدي ويشوق إليه ، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ، ادّعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالمهدي ، ورفع شبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادّعى أنه من نسل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرّح بدعوى العصمة لنفسه ، وأنه المهدي المصوم ، وروى في ذلك أحداث كثيرة حتى استغترّ عندم أنه المهدي ، فبايروه على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً - وكانت مراکش تحت إمرة المرابطين - فقال : اتصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين سموا بالمرابطين ، فادعوم إلى إمارة المنكر ، وإحياء للعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المصوم ، فإن أجابكم فهم إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فهدأ أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراکش فلقبهم المرابطون

نَحْمَدُ اللَّهَ وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ  
أَنْشَأَ يَتَرَضَّى عَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَذْكُرُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ  
الثَّبَاتِ فِي دِينِهِمْ ، وَالزَّعِيمَةِ فِي أَرْحَامِهِمْ ، وَأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَثَمٍ ،  
وَذَكَرَ مِنْ حَدِّ صَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنَتُهُ فِي الْحَجْرِ ، وَتَصْبِيهِهِ عَلَى الْحَقِّ ، فِي أَشْيَاءِ  
هَذِهِ الْفُصُولِ ، ثُمَّ قَالَ :

فَانْقَرَضَتْ هَذِهِ الْمِصَابَةِ ، نَفَرَ اللَّهُ وَجُوهَهَا ، وَشَكَرَ لَهَا سَعْيَهَا ، وَجَزَاها  
خَيْرًا عَنْ أُمَّةٍ نَذِيهَا ، وَخَبَطَتِ النَّاسَ فِتْنَةٌ تَرَكْتَ الْحَلِيمَ حَيْرَانَ ، وَالْعَالِمَ مُتَجَاهِلًا  
مُذَاهِنًا ، فَلَمْ يَنْتَفِعِ الْعُلَمَاءُ بِعِلْمِهِمْ ، بَلْ قَصَدُوا بِهِ الْمُلُوكَ ، وَاجْتَلَبَوْا بِهِ الدُّنْيَا ،  
وَأَمَالُوا وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ، فِي أَشْيَاءِ لِهَذَا الْقَوْلِ ، إِلَى هَلْمٍ جَرًّا .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - مَنْ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الطَّائِفَةُ - بِتَأْيِيدِهِ ،  
وِخْصَمِكُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ بِحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ ، وَقِيضَ <sup>(١)</sup> لَكُمْ مَنْ <sup>(٢)</sup>  
أَلْفَاكُمْ ضَلَالًا لَا تَهْتَدُونَ ، وَعُمِيًا لَا تُبْصِرُونَ ، لَا تَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا تُشْكِرُونَ  
مَنْكَرًا ، قَدْ فَشَتْ فِيكُمْ الْبِدْعُ ، وَاسْتَهْوَتْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَزَيَّنَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ  
أَصَالِيلَ وَتُرَاهَاتٍ <sup>(٣)</sup> ، أَرْزَاهُ لِسَانِي عَنِ النُّطْقِ بِهَا ، وَأَرَبَّأُ <sup>(٤)</sup> بِلَفْظِي عَنْ

قُرْبًا مِنْهَا بِجَيْشٍ ضَخْمٍ أَمِيرُ الْزَبِيرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ ، فَدَعَا إِلَى مَا أَسْرَمَ بِهِ ابْنُ تَوَسَّرَ  
فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ أَسْوَأَ رَدٍّ ، ثُمَّ لَقِيَ الثَّانِي ، فَانْزَعَمَ أَصْحَابُ ابْنِ تَوَسَّرَ وَقَتْلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا رَجَعَ  
الْقَوْمُ إِلَى ابْنِ تَوَسَّرَ جَلَّ يَبُوتَ عَلَيْهِمْ أَمْرُ الْهَزِيمَةِ ، وَبَقِيَ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْ قَتَلُوا شُهَدَاءَ ، لِأَنَّهُمْ خَافُوا  
مِنْ دِينِ اللَّهِ ، فَزَادَ ذَلِكَ بِسِيرَةِ فِي أَرْحَامِهِمْ ، وَحَرَمًا عَلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ ، وَجَلُّوا بِشَتُونَ الْغَارَاتِ عَلَى نَوَاحِي  
مَرَاكِسٍ وَيَحْتَلُونَ وَيَسُونَ وَلَا يَقُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ ، وَكَثُرَ الدَّاخِلُونَ فِي طَائِفِهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ  
أَصْحَابُهُ ظَاهِرِينَ ، وَأَحْوَالُ الرَّاغِبِينَ تَحْتَلُّ ، وَانْتَفَاضَ دَوْلَتُهُمْ يَتَرَايِدُ ، إِلَى أَنْ تَوَلَّى ابْنُ تَوَسَّرَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ  
يَدُ أَنْ أَسَّسَ الْأُمُورَ ، وَأَحْكَمَ التَّدْبِيرَ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ يَدِهِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ . وَقَدْ اسْتَوْقَفَ لَهُ  
الْأَمْرَ بِمَوْتِ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ ذَلِكَ لِلرَّاغِبِينَ سَنَةَ ٥٣٧ هـ .

[١] أُنَاحَ لَكُمْ وَسَبَبَ وَمَبَأً . [٢] بِحَقِّ هَذِهِ . [٣] جَمْعُ تَرْهَةٍ : وَهِيَ الْبَاطِلُ .

[٤] ارْتَهَعَ .

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبصركم بعد النسي ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين <sup>(١)</sup> ، وسيورثكم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كسبت أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، وما ربك بظلام للعبيد .  
 فجددوا لله سبحانه خالص نيّاتكم ، وأزوه من الشكر قولاً وفعلًا ما يُركى به سعيكم ، ويتقبل أعمالكم ، وينشر أركم ، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة ، وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثر أتباعكم ، وأظهر الله الحق على أيديكم ، وإلاّ تفعلوا شملكم النلّ ، وعمكم الصغار <sup>(٢)</sup> ، واحتقرتكم العامة ، فخطفتكم الخاصة ، وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة ، واللين بالصلف ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة ، إلا على الذي صلح عليه أمر أولها .  
 وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلّوناه <sup>(٣)</sup> في جميع أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سريره وعلايته ، فرأيناه في ذلك كله ثبتاً <sup>(٤)</sup> في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدّل أو نكص على عقبيه ، أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزهم الله - بركة وخير كثير ، والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت .

( المسبب ، في تاريخ أخبار العرب ص ١٠٨ )



## ١٥ - مقال لسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ) في الحَضِّ على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب <sup>(١)</sup> في الحَضِّ على الجهاد <sup>(٢)</sup>

« أيها الناس - رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى - :

إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دَهَمَ العدو - قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سَاحَتَهُمْ ،  
ورام الكفر - خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى - استباحَتَهُمْ ، وَرَحَّتْ أَحْزَابُ الطَّوَاغِيتِ  
إليهم ، وَمَدَّ الصَّلِيبُ ذِرَاعَيْهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيْدِيكُمْ - بِيْزَةُ اللَّهِ تَعَالَى - أَقْوَى ، وَأَنْتُمْ  
الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَهُوَ دِينُكُمْ فَانصُرُوهُ ، وَجِوَارُكُمْ الْقَرِيبُ فَلَا  
تُخْفِرُوهُ <sup>(٣)</sup> ، وَسَبِيلُ الرِّشْدِ قَدْ وَضَحَ فَلْتَنْصُرُوهُ ، الْجِهَادُ الْجِهَادُ فَقَدْ تَعَيَّنَ ،  
الْجَارُ الْجَارُ فَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ حَقَّهُ وَبَيَّنَّ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أُمَّةِ  
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي  
وَطْنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَدْ اسْتَعَاثَ بِكُمْ الدِّينُ فَأَعِيشُوهُ ، قَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ

[١] هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المشهور بابن الخطيب خاتمة أدباء الأندلس ، ولد بغرناطة سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عداد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم اصطفاه وجعله وزيره ، وفوض إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وخلفه ابنه محمد أقره على الوزارة ، ثم وثب لإسماعيل أخو السلطان على مملكته ، فاضطر أن ينفذوه إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال عاد محمد إلى مملكته ، وبقى مدة كتب له فيها ابن زمرك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد لسان الدين إلى غرناطة ، وحل مكانه من سلطانه ، فألب ذلك نار الحسد في ابن زمرك وأنصاره ، فسماوا به إليه حتى أحفظوه عليه ، فهرب إلى المغرب - وكان في حوزة بني مرين ، وهم من البربر - حكموا المغرب بعد الموحدون من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان المغرب عبد العزيز ، وخطب ابن الأحمر في أهل وولده ، فجهش إليه إلى أن مات ( عبد العزيز ) ، وتار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط تسليمه ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وقبض عليه ، وسجن بفاس ، ونظر في كلمات له في كتابه « الهبة » وأقنع الفقهاء بقتله ، فُدس عليه من خقه في سجنه سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسفروا إلى ملوك بني مرين يستعجدهم على الإسبان .

[٣] أخفروا : غدروا به ونقض عهده .

وحاشاكم أن تكفؤوه ، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله تعالى عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد ، صلوا رحم الكلمة (١) ، واسأوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ، كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله سبحانه يقول فيه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ » ، ومما صح عنه قوله : « من أغبرت قدماه في سبيل الله حرهما الله على النار » ، « لا يجمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم » ، « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا » ، أدرى كوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته ، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده :

ماذا يكون جوابكم لنبئكم وطريق هذا العذر غير محمد

إن قال : لم فرطتم في أمي وتركتموه للعدو المعتدي ؟

تالله لو أن العقوبة لم تخف لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم ثبت لنا الحمية في البلاد ، اللهم دافع عن الحريم والضعيف والأولاد ، اللهم انصرنا على أعدائك ، بأحبائك وأوليائك ، يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

( فتح الطيب ٤ : ٣ )

١٦ - ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
لما قصد لها عقب ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المولى الهمام ، الذي عرف فضله الإسلام ،  
وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وَخَفَقَتْ بِمِزْنِ نصره الأعلام ، وتنافست في  
إفقاد أمره ونهيه السيوف والأقلام ، السلام عليك أيها المولى الذي قسم زمانه  
بين حكمه فصل ، وإمضاء فصل ، وإحراز فصل <sup>(١)</sup> ، وعبادة قامت من اليقين  
على أصل ، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشَبِّع البطون الجائفة ،  
وكاظمي الظهور العارية ، وقادح زناد العزائم الوارية ، ومكتب الكتاب النازية ،  
في سبيل الله تعالى والسرايا <sup>(٢)</sup> السارية ، السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم ،  
ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق المرضي والقلب السليم ، ومفوض الأمر في الشدائد  
إلى السميع العليم ، ومُعْمِلُ البنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم ، كَرَّمَ  
الله تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَّمَهَا ، وطيب رُوحَكَ الزَكِيَّةَ وَأَنَسَهَا ، فلقد كنت للدهر  
جَمَلاً ، وللإسلام ثَمَلاً <sup>(٣)</sup> ، وللمستجير مُجِيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ، لقد كنت  
للمحارب صَدْرًا ، وفي المواقب بَذْرًا ، وللموآب بحرًا ، وعلى العباد والبلاد  
ظِلًّا ظليلاً وَسِتْرًا ، لقد قَرَعْتَ <sup>(٤)</sup> أعلام عِزِّكَ الثنايا ، وأَجَزَلْتَ هِمَّتَكَ الملوك  
الأرض الهدايا ، كأنك لم تَعْرِضَ الجنود ، ولم تَنْشُرِ البُنود <sup>(٥)</sup> ، ولم تَبْسُطِ العدل

[١] الحاصل : النبلية في النضال . [٢] السرايا جمع سرية وهي من خمسة ألس إلى ثمانية  
أو أربسة . [٣] الثمال : الغيات التي يقوم بأمر قومه .  
[٤] فرمت : علت ، والثنايا : جمع تلية كهدية ، وهي العبة ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه .  
[٥] البنود جمع بند كشمس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم توجد الجود ، ولم ترين الركن السجود ، فتوسّدت الثرى ، وأطلت  
الكرى ، وشربت الكأس التي يشرّبها الورى ، وأصبحت ضارِع (١) الخدّ ،  
كليل الخدّ ، سالِ كَاسَتَيْنِ الأب والجدّ ، لم تجِدْ بعد انصرام أجلك ، إلا صالح  
عملك ، ولا ضحبت لقبرك ، إلا رايح تجرّك (٢) ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ،  
ففسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويحود بسحاب الرحمة ثرابك ، وينفك  
بصدق اليقين ، ويحملك من الأئمة المتقين ، ويُعطي درجتك في عليين (٣) ،  
ويحملك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين .

وَلِيَهْنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وَبَارَقَ  
رَعْدُكَ ، وَمُنْجَزَ وَعْدِكَ ، أَرْضَى وَلَدِكَ ، وَرَيْحَانَةَ خَلْدِكَ (٤) ، وَشِقَّةَ (٥) نَفْسِكَ ،  
وَالسَّرْحَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ غَرَسِكَ ، وَنُورَ شَمْسِكَ ، وَمَوْصَلَ عَمَلِكَ الْبَرِّ إِلَى رَمْسِكَ ،  
فَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ دَعْوَاتِكَ ، فِي خَلَوَاتِكَ ، وَأَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ ، فَكَلِمَتُكَ وَالْمَنَّةُ لَهُ  
تَعَالَى بَاقِيَةٌ ، وَحَسَنَتُكَ إِلَى مَحَلِّ الْقَبُولِ رَاقِيَةٌ ، يَرْعَى بِكَ الْوَسِيلَةَ ، وَيَتِمُّ مَقَاصِدَكَ  
الْجَلِيلَةَ ، أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرِكَهٍ رِضَاكَ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَتَمَرَّ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ،  
وَأَبْعَدَ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، وَجَمَلَ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ وَالْأَقْدَارَ عُدَدَهُ .  
وَأَمْنِي أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، لَمَّا اشْتَرَانِي ، وَرَاشَنِي (٦) وَبَرَّانِي ،  
وَتَسَدَّنِي بِإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي اسْتِخْلَاصِي خَطَّ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لَمْ أَجِدْ  
مُكَافَأَةً إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وَإِلَيْهِ بَرَنَاتُكَ ، وَإِعْرَافَ اسْمَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَانِكَ ، وَتَعْفِيرِ

[١] ذليل . [٢] تهر تهرأ وتجاره .

[٣] اسم لأعلى الجنة ، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخد : النفس والقلب .

[٥] الشقة : نصف الشيء ، والسرحة : الشجرة العظيمة .

[٦] راض السهم : ألحق عليه الريش ، وراض الصديق : أطعمه وسقاه وكاه وأصلح حاله .

الْوَجَنَةُ فِي حَرَمِكَ ، وَالْإِشَادَةُ بِعَدِّ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ ، فَفَتَحْتَ الْبَابَ فِي هَذَا الْفَرْضِ ، إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ الْمَفْتَرَضِ ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَاتَّصَلَّتِ الْفَلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَعَادَتِ ، فَتَا يَبْسُتِ الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ ، مَتَحِيْزًا بِالسَّبْقِ ، إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، بِإِدْنَاءِ زِيَارَةِ قَبْرِكَ الَّذِي هُوَ رَحْلَةُ الْغَرْبِ ، مَا نَوَيْتَهُ مِنْ رَحْلَةِ الشَّرْقِ ، وَمَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَأَقَطْتَهُ أَثَرُ مَوَاقِعِ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّنْوِيهِ وَالْإِحْسَانِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَجْعَلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا ، وَيَبْلُغُ فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا ، وَيَتَنَمَّدُ مِنْ ضَاجَعَتِهِ مِنْ سَلَفِكَ الْكَرَامِ بِالْمَنْفَرَةِ الصَّيْبَةِ ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ ، فَيَذِمُّ الْمُلُوكَ الْكِبَارَ ، وَالْخُلَفَاءَ الْأَبْرَارَ ، وَالْأُمَمَةَ الْأَخْيَارَ ، الَّذِينَ كَرُمَتْ مِنْهُمْ السَّيَرُ وَحَسُنَتْ الْأَخْبَارُ ، وَسَعِدَ بِعَرْمَاتِهِمُ الْجِهَادِيَّةُ الْمُؤْمِنُونَ وَشَقِيَ الْكَفَّارُ ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَوْدًا وَبَدَأًا عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ فَهُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ السَّادَةُ الْأَبْرَارُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا . ( نفع الطيب : ١٣٥ )

## ١٧ - وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُزَوِّغُهُ الْحِمَامُ الْمَرْقُوبَ ، إِذَا شِيمَ <sup>(١)</sup> نَجْمُهُ الْمُتَقُوبَ ، وَلَا يَبْتَغِيهِ الْأَجَلُ الْمَكْتُوبَ ، وَلَا يَقْجُوهُ الْفِرَاقُ الْمَعْتُوبَ ، مَثْلُهُمُ الْهُدَى الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَمَوْضِعُ السَّبِيلِ الْمَطْلُوبِ ، وَجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ مِنْ قِسْمِ الْوَجُوبِ ، لَا سِيَّمَا لِأَوْلَى الْحُبُوبِ ، وَالْوَلَدِ الْمُنْسُوبِ ، الْقَائِلِ فِي الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الْأَسْلُوبِ : « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ <sup>(٢)</sup> » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] من شام البرق : نظرا إليه أين يقصد ، وأين يطر . [٢] وتتمام الآية الكريمة :

« إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اللَّيْلُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدْيٍ قَالُوا تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ لِإِبْرَاهِيمَ فَلْيَسْمِعِ وَلِمَا نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ<sup>(١)</sup> ، ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،  
 أكرم من زُرْتُ على نُورِهِ جُيُوبُ الْغُيُوبِ ، وَأَشْرَفَ مَنْ خُلِعَتْ عَلَيْهِ حُلُلُ  
 الْمَهَابَةِ وَالْمُعْصَمَةِ ، فَلَا تَقْتَحِمُهُ<sup>(٢)</sup> الْعُيُُونُ ، وَلَا تَصِمُهُ الْعُيُوبُ ، وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ  
 وَأَصْحَابِهِ الْمُنَازِلِينَ عَلَى لِسَانِ<sup>(٣)</sup> الْإِسْتِقَامَةِ بِالْهَوَايِ الْمَغْلُوبِ ، وَالْأَمَلِ الْمَسْلُوبِ ،  
 وَالْإِقْتِدَاءِ الْمَوْصِلِ الْمَرْغُوبِ ، وَالْعَزِّ وَالْأَمْنِ مِنَ الْغُيُوبِ<sup>(٤)</sup> ، وبعد : فإني لما  
 عَلَانِي الْمَشَيْبِ بِقِيَمَتِهِ<sup>(٥)</sup> ، وَقَادَنِي الْكِبَرُ بِرُمَّتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَأَدَّ كَرَّتُ الشَّبَابِ بِعَدِ  
 أُمَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، أَسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، وَتَدِمْتُ بَعْدَ الْفِطَامِ عَلَى مَا رَضَعْتُ ، وَتَأَكَّدَ  
 وَجُوبُ نَصْحِي لِمَنْ لَزِمَنِي رَعِيَّتُهُ ، وَتَمَلَّقَ بَيْنِي سَفِيَّتُهُ ، وَأَمَلْتُ أَنْ تَتَعَدَّى إِلَيَّ  
 ثَمَرَةُ اسْتِقَامَتِهِ وَأَنَارُهُ مِنْ قَوَاتِ ، وَفِي بَرْزَخِ أَمْوَاتِ ، وَيَأْمَنُ الْعُثُورُ فِي الطَّرِيقِ  
 الَّتِي اقْتَضَتْ عُنَايَ ، إِنْ سَلَكَ - وَعَسَى الْأَيَّ يَكُونُ ذَلِكَ - عَلَى آثَارِي ، فَقُلْتُ  
 أَخَاطِبُ الثَّلَاثَةَ الْوَلَدَ ، وَثَمَرَاتِ الْخَلْدِ<sup>(٨)</sup> بَعْدَ الضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِمْ ،  
 وَإِبْضَاحِ طَرِيقِهِمْ ، وَجَمْعِ تَفْرِيقِهِمْ ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى مَنْهُمْ بِحَسَنِ الْخَلْفِ ،  
 وَالتَّلَافِ مِنْ قَبْلِ التَّلَفِ ، وَأَنْ يَرْزُقَ خَلْفَهُمُ التَّمَسُّكَ بِهَدْيِ السَّلَفِ ، فَهُوَ وَلِيُّ  
 ذَلِكَ ، وَالْهَادِي إِلَى خَيْرِ الْمَسَالِكِ : اعْلَمُوا هَذَا كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي بَأْنَوَارِهِ تَهْتَدِي

[١] وتَمَامُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِعْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا  
 إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تَزْدَرِيهِ وَتَحْفَرُهُ ، وَوَصْفُهُ : طَابَهُ . [٣] الْإِسْلَامُ : الرِّسَالَةُ .

[٤] الْغُيُوبُ : أَشَدُّ الْإِعْيَاءِ . [٥] الْغَنَةُ : أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ .

[٦] الرِّمَّةُ بِالْفَمِّ وَيَكْسَرُ : قِطْعَةٌ مِنْ حَبْلٍ .

[٧] الْأُمَّةُ هُنَا : الْحَيُّونَ ، الْحَيَّةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقَالَ الَّذِي نَجَّى مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ » .

[٨] الْخَلْدُ : الْقَلْبُ وَالنَّفْسُ .

الضَّالُّ ، وَبِرِضَاهُ تُرْفَعُ الْأَغْلَالُ ، وَبِالْتِمَاسِ قُرْبَهُ يَحْصُلُ الْكَمَالُ ، إِذَا ذَهَبَ  
 الْمَالُ ، وَأَخْلَقَتِ الْأَمَالُ ، وَتَبَرَّتْ مِنْ يَمِينِهَا الشَّمَالُ ، أَنَى مُؤَدَّكُمْ وَإِنْ سَأَلْتَنِي  
 الرَّذَى ، وَمُفَارِقُكُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى ، وَمَا عَدَا يَمَّابِدَا ، فَكَيْفَ وَأَدَوَاتُ  
 السَّفَرِ تُجْمَعُ ، وَمَنَادَى الرَّحِيلِ يُسْمَعُ ، وَلَا أَقْلٌ لِلْحَبِيبِ الْمَوْدَعُ ، مِنْ وَصِيَّةٍ  
 مُخْتَصَرٍ ، وَتُجَالَّةٍ مَقْتَصِرٍ ، وَرَدِّيْمَةٍ <sup>(١)</sup> تُنْقَدُ فِي خِنْصَرٍ ، وَنَصِيحَةٍ تَكُونُ نَشِيدَةً <sup>(٢)</sup>  
 وَاجِبٍ مُبْنِيٍّ ، تَتَكَفَّلُ لَكُمْ بِحَسَنِ الْعَوَاقِبِ مِنْ بَعْدِي ، وَتَوْضُحُ لَكُمْ مِنَ الشَّفَقَةِ  
 وَالْحَنُوقِ قَعْدِي ، حَسْبَا تَعْنُنْ وَعَنْدُ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ وَعْدِي ، فَعَلَى أَرْبُكُمُ الَّذِي  
 لَا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ ، وَلَا يَنَالُكُمْ الْمَكْرُوهُ مَا رَفَعَ عَلَيْكُمْ سَقْفُهُ ، وَكَأَنِّي بِشَبَابِكُمْ قَدْ  
 شَاخَ ، وَبِرَاحِلِكُمْ قَدْ أَنَاخَ ، وَبِنَاشِطِكُمْ قَدْ كَسِلَ ، وَاسْتَبَدَلَ الصَّابَ <sup>(٣)</sup> مِنَ  
 الْعَسَلِ ، وَتُصَوِّلُ <sup>(٤)</sup> الشَّيْبَ تَرَوُّعٍ بِأَسَلٍ ، لَا بِلِ السَّامِ <sup>(٥)</sup> مِنْ كُلِّ حَدَبٍ قَدْ  
 نَسَلَ ، وَالْمَمَادُ اللَّحْدُ وَلَا تَسَلْ ، فَبِالْأَمْسِ كَتَمَ فِرَاحَ حِجْرٍ <sup>(٦)</sup> ، وَالْيَوْمَ أَبْنَاهُ  
 عَسْكَرٍ تَجَرَّ ، وَغَدًا شَبِوْخَ مَضِيْعَةٍ وَهَجَرٍ ، وَالْقَبُورُ فَاغِرَةٌ <sup>(٧)</sup> ، وَالنَّفُوسُ عَنْ  
 الْمَالُوفَاتِ صَاغِرَةٌ ، وَالْدُنْيَا بِأَهْلِهَا سَاخِرَةٌ ، وَالْأَوَّلَى تَعْقِبُهَا الْآخِرَةُ ، وَالْحَازِمُ مَنْ لَمْ  
 يُنْظَفْ بِهِ فِي أَمْرٍ ، وَقَالَ : « يَدِي لَا يَبْدُ حَمْرُو <sup>(٨)</sup> » ، فَاقْتَنُوهَا مِنْ وَصِيَّةٍ ،

[١] الرِّيْمَةُ : خَيْطٌ يَقْدُ فِي الْإِصْبَحِ لِقَدْ كَبُرَ .

[٢] الصَّابُ : صَارَةُ شَجَرٍ سَمٍ . [٣] التَّصَوُّلُ جَمْعُ نَصْلٍ : وَهُوَ حَدِيدَةُ الرِّمَحِ وَالسِّيفِ ،  
 وَالْأَسَلُ : الرِّمَاحُ . [٤] السَّامُ : لَوْتُ ، وَالْحَدَبُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلِئْسَ كَقُرْبٍ : أَسْرَعَ  
 وَالْمَمَادُ : لِلرِّجْلِ . [٥] أَى كَالْفِرَاحِ فِي حِجْرِ أُمِّهَا وَحَنِينِهَا ، وَالْجَرَّ : الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَجَيْشُ  
 جَرٍّ : كَثِيرٌ جَدًّا . [٦] أَى فَاتِحَةُ أَمْرَاهَا لِلوَقْدِ .

[٧] هُوَ مِثْلُ فَاتِحَةِ الزَّيَادِ . مَلِكَةُ الْجَزِيرَةِ ، وَفَكَتْ أَنَّهَا كَانَتْ دَعَتْ جَذْبَةَ الْأَبْرَشِ مَلِكًا مَا عَلَى شَاطِئِهِ  
 الْفَرَاتِ إِلَى زَوَاجِهَا ، فَلَمَّا اسْتَفْرَغَتْ حَتَّى قَتَلَتْهُ ثَارًا بِأُيُوبِهَا - وَكَانَ جَذْبَةُ قَدْ قَتَلَ - فَاحْتَالَ مَوْلَاهُ فَصِيرَ لِنَارِ  
 مِنْهَا ، فَجَدَّعَ أَهْلَهُ وَأَتْرَافًا يُظْهِرُهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الزَّيَادِ ، وَأَظْهَرَ لِمَرْوَيْنِ عَدِيٍّ - ابْنِ أُخْتِ جَذْبَةَ -  
 فَمَا ذَكَرَ بِهِ ، وَأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ مَكَرَ بِجَلْدِهِ جَذْبَةَ وَغَرَّهُ مِنَ الزَّيَادِ ، فَلَمَّا اسْتَرْسَلَتْ إِلَيْهِ وَوَقَّعَتْ بِهِ ، زَيْنَ لَهَا

وَمَرَامٌ <sup>(١)</sup> فِي النَّصْحِ قَصِيَّةٌ ، وَخُصُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا بَعَلُّوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا اتَّقَلُّوا ، وَحَسْبِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيْتُهُمْ أَحْسَنُ هَمَلًا ، وَلَا رِضَى الدُّنْيَا مِنْزَلًا ، وَلَا لَطْفَ بَعْنٍ أَصْبَحَ عَنْ فِتْنَةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ، وَلِتُلَمِّقُنَا تَلْقِينَا ، وَتَعَلَّمُوا عَلَمًا يَقِينًا ، أَنْكُمْ إِنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَنْفَرِدَ بِذَنبِي ، وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنْبِي ، وَيَسْجُ اسْكَابِي ، وَتَهْرُولَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أَخْرَصَ مِنِّي عَلَى سَعَادَةِ إِلَيْكُمْ تُجْلَبُ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالٍ بِسَبَبِكُمْ تُرْتَادُ وَتُطَلَّبُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَوْزَفُ <sup>(٢)</sup> مِنْكُمْ ظِلًّا ، وَلَا أَشْرَفُ هَمَلًا ، وَلَا أَغْبَطُ نَهْلًا وَعَلَا <sup>(٣)</sup> ، وَأَقْلَ مَا يُوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّخُوا <sup>(٤)</sup> إِلَى قَوْلِي الْآذَانَ ، وَتَسْتَأْجِرُوا صُبْحَ نُصْحِي فَقَدْ بَانَ ، وَسَأُعِيدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ أَعْمَانِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَاتَّزِمِ بِالْمَرْوِفِ وَأَنْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ <sup>(٥)</sup> خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أَنْ تَبِشَهُ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَائِفِهَا وَثِيَابَهَا وَطَبِيبَهَا ، وَأَنْهَا سَتَصِيبُ فِي ذَلِكَ أَرْبَابًا عَظَمَاءَ ، فَأَذِنَتْ لَهُ وَقَدِمَ الْعِرَاقَ ، وَأَتَى الْحِيرَةَ مِتْكَرًا ، وَزَوَّدَهُ عَمْرُو بْنُ صَنْوَفٍ الْبَزَّ وَالْأَمْتَةَ ، وَرَجَعَ إِلَى الزَّيَاءِ ، فَأَعْجَبَهَا مَا رَأَتْ وَسَرَّهَا ، وَازْدَادَتْ بِهِ مَحَبَّةً ، وَجَهَّزَتْهُ ثَانِيَةً ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرُو لِحَبْرَةِ وَغَادَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ عَادَ الثَّلَاثَةَ وَجَمَعَ ثِقَاتَ مِنْ رِجَالِ عَمْرُو ، وَحَلَمَهُمْ فِي الْفَرَارِ عَلَى الْجِدَالِ ، وَسَارَ إِلَى الزَّيَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْإِبِلُ الْمَدِينَةَ - وَكَانَتِ الزَّيَاءُ قَدْ حَانَتِ عَمْرًا ، وَاتَّخَذَتْ نَفَقًا إِلَى حَصْنٍ لَهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، وَقَالَتْ : إِنْ جَاءَنِي أَمْرٌ دَخَلْتُ النَّفَقَ إِلَى حَصْنِي - وَدَلَّ قَصِيرٌ عَمْرًا عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ الرَّجُلُ مِنَ الْفَرَارِ صَاحُوا بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ ، وَقَامَ عَمْرُو عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، وَأَقْبَلَتِ الزَّيَاءُ تَرِيدُ النَّفَقَ ، فَأَبْصَرَتْ عَمْرًا فَعَرَفَتْهُ بِالصُّورَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ لَهَا - فَصَبَّتْ خَاتَمَهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقَالَتْ : « يَدِي لَا يَبِيدُ عَمْرُو » فَذَمَّتْ مِثْلًا ، وَتَلَقَّاهَا عَمْرُو لِحَبْلِهَا بِالسَّيْفِ وَقَتْلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، وَانْتَفَكَا رَاجِعًا إِلَى الْعِرَاقِ .

[١] مَرَامٌ : جَمْعُ مَرَمٍ ، وَصِيَّةٌ : بَيْدَةٌ .

[٢] وَزَفَ الظِّلُّ : اتَّسَعَ وَطَالَ وَامْتَدَّ . [٣] النِّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالْعَلُّ وَالْعَلْلُ : الشَّرْبُ الثَّانِي أَوْ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ نَبَاحًا . [٤] أَصْلَحَ لَهُ : اسْتَمَعَ . [٥] صَعَّرَ خَدَّهُ : أَمَالَ كَبْرًا .



تَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ،  
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ، وَأَعِدْ وَصِيَّةَ  
خَلِيلِ اللَّهِ وَإِسْرَائِيلِهِ ، حُكْمٌ <sup>(١)</sup> مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمُ تَنْزِيلِهِ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى  
لَكُمْ آلِدِينَ فَلَا تَحْتُونِ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،  
وَأَكَلَهُ وَوَفَّاهُ ، وَقَرَّرَهُ مُصْطَفَاهُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَوَفَّاهُ ، إِذَا أَهْمَلْ فِيهِ انْتِقَادَ ،  
فَهُوَ عَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ ، وَكَلَامُهُ مُقَرَّرٌ ، وَمُسْتَمَدٌّ مِنْ عَقْلِ أَوْ ثَقُلٍ مُحَرَّرٍ ، وَالْعَقْلُ  
مُتَقَدِّمٌ ، وَبَنَآؤُهُ مَعَ رَفْعِ أَخِيهِ مُتَهَدِّمٌ ، فَاللَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، فَرْدٌ صَدَدٌ <sup>(٢)</sup> ،  
لَيْسَ لَهُ وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ ، تَنْزَهُ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَسَبَقَ وَجُودُهُ وَجُودَ الْأَكْوَانِ ،  
خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَا يَعْمَلُونَ ، الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ . وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ الْمُدَبِّرُ  
الْقَدِيرُ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أَرْسَلَ الرِّسْلَ رَحْمَةً لِنَدْعُو النَّاسَ  
إِلَى النِّجَاةِ مِنَ الشَّقَاءِ ، وَتَوَجَّهَ الْحُجَّةُ فِي مَصِيرِهِمْ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، مُؤَيَّدَةً بِالْمُعْجَزَاتِ  
الَّتِي لَا تَنْصِفُ أَنْوَارُهَا بِالْإِخْتِفَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى تَوَاتُرِهَا دَعْوَى الْإِتْفَاءِ ، ثُمَّ  
خَتَمَ دِيْوَانَهُمْ بِنَبِيِّ مِلَّتِنَا الْمَرْعِيَةِ الْمَحْمَلِ ، الشَّاهِدَةِ عَلَى الْمَلَكِ ، فَتَلَخَّصَتْ الطَّاعَةُ ،  
وَتَعَيَّنَتِ الْإِمْرَةُ الْمُطَاعَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا ارْتِقَابُ السَّاعَةِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَهُ  
إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وَتَرَكَ دِينَهُ يَقُومُ مِنَ الْأُمَّةِ نَشْرًا <sup>(٣)</sup> ، فَنَ بَيْعَةً لِحَقِّ بِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ  
نُوطَ <sup>(٤)</sup> عَنْهُ فِي مَنْسَبِهِ ، وَكَانَتْ نَجَاتُهُ عَلَى قَدَرِ سَبَبِهِ ، رُؤِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَحَسَّسْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنِّي » ، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ <sup>(٥)</sup> .

[١] إسرائيلى : يعطوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو يدل من وصية .  
[٢] الصمد : السيد ، لأنه يصمد أى يقصد فى قضاء الحاجج . [٣] الفخر : التفرغ ، ومنه :  
« اللهم انتم فعلى » . [٤] أى أبعد عنه وطرد ، يقال تاهت الدار : أى بدت .  
[٥] أقصى الأضراس .

فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ، ومُشفقٍ شفقةً والد ، واستشعروا حُبَّه الذي توافرت دواعيه ، وعُوا مَرَاشِدَ هَدْيِهِ ، فَيَاقُوزُوا عِيَهُ ! وَصِلُوا السَّبَبَ بِسَبَبِهِ ، وَآمِنُوا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، مُجْمَلًا أَوْ مُفَصَّلًا عَلَى حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا النَجْلَةَ لِصَحْبِهِ ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصَحْبَتِهِ ، واجملوا محبتكم إِيَّاهُمْ مِنْ تَوَابِعِ محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أُولَى الْفَضْلِ الشَّهِير ، وَتَبَرَّءُوا مِنَ الْعَصْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا دَاخٍ ، وَلَا تَنَعَ التَّشَاجَرَ بَيْنَهُمْ أَذُنٌ وَاعٍ ، فَهُوَ عِنَانُ السَّدَادِ ، وَعِلَامَةُ سَلَامَةِ الْإِعْتِقَادِ ، ثُمَّ اسْحَبُوا فَضْلَ تَعْظِيمِهِمْ عَلَى فَقْهَاءِ الْمِلَّةِ ، وَأَعْتَمُوا الْجِلَّةَ <sup>(١)</sup> ، فَهُمْ صَقَلَةُ نُصُولِهِمْ ، وَفُرُوعُ نَاشِئَةٍ مِنْ أَصُولِهِمْ ، وَوَرَثَتُهُمْ وَوَرِثَةُ رَسُولِهِمْ ، واعلموا أَنِّي قَطَعْتُ فِي الْبَحْثِ زَمَانِي ، وَجَمَلْتُ النُّظْرَ شَانِي ، مِنْذُ بَرَأْنِي اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَأَنِي ، مَعَ نُبُلٍ <sup>(٢)</sup> يَعْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وَإِدْرَائِي بِسَاسِهِ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِي ، فَلَمْ أَجِدْ خَابِطَ وَرَقٍ ، وَلَا مُصِيبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَارِ عَ خِطَامٍ ، وَلَا مُتَكَلِّفَ فِطَامٍ ، وَلَا مُقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَغَايَتُهُ الَّتِي يَقْصِدُهَا قَدْ نَصَلَتْهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقَتْهَا ، وَفَرَعَتْ <sup>(٣)</sup> نَيْبَتَهَا وَارْتَفَعَتْهَا ، فَعَلَيْكُمْ بِالزَّامِ جَادَّتْهَا <sup>(٤)</sup> السَّائِلَةُ ، وَمُصَاحِبَةُ رُقُفَّتِهَا الْكَامِلَةُ ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِأَقَارِهَا غَيْرِ الْآفَلَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّهُ يَفْضَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وَقَدْ عَلِمْتُ شَرَائِعَهُ ، وَرَاعِ الشُّكُوكَ رَائِعَهُ ، فَلَا تَسْتَنْزِلْكُمْ الدُّنْيَا عَنْ الدِّينِ ، وَابْذُلُوا دُونَهُ النُّفُوسَ فِعْلَ الْمُهْتَدِينَ ، فَلَنْ يَنْفَعَ مَتَاعٌ بَعْدَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَفْقُودٌ مَعَ الْفُوزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ ،

[١] جمع جليل . [٢] النبل : الذكاء والنجابة ، والشان : البخش .

[٣] فرعه : علاه ، والثنية : العبة ، أو الجبل أو الطريقة فيه أو إليه .

[٤] الجادة : الطريق الواضح ، والسابقة من الطرق : السلوك .

ومتاع الحياة الدنيا أَحْسَنُ مَا وَرِثَ الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بَلَّغْتُ فَأَنْتَ  
 خير الشاهدين ، فاحذَرُوا المعاصِيَ التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعى  
 شَوَّةَ الوجوه وَتُضَيِّجُ الجلود ، واستميدوا برضا الله من سُخْطِهِ ، وازبُتُوا بنفوسكم  
 عن غَمَطِهِ ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بِغُرُورٍ قد خَدَعَ أسلافكم ، ولا تحمدوا  
 على جِيْفَةِ العَرَضِ الزائلِ اثْلَاقَكم ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسُوا<sup>(١)</sup> على  
 ما فات وتعدّر ، فإنما هي دُجْنَةٌ<sup>(٢)</sup> ينسخها الصِّباح ، وَصَفْقَةُ يَمَاقِيبِ الخسار أو  
 الرِّيح ، ودونكم عقيدة الإيمان فَشُدُّوا بالنواجذ عليها ، وَكَفِّفُوا الشُّبَّةَ أَنْ  
 تَذْنُوتُ إِلَيْهَا ، واعلموا أَنَّ الإِخْلَالَ بشيء من ذلك خَرَقٌ لَا يَزْفُوهُ<sup>(٣)</sup> عمل ، وكلُّ  
 ما سوى الراعى مَحَلٌ ، وما بعدَ الرأسِ في صلاح الجسم أَمَلٌ ، وتمسكوا بكتاب  
 الله تعالى حِفْظًا وَتِلَاوَةً ، واجعلوا حِمْلَهُ على حِمْلِ التكليفِ علاوة ، وتفكروا في  
 آيَاتِهِ ومعانيه ، وامتنلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتألولوه ولا تَتَلَوُوا فيه ، وأُشْرِبُوا  
 قلوبكم حُبَّ مَنْ أَنْزَلَ على قلبه ، وَأَكْثَرُوا من بواعثِ حُبِّهِ ، وصونوا شعائرَ  
 الله صونَ المحترَم ، واحفظوا القواعد التي يَنْبَغِي عليها الإسلام حتى لَا يَنْقُصَ ،  
 اللَّهُ اللهُ في الصلاة ذريعةَ التَّجَلُّةِ ، وخاصةِ المِلَّةِ ، وحاقنةِ الدم ، وَغَفَى المستأجِرِ  
 المستخدم ، وأَمَّ العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالمِ التَّيْبِ والشَّهادة ، والناحية  
 عن الفحشاء والمنكر ، إن عَرَضَ الشَّيْطَانُ عَرَضَهَا ، ووطأ للنفس الأمانةَ سماءَها  
 وأَرْضَهَا ، والوسيلة إلى بَلِّ الجوانحِ يَرُودُ الذِّكْر ، ولإِصْالِ تَحْقِيقِ اللهِ إلى مَرِيضِ  
 الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجار ، والوَاصِمَةُ

[١] ولا تحزنوا . [٢] الدجنة : الظلمة .

[٣] زلزال التوب كبح : لَمْ يَخْرُجْ ، ولم يَمْضِ إلى غير .

بِسْمَةِ السَّلاَمَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْعِدْرِ بَرَفِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولُ (١) الطَّبْعِ إِذَا شَانَهُ طَبَعَ ،  
وَالْخَيْرُ الَّذِي كُلُّ مَاسِوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى وَطَائِفِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،  
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَقْضُوا عَلَيْهَا الْأَشْغَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَثَّرُوا عَلَى الْعَمَلِيَّةِ الدُّنْيَا ،  
فَإِنْ أَوْقَاتُهَا الْمَيِّتَةُ بِالْأَفْغَالِ تَنْبَسُ (٢) ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُجْبَسُ ،  
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَفْئِدُهُ الْقُدُورُ  
وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوُضُوءُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا أَقْتَمُوهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا النُّوَافِلَ  
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالْإِتْقَانِ تَفَاضَلَتْ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ الْكَمَالُ ، وَلَا  
شُكْرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رَيْحَ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَذَلِكَ أُخْرَى بِإِقَامَةِ  
الْفَرَضِ ، وَادَّعَى إِلَى مُسَاعَدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضُ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبُ مُوَصَّلٍ ، وَشَرْطُ لِمَشْرُوطِهِ مَحْصُلٍ ،  
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءُ نَظَّفُوهَا ، وَمِيَاهُهَا بَغِيْرُ أَوْصَافِهَا الْحَمِيدَةِ فَلَا تَصْفُوهَا ،  
وَالْحُجُوبَ وَالْفُرُوزَ (٣) فَاطْلُبُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ  
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِرِاسِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْوُضُوءَ مِنْ صَلَاةٍ وَطُهُورٍ ، وَذَكَرَ  
مَجْهُورٌ وَغَيْرُ مَجْهُورٍ ، تَسْتَفِرُقُ الْأَوْقَاتُ ، وَتَتَنَازِعُ شَيْئُ الْخَوَاطِرِ الْمُفْتَرَقَاتِ ،

[١] الْغَسُولُ كَجُودٍ وَتَوَرُّ : الْمَاءُ يَنْفَسِلُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « غَسُولٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّبْعُ :  
الذَّهْنُ وَالْعَبْرُ . [٢] أَيْ تَذَعْبُ وَتَضَعُ ، يُقَالُ : انْبَسَّ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « تَبَسَّ »  
وَأَرَادَ مَحْرَفًا .

[٣] الْحُجُوبُ جَمْعُ حُجْلٍ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ الْخَلْعُ ، وَالرَّادُ بِهَا هُنَا الْأَطْرَافُ ، وَبِاطَاتِهَا  
اسْتِبْطَابُ غُلْعِهَا ، وَالْفُرُوزُ جَمْعُ غُرَّةٍ يَأْتِي فِي الْوَجْهِ ، وَالرَّادُ بِطَوِيلِهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسَلَ مَقْدَمَ الرَّأْسِ  
مَعَ الْوَجْهِ ، وَغَسَلَ صَفْحَةَ الْمَنْقِ ، وَجَعَلَ لِلْمَنْقِ : أَنَّهُ بِأَمْرٍ يَسْبِغُ الْوُضُوءَ ، وَفِي الْمَدِيثِ الْفَرِيفُ :  
« أَمَّتِي الْفَرْهُ الْمُصْبَغُونَ » وَالْفَرْ جَمْعُ الْفَرْغِ مِنَ الْفَرْغَةِ ، وَهُوَ نِيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ ذَوِ الْهَرَمِ ،  
يُقَالُ : فَرَسٌ أَفْرٌ وَغَرَاءٌ ، وَالْمُجْبَلُ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَحِقُ الْيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَيْدِ ، أَيْ يَبِضُ  
مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ مِنَ الْوَجْهِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتَعَارَ آثَرَ الْوُضُوءِ فِي الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الْيَاضِ  
الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .

فلا يضبطها إلا مَنْ ضَبَطَ نَفْسَهُ بِعِقَالٍ ، واستعاضَ صَدَاهُ بِصِقَالٍ <sup>(١)</sup> ، وإن تراخى قَهْمَرٌ <sup>(٢)</sup> الباعُ ، وَسَرَقَتْهُ الطَّبَاعُ ، وَكَانَ لَهَا سِوَاهَا أَضْيَعُ ، فشَمِلَ الضَّيَاعُ .  
والزَّكَاةُ أختها الحَيِيَّةُ ، وَلَدَتْهَا الْقَرِيْبَةُ ، مفتاح السعادة بِالْفَرَضِ الزَّائِلِ ،  
وشكران المسئولِ عَلَى الضَّدِّ مِنْ دَرَجَةِ السَّائِلِ ، وَحَقَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَالٍ مِنْ أَغْنَاهُ ، لِمَنْ أَجْهَدُهُ فِي الْمَعَاشِ وَعَنَاهُ <sup>(٣)</sup> ، مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مَلَّ يَدُهُ وَإِخْلَاءُ يَدِ  
أَخِيهِ ، وَلَا عِلَّةَ إِلَّا الْقَدَرُ الَّذِي يُخَفِّيه ، وَمَا لَمْ يَنْلَهُ حَظَّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا خَيْرَ فِيهِ ،  
فاسمَحُوا بِتَفْرِيقِهَا لِلْحَاضِرِ لِإِخْرَاجِهَا ، فِي اخْتِيَارِ عَرَضِهَا وَتِجَارِهَا ، وَاسْتَحْيُوا  
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَبْخَلُوا عَلَيْهِ بِبَعْضِ مَا بَدَّلَ ، وَخَالَفُوا الشَّيْطَانَ كُلَّمَا عَذَلَ ،  
وَادْكُرُوا خُرُوجَكُمْ إِلَى الْوُجُودِ لَا تَمْلِكُونَ ، وَلَا تَدْرُونَ أَيْنَ تَسْلُكُونَ ،  
فَوَهَبْ وَأَقْدِرْ ، وَأُورِدْ بِفَضْلِهِ وَأَصْدِرْ ، لِيَرْتَّبَ بِكَرَمِهِ الْوَسَائِلَ ، أَوْ يَقِيمَ  
الْحُجُجَ وَالْدَّلَائِلَ ، فَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِمَالِهِ ، وَاعْتَمُوا رِضَاهُ بِبَعْضِ نَوَالِهِ .  
وصِيَامُ رَمَضَانَ عِبَادَةُ السَّرِّ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، الْمَحْصُوزَةُ <sup>(٤)</sup> لِمَنْ يَعْلَمُ السَّرَّ  
وَأَخْفَى ، مُؤَكَّدَةٌ بِصِيَامِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ ، وَالْقِيَامِ بِرِّ الْقِيَامِ ، وَالِاجْتِهَادِ  
وِإِثَارِ الشَّهَادِ ، عَلَى الْمِهَادِ ، وَإِنْ وَسِمَ الْعَتَكُافُ فَهُوَ مِنْ سُنَنِهِ الْمَرْغِيَّةِ ، وَلَوْ أَحَقَّهُ  
الشَّرْعِيَّةُ ، فَبِذَلِكَ تَحْسُنُ الْوُجُوهَ ، وَتَحْصُلُ مِنَ الرَّقَّةِ عَلَى مَا تَرْجُوهُ ، وَتَذْهَبُ  
قَسْوَةُ الطَّبَاعِ ، وَيَعْتَدُ فِي مَيْدَانِ الْوَسَائِلِ الْبَاعِ ، وَالْحُجْجِ مَعَ الْإِسْتِطَاعَةِ الرُّكْنَ  
الْوَاجِبُ ، وَالْفَرَضُ عَلَى الْعَيْنِ لَا يَحْجُبُهُ الْحَاجِبُ ، وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْرَهُ فِيمَا فَرَضَ عَنْ رَبِّهِ وَسَنَّهُ ، وَقَالَ : « لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

[١] صواب العبارة « واستعاضَ بصدته مقالاً » يقال : استبدل الشيء بغيره إذا أخذه مكانه ( ومنه ترى أن الباء داخلة على التروك ) واعتاضه منه واستعاضه ( والباء كن ) .  
[٢] قهقر وقهقر : رجع القهقرى . [٣] أنبىه . [٤] الخالصة .

الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع فقيره ويُطعمه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه تُمدد الاسلام وفروضة ، وتقود نهزه وعُروضه ، حافظوا عليها تمشوا مبرورين ، وعلى من يُذايكم <sup>(١)</sup> ظاهرين ، وتلقوا الله لامبدلين ولا مغيين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجتلي محاسنها من بعد الالتقاب <sup>(٢)</sup> ، فمليكم بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » ، والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المثيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النجاة <sup>(٣)</sup> عادة ، والأذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المتناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم يتله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوها منه ما خرج عن أيديكم ، واحملوم على جمعه ودَرْسه ، واجملوا طباعهم ترمى لغرضه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه <sup>(٤)</sup> ، ومهّره يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تُعزل ، وتحملوم مثابة رفعة لا يُحط فارغها ولا يُستنزل ، واختاروا العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا ينالها

[١] يذايكم ، وظاهرين : ظاهرين . [٢] أى بعد الاختفاء ، من انطبقت للرأى ليست الثقاب .  
[٣] نجاة : أعطاه ، والاسم النجاة . [٤] يقال : فعلت ذلك من جراه ومن جراهه بالشديد وجفافه ، ومن جريته : أى من أجله ، والكبرى : النوم .

في غيرِه<sup>(١)</sup> المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما تَجَمَّ بِمَنَّا بِهَا المَرِيعَة<sup>(٢)</sup> ،  
من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولُها ، ولا يضائق فتراتِ المعاد حصولُها ،  
فإنها هي آلات لِنَفَيرَ ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كَانَ قابلاً للزيادة ،  
وَأَتَى فهمه ذا انقياد ، فليخصَّ تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة  
صحيحه من سَنَقِيهِ ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المِنَّة ، المَهْدَى  
كنوز الكتاب والسُنَّة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الحِلَّة ، والتدرج في  
طرق النظر بصحيح الأدلَّة ، وهذه هي الناية القصوى في المِلَّة ، ومن قَصُرَ  
إدراكه عن هذا المَرْتَبِ ، وتعاذَ عن التي هي أسمى ، فَلْيَزِرْ الحديثَ بمدِّ تجويد  
الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم  
القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فَأَكْثَرُهَا لا يُفِيدُ إِلَّا تَشْكِيكًا ، ورأيًا  
ركيكًا ، ولا يَثْمُرُ في العاجلة إِلَّا اقْتِحَامَ العيون ، وتطريقِ الظنون ، وتطويقِ  
الاحتقار ، وَرِسْمَةَ الصَّغَارِ ، وخمول الأقدار ، والخسْف من بعد الإندار ، وجاذة  
الشريعة أعْرَقَ في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن  
رُشْد<sup>(٣)</sup> قاضي المصرومُفْتِيهِ ، وملتَمِسُ الرشد ومُؤَلِّيه ، عادت عليه بالسَّخْطَةِ

[١] غير الذكر : أحداثه الغيرة ، والضمير فيه يعود على الوقت . [٢] المصلحة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ  
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واتصل بيوسف بن عبد المؤمن زعيم الموحدين ، وشرح له فلسفة  
أرسطو ، وقد ولاه قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى مراكش ، وجعله طبيباً للحاس ، ثم جعله قاضي القضاة  
بقرطبة ، ولما ولي بعده ابنه المنصور باقة علت مكاة ابن رشد عنده ، فَأَثَارَ ذَلِكَ حسد خصومه ، فكادوا  
له عند السلطان واتهموه أنه يمجّد القرآن ، وينشط الفلسفة وعلوم الأوائل بدلاً من علوم الدين ، وينصر  
مذهب القدماء في القول بألوهية بعض الكواكب ، فنزل المنصور من قضاء قرطبة ، ثم دفا عنه ،  
واستدعاه إلى مراكش ، ولم يطل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات  
الأجنبية ، وعليها عول الأوروبيون في نهضتهم الحديثة .

الشيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم <sup>(١)</sup> يجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يهود يَحْدَوِي فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فحججور ، وَضَرَمَ <sup>(٢)</sup> مَسْجُور ، وعمقوت مهجور ، وأُمرُوا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهياً حَرِيّاً بالاعتدال حَقِيقاً ، وَأَغْبَطُوا مَنْ كَانَ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ مُفِيقاً ، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً ، وأطيعوا أمر من ولّاه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنَةِ جَمَراً ، ولا تُدْخِلُوا في الخلاف زيدا ولا عمراً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وَأَمَّ مَا أَضَرَّ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ الْآبَاءُ السُّنَّةَ الْبَنِينَ ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وإياكم والكذب ، فهو العَوْرَةُ الَّتِي لَا تُوَارَى ، وَالسَّوْءَةُ الَّتِي لَا يُرْتَابُ فِي حَارِهَا وَلَا يُتِمَّارَى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يَدَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَذَابِ ، أَنْ لَا يُقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَقَ ، وَلَا يَبُولَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِالْحَقِّ نَاطِقٌ ، وعليكم بالأمانة فالخيانة لُومٌ ، وفي وجه الديانة كُلوْمٌ <sup>(٤)</sup> ، ومن الشريعة التي لَا يُعَذَّرُ بِجَهْلِهَا ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الْحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَلَا تَجْرُوا مَنْ أَقْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ ، وَلَا تَوْجِدُوا لِلنَّذْرِ قَبُولاً ، وَلَا تُقَرُّوا عَلَيْهِ طَبْعاً حَبُولاً ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولاً ، وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِكَذِبٍ وَلَا خَزَنٍ ، وَلَا تَذْهَبُوا لِغَيْرِ مَنَاصِحَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَهْلٍ وَلَا حَزَنٍ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزَنٍ ، وَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تُعِينُوا فِي سَفْكَ الدِّمَاءِ

[١] الجام : لئلا من فضا . [٢] جمع ضربة بالتحريك وهي الجربة والنار ، وسجر النور : أحاط

[٣] ضرى بالضم : كتب : اعتاده وأولم به ، ويدي بالهمز والتضخيف ، يقال : أضربه وضربه :

أي أضربه به . [٤] الكلوم جمع كلم بالفتح وهو الجرح .



ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأفلام ، واعلموا أن الإنسان في  
فُسْحَةٍ ممتدة ، وَسُئِلَ اللَّهُ تعالى غير مُتَسَدِّة ، ما لم يَفْذِ إلى الله تعالى بأمانه ،  
وَيَمَسَّ الدَّمَّ الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه : الَّذِي هَدَىٰ بِهِ  
سَنَنًا قَوِيًّا ، وَجَلَّىٰ مِنَ الْجَهْلِ والضلال لَيْلًا بَهِيًّا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا  
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ،  
واجتناب الزنا وما تعلق به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتد في سبيل  
السعادة باغاه ، لو لم تلتق نور الله الذي لم يَهْدِ شُعَاعُهُ ، فَالْحَلَالُ لم تَضِقْ عن  
الشهوات أنواعه ، ولا عُدِمَ إقناعه ، ومن غَلَبَتْ غَرَائِرُ جَهْلِهِ ، فليُنْظَرْ : هل  
يحب أن يُزْنِيَ بأهله ؟ والله قد أعدَّ للزاني عَذَابًا وَيْلًا ، وقال : « وَلَا تَقْرُبُوا  
الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحرَام الكِبَارُ ، ومفتاح الجرائم  
والجرائر <sup>(١)</sup> ، والله لم يحمله الله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال  
الذي سَوَّغَ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوامٌ لم يَرْضَوْا لعقولهم بالفساد ،  
ولا لنفوسهم بالمضرة في مَرْصَاةِ الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رَجَسًا محرَّمًا  
على العباد ، وَقَرَّبَهَا بِالْأَنْصَابِ والأزلام في مُبَايَنَةِ السَّدَادِ <sup>(٢)</sup> ، ولا  
تَقْرَبُوا الرِّبَا ، فإنه من مَنَاهِي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ  
مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مَالَ أَحَدٍ بغير حقٍّ يُبِيحُهُ ، واترَعُوا

[١] الجرائر جمع جريرة : وهي الجريمة .

[٢] يشير إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَاللَّذِينُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ  
رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

الطَّعْمُ<sup>(١)</sup> عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، والتمسوا الحلال يَسْنَى فيه أحدُكم على  
عَدَمه ، ولا يَكِلْ خِيَارَه إلا للثقة من خَدَمه ، ولا تَلَجُّوا إلى المشايخ إلا عند  
عَدَمه ، فهو في السُّلوك إلى الله تعالى أصلٌ مشروط ، والحافظ عليه مغبوط ، وإياكم  
والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مُجَاهِر الله تعالى بصريح العِصيان ، « وَالظُّلْمُ  
ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحاح الحِسان ، والنِّمَّة فسادٌ وشتات ،  
لا يبقَى عليه مُتَات<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ<sup>(٣)</sup> » واطَّرَحُوا  
الحَسَدَ ، فإِذَا سَادَ حَسُودٌ ، وإِذَا كَمَّ الْغِيبةُ : فبابُ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، والبخل ، فإِذَا رُئِيَ  
البخل وهو مودود ، وإِذَا كَمَّ وَمَا يُتَذَرُّ مِنْهُ ، فواقعُ الْخِزْيِ لَا تُسْتَقَالُ عَثْرَاتُهَا ،  
وَمَظَنِّاتُ الْفَضَائِحِ لَا تَوْمَنُ نَحْمَرَاتُهَا ، وَتَفْقَدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا  
السَّلَامَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرِقُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ<sup>(٤)</sup> وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجِرُوا  
مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُزِيحُكُمْ فِي الْبُضَاعَاتِ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَاذْكُرُوا  
الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ الْمَوَائِدَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْمَلُوا أَنْ تَخْلُقَ  
عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحْبِبُّوا الْخَلْقَ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطَ لِعِيَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقُوقَ الْجَارِ ، وَاذْكُرُوا  
مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَعَاهَدُوا أَوْلَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوَشَائِحِ<sup>(٥)</sup> الْبَادِيَةِ  
الْإِلْتِحَامِ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الظُّهْرَ ، وَتُقْسِدُ السَّرَّ وَالْجَهْرَ ،  
وَالرِّيشَا ، فَإِنَّهَا تَحْطُّ الْأَقْدَارَ ، وَتُسْتَدْعَى الْمَذَلَّةُ وَالصَّنَارُ ، وَلَا تَسَاحَعُوا فِي لُغْبَةِ  
قَمَرٍ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا تَشَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصُونُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ،  
وَالْأَيْمَانَ مِنْ حِنْثِ الْأَوْفَادِ وَالْأَجْلَافِ ، وَحَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِزْدِرَاءِ

[١] الطعم : العبرة . [٢] المتات : ما يمتد به أى يتوصل . [٣] القتات : النمام .

[٤] الزمانات : العامة .

[٥] الوشائج جمع وشيجة : وهي اشتباك الغراب . [٦] قرء : غلبه في لعب القمار .

والاعتساف، ولا تَلْهَجُوا بِالْأَمَالِ الْمِجَافِ<sup>(١)</sup> ولا تَكْلَفُوا بِالْكُهَانَةِ وَالْإِرْجَافِ،  
واجملوا العمرين مَعَاشٍ وَمَعَادٍ ، وَخُصُوصِيَّةٍ وَابْتِعَادٍ ، واعلموا أن الله سبحانه  
بِالْمِرْصَادِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ يَنْزِعُ وَحَصَادٍ ، وَأَقْلُوا بِغَيْرِ الْحَالَةِ الْبَاقِيَةِ الْمُحْصُومِ ، واحذروا  
القَوَاطِيعَ عَنِ السَّعَادَةِ كَمَا تُحَذِّرُ الشُّمُومَ ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا مُعَالَةٌ  
أَنْ يَدُومَ ، وَقَابِلُوا بِالصَّبْرِ أَذْيَةَ الْمُؤَذِّينَ ، ولا تمارضوا مَقَالَاتِ الظَّالِمِينَ ، فَاللهُ لِمَنْ  
بُنِيَ عَلَيْهِ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ، ولا تستعظموا حَوَادِثَ الْأَيَّامِ كُلَّمَا تَزَلَّتْ ، ولا تَضِجُوا  
لِلْأَمْرَاضِ إِذَا أَعْضَلَتْ ، فَكُلُّ مُتَقَرِّضٍ حَقِيرٍ ، وَكُلُّ مُنْقَضٍ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ ،  
وَانْتَظَرُوا الْفَرَجَ ، وَانْتَشِقُوا مِنْ جَنَابِ اللَّهِ تَعَالَى الْأَرْجَ<sup>(٢)</sup> ، وَأَوْسِعُوا بِالرَّجَاءِ  
الْجَوَانِحَ ، وَاجْنَحُوا إِلَى الْخَوْفِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فَطُوبَى لِمَنْ عَبَدَ إِلَيْهِ جَانِحٌ ، وَتَضَرَّعُوا  
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْهَمَاءِ ، وَاجْتَنُوا إِلَيْهِ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ، وَقَابِلُوا نِعْمَ اللَّهِ تَعَالَى  
بِالشُّكْرِ الَّذِي يَقْبَلُهُ الشَّارِدُ ، وَيَعْتَذِبُ الْوَارِدُ ، وَأَسْهِمُوا<sup>(٣)</sup> مِنْهَا لِلْمَسَاكِينِ  
وَأَفْضِلُوا عَلَيْهِمْ ، وَعَيِّنُوا الْحُظُوظَ مِنْهَا لِدَيْهِمْ ؛ فَمَنْ الْآثَارُ : « يَا عَائِشَةُ أَحْسَنِي جِوَارِ  
نِعْمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ » ، وَلا تَطْنُوا فِي النُّعْمِ وَتَقْصُرُوا  
عَنْ شُكْرِهَا ، وَتَنْلِكُمْ<sup>(٤)</sup> الْجَهَالََةَ بِشُكْرِهَا ، وَتَتَوَهَّمُوا أَنَّ سَيْكُمُ جَلَبَهَا ، وَجِدَّكُمْ  
حَلَبَهَا ، فَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، وَالْمَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلا فِعْلَ إِلَّا لِلَّهِ إِذَا نُظِرَ بَيْنَ  
الْيَقِينِ ، وَاللَّهِ أَفْهَ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ، وَلا تَذْهَبُوا بِذَهَابِ زَيْنِكُمْ ، وَلِيَلْتَزِمَ  
كُلُّ مِنْكُمْ لِأَخِيهِ ، مَا يَشْتَدُّ بِهِ تَوَاضُعِهِ ، بِمَا أَمَكْنَهُ مِنْ إِخْلَاصٍ وَبَرٍّ ، وَمِرَاقَةٍ  
فِي عِلَانِيَةٍ وَسِرٍّ ، وَلِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ لَا تُجْهَلُ ، وَحَقٌّ لَا يُهْمَلُ ، وَأَظْهَرُوا التَّمَاذِدَ

[١] المِجَافُ جمع مِجَافٍ : وَحَى لِلْهَزُولَةِ . [٢] الْأَرْجُ : تَوَجُّعُ رِيحِ الطَّيْبِ .

[٣] أَسْهِمُوا لَهُ : أَعْطَاهُ سَهْمًا . [٤] فِي الْأَمَلِ : « وَتَنْلِكُمْ » ، وَأَرَادَ عَرَفًا مِنْ « وَتَنْلِكُمْ » .

والتناصر، وصَلُوا التَّعَاهِدَ والتَّزاورَ، تَرْغُمُوا بِذَلِكَ الْأَعْدَاءَ، وَتَسْتَكَثِّرُوا الْأَوْدَاءَ،  
وَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الْحُظُوظِ السَّخِيفَةِ، وَلَا تَهَارِشُوا تَهَارُشَ السَّيَّاحِ عَلَى الْجَيْفَةِ،  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَخْتَدِرُ بِالْإِمْتِنَانِ، وَطَاعَةِ النِّسَاءِ شَرُّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ،  
فَإِذَا أَسَدَيْتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ، وَإِذَا بَرَزَ قَبِيحٌ فَاسْتُرُوهُ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ  
أَمْرًا فَاحْزَرُوهُ، وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَلْسُنُوا مُقَارَصَةَ سَجَلِي<sup>(١)</sup>، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوْدَتِي مِنْ  
أَجْلِ، وَمَنْ رُزِقَ مِنْكُمْ مَالًا بِهَذَا الْوَطَنِ الْفَلَقِ الْمَهَادِ، الَّذِي لَا يَصْلُحُ لِنِيرِ الْجَاهِدِ،  
فَلَا يَسْتَهْلِكُهُ أَجْعٌ فِي الْعَقَارِ، فَيَصْبِحُ عُرْصَةً لِلْمَذَاةِ وَالْإِحْتِقَارِ، وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ  
- إِنْ تَغَلَّبَ الْمَدْوَى عَلَى بَلَدِهِ - فِي الْإِفْتِضَاحِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَمَعْوَقًا عَنِ الْإِتْقَالِ،  
أَمَامَ الثُّوبِ الثَّقَالِ، وَإِذَا كَانَ رِزْقُ الْعَبْدِ عَلَى الْمَوْلَى، فَلَا إِجْمَالَ فِي الطَّلَبِ أُولَى،  
وَازْهَدُوا جَهْدَكُمْ فِي مَصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا، غَيْرِهَا لَا يَقُومُ بِشَرِّهَا، وَنَفْعُهَا لَا يَقُومُ  
بِضَرِّهَا، وَأَعْقَابُ مَنْ تَقَدَّمَ شَاهِدَةً، وَالتَّوَارِيخُ لِهَذِهِ الدَّعْوَى حَاضِدَةٌ، وَمَنْ  
بُلِيَ بِهَا مِنْكُمْ فَلْيَسْتَظْهِرْ بِسَعَةِ الْإِحْتِمَالِ، وَالتَّقَلُّلِ مِنَ الْمَالِ، وَلْيَحْذَرْ مُعَادَاةَ  
الرِّجَالِ، وَمَزَلَّاتِ الْإِدْلَالِ، وَفَسَادِ الْخِيَالِ، وَمُدَاخَلَةِ الْأَعْيَالِ، وَإِفْشَاءِ السَّرِّ،  
وَسُكْرِ الْإِغْتِرَارِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الْغَيْرِ، وَلَيَصْنُ الدِّيَانَةَ، وَيُؤْثِرُ الصَّمْتَ وَيُلَازِمُ  
الْأَمَانَةَ، وَيَسِرْ مِنْ رِضَا اللَّهِ عَلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ، وَمَهْمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ قَصَدَ  
أَقْرَبَهُمَا إِلَى الْحَقِّ، وَلْيَقِفْ فِي التَّمَّاسِ أَسْبَابَ الْجَلَالِ دُونَ الْكَمَالِ غَيْرِ النِّقْصَانِ،  
وَالزَّمَانِ تُسَالِمُ اللَّذْنَ<sup>(٢)</sup> اللَّطِيفِ مِنَ الْأَغْصَانِ، وَإِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الْوَلَايَاتِ وَرَغْبَةَ  
وِاسْتِجْلَابِهَا، وَاسْتَظْهَارًا عَلَى الْمَطْلُوبِ وَغِلَابًا، فَذَلِكَ ضَرَرٌ بِالْمُرُوءَاتِ وَالْأَقْدَارِ،  
دَاجٍ إِلَى الْفَضِيحَةِ وَالْعَارِ، وَمَنْ أُمْتُحِنَ بِهَا مِنْكُمْ اخْتِيَارًا، أَوْ جَبِرَ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا

[١] السَّجَلُ : النَّصِيبُ . وَالْمَعْنَى : إِنَّكُمْ مَدِينُونَ لِي بِمَا قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَعْرُوفِي ، فَلَا تَنْسُوا أَنَّ تَرَدُّوهُ  
لِي بِإِكْرَامٍ مِنْ أَوْدَةٍ . [٢] اللَّذْنَ الْبَيْنِ .

وإشاراً ، فليتلقَ وظائقها بِسَعَةِ صدره ، ويذلل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فَتَنَةٌ وَغِنَةٌ ، وَأَسْرٌ وَإِخْتَةٌ ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلالٍ بِعبادة ، وَتَوْقِعٌ عَزَلٌ ، وإدالة <sup>(١)</sup> بإزاء بيع جدِّ بهزل ، وَزَلَّةٌ قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وإبتعاد ، جعلكم الله بمن نفعه بالتبصير والتنبه ، ومن لا يتقطع بسببه عمل أبيه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من حروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وَحَصَلْتُمْ على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعت لآلئها النفيسة الْقِيَمَ ، استكثرت من بواعث الندم ، ومهما سئمت إطالتها ، واستغزرت مقالاتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلِكَ <sup>(٢)</sup> الحساب ، وضابط هذا الباب ، كَانَ الله خليفى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مُنَاخٌ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض مُحَالٌ ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خُطَّتِهِ النجاة ، وَتَفَقَّ بِضَائِمِهَا الْمُرْجَاةُ <sup>(٣)</sup> ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يُثَلِّمُهُ <sup>(٤)</sup> حيث شاء من شملٍ متصدع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . ( نصح الطبيب ٤ : ٤١٩ )

## ١٨ — خطبة وعظية له

وصدر عنه على لسان واعظ :

« الحمد لله الوليُّ الحميد ، المبدئُ المعيد ، البعيد فى قرْبِهِ من العَبِيد ، القريب

[١] الإدالة : التلبه . [٢] فذلك حساب كسحرج : أتباه وفرغ منه ، مختصرة من قوله إذا أهل حساب : فذلك كذا وكذا . [٣] بضامة مرجاة : رويّة أو قلية يردّها ويدفعها من رآها رغبة منها ، وتعنى السلة تنقياً : رويّها . [٤] لأم الجرح والصدع كقطع والألمه : سدّه .

في بومه وهو أقرب من حبل الوريد <sup>(١)</sup> ، مُعْجِي رُبُوعِ المَافِينِ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ  
التَّوْحِيدِ ، وَمُفْنِي نَفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ الْاِفْتِقَارِ إِلَى الْعَرَضِ الزَّهِيدِ ،  
وَمُخْلَصِ خَوَاطِرِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سَجُونِ دُجُونِ <sup>(٢)</sup> التَّقْيِيدِ ، إِلَى فُسْحِ التَّجْرِيدِ ،  
نَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظِمَةُ دُرَرُهُ فِي سُلُوكِ الدَّوَامِ ، وَثُمُوطِ <sup>(٣)</sup> التَّأْيِيدِ ، سَمَدَ مِنْ تَرَرِهِ  
أَحْكَامَ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَأَعْلَامَ فَرْدَانِيَّتِهِ ، عَنْ مَرَابِطِ التَّقْيِيدِ ، وَغَبَابِطِ الطَّبْعِ الْبَلِيدِ ،  
وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ افْتَتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ شَهَادَةً تَنْخَطِي بِهَا مَعَالِمَ الْخَلْقِ ، إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ ، عَلَى كَبَدِ التَّفَرِيدِ ،  
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ قِلَادَةَ الْجِيدِ الْمَجِيدِ ، وَهَلَالِ الْعِيدِ ، وَقَدْ لَكُمُ  
الْحِسَابَ وَبَيْتَ الْقَصِيدِ ، الْخُصُوصَ بِعَشُورِ الْإِدْلَالِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِقْطَاعِ الْكَمَالِ ، بَيْنَ  
مَقَامِ الْمُرَادِ وَمَقَامِ الْمُرِيدِ ، الَّذِي جَعَلَهُ السَّبَبَ الْأَوْصَلَ فِي نَجَاةِ النَّاجِي وَسَعَادَةِ  
السَّعِيدِ ، وَخَاطِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى لِسَانِهِ الصَّادِقِ بِحُجَّتِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، فَكَانَ مِمَّا  
أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ الْمَلَكُ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، لِيَأْخُذَ بِالْحُجَزِ <sup>(٥)</sup>  
وَالْأَطْوَاقِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مِثْلَ ثُمُوسٍ بِهِ  
نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ  
الشَّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ  
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ،  
وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق . [٢] أي ظلام التقيد ، والدجون جمع دجن بالفتح : وهو لباس النعم الأرض  
وأقطار السماء . [٣] صموط جمع سمط بالكسر : وهو خيط النعام . [٤] أدل عليه : وثق بمحبته .  
[٥] الحجز جمع حجرة كغرفة : وهي مقعد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة .

فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة  
تقوم بيمض حقه الأكيد ، وتُسرى إلى تربيته الزكية من ظهور المواجهات الجارية  
على البركيد :

قعدتُ لتذكير ، ولو كنتُ منصفاً ، لكُرتُ نفسى ففى أحوجُ للذكرى  
إذا لم يكن منى لنفسى واحفظُ فيا ليت شعرى كيف أفعل فى الأخرى ؟  
آه ، أى وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يُسمع ، وفى ماذا - وقد تبين الرشدُ  
من النقي - يُطمع ؟ يامن يُعطي ويمنع ، إذا لم تُقيم الصنعة فإذا نصنع ؟ أنجعنا  
بقلوبنا يامن يُفرق ويجمع ، وَلَئِنْ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ ، فقد استعاذ ببيك  
صلى الله عليه وسلم مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْتَشِعُ ، ومن عين لَا تَدْمَعُ : اعلموا رحمكم الله أن  
الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجداد والحيوان ، وما  
أملأه الملوان (١) ، فإن الحق نور لا يفسده أن صدر من الخامل ، ولا يقصر  
بمحموله احتقارُ الحامل ، وأنتم تدرّون أنكم فى أطوار سفر لا تستقر لها دون  
الغاية رحلة ، ولا تتأنى معها إقامة ولا مثلة ، من الأصلاب إلى الأرحام إلى  
الوجود ، إلى القبور إلى النشور إلى إحدى دارى البقاء ، أفى الله شك ؟ فلو  
أبصرتم مسافراً فى البرية بينى وبينى وفقرش ، ويُمهد ويمرّش ، ألم تكونوا تضحكون  
من جهله ، وتنجّبون من ركاكة عقله ؟ ووالله ما أموالكم ولا أولادكم ،  
وشواغلُكم عن الله ، التى فيها اجتهدكم ، إلا بقاءُ سفر (٢) فى فقر ، أو إعراس فى  
ليلة نفر (٣) ، كأنكم بها مطرحة تعبر فيها المواشى ، وتنبو الميوت عن خبرها

[١] للوان : الليل والنهار .

[٢] السفر : جماعة للسافرين . [٣] أمّرس القوم وعمرّسوا : نزلوا فى آخر الليل للاستراحة ،  
وعمر الحاج من منى كضرب غمراً ونظروا . الطرج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشى « إِنَّمَا أَمْرُ الْكُفْرِ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد  
 المَقِيلِ إِلَّا الرَّحِيلَ ، ولا بعد الرحيل إِلَّا المنزلُ الكريم ، أو المنزل الويل ، وإنكم  
 تستقبلون أهوالا ، مَسَكِرَاتُ الموت بَوَاكِيرُ حسابها ، وَعَتَبُ أَبْوَابها ، فلو  
 كَشِفَ النِّطَاءُ عن ذَرَّةٍ منها ، لَدَهَلَتِ العقول وطاشت الأبواب ، وما كل  
 حقيقة يشرحها الكلام ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ  
 الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، أفلا أعدتكم لهذه الوزعة حيلة ، وأظهرتم  
 للاهتمام بها خيلة <sup>(١)</sup> ؟ أتعويل على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القاتل في مقام  
 التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمننا من مكره مع المنابذة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ  
 مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعنا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :  
 « قَسَا كُتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أُمُشَاقَّةٌ وَمُعَانَدَةٌ ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ  
 شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أشكنا في الله ؟ فتمالوا نُعِيدِ الحِسَابَ ، وَتَقَرَّرِ الْعَقْدُ ، وَتَتَصِفِ  
 بدعوة الحق (أَوْ غَيْرَهَا) من اليوم ، يُفْقَدُ عَقْدُ الْعُقَاثِدِ عند التساهل بالوعيد <sup>(٢)</sup> ،  
 فالعالمى يُذْنِبِ الْأَصْبَحَ الْوَجِعةَ ، والعارف يضمده لها مبدأ الْمَصَبِ .

هكذا هكذا يكون التمام هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا  
 مما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرءوف الرحيم يقول لكم : « الْكَيْسُ  
 مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَهَمَلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؛ وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى  
 عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » ، فَعَلَامَ بَعْدَ هَذَا الْمَعْوَلِ ، وماذا يتأول ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الخيلة الظن . [٢] أى أن الرء إذا لم يحسب لوعيد الله حسابا ، واسترسل في إقتراف المعاصي  
 والوبائات ، أفضى به ذلك إلى زلّة العقيدة ، ولو أنه كان خالص الإيمان لأرعى عما نهى عنه .



نفوسكم وَأَنْصَحُوهَا ، وَاعْتَمِلُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْتَجِعُوهَا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ  
يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاهِينَ » ، وتنادى  
أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، ونستغيث أخرى : « يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ  
فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وتقول أخرى : « رَبِّ ارْجِعُونِي » ، فَرَحِمَ  
الله من نظر لنفسه ، قبل غُرُوب شمسهِ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ  
تَجْرُ إِلَى الْمَوْتِ ، والنفلة تقود إلى الفُوتِ ، والصحة مَرَكَبُ الْأَلَمِ ، والشبيهة  
سفينة تقطع إلى ساحل المَرَمِ .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إخواني ، ما هذا التواني ؟ والكَلَفُ بالوجود الفاني ، عن الدائم الباقي ،  
والدهر يقطع الأمان ، وَمَا دِمُ اللَّذَاتِ قد شرع في تقض المباني ، أَلَا مُتَبَرِّفِي  
حَالِمْ هَذِهِ الْمَعَانِي ، أَلَا مَرْتَحِلٌ عَنْ مَفَاكِنِ هَذِهِ الْمَعَانِي ؟ »

أَلَا أَذُنٌ تُصْنِي إِلَى سَمِيعَةٍ أَحَدَتْهَا بِالصَّدَقِ بِمَا صَنَعَ الْمَوْتُ  
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَاهِ حَسْرَةً عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ  
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ فَوَجَا سِرًّا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْفُوتُ  
يَا كَلِيفًا بِمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِزُرُورِ الْوُجُودِ الْمَدُومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الْأَجَلِ  
الْمُهْدُومِ ، يَا مَشْتَغِلًا بِبِنْيَانِ الطَّرِيقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ، يَا غَرِيقًا فِي  
فِي بَحَارِ الْأَمَلِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ! يَا مُكَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ (١) ،  
لَا بَدَأَ أَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَتَتْرَكَ الْمَطْمُومَ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجَلِ بَيْتَ عَمْرٍو ،  
فَسَلَبَ النَّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَطَلَّوْىَ الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرَبُ (٢) ، واقتلع جواهر

[١] اللاني جمع معنى وهو للزل .

[٢] السراب : ما يرى وسط النهار كأنه ماء . [٣] كرهه الفم كنصر : اشتد عليه .

الجوارح ، وقد وقع بك النُهب ، ولم يَبْقَ إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد.

لَوْ خُفِّفَ الْوَجْدُ عَنِّي دَعَوْتُ طَالِبَ تَارِي

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كيف التَّراخِي والقوتُ مع الأنفاس يُنتظر ، كيف الأمان وهاجم الموت لا يُبْقِي ولا يَذَرُ ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح وقد صَحَّ الخبر ؟ من فكَرَ في كَرْبِ الخُمار <sup>(١)</sup> تنَغَّصَتْ عنده لذَّةُ النِّبِذِ ، من أَحَسَّ بِلَفْظِ <sup>(٢)</sup> الحريق فوق جَدَّاره ، لم يُصْنَعْ بصوته لِنِعْمَةِ العود ، من تَيَقَّنَ بِذُلِّ الْعَزَلَةِ ، هان عليه ترك الولاية .

مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانُ بِشَرِّهِ أَوْلَى لَنَا مَا قُلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى

أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : أَنْ ضَعَّ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَيَمْدُدْ مَا حَادَّتْهُ مِنْ شَعْرَةٍ تَعِيشُ سَنِينَ ، فقال : يارب وبعد ذلك ؟ قال : تموت ، قال : يارب فالآن .

رَأَى الْأَمْرَ يُقْضَى إِلَى آخِرِهِ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا

إذا شَعَرْتَ نَفْسَكَ بِالْمِيلِ إِلَى شَيْءٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةَ فِرَاقِهِ « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتَنَةٍ ، وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ يَتَنَةٍ » فالْفُروحُ به هو المحزون عليه ، أين الأحباب مَرُّوا ؟ فَيَالَيْتَ شَعْرَى أَيْنَ اسْتَقَرُّوا ؟ اسْتَكَانُوا وَاللَّهِ وَاضْطَرُّوا ، واستغاثوا مَنْ سَبَقَكَ <sup>(٣)</sup> بأوليائهم ففرُّوا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضَرُّوا ، فالمنازل من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والمعظام من بعد التفاصيل متشابهة متساوية ، والمساكن تَنْدُبُ في أطلالها الذنابُ العاوية .

[١] الحمار : صدام الجحش وأذاها . [٢] أي برميهِ . [٣] هكذا في الأصل ، وكان يمكن أن يقول : « واستغاث من سبقك بأوليائهم » إلا أن يخرج على أن « من » مبتدأ مؤخر كما في قوله تعالى : « ثُمَّ تَحْمَوُا وَصَبُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من » بدل من واو الجملة .

صَحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا      لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ عَمَى الْغَرِيبُ ؟  
وَيَحْتَبِ الدَّارَ قَبْرُ جَدِيدُ      مِنْهُ يَسْتَسْقِي لِلْكَائِنِ الْجَدِيبُ  
فَاضَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التَّجَاحِي      قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيِّيبُ <sup>(١)</sup>  
لَأَسْأَلَ عَنْ زَجَجَتِي كَيْفَ كَانَتْ      إِنَّ يَوْمَ الْيَتِيمِ يَوْمَ عَصِيبُ  
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي      بَعْدَ إِلَنِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

أَيْنَ الْمُعْتَرِ الْخَالِدِ ، أَيْنَ الْوَلَدِ أَيْنَ الْوَالِدِ ، أَيْنَ الطَّارِفِ أَيْنَ التَّالِدِ ، أَيْنَ الْمَجَادِلِ أَيْنَ  
الْمُجَالِدِ ؟ هَلْ تَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرَأَ ؟ <sup>(٢)</sup> وَجْهَ عِلَافَتِ الْوَرَى ،  
وَصَحَائِفِ تَقْصَ ، وَأَعْمَالِ عَلَى اللَّهِ تُعْرَضُ ، بِتَحْتِ الزُّهَادِ وَالْمُبَادِ ، وَالْمَارْفُونِ  
وَالْأَوْتَادِ ، وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُهْتَدَى بِهِمُ الْعِبَادِ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ  
بَعْدَهُ ، فَلَمْ يَحْدُوا إِلَّا الْبُعْدَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبِهِ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي  
عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ جَنَابِي مِنْ أَجْلِ لَيْلِي .      فَالَى بَعْدَ لَيْلِي مِنْ حَيْبِ  
وَمَاذَا أُرْتَجَى مِنْ وَصْلِ لَيْلِي      سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبِ

وَقَالُوا : مَا أوردَ النَّفْسَ الْمَوَارِدِ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْخُتْفِ إِلَّا الْأَمَلَ ، كَلِمَا قَوْمَتَهَا  
مُتَاقِفِ الْحُدُودِ ، فَتَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ . كَلِمَا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ، أَهْدَاهَا  
طُرْفَ التُّرُورِ فِي أَطْبَاقِ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » ، فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا  
حَتَّى أَقْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَقْسَى إِلَّا الْأَمْلُ      وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ قَمَلُ  
يَقْرُضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَهَمَّامَالَهُ      حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

ما فوق وجه الأرض نفس حية  
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كَوَّنُوا  
إِلَّا قَدْ انْقَضَ عَلَيْهَا الْأَجَلُ  
لَا مَثَلًا السَّهْلُ بِهِمُ وَالْجَبَلُ  
مَا نَمَّ إِلَّا لَقَمَ قَدْ هَيْئَتِ  
لِلْمَوْتِ، وَهَوَّ الْأَكِلُ الْمُسْتَعِجِلُ  
وَالْوَعْدُ حَقٌّ، وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ  
قَدْ خُودِعُوا بِمَاجِلٍ وَضَلُّوا  
أَيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا وَاعْتَرَسُوا  
وَتَهَدَّؤُوا وَاقْتَرَشُوا وَظَلَّلُوا؟  
أَيْنَ ذُوو الرِّاحَاتِ زَادَتْ حَسْرَةُ  
إِذْ جُنِبُوا إِلَى الثَّرَى وَاتَّقَلُوا<sup>(١)</sup>  
لَمْ تَدْفَعْ الْأَحْبَابُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنْ  
بَكَوْا عَلَى فِرَاقِهِمْ وَأَعْوَلُوا  
اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَوْلَى مِنْ لَهُ  
ذَخِرَتْ نَصْحًا وَعِتَابًا يُقْبَلُ<sup>(٢)</sup>  
لَا تَرَكْنَهَا فِي نَمَى وَخَيْرَةٍ  
عَنْ هَوْلٍ مَا يَبِينُ يَدِيهَا تَقْفُلُ  
حَقَرَهَا الْفَانِي، وَحَاوَلَ زُهْدَهَا  
وَشَوَّقَهَا إِلَى الَّذِي تَسْتَقْبِلُ  
وَفِيذْ إِلَى اللَّهِ بِهَا مَضْطَرَةٌ<sup>(٣)</sup>  
هُوَ الْفَنَاءُ، وَالْبَقَاءُ بَعْدَهُ  
حَتَّى تَرَى السَّيْرَ عَلَيْهَا يَسْهَلُ<sup>(٤)</sup>  
يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ يَا حَسْرَتَهَا  
هُوَ الْفَنَاءُ، وَالْبَقَاءُ بَعْدَهُ  
يَوْمَ يُؤْتَى النَّاسُ مَا قَدْ صَمَلُوا

يَا طَرْدُ<sup>(٥)</sup> الخالفة، أنكم مُذَرِّكون فاستيقوا باب التوبة، فإن ربَّ تلك الدار يُخَبِّرُ وَلَا يُحَارِعُ عَلَيْهِ « فَلَا إِذًا أَمِيتُمْ » فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَذَا كَمْ ، يا طُفَيْلِيَّةَ الْهَمَّةِ، دُسُّوا أَنْفُسَكُمْ بِزُمرِ التَّائِبِينَ ، وقد دُعُوا إِلَى اللَّهِ دَعْوَةَ الْحَيِّبِ ، فإن لم يكن أَعْجَلُ فَلَا أَقْلُ مِنْ طَيْبِ الْوَلِيَّةِ ، قَالَ بَعْضُ الْمَارْفِقِينَ : إِذَا عَقَدَ التَّائِبُونَ الصَّلَحَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ، انْتَشَرَتْ رَحَايَا الطَّاعَةِ فِي حِمَالَةِ الْأَعْمَالِ ، « وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

[١] جنبه : دفعه . [٢] أى اتق الله فى هك الذى هو أولى . . . الخ .

[٣] قد : أمر من وقد أى اقدم . [٤] الطريقة : ما طرعت من سيد أو غيره .

وَوَضَعَ الْكِتَابُ ، معاني هذا المجلس والله نَسِيمُ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَشَقَهُ مَحْمُورِ  
الْعَقْلَةِ أَفَاق ، سَعُوطٌ <sup>(١)</sup> هذا الوَعظُ يَنْقُضُ <sup>(٢)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكَمَةُ الْبَطَالَةِ ، إِنْ  
الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ ، إِكْسِيرٌ <sup>(٣)</sup> هذا الكتاب يَلْقَبُ بِحِكْمَةِ جَابِرٍ <sup>(٤)</sup> ،  
الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ عَيْنٍ مِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى  
يَنْبَغِي لَهُمْ اللَّهُ » إلهي ذُنُوبًا مِنْ حَيْرَةٍ يَضِلُّ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدَّلِيلُ ،  
وَأَجْرُنَا مِنْ عَمْرَةٍ <sup>(٥)</sup> وكيف - إِلَّا بِإِفَاتِكَ - السَّبِيلُ ، نفوسُ صَدِيقٍ مِنْ مَرَّ  
الْأَزْمَانِ مِنْهَا الصَّعِيقُ ، وَنَبَأًا يَجْنُوبُهَا عَنِ الْحَقِّ الْمُقِيلُ ، وَأَذَانُ أَنْهَضَهَا الْقَوْلُ  
الثَّقِيلُ ، وَعَثَرَاتٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسْبُنَا  
وَنَعْمَ <sup>(٦)</sup> الْوَكِيلُ . ( فتح الطيب ٤ : ٨٥ )

## ١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسى <sup>(٧)</sup> لابنه

قال أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى :

لما أردت النهوض من ثمر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه عرقاً عن « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسوط : الدواء  
يصب في الأنف . [٢] في الأصل « يفض » وأراه « يفض » أى يذهب .  
[٣] الإكسير : الكيمياء .

[٤] يريد جابر بن حيان . قال ابن القطبي في تاريخ الحكماء في ترجمته : « هو جابر بن حيان الصوفي  
الكوفي ، وكان متقدماً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيمياء . . الخ » وذكره ابن زيدون في  
رسائله الهزلية ، فقال : « وأظهرت جابر بن حيان على سِرِّ الكيمياء » قال ابن نباتة في سرح البيوت :  
« وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، وهذا دليل على قول  
أكثر الناس إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن » ، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق ،  
وأنه إذا قال في كتبه : قال لي سيدي ، وصحت من سيدي ، فإنه يعني به جعفر الصادق « وقد قمنا لك  
أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ » .

[٥] الغمرة : الشدة . [٦] أورد القرطبي في فتح الطيب لسان الدين عقب ذلك كلاماً آخر في الوعد  
وهو على نمط ما أوردناه لك فافطره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، من سلالة  
عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد توفاه ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الخضراء ، وهو

الإسكندرية، رأى أبى أن يكتب لى وصية أجمعها إماماً فى الغربية ، فبقى فيها أياماً إلى أن كتبها عنه ، وهى هذه :

أودعك الرحمن فى غُرْبَتِكَ	مُرْتَقِباً رُمَحَاءَ فى أَوْبَتِكَ
وما اختارى كَأَن طَوَّعَ النَّوَى	لكننى أَجْرَى على بُعْيَتِكَ <sup>(١)</sup>
فلا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى ، إني	وأفهِ أَشْتاقُ إلى طَلَمَتِكَ
من كَانَ مفتوناً بأبْئَانِهِ	فإِنِّى أَمْنَعْتُ فى خَيْرَتِكَ
فاختصرِ التوديعَ أَخْذاً ، فإ	لى ناظِرٌ يَقْوَى على فُرْقَتِكَ
واجملِ وصائى نُصَبَ عَيْنٍ ، ولا	تَبْرَحْ مَدَى الأيامِ من فِكْرَتِكَ
خُلاصةَ العَمْرِ التى خُنُكْتُ	فى سَاعَةٍ زُفْتُ إلى فِطْمَتِكَ <sup>(٢)</sup>
فلتجاربِ أُمُورٍ إذا	طالَمْتُهَا تَشَحَّدُ من غَفْلَتِكَ
فلا تَنْمَ عن وَغِيهَا سَاعَةً	فإنها عَوْنٌ إلى يَقْظَتِكَ <sup>(٣)</sup>
وكلَّ ما كَابَدْتَهُ فى النَّوَى	إياكَ أن يَكْسِرَ من هَيْبَتِكَ
فليس يُدْرَى أصلُ ذى غُرْبَةٍ	وإنما تُعْرِفُ من شَيْمَتِكَ

من رحل من علماء الأندلس إلى الشرق ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ من ٦٧ هـ . وكان أبوه محمد وزيراً جليلاً بيد البيت ، طالى الذكر ، وضع الهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا حظوة لدى الموحدين ، وولى لهم أعمالاً كثيرة بمراكش وإشبيلية وغرناطة ، والصلح ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

وكان جده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن تاشفين ملك الأبربر ، إلى أن استلبه بها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن طى هو مسمى كتاب : « المغرب فى أخبار المغرب » ، وكان السبب فى تأليفه هو جدّه عبد الملك بن سعيد ، ثم عمه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم تم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ، ثم أرى طى الجميع فى إتمامه على بن موسى ، وقد ذكر فى خطبته أنه بدى فيه من سنة ٥٣٠ هـ ، ومنتها إلى مرة سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبى الحسن بقرناطة سنة ٦١٠ ، ووفاته ببولس سنة ٦٨٥ هـ [١٩] النوى : البد . [٧] حنك : أحكت . [٢] اليقظة بالتحريك وسكنه التمر .

وكل ما يُغْنِي لِشَدْرِ فَلَا      تَجْمَلُ فِي الْعَرَبَةِ مِنْ إِزْبَتِكَ <sup>(١)</sup>  
 وَلَا تَجَالِسُ مَنْ فَشَا جَهْلُهُ      وَأَقْصِدْ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي صَنِيعِكَ  
 وَلَا تَجَادِلْ أَبَدًا حَاسِدًا      فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى هَيْبَتِكَ  
 وَلَمْ يَسْرِ الْمَوْتُ نَحْوَ مُظْهِرٍ عَفَّةٍ      وَأَنْبِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ  
 أَفْشِ التَّحِيَّاتِ إِلَى أَهْلِهَا      وَابْنِ النَّاسِ عَلَى رُتْبَتِكَ  
 وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ الْيَمِّ مُسْتَقْبَحٌ      وَاصْنُتْ بِحَيْثُ الْخَيْرِ فِي سَكَنِكَ  
 وَلَا تَزَلْ مُجْتَمِعًا طَالِبًا      مِنْ دَهْرِكَ الْفُرْصَةَ فِي وَثْبَتِكَ  
 وَكَلِمَا أَبْصَرْتَهَا أُمَكَّنْتَ      يَبِّ وَاقْتِمَا بِاللَّهِ فِي مَكْنَتِكَ <sup>(٢)</sup>  
 وَبَلَغْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابٍ      وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكَرَتِكَ  
 وَأَيَّامٍ مِنَ الْوَدِّ لَدَى حَاسِدٍ      صِدِّ ، وَنَافِسُهُ عَلَى خَطْبَتِكَ <sup>(٣)</sup>  
 وَوَفَّرِ الْجَدَّ ، فَمَنْ قَصَدُهُ      قَصْدُكَ لَا تَنْشِبُ فِي بِنْفَتِكَ  
 وَوَفَّ كَلًّا حَقَّهُ ، وَلَتَكُنْ      تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدِّكَ  
 وَلَا تَكُنْ تَحْقِرُ ذَا رُتْبَةٍ      فَإِنَّهُ أَنْقَعُ فِي غُرْبَتِكَ  
 وَحَيْثَا خِيَمَتْ فَاقْصِدْ إِلَى      مُحِبَّةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ  
 وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةً ، مَا لَهَا      إِلَّا الَّذِي تَذْخَرُ مِنْ عُدَّتِكَ  
 وَلَا تَقُلْ : ( أَسْلَمَ لِي وَحَدَّثِي )      قَدْ تَقَاسَى النَّكَ فِي وَحْدَتِكَ  
 وَالتَّرِيمِ الْأَحْوَالِ وَزَنَا وَلَا      تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ  
 وَلِتَجْمَلَ الْعَقْلُ عِجْكَ ، وَخُذْ      كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي تَقْدَرِكَ  
 وَاعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاظِلِمْ      وَأَعْجِبْ أَخَا يَرْغَبُ فِي مُحِبَّتِكَ

[١] الإربة : الحاجة . [٢] المكنة بفتح فكسر : التمكن والقدرة ، وسكنة الشعر

[٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحه « وإياس » وبه يستقيم المعنى

بعد اختبارٍ منك يَقْضِي بما  
يَحْسُنُ في الآخِذِ من خِلْطِكَ<sup>(١)</sup>  
كم من صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصْحَهُ  
وَفِكْرُهُ وَقَفَّ على عَثْرَتِكَ  
إياك أن تَقْرَبَهُ ، إنه  
عَوْنٌ مع الدهر على كَرْبِكَ  
وَأَقْنَعُ إذا ما لم تَجِدْ مَطْمَئِنًا  
وَإِنْ نَبَا دهرُ قَوْطُنٍ له  
وَأَنْتُمْ غَوَّ النَّبْتِ قد زارَهُ  
فَكُلْ ذِي أَمْرِ له دولةٌ  
ولا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنًا  
وَالشَّرَّ مِمَّا أَسْطَمْتَ لَا تَأْتِدْ  
فَإِنَّ حَوْزَ على مُهْجَتِكَ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

يَا مَبْنَى الذِّى لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي ، وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ ، قد قَدِمْتُ لَكَ في هَذَا  
النَّظْمِ ما إِنَّ أخطَرَتْهُ بِخاطركَ في كلِّ أَوَانٍ ، رَجوتُ لَكَ حَسَنَ العاقِبَةِ إِنْ شاءَ  
اللهُ تَعَالَى ، وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ ، وَأَعْلَقَ بِالفِكرِ ، وَأَحَقَّ بِالتَّقدُّمِ قولُ الأولِ :  
يَرِيْنُ الْغَرِيبَ إِذَا ما اغْتَرَبَ ثَلَاثٌ ، فَهِنَّ : حُسْنُ الْأَدَبِ  
وَتَانِيَةٌ : حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةٌ : إِيْجْتِنَابُ الرِّيبِ  
وَإِذَا اعتَبَرْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ ، وَلَزِمْتَهَا في الْغَرِيبَةِ ، رَأَيْتَهَا جَامِعَةً نَافِعَةً ، لَا يَلْحَقُكَ  
إِنْ شاءَ اللهُ مَعَ اسْتِعْمَالِهَا نَدَمٌ ، وَلَا يَفَارِقُكَ بِرٌّ وَلَا كَرَمٌ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :  
يُعَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ في قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ

[١] الخلطة مثل العبرة وزنا ومعنى ، والخلطة بالضم : اسم من الاختلاط ، مثل الفرة من الالتراق .

[٢] حلزه حوزا : جمعه وضمه وامتلكه كاحتلزه احتيازاً ، والضم : أنك إن أبليت الشر استحوذ على  
عسك وتملكك .



إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِمَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بِلَدَةٍ بِغَرِيبٍ  
وَمَا قَصَّرَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَأَصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِنْ تُعَاشِرُهُ وَدَارِهِ ، فَالْيَبِيبُ مَنْ دَارَى  
وَاتَّخَذَ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلَ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا  
وَأَصْغَرَ يَا بُنَيَّ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ بَقِيَّةُ الدَّهْرِ <sup>(١)</sup> ، وَسَلِّمَ الْكِرَمَ وَالصَّبْرَ :  
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ <sup>(٢)</sup>

إِذْ حُسِنَ الْخُلُقُ أَكْرَمَ نَزِيلَ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبَ مَنْزِلَ ، وَلَتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ  
فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : « وَكَانَ كُلُّهَا طَرَأً <sup>(٣)</sup> عَلَى مَلِكٍ ، فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصَدَ ،  
غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى  
صَحْبَةٍ مَنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ <sup>(٤)</sup> ، فَاجْعَلِ التَّكْلِفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهُبْ فِي رَوْضِ  
أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ ، وَحُلْ بِطَرَفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ <sup>(٥)</sup> ، وَانْزِلْ بِقَلْبِهِ نَزُولَ الْمَسْرَةِ ،  
حَتَّى يَتِمَّ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ،  
وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَكَ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِبَادَتَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ ،  
أَوْ حُسُودَ لَهُ يَغَارُ لِتَجَمُّلِهِ بِصَحْبَتِكَ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَفَرَّ بِطُولِ صَحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدْ  
بِدَوَامِ رَفْدَتِهِ ، فَقَدْ يَذْهَبُ الزَّمَانُ ، وَيُغَيِّرُ مِنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَلِذَا قِيلَ : « إِذَا  
أَحْبَبْتَ فَأَحْبِبْ هَوْنًا مَا ، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْقَلِبَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا ، وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا »  
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِغْيَارًا ، وَكَانَ كَالْمَرَأَةِ يَلْتَقِي كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ ، وَجَعَلَ  
نُصْبَ نَاضِرِهِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

[١] يقال : ذرة بقية : أى لا نظير لها ، وكل شئ مفرد يبرز نظيره فهو بقية .

[٢] بنا به منزله : إذا لم يوافق . [٣] طرأ عليهم كنع : أتاهم من مكان ، أو خرج عليهم منه فجأة .

[٤] الضمير فيه يعود على « قلبك » . [٥] الوسن : الناس

ولما صار ودّ الناس خيًّا جزيتُ على ابتسام بابتسام<sup>(١)</sup>

وفي أمثال العامة : « من سَبَقَكَ يومَ فقد سَبَقَكَ بِعَقْل » ، فَاخْتَدَ بِأَمثلةٍ من جَرَّبَ ، واستمعَ إلى ما خَلَّدَ الماضونَ بعدَ جَهْدِهِم وتَعَبِهِم من الأقوال ، فإنها خلاصةُ عمرهم ، وزُبْدَةُ تجاربهم ، ولا تَتَكَلَّ على عقلك ، فإنَّ النظرَ فيما تَعِبَ فيه الناسَ طولَ أعمارهم ، وابتاعوه غالِيًا بتجارِبِهِم ، يُزَجِّحُك ويقعُ عليك رخيصًا ، وإن رأيتَ مَنْ له مُروءةٌ وعقلٌ وتجربةٌ ، فاستفِدْ منه ، ولا تَضِيعَ قوله ولا فعله ، فإنَّ فيما تلقاهُ تلقِيحًا لعقلك ، وحقًّا لك واهتداءً .

وإياك أن تعملَ بهذا البيتِ في كلِّ موضعٍ : وَالْحَرْ يُخَذَعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ : فقد قالَ أحدهم : ما قيلَ أضرُّ من هذا البيتِ على أهلِ التَّجَمُّلِ ، وليس كلُّ ما تسمعُ من أقوالِ الشَّعراءِ يحسُنُ بك أن تتبعهُ حتى تتدبرهُ ، فإنَّ كَانَ موافقًا لمقلِّك ، مُصْلِحًا لحالك ، فراجعِ ذلكَ عندك ، وإلا فَاثْبُدْ تَبَدُّ النَواةِ ، فليس لكلِّ أحدٍ يُتَّبَعُ ، ولا كلُّ شخصٍ يُكَلِّمُ ، ولا الجودُ مما يُعَمُّ به ، ولا حُسْنُ الظنِّ وطيبُ النفسِ مما يعاملُ به كلُّ أحدٍ ، وللهُ درُّ القائلِ :

ومالِي لا أُوَفِّي البرِيَّةَ قِسْطَها على قدرِ ما يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وإياك أن تُعْطِيَ من نفسك إلا بِقَدَرٍ ، فلا تعاملِ الدُّونَ بِمعاملةِ الكفِّ ، ولا الكفِّ بِمعاملةِ الأعلَى ، ولا تَضِيعَ عمرَكَ فيمن يعاملُك بالمطامعِ ، وَيُثْبِتُكَ على مصلحةٍ حاضرةٍ عاجلةٍ ، بِغائبةٍ آجلةٍ ، واسمعِ قولَ الأولِ :

وَرَبِّعْ آجِلًا مِنْكَ بِالْعَاجِلِ : وَأَقْلِلْ من زيارةِ الناسِ ما استطعتَ ، ولا تُجَفِّهِمْ بِالْجَلَّةِ ، ولكن يكونَ ذلكَ بحيثَ لا يَلْتَحِقَ مِنْهُ مَلَلٌ ولا ضَجَرٌ ولا جفاءٌ ،

ولا تقتل أيضاً : أقمُدُ في كِسْرِيَّتِي ، ولا أرى أحداً ، وأستريح من الناس ، فإن ذلك كسل داخ إلى الذل والمهانة ، وإذا علم عدوك أو صديق منك ذلك ، ماملاك بحسبه ، فازدراك الصديق ، وجَسَر عليك العدو ، وإياك أن يترك صاحب عن أن تدّخر غيره للزمان ، وتطيعه في عداوة سواء ، ففي الممكن أن يتغير عليك ، فتطلب إغاثة غيره عليه ، أو استغناء عنه ، فلا تجدد ذخيرة قدّمته ، وكان هو في أوسع حال ، وأعلى رأي ، بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره ، فلو اتفق لك أن تصحب من كل صناعة وكل رياسة ، مَنْ يكون لك عُدَّةً ، لكان ذلك أوّلَى وأصوب ، وسَلَى فإنّي خير ، طال - والله - ما صحّبتُ الشخص أكثرَ عَمْرِي ، لأعتمد على سواء ، ولأعتدّ لإلياه ، منخداً يسرّابه ، موثوقاً في حبال خِطابه ، إلى أن لا يحصل لي منه غير المصّ على البَنان ، وقول : لو كان ولو كان ! ولا يحملك أيضاً هذا القول أن تظنه في كلّ أحد ، وتمجّل المكافأة ، وليكن حسن الظن بمقدار ما ، واصبر بمقدار ما ، والفقطن لا تحقّق عليه تخاليل الأحوال ، وفي الوجوه دلالات وعلامات ، وأصغر إلى القائل :

ليس ذا وجهٍ مَنْ يَضِيفُ ولا يَقْرَ - رِي ولا يدفع الأذى عن حَرِيم<sup>(١)</sup>  
فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه قَوْلٌ وَجْهَكَ عَنْهُ قِبَلَةٌ تَرْضاها ، وتحرصن جُهْدَكَ على أن لا تصحب أو تخدم إلا رَبَّ حِشْمَةٍ ونعمة ، وَمَنْ نشأ في رفاية ورُوءة ، فإنك تنام معه في سهاد العافية ، وإن الجياد على أعراقها<sup>(٢)</sup>  
تجري ، وأهل الأحساب والمروءات يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها

[١] ضافه يضيفه : نزل به ضيفاً ، وقرى النيف كرى : أحسن إليه .

[٢] الأعراف جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

وَصَمَّةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرَبَ مُضْعَبُ الْحَرِّ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو عِلِمَ مُضْعَبُ أَنْ الْمَاءَ يُفْسِدُ مِرْوَتَهُ مَا شَرِبَهُ ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يأبى ، وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير ، وقد قيل : « أَصْحَبْ مَنْ شِئْتَ فَلِمَنْكَ مُفَارِقَةٌ » ، فتى فارقت أحداً فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَلِمَنْكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل ما يئنه لك القائل : « كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَلِمَنْكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَمُكَ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ يَتَسَكَّنُ حَتَّى يَتِمَّ كُنْ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ ذَنْبٌ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإياك أن تثبت على ضجة أحد قبل أن تطيل اختباره ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل ضجته ، فجابه : « إِنْ الصَّحْبَةَ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رِقٌّ فِي يَدِكَ حَتَّى أَغْرِفَ كَيْفَ مَلَكْتُكَ <sup>(١)</sup> » ، وَأَسْتَمِلُ <sup>(٢)</sup> مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَقْقِذُ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسُنِ وَصَفَحَاتِ الْأُجُوهِ ، وَلَا تَحْمِلُكَ الْحِيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

[١] ملكة بالتحريك ، وملكاً مثل الميم ، وملكاً مثل اللام . احتواء قادراً على الاستبداد به .

[٢] من استملته الكتاب : سأته أن يماه على ، وللمنى : استرشد وبين من لطرات عينه . أحبيب

يضرك أن لا تبينه ، فإن الكلام سِلَاحُ السِّلْمِ ، وبالأُنَيْن يُعْرَفُ أَلَمُ الجُرْحِ ،  
واجمل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وَأَكْذُ مَا أَوْصِيكَ بِهِ أَنْ تَطْرَحَ الْأَفْكَارَ ، وَتَسَلَّمَ لِلْأَقْدَارِ .

واقبل من الدهر ما أُنَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِمِيشِهِ نَفْعًا

إِذَا الْأَفْكَارُ تَجَلَّبَبَ الْهَمُومَ ، وَتَضَاعَفَ الْغُومُ ، وَمِلَازِمَةُ الْقُطُوبِ ، عُنوان  
المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو المُجَابِبِ ، ولا  
تضه بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، والله درّ القائل :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَحْزَانِ عَوْنًا هَلِيكَ مَعَ الزَّمَانِ فَنَنْتَلِمُ ؟

مع أنه لا يرد عليك الفائتَ الحَزَنُ ، ولا يرعى بطول عَتَبِكَ الزَمَنُ ، ولقد  
شاهدتُ بغيرِ ناطلة شخصاً قد أَلْفَتَهُ الْهَمُومُ ، وَعَشِيقَتُهُ الْغُومُ ، مِنْ صَفَرِهِ إِلَى  
كَبَرِهِ ، لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرِهِ ، حَتَّى لُقُبَ بِصَدْرِ الْهَمِّ ، وَمَنْ أَعْجَبَ مَا  
رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ ، وَلَا يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ ، وَيَتَنَكَّدُ فِي  
الرَّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ .

وَيُنْشِدُ : تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ ، وَيُنْشِدُ : وَعِنْدَ التَّنَاقُلِ يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا مُفَرَّدٌ يُخْشَوُ عَمْرِيَا .  
ومتى رفعت الزمان إلى قوم يذمّون من العلم ما تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ ، وَقَصْدًا  
لتصغير قدرِكَ عندكَ ، وَتَرْهِيْدًا لَكَ فِيهِ ، فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ ،  
وَتَرْكَنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي مَدَحُوهُ ، فَتَكُونَ مِثْلَ الْغَرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَبَلَةِ<sup>(١)</sup>

[١] المجل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المتعار والرجلين ، والواحدة حجلة ، واسم جمعه  
حجل ، بكسر فسكون ففتح ولا نظير له سوى ظري ( ومفرده ظربان بفتح فكسر وهو دويبة منتنة الزنج )

فرام أن يتعلمه فصعُب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه ، فبقِيَ مُخْبِلَ  
المشي ، كما قيل :

إن الغراب (وكانَ يعيشُ مِشيَّةً فيما مضى من سالف الأجيال) <sup>(١)</sup>

حَسَدَ الْقَطَا ، وأرادَ يعيشُ مشيتها فأصابه ضَرْبٌ من الْعُقَالِ <sup>(٢)</sup>

فَأَضَلَّ مِشِيَّتَهُ ، وأخطأَ مشيتها فلذلك سَمَوُهُ أبا مِرْقالٍ <sup>(٣)</sup>

ولا يُفْسِدُ خاطركَ مَنْ جَعَلَ يَدُومَ الزمان وأهله ، ويقول : « ما بَقِيَ في الدنيا  
كريم ولا فاضل ، ولا مكان يُرْتاحُ فيه » ، فإن الذين ترام على هذه الصفة ،  
أكثر ما يكونون ممن صَحِبَهُ الجُرْمان ، واستحقت طَلْعَتَهُ للهوان ، وَأُزِمُوا <sup>(٤)</sup>  
على الناس بالسؤال فقتوم ، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوهها ، فاستراحوا  
إلى الوقوع في الناس ، وإقامة الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ، وتعذير أمورهم ،  
ولا تُزِلُّ هذين البيتين من فكرك :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْمَرْ يَلِينُ

فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وقول الآخر :

تَبَّ وَارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْسَرُ ، وَانْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَثَرَى <sup>(٥)</sup>

كَالْمَصْنِ يَسْقُلُ مَا أَكْتَسَى تَمَرًّا ، وَيَلْوُ مَا تَمَرَّى

[١] هذا البيت ليس مثبتاً في الأصل ، وقد أورده الهميري مع البيتين بعده في حياة الحيوان

الكبرى ٢ : ٢٤٤ . [٢] المقال : جاء في رجل العابة إذا مضى ظلع ساعة ثم انبسط .

[٣] من أرقأت الدابة إذا أسرع . [٤] أورد الفحل لازمار هو متدد ، جاء في كتب اللغة :

« أبرمه فبرم كفتح وجرم : أهله فل » . [٥] أقتر : انقصر .

ولا قول الآخر :

الخبر يَنقُ وإن طال الزمانُ به      والشرُّ أخْبثُ ما أوعيتَ من زاد  
واعتقد في الناس ما قاله القائل :  
ومن يَلقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمره      ومن يَفُو لا يَعْدَمُ على النعمِ لائماً  
وقريب منه قول القائل :

بقدر الصعودِ يكون المبوطُ      فإياك والرَّتبَ العالِيه  
وكن في مكانٍ إذا ما سَقَطَتْ      تقوُّمُ ورجلاك في عافيه  
وَتَحْفَظُ بما تضمَّنه قول الآخر :

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه      ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ  
ولله درّ القائل :

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً      فإذا قَنِمْتَ فكلَّ شَيْءٍ كافي  
والأمثال يَضْرِبُها لدى اللَّبِّ الحكيم ، وذو البَصَرِ عَشَى على الصراط المستقيم ،  
والفطن يقنع بالقليل ، ويستدلّ باليسير ، والله سبحانه خليفتي عليك ،  
لَا رَبَّ سِوَاهُ . ( مع الطيب ١ : ٤٩٣ )

٣٠ - خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف ( توفي سنة ٧٢٨ هـ )  
وخطب أحمد بن الحسن بن عليّ بن الزيات <sup>(١)</sup> خطبة أُنِيت الألف من  
حروفها على كثرة ترددها في الكلام ، وهي :

[١] هو أحمد بن الحسن بن عليّ بن الزيات الخطيب التصوف ، من أهل بلش مائة ولد سنة ٦٤٩ هـ ،  
وتوفي سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجالسه أكثر الأحيان بخطب غريبة ،  
يطبق بها مفاصل الأغراض التي يصرح فيها ، وينظم الشعر دائماً في مراجعته ومخاطبته وإجازته من غير  
تأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكه ، واستعمل في السفارات بين الملوك لبعض السخائم ، وإصلاح الأمور ،  
فكانوا يوجبون حقه ، ويتسبون بركته ودعاه » وله تمانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حِذْتُ رَبِّي جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ محمود ، وشكرته عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ معبود ،  
وَنَزَّهْتُهُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مَلْجِدٍ كفور ، وَقَدَسْتُهُ عَنْ قَوْلٍ كُلِّ مُفْسِدٍ غُرُور .  
كَبِيرٌ لَوْ تَقَوَّمُ فِي قَهْمٍ لُحْدٌ <sup>(١)</sup> ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرَ فِي رَسْمٍ لُحْدٌ <sup>(٢)</sup> ، لَوْ عَرَّتَهُ <sup>(٣)</sup>  
فِكْرُهُ تَصَوُّرٌ لَتَصَوَّرَ ، وَلَوْ حَدَّثَتْهُ فِكْرُهُ لَتَقَدَّرَ <sup>(٤)</sup> ، وَلَوْ فُهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَةُ ابْطَلِ  
قِدْمُهُ ، وَلَوْ عُظِمَتْ لَهُ كَيْفِيَةُ لِحْصَلِ عَدَمُهُ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لَقُطِعَ بَتَجَسُّمِهِ ،  
وَلَوْ قَهَرَ وَصَفَ لَصُدِعَ <sup>(٥)</sup> بَتَقْسَمِهِ ، وَلَوْ قُرِضَ لَهُ شَبَحٌ لَرَهِقَهُ <sup>(٦)</sup> كَيْفٌ .  
عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قَطْرٌ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِكْرٌ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ .  
يُمَسِّكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وِمٍّ يُذَرِّكُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عِيُوضٍ يَلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ  
غَيْرِ عَرَضٍ يَلْحَقُهُ <sup>(٧)</sup> ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ،  
لَوْ وُجِدَ لَهُ جِنْسٌ لَمُورِضٌ فِي قِيُومِيَّتِهِ <sup>(٨)</sup> ، وَلَوْ ثَبَّتَ لَهُ حِسٌّ لِنُوزَعٍ فِي  
دَيُّومِيَّتِهِ <sup>(٩)</sup> .

ومنها : تَقَدَّسَ وَعَزَّ فَدَلُّهُ ، وَتَنَزَّاهُ عَزَّ اسْمُهُ وَفَضْلُهُ ، جَلَّ قَاهِرُهُ قَدْرَتُهُ ، وَعَزَّ  
بَاهِرُهُ عِزَّتُهُ ، وَعَظُمَتْ صِفَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مَنَّتُهُ ، فَتَقَى وَرَتَقَ ، وَصَوَّرَ وَخَلَقَ ،  
وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَنَصَرَ وَخَذَلَ ، حَمْدُهُ سَمَدٌ مِنْ عَرَفَ رَبِّهِ ، وَرَهَبَ ذَنْبَهُ ،  
وَصَفَّتْ حَقِيقَةُ يَقِينِهِ قَلْبَهُ ، وَزَكَّتْ <sup>(١٠)</sup> بَصِيرَةُ دِينِهِ لُبَّهُ ، رَبَطَ سِلَاطَ سُلُوكِهِ

[١] أى لمرّف ، من الحمد : وهو التعريف . [٢] من التحديد ، أى لصارت له ذات عديدة ،  
ولأنه قال : « قديم » بدل « قدير » لئلا ينسب أن يقول بعده : « لحد » بالجم المفعولة أى لصار  
جديداً حادثاً . [٣] عرته : أى اعترته وتناولته ، وفى الأصل « عدته » بالبدال وأراه محرفاً ،  
وتصوّر أى تمثل فى صورة ، يقال : تصوّرته فتصور . [٤] لتقدّر : أى صار له قدر مجسم ، وفى  
الأصل « لتعدّر » وأراه محرفاً . [٥] صدع به : جهر . [٦] رهقه : غشيه ولحقه .

[٧] يلحقه الأول : أى يناله ويأخذه ، ويلحقه الثانى بمعنى يصف به .

[٨] القيموم : من أسماء تعالى ، أى الذى لا نذل له . [٩] الديومة : الدوام .

[١٠] زكّت : طهرت .



وَشَدَّ<sup>(١)</sup>، وَهَدَمَ صَرْحَ عُنُوتِهِ وَهَدَّ<sup>(٢)</sup>، وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ<sup>(٣)</sup>، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرِّهِ<sup>(٤)</sup> وَرَدَّاهُ<sup>(٥)</sup>، عِلْمٌ عِلْمٌ تَحْقِيقٌ فَتَحْنَا نَحْوَهُ، نَقَرًا لَهُ عِزٌّ وَجَلٌّ بَثْوَتْ رُبُوبِيَّتُهُ وَقَدَّمَ، وَنَمْتَدَّ صُدُورَ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضِيٍّ عَنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشْهَدُ بِتَبْلِيغِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ رَبِّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، رَسُولِهِ وَخَيْرِ خَلْقِهِ، وَنُعَلِّمُ بِنَهْوضِهِ فِي تَبْيِينِ فُرْصَتِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرَعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةٍ شَرَعَهُ فَتَنْسَخَتْ كُلُّ شَرِيعَةٍ، وَجَدَّدَ عِزِّمَتَهُ فَتَقَمَّعَ عَدُوَّهُ خَيْرَ قَمْعٍ، قَوْمٌ كُلُّ مَقَوْمٍ بِقَوِيمِ سُنَّتِهِ، وَكَرِيمِ هَدْيِهِ، وَأَوَيَّتْ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرْكُنُونَ<sup>(٦)</sup>، فَفَازُوا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَعْيِهِ، بِشَرِّ مُطْلِعِهِ فَظْفَرِ بُرْجَتِهِ، وَحَذَرِ حَاصِيَتِهِ فَشَقَى بِنِقْمَتِهِ .

وبعد : فقد نصحتكم لو كنتم تَعْلَمُونَ ، وهديتكم لو كنتم تَعْلَمُونَ ، بُصِّرْتُمْ لو كنتم تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لو كنتم تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نُشْرِكِمْ ، وَبَرَزَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ حَشْرِكِمْ ، فَكَمْ تَرْكُضُونَ فِي طَلْقِ<sup>(٧)</sup> غُلْفِكُمْ ، وَتَنْفُلُونَ عَنْ يَوْمِ بَيْنِكُمْ ، وَلِلْمَوْتِ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مُسَلُولٌ ، وَحُكْمٌ عَزِيزٌ غَيْرُ مَعْلُولٍ ، فَكَيْفَ بِكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ كُلُّ بَذَنَبَةٍ ، وَيُخْبَرُ بِجَمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَعْدَمُ نُصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَسْتَنْتَلِ بِهِمَةَ وَكَرْبِهِ ، عَنْ صَدِيقِهِ وَتَرْبِهِ ، وَتُنْشَرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَلَمْ يَنْ لَهْ بَقْعَةٌ ؟ فَرَّيْحَ عَبْدٍ نَظَرَ وَهُوَ فِي هَلِكٍ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَسَّلَ فِي رَضَىِّ عَمَلٍ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ<sup>(٨)</sup> ، وَكَتَمَ صَتَمَ شَهْوَتِهِ ، لِيَقَرَّ فِي مُجْتَبَاةٍ<sup>(٩)</sup> قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه محرفاً عن « شد » إذ هي التي تلائم قوله قبلها « وربط » .

[٢] الفرء : النقلة . [٣] رذله وأرذله : هذبه وذلا .

[٤] دكن إلى المي : ركونا : مال إليه واطمأن ، أي بين لهم كيف يركنوا إلى الحق والسواب ، وقد كانوا من قبله يصمون في ضلالتهم ويخطون .

[٥] يقال : جرى الفرس طلقاً أو طلقين : أي شوطاً أو شوطين . [٦] الرمس : القبر .

[٧] مجبوبة المكان : وسطه .

ومنها : فْتَنَبَ - وَيَحْك - من سِنَتِكَ ونومك ، وتَفَكَّرَ فيمن هَلَكَ من مُحِبِّكَ وقومك ، هَتَفَ بهم مَنْ تَعْلَمُ ، وَشَبَّ عليهم مِنْ حَرَقٍ <sup>(١)</sup> مُظْلِمٌ ، نَحَرَبْتَ بِصَيْخَتِهِ رِبْعَهُمْ ، وتفرقت لهولهُ جُوعُهُمْ ، وَذَلَّ عَزِيمُ ، وَخَسِيَ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمَّ سَمِيعُهُمْ ، فخرج كل منهم عن قصره ، وَرُمِيَ غَيْرُ مُوسَى فِي قَبْرِهِ ، فَهُمْ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي رَوْضَةٍ مُقَرَّبٍ ، وَبَيْنَ شَقِيٍّ فِي حُفْرَةٍ مَعْدَبٍ ، فَتَسْتَوِهُبُ مِنْهُ عَزٌّ وَجَلٌّ عِصْنَةٌ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةٌ تَبْقَى مِنْ كُلِّ نَفْسٍ جَرِيئَةٍ .

(الإحاطة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤)

## ٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض <sup>(٢)</sup> خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال :  
« الحمد لله الذي افْتَحَ بالحمد كلامه ، وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَحْكَامَهُ ، وَمَدَّ فِي آلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ مَائِدَةَ الْأَنْعَامِ لِيُتِمَّ إِنْعَامَهُ ، وَجَمَلَ فِي الْأَعْرَافِ أَنْفَالَ تَوْبَةِ يُونُسَ وَالرَّكِيَابِ أَحْكَامَتِ آيَاتِهِ ، بِمَجَاوِرَةِ يُوسُفَ الصَّدِّيقِ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ ، وَسَبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَجَمَلَ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْخَجَرِ <sup>(٣)</sup> أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يَظْلَمُونَ قَوْلَامَهُ ، وَجَمَلَ فِي حُرُوفِ كَهْيَمِ سِرِّ مَكُونِنَا ، قَدَّمَ بِسَبَبِهِ طَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، لِيُظْهِرَ إِجْلَالَهُ وَإِعْظَامَهُ ، وَأَوْضَحَ الْأُمُورَ حَتَّى حَاجَّ الْمُؤْمِنُونَ

[١] الحرق : النار ولهبها .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ولد سنة ٤٧٦ هـ ، ببغدة - بلد براكش على الساحل الشمالى - ودخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له به كبير عناية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي النحو واللغة ، واستقضى ببغدة سنة ، ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة ، وتوفى براكش سنة ٥٤٤ هـ ، قال القرطبي بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي نفسى من نسبتها له شيء ، لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

[٣] واد بين المدينة والشام ، وهو منازل عمود .

بَنُورِ الْفُرْقَانِ ، وَالشَّعْرَاءِ صَارُوا كَالْمَلِّ ذُلًّا وَصَمَارًا لِحَظْمَتِهِ ، وَظَهَرَتْ قَصَصُ  
الْمَنْكُوبُوتِ فَأَمَّنَ بِهِ الرُّومُ ، وَأَيَقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ  
عَلَى زَيْنٍ مِّنْ وَآفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْضَحَ لِقَمَانُ الْحِكْمَةَ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ  
الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّاقُ السَّمَوَاتِ أَهْلَ الطَّاعُوتِ ، وَأَكْسَبَهُمْ ذِلًّا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً  
وَنَدَامَةً ، وَأَمَدَّ يَسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْيِيدِ الصَّافَّاتِ <sup>(١)</sup> ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ  
بَذَرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صَنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلْبِ <sup>(٢)</sup> مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ  
شَالَتْ بِهِمُ النَّدَامَةُ <sup>(٣)</sup> ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ لِلْبَدْرَيْنِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ  
مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ فَصَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ  
وَأَيْسَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَوَّرُوا بَيْنَهُمْ ، وَشَعَلَهُمْ زُخْرُفُ الْآخِرَةِ  
عَنْ ذُخَانِ الدُّنْيَا ، جَفَّتُوا أَمَامَ الْأَخْقَافِ <sup>(٤)</sup> لِقَتَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ  
وَرِشْمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطُوا الْفَتْحَ وَبُوءُوا حُجْرَاتِ الْجِنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا :  
قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ الذَّارِيَاتِ <sup>(٥)</sup> وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ  
الْحَقِيقَةِ ، وَانْشَقَّ لَهُمْ قَرَالِيقِ ، فَتَنَفَّرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمَّنُّهُمْ الرَّحْمَنُ  
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّعْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزُمَ الْمُجَادِلُونَ ، وَآخِرُ جُؤَا  
مِنِ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِجُونَ يُؤْتِيهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ  
نَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ أَمْتَحَنَتِهِ صَفُوفُ الْجُمُوعِ فِي تَفَقُّ التَّغَابُنِ ، فَطُلُقَ الْحُرُمَاتِ  
حِينَ اعْتَبَرَ الْمُلُوكَ وَعَامَهُ ، وَقَدْ صَمِعَ صَرِيحَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَاقَّةِ <sup>(٦)</sup> وَالْمَعَارِجِ يَمِينَهُ

[١] اللَّائِكَةُ تَصِفُ قُوْسَهَا لِقِيَادَةِ . [٢] الْقَلْبُ : الْبَيْتُ .

[٣] شَالَتْ لَمَاتُهُمْ : خَفَتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْهُمْ ، أَوْ تَمَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ ، أَوْ ذَمِبَ مَزْمُ .

[٤] وَادٍ بِالْمِنْ بِه مَنَازِلُ هَادٍ . [٥] الْقَارِيَاتُ : الرِّيَاحُ تَنْفُو التُّرَابَ وَغَيْرَهُ .

[٦] الْحَاقَّةُ : الدَّيْمَةُ الَّتِي فِيهَا يَحْيَى مَا أَنْكَرَ مِنَ الْبَيْتِ وَالْجَزَاءِ .

وَرِشَمَالِهِ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَقَدْ نَاحَ نوحُ الْجَنِّ فَتَزَمَّلَ <sup>(١)</sup> وَتَذَنُّرَ فَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَرَ الْعُبُوسَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْانْفِطَارِ التَّطْفِيفُ ، فَانْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، فَوَرَبَّ الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَّقِينَ ، حِينَ تَلَوْا سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدَرِ مَقَامِهِ يُبَيِّنُ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْفَكَيْنِ دَهْرَمَ ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ وَصِيَامُهُ وَقِيَامُهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزَّازِلَةَ رَكَبُوا الْعَادِيَاتِ <sup>(٢)</sup> لِيُطْفِقُوا نُورَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ التَّكَاثُرُ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ وَالْهُمَزَةَ ، وَتَمَثَّلُوا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ جَمَلُوا عَلَى رءِ وَسْمٍ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟ فَالْكُورُ <sup>(٣)</sup> مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خُذِلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعُدِلَ بِهِمْ عَنْ لَمَبِ الطَّائِمَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرَأُوا وَسَعَدُوا ، وَبِربِّ الْفَلَقِ <sup>(٤)</sup> وَالنَّاسِ ، اسْتَعَاذُوا فَأَعِيدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةٌ تُثَالِ بِهَا مَنَازِلُ الْكَرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ سَمَامَةٌ <sup>(٥)</sup> . ( نفع الطيب ٤ : ٣٩١ )

٢٢ — خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ <sup>(٥)</sup> خطبة على هذا النمط نفعها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، ليصطفى من آل عمران »

[١] تَزَمَّلَ بِثِيَابِهِ : تَلَفَّ بِهَا ، وَكَذَا تَذَنُّرَ .

[٢] الْحِيلُ تَدْوِي فِي الْغَزْوِ ، وَالْقَارِعَةُ الَّتِي تَحْمَرُّ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا .

[٣] الْكُورُ : نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ . [٤] الْفَلَقُ : الصَّبْحُ .

[٥] هُوَ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَقْرِيٍّ عَمُّ أَحْمَدَ الْمَقْرِيٍّ صَاحِبُ نَفْعِ الطَّيِّبِ .

رجالاً ونساءً، وفضلهم تفضيلاً، ومدة مائدة إنعامه ورزقه، ليعرف أعراف أقال  
كرمه وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً، ونجى هوداً  
من كربته وحزنه، كما خلّص يوسف من جُبه وسجنه، وسبّح الرعدُ بحمده  
ويعنه، واتخذ الله إبراهيم خليلاً، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شراباً  
نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بحقي لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفاً قد  
شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلاً، وفضل طه على جميع  
الأنبياء، فأتى بالمعج والكتاب المكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح  
المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصدق محمداً صلى الله عليه وسلم الذي  
عجزت الشعراء في صدق نعته، وشهدت النمل بصدق بعثه، وبين قصص  
الأنبياء في مدة مكثه، ونسج المنكبات عليه في النار سترًا مسدولاً،  
ومثلت قلوب الروم رعباً من هيته، وتعلم لقمان الحكمة من حكته، وهدى  
أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزم الأحزاب وسبّام وأخدم أخذاً ويلاً،  
فلقّبهُ فاطرُ السموات والأرض يسّ، كما نقد حكمة في الصافات، وبين ص  
صِدقه بإظهار المعجزات، وفرّق زمر المشركين، وصبر على أقوالهم وهجرهم  
هَجراً جليلاً، فنفّر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وتُصَلّت رقابُ  
المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفي دخان  
الشرك، وخرّت المشركون جاثيةً، كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلاً،  
وأذل الذين كفروا بشدة القتال، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجّر  
الحجرات الحريز، وبقى القدوة قتل الخراصون<sup>(١)</sup> تقتيلاً، كلم موسى على جبل

الطُّور، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور، فتمجّب الحديد من قوته، وكثرة المجادلة في أمته، إلى أن أُعيد في الحشر بأحسن مقيلا، امتحنه في صفّ الأنبياء وصلى بهم إماماً، وفي تلك الجملة ملئت قلوب المنافقين من التغاّب خُسرًا وإِدامًا، فطلق وحرّم، تبارك الذي أعطاه الملك، وعلم بالقلم، ورتّل القرآن ترتيلا، وعن علم الحاقّة كم سأل سائل فسأل الإيمان، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان، وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن، فأنزل عليه: «يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا»، فكم من مُدَثِّر يوم القيامة شفقةً على الإنسان إذا أرسل مُرسلات الدمع، فعمّ يتساءلون أهل الكتاب، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبّس عليهم مالك وتولّاهم بالمعذاب، وَكُورَتِ الشَّمْسُ وانفطرت السماء، وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا، فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إذا انشقت السماء بالنعام، وَطُوِيَتْ ذَاتُ الْبُرُوجِ، وَطَرَقَ طَارِقُ الْعُثُورِ بالنفخ للقيام، وعزّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر، فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا، فَطُوبَىٰ لِلْمَصْلِينَ الضحى عند انشراح صدورهم، إذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة، فسجدوا يَاقُرْأُ اسْمُ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النَّعِيمَ الأكبر لأهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر، وتبتّلوا بتبتيلا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا خيم، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء<sup>(١)</sup> الجحيم، وزلزلت بهم قارعة العقاب، وقيل لهم: أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ، هذا عصر العقاب الأليم، وَخَشِرَ الْمُهْمَزَةُ وَأَصْحَابُ الْفِيلِ إلى النار فلا يظلمون فتيلًا، وقالت قريش ما أمتم من

هول الحشر، وأُيت الذى يكذبُ بالدين طُرِدَ عن الكوثر ؟ وَسِيقَ الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح ، فَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ : إذ لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا ، فنمودُ رَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، ونمودُ رَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذى فَسَقَ ، وتوب إليه وتوكل عليه وَكَفَى بالله وكيلا . ( فتح الطيب ٤ : ٣٩٢ )

## ٢٣ - خطبة الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمى <sup>(١)</sup> خطبة على هذا النمط أيضا نصها :

« الحمد لله الذى شَرَّفَ النبي العربى بالسبع المثانى وخواتيم البقرة ، من بين الأنام ، وفَضَّلَ آلَ عمران على الرجال والنساء ، بما وهب لهم من مائدة الأنعام ، ومنحهم بأعراف الأنفال ، وكتب لهم بَرَاءَةً مِنَ الْآثَامِ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذى نَجَّى يونس وهوذا ويوسف من قومهم ، برَّعَدَ الانتقام ، وغَذَّى إبراهيم فى الحِجْرِ بلُعَابِ النحل ذاتِ الأسرار ، فضاهى كهف مريم عليها السلام ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو طه الأنبياء ، وحجج المؤمنين ، ونور فرقان الملك العَلَام ، فالشعراء والنمل بفضله تُخْبِر ، ولتقصص المنكبوت الروم تذْكَرُ ، ولقمان فى سجدته يَشْكُرُ ، والأحزاب كأيدى سَبَا تُقَهَّرُ ، وفاطريس لصافاته يُنْصَر ، وصاد مقلَّة زُتْرَه تنظر الأعلام ، فآل حم بقتال فتحه فى حُجُرَات قافه قد ظَهَرَتْ ، وذَارِيَات طُورِه ونجمه وقره قد عَطِرَتْ ، وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نُصِرَتْ ، وأبصار معانديه فى الحشر يوم

[١] قال صاحب فتح الطيب فى ترجمته : « هو إبراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كثر عتمة قرية من قرى أعمال صفد كما تقول فى النسبة إلى بنى عبدالمبار عبدي ، وإلى حسن كيفا : حَكُوْ . »

الامتحان حَسَرَتْ (١) ، وَصَفَ جَمْعُهُ فَائِزٌ إِذَا أَجْسَادُ الْمُنَافِقِينَ بِالْتِفَانِ اسْتَعْرَتْ ،  
 وَهُوَ الطَّلَاقُ وَالتَّحْرِيمُ وَمَقَامُ الْمَلِكِ وَالْقَلَمُ ، فَذَاهِيكَ بِهِ مِنْ مَقَامٍ ، وَفِي الْحَاقَةِ ،  
 أَعْلَى اللَّهِ لَهُ الْمَارِجُ نَوْحُ الْمَطْهَرِ ، وَخَصَّهُ مِنْ بَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِبَيَّاتُهَا الْمُرْمَلُ ،  
 وَيَبَّاتُهَا الْمُدْتَرُّ ، وَشَفَعَهُ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا دَمَوْعُ الْإِنْسَانِ مُرْمَلَاتٌ كَالْمَاءِ الْمُتَفَجِّرِ ،  
 وَوَجْهَهُ عِنْدَ نَبِيٍّ النَّازِطَاتِ وَقَدْ عَبَسَ الْوَجْهَ كَالْهَلَالِ الْمُتَنَوِّرِ ، وَيَوْمَ التَّكْوِيرِ  
 وَالْإِنْقِطَارِ وَهَلَاكِ الْمُطْغَفِينَ وَانْشِقَاقِ ذَاتِ الْبُرُوجِ بِشَفَاعَتِهِ غَيْرِ مُتَضَجِّرٍ ، وَقَدْ  
 حُرِسَتْ لِمَوْلَدِهِ السَّمَاءُ بِالطَّارِقِ الْأَعْلَى ، وَتَمَّتْ غَاشِيَةُ الْعَذَابِ إِلَى الْفَجْرِ عَلَى الْمَرْدَةِ  
 اللَّثَامِ ، فَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ وَشَمْسُ اللَّيْلِ وَالضُّحَى الْمَخْصُوصُ بِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ ،  
 وَالْمُفَضَّلُ بِالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ، الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ أَمْشَاجِ (٢) الْمَلَكِ ، الطَّاهِرُ الْعَلِيُّ الْقَدَرِ ،  
 شَجَاعُ الْبَرِيَّةِ يَوْمَ الزَّلْزَالِ ، إِذَا عَادِيَاتُ الْقَارِعَةِ تَدُوسُ أَهْلَ التَّكَاثُرِ وَمَشْرُكِي الْمَصْرِ ،  
 أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ الْهَمْزَةَ وَأَصْحَابَ الْفِيلِ إِذَا مَكَّرُوا بِقَرِيشٍ وَلَمْ يَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَلَمْ  
 يَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، الْمَخْصُوصُ بِالْدِينِ الْحَنِيفِيِّ وَالْكَوْثَرِ السَّلْسَالِ ، وَالْمَوْئِدُ عَلَى أَهْلِ  
 الْجَحْدِ بِالنَّصْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَبَيَّنَ يَدَا مُعَاذِيهِ ، وَتَبِعَهُمُ بِالتَّوْحِيدِ  
 حُؤَالِيهِ ، وَمَا أَفْصَحَ فَلَقُ الصَّبْحِ بَيْنَ النَّاسِ وَامْتَدَّ الظَّلَامُ .

(مع الطب ٤ : ٢٩٥)



[١] حَسَرُ الْبَصَرِ كَفَرَبَ : كَلَّ فَهُوَ حَسِيرٌ . [٢] مَشَجَ بَيْنَهُمَا كَفَرَبَ : خَلَطَ ، وَالتَّيْنُ : مَشِجٌ ،  
 وَالتَّيْنُ : مَشِجٌ وَالتَّيْنُ : مَشِجٌ .



## الباب الثاني

في

### خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

#### ١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما ولى أبو بكر بن عبد الله المدينة <sup>(١)</sup> وطال مكثه عليها ، كان يبلغه عن قوم من أهلها أنهم يتالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم جمعة أن يقرئوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قائلٌ قولاً ، فمن وعاه وأداه فلي الله جزاؤه ، ومن لم

---

[١] لا أعرف صاحب هذا الاسم والياً على المدينة ، وإنما التي قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن عبد الله بن عمرو بن حزم الأصبهاني ولي المدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز « انظر تاريخ الطبري ، الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ » وذكر أيضاً القلقشندي في صبح الأعشى « ج ٤ : ص ٢٩٦ » أن أبا بكر بن عبد الله هذا ولي المدينة أيام سليمان بن عبد الملك ، والظاهر أنه صاحب هذه الخطبة ، وإني لأستأنس في ذلك بقوله : « وطال مكثه عليها » فقد تولاهما خمس سنين ، وبالفرض الذي قلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان في العهد الأموي من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والنضال السياسي البعيد الذي ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه عبد الله ، تسمى به تواضعاً ، وكان ذلك من عادة السلف الصالح رضوان الله عليهم كثيراً ، انظر مثلاً كتاب عمر في صلح أهل إيليا « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » . ( الطبري ٤ : ١٥٩ ) .

يَعِهِ فَلَا يَمُدُّ مِنْ ذِمَامِهَا <sup>(١)</sup> إِنْ قَصَرْتُمْ عَنْ تَفْصِيلِهِ ، فَلَنْ تَمُجِّزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ،  
فَأَرْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْغَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ <sup>(٢)</sup> قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةُ ،  
وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ <sup>(٣)</sup> السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ »  
فَاثُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا النَّفَى تَرْشِدُوا ، « وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَمْرُكُمْ  
بِالْجَمَاعَةِ ، وَرِضْيَاهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنْ الْفُرْقَةِ ، وَسَخَطُهَا مِنْكُمْ ، ف « أَتَقُوا اللَّهَ  
حَقَّ تَقَاتِهِ <sup>(٤)</sup> وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَخْصِيصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا  
تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ،  
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا <sup>(٥)</sup> حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ  
مِنْهَا » ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ تَبِعِ رِضْوَانِهِ ، وَتَجَنَّبَ سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا  
نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وَإِنَّ اللَّهَ بِمَتِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدِينِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ  
لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوَزَّرَ أَدْوَانَ الْخَلْقِ ، اخْتَصَمَهُمْ بِهِ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ  
وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّزُوهُ <sup>(٦)</sup> وَوَقَّرُوهُ ، فَلَمْ يَقْدِمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُخْجِعُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ،  
وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِعَهْدِهِ ، وَخُلَفَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتَهُمْ ، وَذَكَرَهُمْ  
فَأَنَّى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ  
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أَيْ فَلَا يَمُزِّجُ عَنْ حَرَمَتِهَا ، وَتَأْنِثُ الضَّمِيرُ فِي « ذِمَامِهَا » بِاعْتِبَارِ الْوَعْظَةِ أَوْ الْمَقَالَةِ .

[٢] أَيْ الزَّكَاةَ . [٣] الْقَصْدُ : اسْتِغْنَاءُ الطَّرِيقِ ، أَيْ يَبَيِّنُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الْمَوْصِلَ إِلَى الْحَقِّ .

[٤] التَّعَاةُ : التَّوْبَةُ ، وَجَمْعُهَا تَوْبَاتٌ وَطَلَبُهَا وَتَوْبَةُ قَلْبٍ وَادْوَاهَا الْمَضْمُونَةُ تَاءً كَمَا فِي تَوْبَةٍ  
وَنُحْمَةٍ ، وَآلِهَا أَهْلُهَا . [٥] التَّشَا : حَرْفُ كَلَامٍ .

[٦] التَّزْيِيرُ : التَّضْيِيقُ وَالتَّضْيِيقُ « وَهُوَ أَيْضًا أَشَدُّ الضَّرْبِ . ضَدٌّ » .

وَرِضُونَا ، سِيَّاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوَرَةِ ،  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ <sup>(١)</sup> ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سَوَاقِهِ ، يُغِيبُ الزُّرَّاعَ ، لِيَنْبِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَهَلَمُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، فن غاطه كفر  
وغاب ، وَجَرَ وَخَسِرَ ، وقال الله عز وجل : « لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ  
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصَرُّونَ  
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنِّي وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ » فن خالف شريطة الله عليه لهم ، وأثره إياه فيهم ، فلا حق له في التَّوَرَةِ  
ولا سَهْمَ له في الاسلام ، في آي كثيرة من القرآن .

فَرَحَّتْ مَارِقَةٌ مِنَ الدِّينِ ، وفارقوا المسلمين ، وجمولهم عِصِينَ <sup>(٣)</sup> ، وتشبَّهوا  
أحزابا ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا <sup>(٤)</sup> ، فخالقوا كتاب الله فيهم ، وثناء عليهم ، وأذوا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة « ذَلِكَ هُوَ  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَفَن كَانَ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَتَمَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ

[١] أى ذلك . تلهم في الكتاب ، والسطع : فراخ الزرع ، فَأَزَرَهُ أى قَوَّاهُ ، فاستوى على سواده :  
أى فاستقام على أصوله وسيفاته . [٢] يُؤْثِرُونَ : يفضلون ويقدّمون ، والخصاصة : الحاجة والفقير .  
[٣] جمع عصاة كعدة : وهى الفرقة والفتنة . [٤] أَشَابَاتٍ جمع أَشَابَةٍ : وهى الأخلاط ، وأشبهه  
كفريقه : خلطه ، والأوشاب جمع وشب كحمل ، والأوليات جمع وبش كجب : الأخلاط والصفة .

وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ؟ « مَالِي أَرَى عِيُونًا خُزْرًا »<sup>(١)</sup> ، وَرِقَابًا صُفْرًا »<sup>(٢)</sup> ، وَبَطُونًا يُجْرًا »<sup>(٣)</sup> ، شَجَا لَا يُسَيِّغُهُ الْمَاءُ »<sup>(٤)</sup> ، وَدَاءُ لَا يُشْرِبُ فِيهِ الدَّوَاءُ ، « أَفْتَقَرِبُ عَنْكُمُ اللَّهُ ذِكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُشْرِفِينَ ؟ » كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ الْهِنَاءُ »<sup>(٥)</sup> وَالطَّلَاءُ ، حَتَّى يَظْهَرَ الْمَذَرُ ، وَيَبْشُرَ السَّرُّ ، وَيَصْبَحَ الْغَيْبُ ، وَيُسَوِّسَ الْجَنْبُ »<sup>(٦)</sup> ، فَلَا نَكْمَ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا ، وَلَمْ تُتْرَكُوا شِدْدِي ، وَيُنْحَكُمُ الْإِنِّي اسْتَ أَنْوِيًا »<sup>(٧)</sup> أَعْلَمُ ، وَلَا بَكْوِيًا أَفْهَمُ ، قَدْ حَلَبْتِكُمْ أَشْطَرًا »<sup>(٨)</sup> ، وَقَلْبُكُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرًا ، فَصَرَفَتْ أَنْحَاكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتَ أَنَّ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسَّنْتِمْ ، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذَنُونَ »<sup>(٩)</sup> لَهُمْ ، وَيُصْنَعُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقُوعِ الْقَوَارِعِ »<sup>(١٠)</sup> ، وَطُولِ الرِّوَايَةِ ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا »<sup>(١١)</sup> ، فَلَسْتُ أَعْتَبِشُ »<sup>(١٢)</sup> أَتَبَا وَلَا تَاتَبَا ، « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَكَفَ وَمَنْ حَاذَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ قَرِيرٌ ذُو أَنْتِقَامٍ » ،

[١] جَمْعُ خُزْرَاءَ مَوْثُتٌ أَخْزَرُ وَصَفٌ مِنَ الْخُزْرِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ النَّظَرُ فِي أَحَدِ الثَّقَيْنِ .

[٢] الصَّعْرُ بِالتَّحْرِيكِ حِيلٌ فِي الْوَجْهِ ، أَوْ فِي أَحَدِ الثَّقَيْنِ ، أَوْ دَاءٌ فِي الْبَحْرِ يَلْوِي صَفْحَهُ مِنْهُ ، صَعْرٌ كَلْرَحٍ لِهَوِّهِ أَسْفَرٌ .

[٣] جَمْعُ بَطْنٍ كَفَرَحٍ أَيْضًا فَهُوَ أَبْجَرُ : عَظُمٌ ، وَالْجَمْعُ جَمْعُ كَعْبٍ .

[٤] الشَّجَا : مَا اعْتَرَضَ فِي الْحَقِّقِ مِنْ عَظْمٍ وَنَحْوِهِ ، لَا يُسَيِّغُهُ : أَيْ لَا يَجْعَلُهُ سَائِلًا سَبِيلَ الْمُدْخَلِ فِي الْحَقِّقِ .

[٥] الْهِنَاءُ : الْفُطْرَانُ ، يُرِيدُ أَنَّهُ يَجْلِبُهُمْ كَمَا تَطْلُقُ الْإِبِلُ الْجَرَبِيَّ بِالْفُطْرَانِ لِعَادَاتِهَا .

[٦] بَاحُ السَّرِّ : ظَهَرُ ، وَبَاحُ بَسَرِهِ : أَظْهَرُهُ ، وَوَضَعَ يَضَعُ وَاتَّضَعَ وَاحِدٌ ، وَيَسُوسُ : أَيْ يَرُوشُ

وَيَذَلُ ، مُضَعَفٌ سَاهِيَهُ يَسُوسُهُ . يُقَالُ : سَوَّسْتُ لَهُ أَسْرًا إِذَا رَوَّضْتَهُ وَذَقَّتَهُ ، وَالْجَنْبُ : الصِّمْبُ الَّذِي لَا يَتَقَدُّ .

[٧] الْأَنْوِيَّاتُ : الْغَرِيبُ مِنَ الْقَوْمِ . [٨] الْقَبْسَةُ مِنَ التَّلِّ الْمَسُورِ : « حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ » وَلَقَانَةُ شَطْرَانِ ، قَانِمَانِ وَأَخْرَانِ ، فَكُلَّ خَلْقَيْنِ شَطْرَ بَشَرٍ الشَّيْنِ - وَالْخَلْفُ لِقَانَةُ كَالْفَرْعِ

لِلْجَمْرِ - وَأَشْطَرَهُ مُنْصَوِّبٌ عَلَى الْبَدَلِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : حَلَبَ أَشْطَرُ الدَّهْرِ ، وَالْمَعْنَى : اخْتَبَرَ الدَّهْرَ وَعَرَفَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ .

[٩] أَذَلُّ لَهُ فَلْيَالِهِ كَفَرَحٍ : اسْتَبَحَّ . [١٠] الْقَوَارِعُ جَمْعُ فَارَعَةٍ : وَهِيَ الْخَاتِمَةُ الْخَاتِمَةُ ، وَالرِّوَايَةُ جَمْعُ رَايَةٍ ، وَهِيَ الْفَرَعَةُ . [١١] أَيْ هَذَا الَّذِي أَتَهَدَّدُ بِهِ مِنَ الْقَوَارِعِ وَالرِّوَايَةِ ،

هَذَا الَّذِي تَخَوِّضُونَ فِيهِ ، وَمَقْرُونٌ بِهِ . [١٢] احْتَلَشَتْهُ : ظَلَمَهُ .

فَأَسِرُّوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوهُ ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلِصُوهُ ، فَطَالَمَا مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى  
نَاكِصِينَ ، وَلَيْعَلَّ مِنْ أَدْبَرِ وَأَصْرٍ أَنَّهُا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ  
إِلَى أَهْوَاءِ تَتَّبِعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُبْتَدَعُ ، إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيِّ ، الَّتِي  
فِيهَا خَيْرٌ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، فَمَنْ أَجَابَ فَلِيَ رَشْدُهُ ، وَمَنْ هَمِيَ فَمَنْ قَصَدَهُ ، فَهَلُمَّ  
إِلَى الشَّرَائِعِ الْجَدَائِعِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تُؤْتُوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ  
أَدْنَى <sup>(٢)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ « بَيْنَ الظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إِيَّاكُمْ وَبُنَيَاتِ <sup>(٣)</sup> الطَّرِيقِ ، فَمَنْدُهَا التَّرْنِيمُ وَالرَّهَقُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ ،  
غَيِّ أَسَدٍ <sup>(٥)</sup> وَأَوْرَدُ ، وَدَعَا الْأَمَانِي فَقْدَارَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ  
إِلَّا مَاسَعَى ، وَفِيهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ » <sup>(٦)</sup>  
يَسْذَابُ ، وَقَدْ خَابَ بَيْنَ أَفْتَرِي . « رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،  
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

( نَهْيَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٥٦ ، وَصِيحُ الْأَعْمَى ١ : ٢٧٠ )

[١] الَّذِي فِي كُتُبِ الْإِسْلَامِ : « جَدَائِعُ كَسَابِ وَقَطَامِ : السَّنَةُ الْقَدِيدَةُ تَجْمَعُ بِالْمَالِ وَتَذْهَبُ بِهِ » وَهَذِهِ  
الْكَلِمَةُ مِنَ الْقَوْلِ بِسُوءِ أَنْ تَجْمَعَ عَلَى جِنَائِعٍ ، وَلَكِنَّا لَا تَنَاسِبُ الْقَامُ هُنَا ، فَكُلُّ الْأَصْلِ « الْجَوَادِعُ »  
جَمْعُ جَادِعَةٍ : وَهِيَ الْفَاطَةُ ، يَرِيدُ الصَّرَائِعَ الصَّحِيحَةَ الْخَلْفَةَ لِأَنَّهَا تَقَطِّعُ الْبَاطِلَ وَتَرْهَقُهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ : انْتَبِهُوا  
الْحَلْفَةَ الْإِسْمِيَّةَ ، أَوِ الْجِنَائِعَ جَمْعُ جَدَوٍ كَسْبُورٍ صَبِيحَةٍ مُبَالَغَةٍ مِنْ جَلْدَةٍ ، وَفِي الصَّلَاقِ عَلَى نَهْيَةِ الْأَرْبِ  
« وَلَهُ الْجَوَامِيعُ : أَيُّ الْقَوْلِ تَجْمَعُ النَّاسُ عَلَى اتِّبَاعِهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ » .

[٢] أَيُّ أَحْسَنَ وَأَدْوَنَ قَدْرًا ، وَأَسْلَ الدُّنْيَا : الْقُرْبُ مِنَ الْمَكَانِ اسْتَعْمِلَ الْخَصَّةَ كَمَا اسْتَعْمِلَ الْبَعْدَ لِلْعَرَفِ  
وَالزَّفَةِ ، أَوْ هُوَ سَهْلٌ عَنْ أَدْنَى مِنَ الدَّادَةِ ، وَقَدْ قُرِئَ فِي آيَةِ الْكَرِيمَةِ : « أَلْتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي  
هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بَنِيَاتُ الطَّرِيقِ : التَّرَاهَاتُ ( جَمْعُ تَرَهَةٍ كَقَبْرَةٍ وَحَى الطَّرِيقِ

الصَّغِيرَةِ الْمُنْفَعَةِ مِنَ الْجَادَةِ ، أَيْ اسْلَكُوا الطَّرِيقَ الْعَامَّ طَرِيقَ الْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَمْرُجُوا فِي سَرَاهِ .

[٤] التَّرْنِيمُ : الضَّمْفُ فِي الْأَمْرِ « وَفِي الْبَصْرِ وَالْبَدَنِ أَيْضًا » ، وَالرَّهَقُ : السُّهْوَ وَالْجَنَى وَالْحَلْفَةُ :  
وَرَكُوبُ الْمَرِّ وَالظُّلْمِ ، وَهَقِيانُ الْحُلُومِ . [٥] أَفْئَلُ ، مِنَ السَّادِ . [٦] أَسْحَتْهُ : اسْتَأْجَلَهُ

## ٢ - وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت بَيْشَةَ<sup>(١)</sup> رجلاً من أزدي السَّراةِ أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يَا مُنَمَّى ، لَا يُفَرُّكَ أَنْ فَسَحَ الشَّابُّ خَطْوَكَ ، وَخَلَّى مَرَبَّكَ ، وَأَرْفَقَ وَرَدَّكَ<sup>(٢)</sup> ، فَكَأَنَّكَ بِالْكَبَرِ قَدْ أَرَبَ ظُلُوفَكَ ، وَانْقَلَّ أَوْقَكَ ، وَأَوْهَنَ طَوْفَكَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَتَمَّ سَوْفَكَ ، فَهَدَجْتَ بَعْدَ الْمَهْمَلَجَةِ ، وَدَجَجْتَ بَعْدَ الدَّعْلَجَةِ<sup>(٤)</sup> ، نَحْذُ مِنْ أَيَّامِ التَّرْفِيهِ لِأَيَّامِ الْإِنْزَاجِ ، وَمِنْ سَاعَاتِ الْمُهْمَلَةِ لِسَاعَةِ الْإِحْجَالِ<sup>(٥)</sup> ، يَا بَنَ أَخِي : إِنْ اغْتَرَاكَ بِالشَّبَابِ ، كَالْتِذَاذِكَ بِسَادِيرِ<sup>(٦)</sup> الْأَحْلَامِ ، ثُمَّ تَنْتَشِعْ ، فَلَا تَتَمَسَّكَ مِنْهَا إِلَّا بِالْحَسْرَةِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تُعْرِى رَاحِلَةَ الصَّبَا ، وَتَشْرَبُ سَلْوَةَ<sup>(٧)</sup> عَنِ الْهَوَى ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَغْنَى النَّاسِ يَوْمَ الْفَقْرِ مِنْ قَدَمِ ذَخِيرَةٍ ، وَأَشَدُّمُ اغْتِبَاطًا يَوْمَ الْحَسْرَةِ مِنْ أَحْسَنِ سَرِيرَةٍ .

(الأمالي ٢ : ٣١٦)

## ٣ - وصية رجل لآخر وقد أراد سفراً

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفراً ، فقال :

[١] بيتة : واد بطريق اليمامة . [٢] السرب : الطريق والوجه ، ورنهت الإبل كنح : وردت الماء متى شاءت ، وقد أرنهتها ورنهتها بالتشديد . [٣] أرب المقد : شدته ، والأربة بالغم : العدة ، وظاف البعير يظوفه : إذا دأب بين يديه ، والقيان يفتح القاف موضعاً القيد من الوطيف ، والأوق : الثقل ، والطوق : الوسع والطاقة . [٤] المهديان كحفان وغراب : مشية الشيخ ، هديج كضرب ، والمهلبة : سرعة في المشي ، وديج كضرب دجيجاً ، سريراً ضعيفاً ، والدعلجة : ضرب من الفئ ، والتردد في الذهاب واليهي ، والدرجة . [٥] رفة عيشه كسكرم فهو رفيه ورافه : مستريح متنعّم ، وأرففه الله ورفهه ترفيهاً ، ومن ساطت المهلة أى الدنيا للمهلة : أى التي ستهلها وتفادها وربما كانت « المهلة » [٦] السادير : ما يترامى للإنسان في توبه من الأباطيل ، وما يترامى السكران في سكره . [٧] السلوة : اسم بمعنى السلوان . قال الأصمسي : يقول الرجل لصاحبه : « يا بني سلوة ( بالفتح ) وسلواناً ( بالضم ) » أى طيبت نفسى عنك ، وذكروا أيضاً أن السلوة والسلوانة : خرزة شفاقة تدفن في الرمل فتسود فيبيح عنها ، ويصفاها الإنسان فتقبله .

« آثِرْ بِعَمَلِكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدْفَعْ لَشَهْوَتِكَ رَشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرَكَ  
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَقْصِمُكَ مِنَ الرَّذَى ، أَلْجِمْ هَوَاكَ مِنَ الْفَوَاحِشِ ،  
وَأَطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبْرُهُ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ » .

(الأمال : ١ : ٧٠٠)

#### ٤ - وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج :

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :

« يَا بَنِي : لَا تَخْذِهَا حَنَانَةً ، وَلَا أُثَانَةً ، وَلَا مَتَانَةً <sup>(١)</sup> ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ <sup>(٢)</sup> ،

وَلَا كِبَةَ الْقَفَا <sup>(٣)</sup> » .

(الأمال : ٢ : ٧٦٠)

#### ٥ - وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال :

« أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلْيَسْمَعْكَ يَتُّكَ ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَابْكْ

عَلَى خَطِيئَتِكَ » .

(البيان : ٢ : ١٦١)

#### ٦ - وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :

« لَا يَكُونَنَّ مِنْكَ الْمُحَدِّثُ وَلَا يُنْصَتُ لَهُ ، وَالِدَاخِلُ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يَدْخُلَاهُ ،

[١] الحَنَانَةُ : التي لها ولد من سواه فهي تحنّ إليهم ، والأُثَانَةُ : التي مات عنها زوجها ، فهي إذا  
رأت الزوج الثاني أتت ، وقالت : رحم الله فلانا ، وزوجها الأول ، والمتانة : التي لها مال ، فهي تمنّ  
على زوجها ، كلما أهوى إلى شيء من ماله . [٢] عُشْبَةُ الدَّارِ : يريد الحبشية ، وعشبة الدار : التي  
تثبت في دمنة الدار ، وحوّلها عشب في يابض الأرض ، فهي أعظم منه وأضخم ، لأنها غدتها الدمنة ، وذلك  
( أي العشب ) أطيب للأكل رطباً ويابساً ، لأنه ثبت في أرض طيبة ، وهذه نبتت في دمنة ، فهي متينة  
وطيبة ، وإذا يست صارت حشاً ( بالضم ) وذهب قلمها في الدمنة فلم يكن جمه ، وذلك يجمع فيه لأنه في  
أرض طيبة ( واللفظ بالضم : مايس من البقل ، وسقط على الأرض في موضع نباته ) .

[٣] كِبَةُ الثَّقَلَا : هي التي يأتي زوجها أو ابنتها القوم ، فلذا انصرف من عندهم ، قال رجل من جنابه  
القوم : قد وافقه كل بيني وبين امرأة هذا الولي أو أمه أسر .

ولا آتَى الدعوةَ لم يُدْعَ إليها، ولا الجالِسُ المجلسَ لا يستحقُّه، ولا الطالبُ الفضلَ من أيدي اللّثام، ولا المتعرِّضُ للخير من عند عدوّه، ولا المتحمِّقُ في الدّالة<sup>(١)</sup> .

(البيان والتبيين ٢ : ٥٨)

## ٧ - وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والمجلاة ، فإن العرب كانت تَكْنِيها « أمّ الندامة » لأن صاحبها يقول قبل أن يَعْلَمَ ، وَيُحْيِبُ قبل أن يَعْفَمَ ، وَيَعِزُّمُ قبل أن يَفْكَرَ ، وَيَقْطَعُ قبل أن يُقَدِّرَ ، وَيَحْمَدُ قبل أن يُحَرِّبَ ، وَيَذُمُّ قبل أن يُخْبِرَ ، ولن يصحب هذه الصِّفَّةَ أحدٌ إلا صَحِبَ الندامة ، واعتزل السلامة . » (زمر الآداب ٣ : ١٩٧)

## ٨ - وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آمُرُكَ بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إن الهَوَى مِفْتَاحُ السِّبْثَاتِ ، وَخَصِيمُ الْحَسَنَاتِ ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها<sup>(٢)</sup> هَوَى يَكْتُمُكَ في نفسه ، وأعداها هوى يَمُتِلُ لك الإِثْمَ في صورة التقوى ، ولن تَفْصِلَ بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يَشُوْبُهُ وَهْنٌ ، وَصِدْقٍ لا يَطْمَعُ فيه تَكْذِيبٌ ، وَمَضَاهُ لا يَقَارِبُهُ التَّثَبُّطُ<sup>(٣)</sup> ، وَصَبْرٍ لا يَغْتَالُهُ جَزَعٌ ، وَنِيَّةٍ لا يَتَقَسَّمُهَا التَّضْيِيعُ »

(زمر الآداب ٣ : ١٢٩)

[١] الدالة : ما تدلّ به على حيلك .

[٢] أى وأعداها . [٣] التوقف والإبطاء .



## ٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :

« إني لأعظكم ، وإني لكثير الذنوب مُشْرِف على نفسي ، غيرُ حامد لها ، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله عزَّ وجل ، قد بَلَوْتَهَا فلم أجد لها شُكْرًا في الرِّضاء ، ولا صَبْرًا على البَلَاء ، ولو أن المرءَ لَا يَعِظُ أخاه حتى يُحْكِمَ أمرَ نفسه ، تَرِكَ الأمرُ بالخير والنهي عن المنكر ، ولكن محادثة الإخوان حياةٌ للقلوب ، وجلاءٌ للنفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ، وإقبالها إدمار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يومًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، ومُتَنَظِّرٌ غداً لَا يَبْلُغُهُ ، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبْغَضْتُمُ الأملَ وَغُرُورَهُ . »

(الأمال ٢ : ٥٧)

## ١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وحذّر بعض الحكماء صديقاً له تَحَبُّهُ رجل فقال :

« اخذر فلاناً ، فإنه كثير المسألة ، حَسَنَ البحث ، لطيفُ الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أَخَرْتَ بما قَدِمْتَ ، فلا تُظْهِرَنَّ له المخافة ، فيرى أنك قد تَحَرَّزْتَ ، واعلم أن من يَقْطَعُ القِطْعَةَ إِظْهَارَ النُّفْلَةِ مع شدة الحذر ، فبأنه مبائة الآمن ، وتحفظُ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يُظْهِرُ الخفيَّ الباطن ، وَيُبَيِّنُ المستَكْنِ الكامن . » (زمر الآداب ٣ : ١٦١)

## ١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :

« من كانت فيه سَبْعُ خِصَالٍ لم يَعْدَمْ سُبْحاً : من كَانَ جَوَاداً لم يَدمِ الشرف ،

ومن كان ذا وفاة لم يعدم المِقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .

(الأمال : ٢ : ٣٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخْلِقُ الأبدان ، وَيُحَدِّدُ الآمال ، وَيُقَرِّبُ الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به نصيب ، ومن فاته حزن ، قيل : فأى الأصحاب أبر ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضر ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم المخرج ، قال : في قطع الراحة وبذل المجهود . (الأمال : ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :  
« الحسد ماحقُ الحسنات ، والزُّهو جالبُ لِمَقْتِ اللَّهِ ومقت الصالحين ،  
والعُجب صَارِفٌ عن الازدياد من العلم ، داع إلى التَّخَطُّطِ <sup>(١)</sup> والجهل ، والبخلُ  
أَذَمُّ الأخلاق ، وأَجْلَبُهَا سُوءُ الأُحْدُوثة » . (الأمال : ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :

« أَوْلَى النَّاسِ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ بِفَضْلِهِ ، وَأَعْوَنُ الْأَشْيَاءِ عَلَى تَذْكِيَةِ الْعَقْلِ  
التَّعَلُّمُ ، وَأَدْلُ الْأَشْيَاءِ عَلَى عَقْلِ الْعَاقِلِ حَسَنُ التَّدْيِيرِ » . (الأمال : ١ : ٢١٧)

وقال الأصمى : العرب تقول :

« لَا تَنَاءُ مَعَ الْكِبَرِ ، وَلَا صَدِيقَ لَنِي الْحَسَدِ ، وَلَا شَرَفَ لِسَيِّئِ الْأَدَبِ .  
قال : وَكَانَ يُقَالُ : « شَرُّ خِصَالِ الْمُلُوكِ أَلْبُثْنُ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى

الضعفاء ، وَالْبَخْلُ عِنْدَ الْإِعْطَاءِ » . (الأمال : ١ : ٢٠١)

وقال أبو علي القالى : وأملى علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاياها :  
 « جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوموك ، وإن أخطأت  
 لم يُعَنِّدوك »<sup>(١)</sup> ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل  
 الجهل ، فإنك إن جهلت عفتوك ، وإن زللت لم يقوِّموك ، وإن أخطأت لم  
 يثبِّتوك . (الأمال : ٧ : ٧٧)

## ١٢ — رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أى عشيرتك أفضل ؟  
 قال : أُنْقَامُ لله ، بالرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟  
 قال : أرزئهم حِلْمًا حين يُسْتَجَبَل ، وأسخام حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟  
 قال : من كتم سرّه ممن أحب ، مخافة أن يُشاره يوما ، قال : فأيهم أكيس ؟  
 قال : من يُصلح ماله ويقتصد فى معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى  
 بِشَرِّ وجهه أصدقاؤه ، ويتلطّف فى مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، فى إجابة  
 دَعَوَاتِهِمْ ، وعيادة مَرَضَاهُمْ ، والتسليم عليهم ، والمشى مع جنائزهم ، والنصح لهم  
 بالْقَيْب ، قال : فأيهم أظن ؟ قال : من عَرَفَ ما يوافق الرجال من الحديث  
 حين يحالسه ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت عارِضَتُهُ<sup>(٢)</sup> فى اليقين ،  
 وَخَزَمَ فى التوكل ، ومنع جاره من الظلم . (مجمع الأمثال : ٢ : ١٧٨)

## ١٣ — أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وافد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت  
 الناس ؟ قال :

« تركت فنيهم موفوراً ، وفقيرم مخبوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بمضو من أعضائي ، لكان يسيراً » . ( الأملك ٢ : ٣٩ )

#### ١٤ - كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يَصْنَعُ عندك تحوُّل النَّبْوةِ ، وزوالُ الثَّروة ، فإنَّ السيفَ العتيق إذا مَسَّهُ كثيرُ الصَّدَأِ استغنى بقليلِ الجِلَاءِ ، حتى يعودَ حَدُّهُ ، ويظهرَ فِرْدُؤُهُ ، ولم أصف نفسي عُجْبًا ، لكن شكرًا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرف ولد آدم ولا غر » . فجهَرَ بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر » . ( زمر الآداب ٣ : ٩٩ )

#### ١٥ - وصف الهلباجة

من أمثال العرب : « أعجز من هِلْبَاجَةٍ » وهو النِّثْمُ الكسلان المَطْلُ<sup>(١)</sup> الجاني ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كبشة بن ألقبترى عنه فقال : « الهلباجة : الضعيف العاجز ، الأخرق الأحمق ، الجلف<sup>(٢)</sup> الكسلان ، الساقط لا معنى فيه ، ولا غناء<sup>(٣)</sup> عنده ، ولا كفاية معه ، ولا عمل لديه » .

[١] مطل كفرح : عظم بدنه ، ومن اللال والأوب : خلا لهو مطل كفل ومتق .

[٢] الجاني . [٣] لا غناء : لا كفاية .

وأما وصف الحضري فإن بعض بُلغَاء الأَمْصَارِ سَثَلَ عن الهَلْجَاةِ قَقَالَ :  
 « هو الذي لَا يَرْعَوِي لِمَذَلِّ الْعَاذِلِ ، وَلَا يُعْصِنِي إِلَى وَعْظِ الْوَاعِظِ ، يَنْظُرُ  
 بَيْنَ حَسُودٍ ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ حَقُودٍ ، إِنْ سَأَلَ الْخَلْفَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ سُئِلَ سَوَفَ ،  
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلْفَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِنْ زَجَرَ عَنَّفَ ، وَإِنْ قَدَّرَ عَسَفَ <sup>(٢)</sup> ،  
 وَإِنْ احْتَمَلَ أَسَفَ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ اسْتَفْنَى بَطَرَ ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنَطَ ، وَإِنْ فَرِحَ أَشْرَ <sup>(٤)</sup> ،  
 وَإِنْ حَزَنَ يَلَسَ ، وَإِنْ ضَحِكَ زَارَ ، وَإِنْ بَكَى جَارَ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ حَكَمَ جَارَ ، وَإِنْ  
 قَدَّمَتْهُ تَأَخَّرَ ، وَإِنْ أَخَّرَتْهُ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مَنْ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ لَمْ  
 يَشْكُرْكَ ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ ، وَإِنْ أَسَرَّ إِلَيْكَ اتَّهَمَكَ ، وَإِنْ صَارَ فَوْقَكَ  
 قَهَرَكَ ، وَإِنْ صَارَ دُونَكَ حَسَدَكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ خَانَكَ ، وَإِنْ انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ  
 شَانَكَ ، وَإِنْ أَكْرَمَتْهُ أَمَانَتَكَ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهُ الصَّدِيقُ سَلَاةً ، وَإِنْ حَضَرَ  
 قَلَاةً <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ فَاتَحَتْهُ لَمْ يُجِبْهُ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَبْدَأْهُ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالْوَدِّ هَجَرَ ،  
 وَإِنْ بَدَأَ بِالْبَرِّ جَفَا ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فَضَحَهُ الْبُيْءُ ، وَإِنْ عَمِلَ قَصَرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وَإِنْ  
 أَوْثَمَنَ غَدَرَ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَرَ <sup>(٧)</sup> ، وَإِنْ طَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ حَلَفَ حَنَثَ ،  
 لَا يَصْدُرُ عَنْهُ الْآمِلُ إِلَّا بِخَيِّبَةٍ ، وَلَا يَضْطُرُّ إِلَيْهِ حَرْزٌ إِلَّا بِمِخْنَةٍ . »

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الهَلْجَاةِ ، فقال : « هو الأَحْمَقُ  
 الضَّعِيفُ الْقَدِيمُ <sup>(٨)</sup> الْأَكُولُ الَّذِي وَالَّذِي . . . ثُمَّ جَعَلَ يُلْقَانِي بَعْدَ ذَلِكَ ، وَيَزِيدُ

[١] أَلِمَ . [٢] ظَلِمَ . [٣] مِنْ أَسَفٍ الطَّائِرُ : دَنَا مِنَ الْأَرْضِ فِي طَيَرَانِهِ ، أَيْ لَمْ يَسْتَطِعِ  
 التَّهَوُّسُ بِمَا جَهِلَ . [٤] أَسْرَ : مَرَحَ . [٥] صَاحَ وَاسْتَفْنَتْ . [٦] أَبْغَضَهُ وَكَرِهَهُ فَاتِيَةُ الْكِرَاهَةِ .  
 [٧] أَخْفَرَهُ وَخَفَرَهُ : تَخَفَّ هَمْدُهُ وَغَدَرَهُ . [٨] الْقَدِيمُ : الَّذِي عَنِ الْكَلَامِ فِي قَلِيلٍ وَرَخَاوَةِ ،  
 وَقَلَّةِ فَهْمٍ ، وَالطَّلِيظُ : الْأَحْمَقُ الْجَانِقُ .

في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شر .  
(مجمع الامثال ١ : ٢٣٦)

## ١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بَسِيطٌ <sup>(١)</sup> الكف ، رَحْبُ الصدر ، مُوْطَأُ الأَكناف ، سَهْلُ الخلق ، كَرِيمُ الطَّبَاع ، غَيْثٌ مُغَوِّثٌ <sup>(٢)</sup> ، وَبَحْرٌ زَخُورٌ ، ضَحُوكُ السن ، بِشِيرُ الوجه ، بَادِي القَبُول <sup>(٣)</sup> غير عبوس ، يَسْتَقْبِلُكَ بِطَلَاةٍ ، وَيَحْيِيكَ بِبِشْرٍ ، وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ غَيْثٍ ، وَجَمِيلُ بَشَرٍ ، تُبْهِجُكَ طَلَاةُ ، وَيَرْضِيكَ بَشَرُهُ ، ضَحَّاكٌ عَلَى مَاثِدَتِهِ ، عَبْدٌ لَضَيْفَانِهِ ، غَيْرُ مَلَا حِظٍ لِأَكِيلِهِ ، بَاطِنٌ <sup>(٤)</sup> مِنَ الْعَقْلِ ، خَمِيسٌ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحِلْمِ ، نَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الْخَلْقِ ، مُخَصِّنُ الضَّرِيَةِ <sup>(٦)</sup> ، مِطْطَأٌ غَيْرُ سَالٍ ، كَاسِيٌ <sup>(٧)</sup> مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، حَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأْمَةٍ ، إِنْ سَتَلَ بِذَلِكَ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ .  
(زهر الآداب ٢ : ٢٠٠)

## ١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقُلْنَ : هَلْ مِمَّنْ نَصِفُ خَيْلَ آبَائِنَا .  
فَقَالَتِ الْأُولَى :

« فَرَسٌ أَبِي وَرَدَّةٌ ، وَمَا وَرَدَةٌ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مَرَّحَلَةٌ ، وَمِمَّنْ أَخْلَقَ ،

[١] أي مبسوط الكف سخي . [٢] غوث تقوياً : قال والمهولاء .

[٣] القبول بالفتح وقد يفهم : الحسن . [٤] أي عتلى وأصله : عظيم البطن .

[٥] خميس : خال ، وأصله : الجائع . [٦] الضرية : الطبيعة ، وعصن : علف .

[٧] أي مكسو .

وَجَوْفٌ أَخْوَقٌ <sup>(١)</sup> ، وَنَفْسٌ مَرُوحٌ ، وَعَيْنٌ طَرُوحٌ ، وَرَجُلٌ ضَرُوحٌ ، وَيَدٌ سَبُوحٌ <sup>(٢)</sup> ، بُدَاهَتُهَا إِهْذَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ <sup>(٣)</sup> .

وقالت الثانية :

« فرسٌ أبى اللَّعَابَ ، وما اللَّعَابُ ؟ غَيِّبَةُ سَحَابٍ ، واضْطَرَامُّ غَلَابٍ ، مُتَرَصِّنٌ الْأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَدَالِ ، مُلَاَحَكُ الْمَحَالِ <sup>(٤)</sup> ، فارْسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَنِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فَظَبْنِي مَعَاجٍ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ هَدَاجٍ ، وَإِنْ أَخْضَرَ فَفَلِجٌ هَرَاجٌ <sup>(٥)</sup> .

وقالت الثالثة :

« فرسٌ أبى خُدَمَةَ ، وما خُدَمَةُ ؟ إِنْ أَقْبَلْتَ فَقَنَاةٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرْتَ فَأَثْفِيَّةٌ مُلَمَلَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَضْتَ فَذِئْبَةٌ مُعْجَرِمَةٌ <sup>(٦)</sup> ، أُرْسَاغُهَا مُسْتَرْصَةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُمَحْصَةٌ ، جَرِيئُهَا انْتِرَارٌ ، وَتَقَرُّيُّهَا انكِدَارٌ <sup>(٧)</sup> .

[١] المزلحلي : الملس الذي كأنه زحلولة ( بالفم ) وهي آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل ، والأخلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة المرح ، طروح بعيدة موقع النظر ، ضروح : دفوع ، يريد أنها تضرع المجاورة برجليها إذا عدت ، سبوح : كأنها تسبح في عدوها من سرعتها . [٣] بداهتها : لجأتها ، والبداهة والبديهة واحد ، والإهذاب : السرعة ، والعقب : جرى بعد جرى ، وغلاب مصدر ، غالبت مفالة وغلاباً ، كأنها تنال الجري .

[٤] الذبية : الدفعة من المطر ، والغاب جمع غابة وهي الأجمة ، مترص : محكم ، أترصت الشيء : أحكمته أمم : مرتفع ، القنال : مقعد العذار ( والظهار من الهيام ككتاب : ما نال على خد الفرس ) ، ملاحك مدخل ( بفتح الحاء ) كأنه يدخل بعضه في بعض ، والمحال جمع محالة : وهي تقار الظاهر ( كسحاب جمع ففارة ) وذكر الأصمى أنه رأى فزار فرس ميت ، فإذا ثلاث نفر من هظم واحد ، وكذا تكون الغراب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جواد ، عتيد : حاضر ، معج في سيره وجمع : إذا أسرع ، والمهراج كهمس : الذي الزويد ويكون السريع ، والفلج : حمار الوحش السمين القوي ، ودرج الفرس كضرب : إذا كان كثير الجري . [٦] حذمة : قطعة من اللحم وهو السرعة أو القطع ، ففناة مقومة تريد أنها دقيقة القدم ، وهو مدح في الإثبات ، والأثفية : الحجر توضع عليه القدم ، مللملة : مجتمعة ، تريد أنها مدورة المؤخر ، لأن الأثافي تختار مدورة ، معجربة بكسر الراء اسم فاعل من المعجربة ، وهي لإسراع في مقاربة غطو . قال الشاعر :

أما إذا يعدو فتعلب جريئة أو ذئبٌ عادية يعجرم عجمرة

ويقال ثافة معجربة بفتح الراء : أي شديدة . [٧] مصصة : قليلة اللحم قليلة الشعر ، عمم الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبى خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهِقٍ مُعْرَق ، وَشِدْقُ أَشْدَق ،  
وأديمٌ مُمَلَّق <sup>(١)</sup> ، لها خَلْقٌ أَشْدَف ، وَدَسِيعٌ مُنْفَتَف ، وَتَلِيلٌ مُسَيَّف <sup>(٢)</sup> ،  
وَنَمَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهْجُوج ، تَقْرِيبُهَا إِنْجَاج ، وَحُضْرُهَا ارْتِجَاج <sup>(٣)</sup> . »

وقالت الخامسة :

« فرسُ أبى هُذُلُول ، وما هُذُلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مَشْكُول ،  
رَقِيقُ الْمَلَأَعِم ، أَمِينُ الْمَعَاقِم <sup>(٤)</sup> ، غَبِلُ الْمُخَزِم ، مَخْذَرٌ مَرَجَم <sup>(٥)</sup> ، مُنِيفُ الْحَارِك ،  
أَشَمُّ السَّنَابِك ، مَجْدُولُ الْخَصَائِل ، سَبْطُ الْفَلَائِل <sup>(٦)</sup> ، غَوْجُ التَّلِيل ، صَانِعُ  
الصَّهِيل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَدِييُّهُ صَافٍ <sup>(٧)</sup> ، وَغَفْوُهُ كَافٍ . (الأمالي : ١ : ١٩٠)

كفرح ، إذا سقط شعره وأملأ ، انثزار : الصباب ، كأنه يثرثر ، والتقريب : ضرب من العدو  
أو أن يرفع يديه مماً ويضمهما ماً ، وانكدر : أسرع وانقض ، وانكدر عليه القوم : انصبوا .

[١] خَيْفَق : فيعل من الخَفَق كشمس : وهو السرعة ، الناهقان : العظمان الشاهقان في خدى الفرس  
مترق : قليل اللحم ، أَشْدَق : واسع الشدق ، مملق : مجلس . [٢] الْأَشْدَف : العظيم الشخص ،  
والغدد محركة : الشخص ، الدسيع . مغرز النقي في الكاهل ، منفنف : واسع ، من التنفف كجعفر :  
وهو الهواء بين السماء والأرض ، التليل : العنق ، مسيف : كأنه سيف .

[٣] زُلُوج : سريعة ، الزليج والزليجان بالتحريك : السرعة ، الخيفانة : الجرادة التي فيها هبط سود  
تخالف سائر لونها ، وإنما قيل للفرس : خيفانة لسرعتها لأن الجرادة إذا ظهر فيها تلك القطع كان أسرع  
لطيرانها ، رهوج : كثرة الرج ، ( والزهج بالتحريك : الفبار ) أجمع الفرس إجماعاً : إذا اجتهد في  
عدوه ، والحاضر : ارتفاع الفرس في عدوه ، الارتجاج : كثرة البرق وتناجه .

[٤] مَحْبُول : في حباله ، مشكول : موثق في شكل ( الشكل ككتاب : الحبل تشد به قوائم الدابة )  
للالهم من الإنسان : ماحول القم ، أرادت هاهنا الجحافل ( والجحافل جمع جفلة بالفتح بمنزلة الشفة الخليل  
والخال والحجر ) والمعاقيم : المفاصل . [٥] غَبِل : غليظ ، والمخزم موضع الحزام ، مخد : يخذ الأرض  
أى يعمل فيها أخاديد ( والأخاديد : الشقوق جمع أخدود ) ، مرجم : يرمي الحجر بالحجر ، أو يرمي  
الأرض بحوافره . [٦] مُنِيف : مرتفع ، والحارك : منبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به من  
يركبه ، والسنايك : أطراف الحوافر جمع سنبك كقنفذ : مجبول : مفتول ، المصائل جمع خصيلة : وهي  
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتمعة ، القليل : الثمر المتبعض ، ويقال للقطعة من الشعر : الليلة ،  
سببط : مسترسل . [٧] الْفُوج : اللين المطف ، والصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت خاد :  
والسبيب : شعر النامية : صاف : سابع .



## ١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جَدْب فقال :

«نشأ سَحَلًا<sup>(١)</sup> سُدًّا متقاذِفَ الأحضان ، مُحمَوِيَّ الأركان ، لماع الأقراب ،  
مُكفَهَرِ الرِّباب ، نَحْنُ رُعودُه حينَ اضطراب ، وتُرْجِرُ زَجْرَةَ اللبوثِ الغَضاب ،  
لبوارِقِه التَّهاب ، وَلِرِوَاعِهِ اضطراب ، فِجَاحَتِ<sup>(٢)</sup> صدورُه الشَّعَاف ، وركبت  
أعجازه القِفَاف ، ثم ألقى أعباءه ، وَحَطَّ أثقاله ، فتألق وأصعق<sup>(٣)</sup> ، وانجس  
وانبثق ، ثم أُنْجِمَ فانطلق ، فغادر النِّهَاء<sup>(٤)</sup> مُترَعَةً ، والنَّيْطَانِ مُمرَعَةً ، جِباء  
للبلاد ، ورزقًا للعباد .» ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٠ )



[١] الحبل : السحاب الكثير الماء ، والد : الذي قد سدَّ الأفق ، احمرى : اسودَّ ، والأقرب جمع قرب كقفل وعنتق وهو الحاصرة ، والرياب : السحاب الأبيض . [٢] جاحفه : زاحه ، وداناه ، والشعاف جمع شفة كربة : وهي رأس الجبل ، والقفاف جمع قفّ بالقم وهو ماغلظ من الأرض وارتفع لم يبلغ أن يكون جبلا . [٣] صقتهم السماء وأصعقهم : ألقت عليهم صاعقة ، وانجس : اذهب بالماء وانبعث السحاب : انبعج بالمطر واندفع ، والانباق : أن يندفع عليك الشيء فجأة وأنت لاتشعر ، وأنجمت السماء : أسرع مطرها . [٤] النِّهَاء جمع نهى بالكسر والفتح : الغدير ، ومترعة : مملوءة ، والنَّيْطَان جمع غائط : وهو الماطن الواسع من الأرض ، ممرعة : مخضبة ، جباء : عطاء .

## الباب الثالث

في

### نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الغِلْظَةِ ، فاحتِمْلْهُ إن كَرِهْتَهُ ، فإنَّ وِراءَهُ ما تُحِبُّهُ إن قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نَجُود بِسَعَةِ الاحْتِمَالِ على من لا نَرْجُو نُصْحَهُ ، ولا نَأْمَنُ غِشَّهُ ، وأَرْجُو أن تكون الناصِحَ جَبِيًّا ، المأمونَ غَيِّبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إذ أمنت بِإِدْرَةِ غضبك ، فلمَّا سَأَلْتُكَ لِسَانِي بما خَرِمْتَ عَنْهُ الأَلْسُنُ مِنْ عِظَتِكَ ، تَأْذِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَمَانَتِكَ . إنه قد اكْتَنَفَكَ رَجائُ أَسَاءِ والاختيارُ لَأَنفُسِهِمْ ، فابْتاعُوا دِيْنَكَ بِدِينِهِمْ ، ورضاك بِسُخْطِ رَبِّهِمْ ، خافوك في اللَّهِ ، ولم يخافوا اللَّهَ فيكَ ، فهم حربٌ لِلْآخِرَةِ ، سَلَمٌ لِلدُّنْيَا ، فلا تَأْمَنْتَهُمْ على ما اتَّمتَّكَ اللَّهُ عليه ، فإنهم

لَا يَأْتُونَكَ<sup>(١)</sup> خَبَالًا ، والأمانة تضييماً ، والأمة عَسْفًا وَخَسْفًا<sup>(٢)</sup> ، وأنت مسئول عما اجترحو<sup>(٣)</sup> ، وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صَفَقَةً يوم القيامة ، وأعظمهم غَبْنًا من باع آخرته بدنياه غيره . قال سليمان : « أما أنت يا أعرابي ، فقد سَكَلْتَ لسانك ، وهو أقطع سيفيك » ، فقال : « أَجَلُ يا أمير المؤمنين لك لاعليك » .

( ميون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٧ ، والقعد الفريد ١ : ٣٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وزهر الآداب ١ : ٢٧٧ )

## ٢ - أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

ودخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، فقال له : عِظْنِي يا أعرابي ، فقال : « كفى بالقرآن واعظًا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : « وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ إِذَا أَكْتَابُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْغَالِمِينَ » ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، هذا جزاءه من يُطَفِّفُ في الكيل والميزان ، فما ظنُّكَ بمن أخذه كله<sup>(٥)</sup> ؟ » .

( القعد الفريد ٢ : ٨٤ )

## ٣ - خطبة أعرابي<sup>(٦)</sup>

وولَّى جعفر بن سليمان<sup>(٧)</sup> أعرابياً بمضى مياهم<sup>(٨)</sup> فخطبهم يوم الجمعة فقال :

[١] ألا يأتونك : قصر وأهلاً ، والجبال : السام . [٢] عسف : الظم ، والخسف : الذل .

[٣] اكسبوا ، وفي رواية : « اجترموا » .

[٤] طفف : نفس المكيال . [٥] وروى صاحب القعد أيضاً هذه العظة ( ج ١ ص ٣٠٦ )

وذكر أنها لابن السماك وعظ بها الرشيد .

[٦] قدنا في الجزء الثاني ص ٦٣ أن هذه الخطبة متنازع فيها ، فهي تروى تارة إلى الإمام طي كرم الله وجهه ، وأخرى إلى سبحان وائل ، وثالثة إلى أعرابي . [٧] هو ابن عم أبي جعفر المنصور ، وكان والياً له على المدينة سنة ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] في مجمع الأمثال : « من الأسى قاله : حدثني شيخ من أهل السلم قال : شهدت الجمعة بالفرية « فرية كفتية : قرية بين البصرة ومكة »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارٌ بَلاغٌ <sup>(١)</sup> ، والآخرة دار قرار ، نغذوا لِمَقَرِّكم من مَمَرِّكم ، ولا تَمْتَسِكُوا أَسْئَارَكم عند من لا تَمُحِنِي عليه أَسْرَارُكم ، وأُخْرِجُوا من الدنيا قُلُوبَكم ، قبل أن تَخْرُجَ منها أَبْدَانُكم ، ففيها حَيَاتُكم ، ولنغيرها خَلِيقَتُكم ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هَلَكَ ، قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قَدَّمَ ؟ فله آبَاؤُكم اَقْدَمُوا بعضاً ، يكون لكم قَرَضاً ، ولا تَخْلُقُوا كُلاً ، يكون عليكم كُلاً <sup>(٢)</sup> ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ، والحمد لله ، والمصلّى عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قوموا إلى صلاتكم » .

( الأمل : ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد : ٢ : ١٦٤ ، وتهذيب الكمال : ١ : ٢٨ ،

ومجمع الأشكال : ١ : ٣١٨ ، وعبود الأخبار : ٢ : ص ٢٥٣ وزمر الآداب : ٢ : ٤ )

## ٤ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التعمق في ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يَنْتَهِي حتى يُنْتَهَى عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُدْرِكُ وَاصفُ كُنْهَ صِفَتِهِ ، ولا يَبْلُغُ خَطِيبٌ مُنْتَهَى مِذْحَتِهِ ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم » ثم نزل فصلّى . ( العقد الفريد : ٢ : ١٦٤ )

---

وأبهرها رجل من الأعراب ، طرّج وخطب ، ولفّ ثيابه على رأسه ، ويده فوس فقال . . . . وأورد هذه الحُفَاتَةَ « وفي الكمال للبرد : « قال الأصمى فيها بلغني خطبتنا أعرابي بالبادية غداً الله . . . » . [١] وفي رواية اليباني ، وعبود الأخبار « بلاء » وفي رواية العقد « دار ممرٌ والآخرة دار مقرٌّ » [٢] الكل : الكل .

## هـ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلي أن يتنعى من أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحْتَنِبُهُ ، وقد قال الأول :  
وَدَعِ مَا لُمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ      قَدْ ظَنَّمْتُ أَنَّ يُلَوِّمُكَ مَنْ تَلَوِّمُ  
أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلُ بِرِضَاهُ » . ( القند الفريد ٢ : ١٦٤ )

## ٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ - وَكَانَ عَابِدًا مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ تَوَفَّى سَنَةَ ١٤١ هـ -  
شَهِدْتُ أَعْرَابِيَةً وَهِيَ تُوصِي وَلَدًا لَهَا يُرِيدُ سَفَرًا وَهِيَ تَقُولُ لَهُ :  
« أَيُّ مَبْنًى اجْلِسْ أَمْتَحَنُكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ أَجْدَى <sup>(١)</sup>  
عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيُّ مَبْنًى : إِيَّاكَ وَالنِّمَّةَ فَإِنَّهَا تَرْجِعُ الضَّمِيمَةَ ، وَتَفَرِّقُ  
بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْمَيُوبِ فَتُخَذَّ غَرَضًا <sup>(٢)</sup> ، وَخَلْقُكَ أَنْ لَا يَثْبُتَ  
الْفَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ، وَقَلَمًا اعْتَوَرْتُ <sup>(٣)</sup> السَّهَامَ غَرَضًا إِلَّا كَلَّمْتَهُ <sup>(٤)</sup> حَتَّى  
يَهَيَّ <sup>(٥)</sup> مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالبَخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزْتَ  
فَاهْزُزْ كَرِيمًا يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللِّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ  
لِنَفْسِكَ مِثَالٌ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ  
فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ  
مَنْهُ فَعَلُهُ ، كَانَ صَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَدَنَوْتُ

[١] أُنْعِمَ [٢] هَدَا . [٣] تَدَاوَلَتْ . [٤] جَرَحَتْهُ وَحَطَّتْهُ .

[٥] وَهِيَ يَهَيَّ : ضَعُفَ .

منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، إلاً زِدْتِ في الوصية ، فقالت : أو قد أعجبتك كلام العرب يا عراقى ؟ قلت : نعم ، قالت : والغدرُ أقيح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسَّخَاءَ فقد أجاد الحِلَّةَ <sup>(١)</sup> : زَيَّطَهَا وَسَيَّرَهَا .

( الأمل : ٢ : ٨١ ، والمقد الفريد : ٢ : ٨٥ ، وبلغات النساء : ص ٥٧ ، والبيان والبيان : ٣ : ٢٢١ )

## ٧ - أعرابية توصى ابنها

وقالت أعرابية لابنها :

« يا بُنَيَّ ، إن سؤَالَك النَّاسَ ما في أيديهم من أشدَّ الافتقار إليهم ، ومن افتقرت إليه هُنتَ عليه ، ولا تزال تُحَفِّظُ وَتُكْرِمُ ، حتى تَسْأَلَ وَتَرْغِبُ ، فإذا أَلَحَّتْ عليك الحاجةُ ، ولزِمَكَ سوءُ الحال ، فاجعل سؤَالَك إلى من إليه حاجةُ السائل والمستول ، فإنه يُعْطَى السائل » . ( المقد الفريد : ٢ : ٨٥ )

## ٨ - أعرابي يوصى ابنه .

ووصى أعرابي ابنه فقال :

« ابْذُلْ المودَّةَ الصادقة تستفيد إخواناً ، وتتخذ أعواناً ، فإن المداوة موجودة عتيقة ، والصدقة مُسْتَعْرِزَةٌ <sup>(٢)</sup> بعيدة ، جنب كرامتك اللثام ، فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديدة لم يصبروا » . ( الأمل : ١ : ٢٠١ )

## ٩ - أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« لَا يَنْفِرُ نَفْسُكَ ما ترى من خَفَضِ المَبِش ، ولين الرِّياش <sup>(٣)</sup> ، ولكن فانظر إلى سوء الظَّنِّ ، وسوء التَّنْقَلَبِ » . ( الأمل : ٢ : ٥٩ )

[١] الحلة لا تكون إلا من ثوبين لذار ورداء ، والريطة : اللامعة كلها لسج واحد وقطعة واحدة ، والريال : القبيس . [٢] مستعززة : مهجنة شديدة : [٣] الحاصب والملاش .

## ١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للماقل المذبر أرجى منك للأحق المقلب » ، ثم أنشد :

عَدُوُّكَ ذُو الْحِلْمِ أَقْبَى عَلَيْكَ وَأَرْغَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحَقِّ <sup>(١)</sup>

(ذيل الأمال ص ٢٤)

## ١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب  
برؤيته ونظره ، وَهَئِلَ لَكَ الْأَحْوَالُ الْمُخَوِّفَةُ عَلَيْكَ ، وَخَلَطَ الْوَعْرَ بِالسَّهْلِ مِنْ  
كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً <sup>(٢)</sup> رَجَائِكَ ، وَشُكْرُكَ إِزَاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ،  
وَأَنْ الْغَائِبَ لَكَ ، وَالْحَاطِبَ <sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ، مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْإِفْتِرَارِ ، وَوَطَّأَ لَكَ بِهَاذِ <sup>(٤)</sup>  
الظُّلْمِ ، تَابِعًا لِمَرْصَاتِكَ ، مُتَقَادًا لِهَوَاكَ » . (الأمال ١ : ١٩٨)

## ١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أقصد ماله في الشُّرَابِ ، فقال :

« لَا الدَّهْرُ يَغْلِبُكَ ، وَلَا الْأَيَّامُ تُنْذِرُكَ ، وَلَا الشَّيْبُ يَزْجُرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ  
تَحْضِي عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، وَالْمَنَائِمُ تُقَادُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ  
أَعُودُهَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

(الجد الجديد ٢ : ٨٥ ، والأمال ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥)

[١] الوامق : الحب . [٢] مكافئاً

[٣] هو حاطب ليل : أي خلط في كلامه . [٤] الهاذ : الفراس

### ١٣ - أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن هَمَلَجْتُ <sup>(١)</sup> إلى الباطل ، إنك لَتَقُطُوفٌ <sup>(٢)</sup> عن الحق ، ولئن أبطأتَ لَيُسْرَعَنَّ بك ، وقد خسرَ أرقامَهم يظنون أنهم رابحون ، فلا تفرَّك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . (البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٦)

### ١٤ - أعرابي يمظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقْوُهُ ، وتطلبُ ما قد كُفِيَتْه ، فكأن ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه قد ثَقِلَتْ عنه ، فامْهَدْ <sup>(٣)</sup> لنفسك ، وأَعِدْ ذلك ، وخذ في جِهازك » . (العقد الفريد ٢ : ٨٤)

### ١٥ - أعرابي يمظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إن يَسَّارَ النفسِ أفضلُ من يسَّارِ المال ، فإن لم تُرْزَقْ غِنًى فلا تُحْزَمْ تقوى ، قُرْبَ شَبَعَانَ من النعم ، عُرْيَانُ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خير : تُرَحَّبَ به الأرض ، وتستبشر به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بطنها وقد أَحْسَنَ على ظهرها » . (العقد الفريد ٢ : ٨٥)

[١] من هملج البرذون : معنى مشية سيلة في سرعة .

[٢] من قطفت النابة كنصر وضرب : ضاق مشيا ، فعى قطوف

[٣] أى مهد وأعد .



## ١٦ - أعرابي يعظ رجلاً

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يعظ رجلاً وهو يقول :

« وَيَحْكُكُ ! إِنْ فَلَانًا وَإِنْ ضَحِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَنْ أَظْهَرَ  
الْبُشْفَةَ عَلَيْكَ ، إِنْ عَاقَبَهُ لَتَسْرِي إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا  
تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَتِكَ » . ( زمر الآداب ٢ : ١٦٤ )

## ١٧ - أعرابي يعظ رجلاً

وسمع أعرابي رجلاً يقع في السلطان ، فقال :

« إِنَّكَ غَفُلٌ لَمْ تَسْمَعْ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَعُ الْعُقَابِ ، كَأَنِّي  
بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بَاكِ عَلَيْكَ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابن عمّه ، فأشار عليه برأى ، فقال :

« قَدْ قُلْتَ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوقُهُ بِخُلُقِهِ ،  
وَحَزَنَتُهُ بِسَهْلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِشْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِنٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَصَّيْتُ  
النَّاصِحَ مِنْهُ وَقَبِلْتَهُ ، إِذْ كَانَ مُصَدِّرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مُوَدَّتِهِ ، وَصَافِي  
غَيْبِهِ ، وَمَا زِلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مَتَّبِعًا وَاضِعًا ، وَطَرِيقًا تَهْتِمًا <sup>(١)</sup> » .

( الأمل ٢ : ٨٧ )



## ١٩- كلمات حكيمة للأعرابي

قيل لأعرابي : مَالَك لا تشرب النِّبِيذ ؟ قال : « لثلاثِ خِلَالٍ فيه : لأنه مُتَلِفٌ للمال ، مُذْهَبٌ للعقل ، مُسْقِطٌ للرُّوءة » .

وقال أعرابي : « الدرهم مِيَاكِيمٌ <sup>(١)</sup> ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فمن حَبَسَهَا كَانَ لها ، ومن أَفْتَقَهَا كَانَتْ له ، وما كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، ولا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .  
وقال أعرابي لأخ له : « يا أخى إِنَّ مَالَكِ إِن لم يكن لك كُنْتَ له ، وَإِن لم تُفْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلْهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إِنَّ المَوْفَّقَ مَنْ تَرَكَ أَرْفَقَ الحَالَاتِ بِهِ ، لِأَصْلَحِهَا لَدِينَهُ ، نَظَرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لم تَنْظُرْ نَفْسُهُ لَهَا » .

وقال أعرابي : « إِنَّ اللهَ يُخْلِفُ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ ، والدَّهْرُ مُتَلِفٌ مَا أَخْلَفُوا ، وَكَمْ مِنْ مِيتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الحَيَاةِ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَبَهَا التَّمَرُّضُ للمَوْتِ » .  
وقال أعرابي : « إِنَّ الآمالَ قَطَمَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مِنْ رَأَى ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَا » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَفَحَبَّ مِنْ يَتَنَاسَى مَعْرُوفَةَ عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لا تَسْأَلْ مَنْ يَقِرُّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَلَكِنْ سَلْ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى » .

وقال أعرابي : « ما بقاء مُضَرٍّ تقطعه الساعات ، وسلامةُ بدنٍ مُعَرَّضٍ للآفات ؟ ولقد عجبتُ من المؤمن كيف يكره الموت ؟ وهو ينتقله إلى الثواب الذي أحياله ليله ، وأغناؤه نهاره . »

وذكر أهلُ السلطان عند أعرابي فقال : « أما والله لئن عَزَّوا في الدنيا بالجور ، لقد ذَلَّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليلٍ فإن ، عوضاً عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما نزلَ القدمُ حيث لا ينفع الندم . »

وقال أعرابي : « من كانت مطيته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يسِرْ ، وبلغنا به وإن لم يبلغ . »

وقال أعرابي : « الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا . »

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : « وإذا مُتُ فإلى أين يُذهب بي ؟ » قالوا : « إلى الله تعالى » ، قال : « فإكرهتي أن يُذهبَ بي إلى من لم أر الخير إلا منه ؟ » .

وقال أعرابي : « من خاف الموتَ بادر الموتَ ، ومن لم يُنَحِّ النفسَ عن الشهوات ، أسرعَ به إلى المَلَكَّاتِ ، والجنة والنار أمامك »

وقال أعرابي : « خيرٌ لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ له الحياة ، وشرُّ من الموت ما إذا نزل بك أحييتَ له الموت . »

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال : « الكريمُ يُسلِّطَ عليه اللئيمُ ، والمافلُ يُسلِّطَ عليه الجاهل . »

وقيل له : أى الداعين أحق بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بم حاجته » .

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك تغالقه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .  
وقال أعرابى : « الشر ما جل له لذيذ ، وآجله وخيم » .

وقال أعرابى : « من ولد الخبز أتج له فراخاً تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقضبائه الفيض ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابى : « من كساه الحياء ثوبه ، خفي على الناس عيبه » وقال : « بش الزاد ، التمدى على العباد » ، وقال : « التلطف بالحيلة ، أنفع من الوسيلة » ، وقال : « من ثقل على صديقه ، خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يملون » .

وقال أعرابى : « أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم » .

وقال أعرابى لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشر ، فإن الغالب بالشر هو المغلوب » .

وقال أعرابى لأخ له : « قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لاماء في وجهه ، فإن حفظك من عطيته السؤال » .

وقال أعرابى : « إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبنض الشر بخير وإن فعلت أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن المروءة ثَقِيلٌ مَحْمِلُهَا <sup>(١)</sup> ، شديدة مؤنتها ، مازك اللثام للكرام شيئا » .

واحتَضِرَ أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرةً ، إن غبتم حَنُوا إِلَيْكُمْ ، وإن مِتُّم بَكَوْا عَلَيْكُمْ » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ <sup>(٢)</sup> شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَّمْلَةُ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هو فيها » .

وقال أعرابي : « رُبَّ رجل سِرُّه منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه قلبه التحافَ الجَنَاحَ على الخَوَافِي » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسِرِّ ؟ قال : « ما جوفى له إلا قَبْرٌ » .

ومرَّ أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُنَبِّئُكَ الطَّاعَةَ ، وَحَصَدَتِهُ المَعْصِيَةُ ، وقال الآخر : « من طَلَّقَ الدنيا فالآخرة صاحِبَتُهُ ، ومن فارق الحقَّ فَالْجَنَاحُ راحِلَتُهُ » .

وقال أعرابي : « إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوامَ عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه » .

وقال أعرابي : « إذا كان الرَّأْيُ عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسَّلاحُ عند من لا يَسْتَعْمَلُهُ ، والمالُ عند من لا يَنْفَقُهُ ، ضاعت الأمور » .

( المقد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٧ )

وقال أعرابي : « إن الدنيا تنطق بغير لسان ، فتخبر عما يكون بما قد كَانَ » .

( المقد الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا ولم نُقَلِّ الدهر عنا ، فلم

[١] الحمل في الأصل : شقان على البحر يحمل فيهما المديلان . [٢] كساء دون التغطية يشتمل به .

تعيظ بنيرنا ، حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد أدركت السعادة من تنبه ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً . ( زهر الآداب ٢ : ٥ )

وقال أعرابي لرجل : « اشكر للنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مُناصحته . » ( زهر الآداب ٢ : ٦ )  
وتذاكر قوم صِلَة الرَّجِيم ، وأعرابي جالس ، فقال : « مُنْسَأَةٌ <sup>(١)</sup> في العمر ، مَرَضَاءٌ للرب ، حَبَّةٌ في الأهل . » ( الأمل ١ : ٢١٧ )

وقال أعرابي : « لا أعرف ضراً أَوْصَلَ إلى نياط القلب ، من الحاجة إلى من لم تثق بإسعافه ، ولا تأمن رده ، وأكلم المصائب فَقَدْ خَلِيلٌ لا عِوَضَ منه . »  
وقيل لأعرابي : أى شيء أمتع ؟ فقال : « مُمَازَحَةُ الْمُحِبِّ ، ومُحَادَثَةُ الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك . »

وقال أعرابي : « من لم يرض عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه ، دام سَخَطُهُ ، ومن عاتب على كل ذنب كثُرَ عَدُوُّهُ ، ومن لم يؤاخِر من الإخوان إلا من لا عيبَ فيه قَلَّ صَدِيقُهُ . » ( الأمل ١ : ٢١٨ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ما تقول في المراء ؟ قال : « ماعسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة ، ويحلُّ المُقَدَّةَ الوثيقة ، أقلُّ ما فيه أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة . » ( الأمل ١ : ٢٠٨ )  
عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجد المعجول محموداً ، ولا الفضوبُ مَسْرُوراً ، ولا المُلُولُ ذا إخوان ، ولا الحرُّ حريصاً ، ولا الشرُّ غنياً . »

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « صُنْ عقلك بالحلم ، وَتُرْوْهْ تلك بالعفاف ،  
ونجِدْ تلك بمجانبة الخيلاء ، وخَلِّتْك <sup>(١)</sup> بالإجمال في الطلب » . (الأمال ٢ : ٢٢)  
وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبِحْ أعمال المقتدرين الانتقام ، وما اسْتَنْبَطَ  
الصوابُ بمثل المشاورة ، ولا حُصِّلَتِ النعم بمثل المواساة ، ولا اِكْتَسِبَتِ  
البغضاء بمثل الكبر » . (الأمال ٢ : ٢٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٣)

وقال أعرابي : « خير الإخوان من يُنْفِلُ عُرْفًا ، أو يدفع ضُرًّا » .  
(الأمال ٢ : ٤١)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « العاقل حقيقٌ أن  
يُسَخِّيَ بنفسه عن الدنيا ، لعله أن لا ينال أحد فيها شيئاً إلا قَلَّ إِمْتَاؤُهُ به ، أو  
كَثُرَ عَنَاؤُهُ فيه ، واشتدت مَرَزَّتُهُ <sup>(٢)</sup> عليه عند فراقه ، وَعَظُمَتِ التَّبِعَةُ  
فيه بعده » . (الأمال ٢ : ٤١)

وقال أعرابي : « خَصَلْتان من الكرم : إنصاف الناس من نفسك ،  
ومؤاساة الإخوان » . (الأمال ٢ : ٧٣)

وقال أعرابي : « ما غُبِنْتُ قَطُّ حتى يُنَبِّنَ قومي » ، قيل : وكيف ذلك ؟  
قال : « لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم » . (البيان والتبيين ٢ : ١٦١)

وقال أعرابي لرجل مَطْلَه في حاجة : « إن مثل الظفر بالحاجة تمجيل اليأس منها ،  
إذا عَسِرَ قضاؤها ، وإن الطلب وإن قَلَّ ، أعظمُ قدراً من الحاجة وإن عَظُمَتْ ،  
والمطلُّ من غير عُسْرِ آفة الجود » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « وعد الكريم نَقْدٌ وتمجيل ، ووعد اللئيم مَطْلٌ وتعليل »  
(البيان والتبيين ٣ : ٢٣١)

وقال أعرابي : « اعتذارٌ من منّ ، أنجلُ من وعْدِ تمطول » .

(الأمال ٢ : ١٩٨)

وقال أعرابي : « عوّد لسانك الخير ، تسلم من أهل الشر » .

(ذيل الأمال ص ٢٩)

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت <sup>(١)</sup>

أرجلها ، فزالَتْ أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم  
فجملت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أمالك ناي من كرم ، إن لم يكن لك زاجرٌ من  
عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكبها ؟ » .

(المقد الفريد ٢ : ٩٤ ، والبيان والبيان ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٢ : ٦)

## أجوبة الأعراب

### ٢٠ - مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأفصح <sup>(٢)</sup> ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من  
يتندى معي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في شملة : فأُتِيَ به ، فقال السلام عليكم ،  
قال : هلُمّ أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ، قال :  
ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربّي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصومٌ في مثل هذا  
اليوم الحارّ ؟ قال : صمت ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفطر اليوم وصُمتُ غداً ،  
قال : وَيَضْمَنُ لي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليّ ، قال : فكيف  
تسألني عاجلاً بآجلٍ ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت النافذة بذنبها وأشالته : رفعته ، فقال هو .

[٢] أصغر : برز في الصحراء .



ما طيَّبه خبْازك ولا طبَّاخك ، قال : فَمَنْ طيَّبه ؟ قال : العافية ، قال الحجاج :  
تالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه عنى . (اليان واليتين ٣ : ٢٣٤ ، والقنطرة ٢ : ٨٧)

## ٢١ — مساء لة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال :  
« تركتهم — أصلح الله الأمير — حين تفرَّقوا في الفِيطان ، وأخذوا النيران ،  
وتَشَكَّت النساء ، وعَرَضُ الشاء ، ومات الكَلْبُ » ، فقال الحجاج لجلسائه :  
أخِصْباً نَمَتَ أم جَذَباً ؟ قالوا : بل جَذَباً ، قال : بل خِصْباً ، قوله : تفرَّقوا في  
الفِيطان<sup>(١)</sup> ، معناه : أنها أعشبت ، فأبْلَهم وغنمهم تَزَعَى ، وأخذوا النيران ، معناه :  
استغنوا باللبن عن أن يشتَوْوا لحومَ إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، وتَشَكَّت النساء  
أعضادهن ، من كثرة ما يَمَغْضُن<sup>(٢)</sup> الألبان ، وعَرَضُ الشاء : استن<sup>(٣)</sup> من كثرة  
العُشْب والمرعى ، ومات الكَلْب : لم تَمُتْ أغنامهم وإبلهم فإكل جِيفها .  
( ذيل الأمل من ٨٧ )

## ٢٢ — مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر ، فقال :  
فَمَمُولٌ إِذَا شَجَّتْ ، وفي الكأس مُزَّةٌ لها في عِظام الشارين دَيْبٌ<sup>(١)</sup>  
تُريكَ القُدْزى من دونها وهى دُونَه لوجه أخيها في الإناء قُطُوبٌ<sup>(٢)</sup>

[١] جمع فائظ : وهو اللطيف الواسع من الأرض . [٢] محض اللبن من بَابِ قَطْعٍ ونصر وضرب  
أخذ زبد . [٣] استن : سمن ، سن الإبل كنصر : إذا رطما فأمسها .

[٤] الشمول : الحمر أو الباردة منها ، لأنها تعمل بريحها الناس ، أو لأن لها صفة كصفة النمل ،  
وشج الفراغ : مزج . [٥] القُدْزى : ما يقع في الفراغ ، قطب كقرب قطباً وقطوباً : زوى ما بين  
عينيه وكاح ، وأخوها : هو نبذ الأريب ، وللعنى : أن الشارين يعضونها عليه فيسربونها دونه ، فهو ..  
يقطب من أجل ذلك ، ولما أخبها يقول الشاعر :

فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندي حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها » .

(عيون الأخبار ٢ : م ٢١٥)

### ٢٣ - مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري

وخطب خالد بن عبد الله القسري فقال :

« يا أهل البادية : ما أخشن بلدكم ، وأغلظ معاشكم ، وأجفأ أخلاقكم ، لا تشهدون جمعة ، ولا تجالسون عالماً ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أما ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغلظ طعامنا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي شرٌّ من كلِّ ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تنقبون الدور ، وتنشئون القبور ، وتنكحون الذكور » ، قال : « قبحك الله ، وقبح ما جئت به » . (القد القريد ٢ : ١٢٧)

### ٢٤ - أجوبة شتى

وقدّم أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلا أوجعتك ضرباً ، قال له : « وأنت فاعمل به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه ، أعظم مما تُوعِدني به » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في كَمَلَة ، غائر العينين ، مُشْرِفِ الحاجبين ، نازٍ الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِأَلْرِصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحَسِّنُ الشَّارَةَ (١) ، قال : « ذلك عُثْوَانُ نعمة الله عندي » .

دع الخمر يفرجها الفؤاد فاني رأيت أخاها مفتياً بكتاتها

فإلا يكتها أو تكته فإنه أخوها غفلة أنه بلباتها

[١] العارة : اللباس والهبة والزينة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي ، وأرقعه بالاستغفار » ..

وسئل أعرابي عن القَدَر فقال : « الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يَعرِفُ ضوءها ، ولا يقف على حدودها » .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصت فيه العقول ، وتناول فيه المختلفون ، وحقّ علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا من علمه » .  
( العدد الفريد ٢ : ٨٦ - ٨٧ )

وقيل لأعرابي : من أباغ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .  
وقيل لأعرابي : مالك لا تُطِيلُ الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعتق » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قرى ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : « خُبْرَ خَيْر ، ولبن فَطِير ، وماء نَمِير <sup>(١)</sup> » .

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قِدر تقور ، وكأس تدور ، وحديث لا يتحور <sup>(٢)</sup> » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرعدة ، وقُرْصَاء القِعْدة ، وذَرَب المِعْدة <sup>(٣)</sup> » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] النَمِير : الذي اختمر ، وماء نَمِير : ناعم ، غذبا كان أو غير عذب .

[٢] أى لا ينقص ، وربما كان لا يمحور بالميم . [٣] القِرْصَاء : أن يجلس على ألبته ، ويلصق

بطنه بطنه ، ويحكي يديه يضمهما على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه متكياً ، ويلصق بطنه بفخذيه ،

ويتأبط كفيه ، والتدرب : الحنة ، والمعة ككلمة وككرة

قال : « إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنتى »

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته فى السوق ليبيعهما - صف لنا ناقةك ، قال :  
ما طلبت عليها قط إلا أدركت ، ولا طلبت إلا فئت ، قيل له : فلم يبيعهما ؟  
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أمَّ عامِرٍ كرائمَ من رَبِّ بهنٍ صَنِينِ  
وقيل لأعرابي : ما عندكم فى البادية طيب ؟ قال : « مُرُّ الوحش لا يحتاج  
إلى يَنْطَارِ » .

وقيل لشريح القاضى : هل كلمك أحد قط فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أعلمه  
إلا أن يكون أعرابياً ، خاسم عندى وهو يشير يديه ، فقلت له : أمسك ، فإن  
لسانك أطول من يدك ، قال : « أسامرى أنت لا تُمس ؟ <sup>(١)</sup> »

( المقدم الفريد ٢ : ٩٧ )

وقيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : « قصورٌ يبيضُ ، فى  
حدائقٍ خضر » .

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَإِنَّا خَاطَبُكَ بِأَسَابِرِيْ ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِدِ ،  
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَمْرِ الرُّسُولِ فَدَبَّدْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِيْ نَفْسِيْ ، قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ  
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَأَمْسَأَنَّ » .

والسامرى : هو موسى بن ظفر السامرى نسبة إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان  
من قوم يمدون البقر ، وقع فى مصر ، فدخل لى بنى إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان منافقاً لا يزال فى قلبه  
عبادة البقر ، فلما ذهب موسى لمناجاة ربه قتل بنى إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر دخلوا معهم من  
حلى القبط التى أخذوها منهم رهائن على ما يقرضونهم من المال - فاتخذ لهم منها مجلداً جسداً له خوار . . .  
إلى آخر ما هو معروف فى القصة ، من أثر الرسول : لى من أثر حافر الرسول وهو جبريل ، والأثر :  
التراب الذى تحت حافره ، والماس مصدر ماس ، وهو نى أريد به النهى ، أى لا تمس ولا أمسك .

وقيل لآخر : أى الأولون أحسن ؟ قال : « يَيْضَةُ »<sup>(١)</sup> ، فى رَوْضَةِ ، غن  
غِب سَارِيَةٍ ، والشمس مُكَبِّدَةٌ . ( المقد الفريد ٢ : ٩٦ )  
وخطب أعرابي إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجْفُ<sup>(٢)</sup>  
فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى نقد ، وإنى لأكره أن يكون  
على دين » . ( عيون الأخبار ٢ : ٢٠٠ )

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عزاءك عن ابنك ! » ، قالت :  
« إن مصيبيته آمَنَتْنِي من المصائب بعده » .  
وقال محمد بن حرب الهلالي : قلت لأعرابي : « إني لك لَوَادَّةٌ » ، قال :  
« وإن لك من قلبي لرَأْدَاءٌ » . ( البيان والتبيين ١ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ )  
وقال الأصمى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقلت : لِمَنْ هذه الشاة ؟ قال :  
« هى لله عندى » . ( المقد الفريد ٢ : ٨٦ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٠٩ )

## قولهم فى الاستمناح والاستجداء

### ٢٥ - أعرابي يحتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،  
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمَعْتَ فقل ، قال :  
« شيخ من بنى عامر يقرَّب إليك بالعمومة ، ويختص بالخُتُولَةِ ، ويشكو  
إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وترادف ضرر ، وعندك ما يسعه

[١] البيضة : ساحة القوم ومجتمعهم ، والسارة : السحابة تسمى ليلا ، وكبدت الشمس السماء : سارت  
فى كبدما أى وسطها ، وفى الأصل « مكيدة » بالياء وهو تصحيف .  
[٢] السجف بالفتح والكسر : السر

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بؤسه ، قال : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِفِنَّاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِطْلَاقِنَا عَنْكَ » .

(البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والمقد الفريد ٢ : ٨١)

## ٢٦ — أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز

وَأَتَى أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَأَلَنِي إِلَيْكَ الْحَاجَةَ ، وَبَلَغْتَ بِهِ الْغَايَةَ ، وَاللَّهِ سَأَلْتُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَبْلَغُ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعِظُ لِمَقُولٍ لَهُ مِنْهَا » .

(المقد الفريد ٢ : ٨٣ ، والأمال ٢ : ١٧٤ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١)

## ٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وَكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَنْتَجِعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَمْرِهِمُ بِالْإِيجَازِ ، فَقَامَ أَعْرَابِي ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغِضَةً ، فَلَآنَ نَحْبُكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُبْغِضَكَ <sup>(١)</sup> » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . (المقد الفريد ٢ : ٨٣)

## ٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وقام أعرابي بين يدي هشام فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، أَمَّا الْأُولَى : فَلَحَّتِ <sup>(٢)</sup> اللَّحْمُ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَأَكَلْتُ الشَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَهَاضَتِ <sup>(٣)</sup> الْعَظْمُ ، وَعِنْدَكُمْ

[١] يروى هذا لعمد بن أبي الجهم العدوي ، قاله في حضرة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .  
[٢] من لحا الشجرة : أخذ لحاءها (بالكسر) وهو قشرها . [٣] هاض العظم : كسره بعد الجبور نهر مهبض ، وفي رواية : « وطام ألقى العظم » أي وصل إلى نقيه (بالكسر) وهو منح العظم .

فُضِّلُوا أَمْوَالٌ ، فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَاقْسِمُوهُا بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَقِيمٌ تُحْظَرُ<sup>(١)</sup> عَنْهُمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ بِهَا ، إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، قَالَ هِشَامُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِ هَذِهِ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : « مَا ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، أَدْرِعُ الْمُتَجِيرَ ، وَأَخْوِضُ الدُّجَى لِمُخَاصِّ دُونَ عَامٍ » ، فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ ، فَقَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : « أَكُلْهُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا ؟ » قَالُوا : « لَا ، وَلَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ » ، قَالَ : « فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا يَبْعَثُ لَأَمَّةَ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

(عيون الأخبار ٢ : ص ٣٣٨ والمقد الحريد ٢ : ٨٧)

## ٢٩ — أَعْرَابِيٌّ يَسْتَجِدِي عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ

وَقَالَ النَّبِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِيَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ :

« يَا هَلِ الْفَضَارَةُ<sup>(٢)</sup> ، حَقَبَ<sup>(٣)</sup> السَّحَابُ ، وَانْتَشَعَ الرَّبَابُ ، وَاسْتَأَسَدَتِ الذُّنَابُ ، وَرُجِمَ التَّمَدُّ<sup>(٤)</sup> ، وَقَلَّ الْخَفْدُ<sup>(٥)</sup> ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُقَاةِ<sup>(٦)</sup> ، صَنِبَ<sup>(٧)</sup> السَّقَاةُ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ<sup>(٨)</sup> لَا تَتَّصِلُ الزَّمَانُ ، وَغَفَلَ<sup>(٩)</sup> الْخِدْنَانُ ، حَتَّى جَلَّالَ<sup>(١٠)</sup> ، وَعَدَدُ وَمَالٍ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيْدِي سَبَا<sup>(١١)</sup> ، بَيْنَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ،

[١] تَحْجَبُ وَتَمْنَعُ . [٢] الْفَضَارَةُ : السَّحَابُ وَالْمَطَرُ وَالْمُخَطَّبُ ، وَفِي الْأَصْلِ : « الْفَضَارَةُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ — وَالْفَضَارَةُ الْفَلَّةُ وَالْفَضَّةُ — . [٣] حَقَبَ الْمَطَرُ وَغَيْرُهُ : احْتَبَسَ ، وَالرَّبَابُ : السَّحَابُ الْأَبْيَضُ . [٤] التَّمَدُّ كَشَسَ وَسَبَّ : الْمَاءُ الْغَلِيلُ لَا مَادَّةَ لَهُ . [٥] الْخَفْدُ : الْأَعْوَانُ جَمْعُ خَافِدٍ . [٦] الْعُقَاةُ جَمْعُ طَافٍ : وَهُوَ الْوَارِدُ وَالضَّيْفُ ، وَكُلُّ طَالِبٍ فَضْلٍ أَوْ رِزْقٍ . [٧] وَصَفَ مِنَ الصَّخْبِ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ شِدَّةُ الصَّوْتِ ، وَالسَّقَاةُ جَمْعُ سَاقٍ كَقَاضٍ ، وَفِي الْأَصْلِ « مَحَبَّ السَّاءِ » وَأَوَّامٌ عَمْرُؤُا . [٨] فِي الْأَصْلِ : « عَظِيمُ الزَّلَاتِ » وَأَرَادَ عَمْرُؤُا مِنْ « الدَّلَاةِ » ، وَالدَّلَاةُ كَقَضَاةٍ جَمْعُ دَالٍ كَقَاضٍ ، وَهُوَ النَّازِعُ فِي الْفُلِ لِلتَّقِي بِهَ الْمَاءِ مِنَ الْبَثْرِ . يُقَالُ : أَدْلَيْتِ الدَّلُو دَلِيلَتِهَا : إِذَا أُرْسِلَتْ فِي الْبَثْرِ . وَطَلَبَتْهَا أَدْرُمَا فَأَتَا دَالٌ : إِذَا أُخْرِجَتْ . [٩] الْغَفْلَةُ بِالتَّحْرِيكِ : الْغَفْلَةُ وَالْخِدْنَانُ : نَوْبُ الدَّمْرِ وَجَوَادَتُهُ ، وَفِي الْأَصْلِ : « وَلَا أَغْفَلُ الْخِدْنَانِ » وَأَرَادَ عَمْرُؤُا وَرَبِّمَا كَانَ الْأَصْلُ « وَلَا يَغْفُلُ الْخِدْنَانُ » بِتَكَرُّرِ لَامِ الْجَمْعِ . [١٠] الْحَلَّةُ بِالْكَسْرِ : الْقَوْمُ النَّازِلُونَ ، وَالْجَمْعُ حِلَالٌ وَسِلَالٌ كَكِتَابٍ وَعَنْبٍ ، وَتَطْلُقُ الْحَلَّةُ عَلَى الْبُيُوتِ بِجَوَازٍ تَسْمِيَةِ الْحُلِّ بِاسْمِ الْحَالِ ، وَهِيَ مَالَةٌ بَيْتٌ قَدْ قُوِيَ . [١١] يُقَالُ : ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا ، وَهَرَقُوا أَيْدِي سَبَا ، وَأَيْدِي سَبَا : أَيَّ تَبَدُّدُوا ، شَبِهُوا بِأَهْلِ سَبَا لِمَا

وَكُنْتَ حَسَنَ الشَّارَةِ <sup>(١)</sup> ، خَصِيْبَ الدَّارَةِ <sup>(٢)</sup> ، سَلِيمَ الْجَارَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَحَلِّيَ  
جَمْعِي ، وَقَوْمِي أَسَى <sup>(٤)</sup> ، وَعَزَى جَدًّا <sup>(٥)</sup> ، قَضَى اللَّهُ - وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى - بِسَوَافٍ <sup>(٦)</sup>  
الْمَالِ ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَذَرُ الْحَالَ ، فَأَعَيْنُوا مَنْ شَخَصَهُ شَاهِدُهُ ، وَإِسَانُهُ  
وَافِدُهُ ، وَفَقَرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ . ( زمر الآداب ٣ : ٣٠٧ )

### ٣ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكرة

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة ، فوقفت بين  
السُّبَّاحِينَ <sup>(٧)</sup> فقالت :

« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَأَمْتَعَ بِهِ ، حَدَرْتُنَا إِلَيْكَ سَنَةً اشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وَانْكَشَفَ  
غِطَاؤُهَا ، أَقُوْدُ صَبِيَّةَ صَنَارًا ، وَآخَرِينَ كِبَارًا ، فِي بَلَدَةِ شَاسِعَةٍ ، تَحْفِضُنَا خَافِضَةً ،  
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِلَلَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرِّينَ عَظْمِي ، وَأَذَقْبَنَ لَحْمِي ، وَتَرَكْتَنِي  
وَالِهَةً ، أَدُورُ بِالْخَضِيضِ ، وَقَدْ صَاقَ بِي الْبَلَدُ الْمَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ  
الْعَرَبِ : مَنْ السَّكَامِلَةُ فُضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَسْكِينُ نَائِلُهُ ؟ فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ  
- أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، قَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الرَّافِدُ ،

مَرْفَعَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَمْزِقٍ ، فَأَخْذُ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حِمَّةٍ ، وَالْيَدُ : الطَّرِيقُ . يُقَالُ : أَخَذَ  
الْقَوْمُ يَدَ بَحْرٍ ، فَقِيلَ لِلْقَوْمِ إِذَا تَفَرَّقُوا فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ : ذَهَبُوا أَيْدَى سَبَا : أَيْ فَرَقْتَهُمْ طَرَفَهُمُ الَّتِي  
سَلَكُوهَا كَمَا تَفَرَّقَ أَهْلُ سَبَا فِي مَذَاهِبٍ شَتَّى ، وَالْعَرَبُ لَا تَهْمُ سَبَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّهُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ  
فَاسْتَقْبَلُوا فِيهِ الْهَمْزَ ، وَإِنْ كَانَ أَسْلَهُ هَمْزًا ، وَقَدْ بَنُوا أَيْدَى سَبَا ، وَأَيْدَى سَبَا عَلَى الْكُفْرِ لِكَوْنِهِ  
مَرْكَبًا تَرْكِبُ خَمْسَةَ عَشَرَ .

[١] النَّارَةُ : الْهَيْئَةُ وَالْبَاسُ وَالزَّيْنَةُ وَالْجَمَالُ . [٢] الدَّارَةُ : الدَّارُ .

[٣] الْجَارَةُ ، مِنْ مَعَانِيهَا : الزَّوْجَةُ . [٤] الْأَسَى جَمْعُ أَسْوَةٍ : وَهِيَ الْقُدْوَةُ .

[٥] الْجَدَا : الْعُطْبَى ، وَالطَّرِيقُ الَّتِي لَا يَرِفُ أَقْصَاهَا . [٦] السَّوَافُ بِالْفَمِّ وَبِتَجْ : مَرَضُ الْإِبِلِ ،

سَافَ لِلْإِبِلِ بِسَوَافٍ وَبِسَافٍ : هَكَذَا ، أَوْ وَقَعَ فِيهِ الْبُؤَافُ .

[٧] السُّبَّاحَاتُ مِنَ النَّاسِ : الْجَانِبَانِ .



وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غِيَاثِي ، وَمُتَعَيِّ أَمَلِي ، فَاقْبَلْ بِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تُحَسِّنَ صَفْدِي <sup>(١)</sup> ، أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ، فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعَنَّ لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْجَرِي عَلَيْهَا كَمَا يُفْجَرِي عَلَى عِيَالِهِ حَتَّى مَاتَ .  
( زمر الآداب ٢ : ٣٠٦ )



وروى صاحب العقد قال :  
قال الأصمعي : وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقالت :  
« إِنِّي أَتَيْتُ مِنْ أَرْضٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنِي خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنِي رَافِعَةً ، فِي بَوَادِي بَرٍّ لَحِيٍّ ، وَهَضْنٍ <sup>(٢)</sup> عَظِيمٍ ، وَتَرَكْتَنِي وَالْهَمَّةَ ، قَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ، بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَكَثْرَةِ مِنَ الْعَدَدِ ، لَا قَرَابَةَ تُؤَاوِينِي ، وَلَا عَشِيرَةً تُحْمِيَنِي ، فَسَأَلْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، مَنْ الْمَرْجِي سَيِّئُهُ <sup>(٣)</sup> ، الْمَأْمُونُ عَيْنُهُ ، الْكَثِيرُ نَائِلُهُ ، الْمَكْتُوفُ سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، فَقَدْتِ الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، فَاصْنَعِي فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تُحَسِّنَ صَفْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي » ، قَالَ : بَلْ أَجْمَعَنَّ لَكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا .

( العقد الجديد ٢ : ٨٢ )

### ٣١ - أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :  
« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ : شَيْخٌ كَبِيرٌ ، حَدَّثَنِي إِلَيْكَ بِأَرِيَّةَ الْعِظَامِ <sup>(٤)</sup> ، وَمُؤَرَّةَ

[١] الصغد : المطاء . [٢] هاضن العظم : كسره بعد الجبور . [٣] السبب المطاء .

[٤] حدة : ساقه ، وبارية العظام : أمى النكبات التي تبرى العظام ، مؤرنة : مبيجة ، من التأريث ،

وهو إيفاد النار .

الأسقام ، ومُطَوَّلَةُ الأعوام ، فذهبت أمواله ، وَذُعِدَتْ<sup>(١)</sup> آباله ، وَتَمَيَّرَتْ أحواله ، فَإِنْ رَأَى الأمير أَنْ يَحْبُزَّهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَنْعَشُهُ بِسَجَلِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَيُرْذَهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ : كُلْ ذَلِكَ ، وَأَمْرُ لِهْ بِمَشْرَةِ آلَافِ دَرَمٍ . (الأمل : ٢ : ٤٩)

### ٣٢ — أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وقدّم أعرابي من بني كِنانة على معن بن زائدة وهو باليمن فقال :

« إني والله ما أعرف سبباً بعد الإسلام وَالرَّحِمِ ، أَتَوَى مِنْ رِخْلَةٍ مِثْلِي مِنْ أَهْلِ السَّنِّ وَالْحَسَبِ إِلَيْكَ مِنْ بِلَادِهِ ، بِلَا سَبَبٍ وَلَا وَسِيلَةٍ ، إِلَّا دَعَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ ، وَرَغِبْتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَضَعْنِي مِنْ نَفْسِكَ بِمِثْهِ وَضَعْتُمْ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ قَافِلٌ » فوصله وأحسن إليه : (الغدق الجديد : ٢ : ٨٠)

### ٣٣ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عن أبي زيد قال : يَتِنَّا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي فَقَالَ :

« يَا مُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ ، إِنْ أَمَرُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمِلْطَاطِ الشَّرْقِيِّ الْمُوَاصِي أَسْيَافَ بَهَائِمَةٍ<sup>(١)</sup> ، عَكَفَتْ عَلَى سِنُونُوحٍ<sup>(٢)</sup> ، فَاجْتَبَتْ الذُّرَى ، وَهَشَمَتِ الْعُرَى<sup>(٣)</sup> ، وَجَحَشَتِ النَّجْمَ ، وَأَفْجَحَتِ الْبَهْمَ<sup>(٤)</sup> ،

[١] ذُفِعَتْ : فُرِثَتْ ، وَأَبَالُ جَمْعُ إِبِلٍ . [٢] السَّجَلُ فِي الْأَمَلِ : الْغُلُو الطَّيْفَةُ مَمْلُوءَةٌ .

[٣] الْمِلْطَاطُ : كُلُّ شَعِيرٍ نَبْرٍ أَوْ وَادٍ ، وَالْمُوَاصِي وَالْمُوَاصِلُ وَاحِدٌ ، يُقَالُ : تَوَاصَى النَّبْتُ : إِذَا اتَّصَلَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَأَسْيَافُ جَمْعُ سَيْفٍ بِالْكَسْرِ : وَهُوَ سَاحِلُ الْبَحْرِ . [٤] عَكَفَتْ : أَقْلَعَتْ ، وَالسِّنُونُوحُ الْجُدُوبُ ، وَعَمَشَ جَمْعُ عَمَشٍ كَسْبُورٍ ، وَهُوَ الَّذِي تَمَشُّحُ ( يَهْمُ الْهَاءُ ) الْكَلَامُ أَيْ تَحَرُّقُهُ .

[٥] اجْتَبَتْ : قَلَعَتْ وَاسْتَأْصَلَتْ ، وَهَشَمَتْ : كَسَرَتْ ، وَالرُّى جَمْعُ عُرْوَةٍ ، وَالْعُرْوَةُ : الْفُطْلَةُ مِنَ الْفُجْرِ لَا يَزَالُ بَاقِيًا عَلَى الْجَدْبِ تَرَاهُ أُمُورُهَا . [٦] جَحَشَتْ : ائْتَلَقَتْ ، وَالنَّجْمُ : مَا يَهْمُ وَلَمْ يَسْتَقِلْ عَلَى سَاقٍ ، وَأَفْجَحَتْ : أَيْ جَعَلَتْهَا مَجَاجًا ، وَالْجَبِي : السَّيِّئُ الْفَنَاءُ الْمَهْزُولُ .

وَهَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّحَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَحْبَنَتِ الْعَظْمَ <sup>(١)</sup> ، وَغَادَرَتِ التُّرَابَ مَوْرًا ،  
وَالْمَاءَ غَوْرًا ، وَالنَّاسَ أَوْزَاعًا <sup>(٢)</sup> ، وَالتَّبَّطَ قُعَامًا ، وَالضَّهْلَ جُزَاعًا ، وَالْمَقَامَ  
جَمْعًا <sup>(٣)</sup> ، يُصَبِّحُنَا الْمَاوَى ، وَيَطْرُقُنَا الْمَاوَى <sup>(٤)</sup> ، نَفْرَجْتُ لَا أَتْلُفَعُ بَوْصِيدَةً ،  
وَلَا أَتَقَوِّتُ هَبِيدَةً <sup>(٥)</sup> ، فَالْبَخَصَاتُ وَقْعَةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَلَاةٌ ، وَالْأَطْرَافُ  
قَفْعَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَالْجِسْمُ مُسْلَمٌ ، وَالنَّظَرُ مُدْرَهَمٌ <sup>(٧)</sup> ، أَعْشَوُ فَأَغْطِشُ ، وَأَنْصَحِي  
فَأُخَفِّشُ <sup>(٨)</sup> ، أَسْهَلُ ظَالِمًا ، وَأُحْزِنُ رَاكِمًا <sup>(٩)</sup> ، فَهَلْ مِنْ أَمْرِ عَمِيرٍ <sup>(١٠)</sup> ، أَوْ دَاعٍ  
بِخَيْرٍ ؟ وَقَالِمُ اللَّهِ سَطَوَةٌ الْقَادِرِ ، وَمَمْلَكَةُ الْكَاهِرِ <sup>(١١)</sup> ، وَسَوْءُ الْمَوَارِدِ ، وَفُضُوحُ  
الْمَصَادِرِ ، قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَكَتَبْتُ كَلَامَهُ ، وَاسْتَفْسَرْتُهُ مَا لَمْ أَعْرِفْهُ .

(الأمل ١ : ١١٣)

### ٣٤ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

[١] همت : أذبت ، والعرب تقول : « هك ماهلك » أي أذا بك ماأحزنك ، والتحبت اللحم : أي  
عرفته من العظام ، وأحبت العظم : أي عوخته فصيرته كالحب . [٢] أوزاعاً : أوضاعاً ، وماج ،  
والنور : الفائر ، أوزاع : فرق . [٣] التبط : اللاء التي يستخرج من البئر أول ما تلعب ، والقناع  
اللاء للبحر المر : والضل : القليل من الماء ، والجواز : أشد المياه مرارة ، والجسجاء : المكان الذي  
لا يطمن من قعر عليه . [٤] الهاوى : الجراد ، والماوى : الذئب .

[٥] التفع : الاشتغال ، والبصيدة : كل فسيحة ، والمهيد : حب الحنظل يعالج حتى يطيب فيعتيز .  
[٦] البخصات جمع بخصة ، وهي لحم يطن القدم ، ووقعة : من قولهم : وقع الرجل كفرح إذا اشتكى  
لحم يامن قدمه ، وزامة : منشقة ، وقعة ومقعة واحد : وهي التي قد تقبضت ويبست .

[٧] للسلم : الضامر للغير ، والمدرم : الضعيف البصر التي قد ضف بصره من جوع أو مرض .  
[٨] أعشو : أنظر : فأغطش : أصبر غطاً ( بكسر الغاء ) والغطش حركة : ضف في البصر ، ونهي  
للشئ كفرح وسى : برز لها ، والغطش بالتحريك : ضف البصر خلقه ، أو فساد في الجفون بلا وجع  
أو أن يبصر بالليل دون النهار . [٩] أسهل ظالماً : أي إذا مشيت في السهول ظلمت ، وطلع كنتع :  
عز في منية ، وأحزن راكماً : أي إذا علوت الحزن ركمت أي كبرت لوجعي .

[١٠] اللير : العطية ، من قولهم : مارم يميم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ  
بعضهم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ »

ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول :

« أما بعد : فإننا أبناء سبيل ، وأنضاه <sup>(١)</sup> طريق ، وقُلْ <sup>(٢)</sup> سَنَّة ، تصدّقوا علينا ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا حمل بعد الموت ، أما والله إننا لنقوم هذا المقام ، وفي الصدر حَزَازَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وفي القلب عُصَّة » .

( البيان والبيان ٢ : ٤٦ )

### ٣٥ - صورة أخرى

وروى أبو علي القالي هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كما :

عن يونس قال : وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال :

« قُلْ التَّيْلُ ، وَتَقْصِ الكَيْلُ ، وَتَحَقِّقْ <sup>(١)</sup> الخيل ، والله ما أصبحنا ننفع في وَضْعٍ <sup>(٢)</sup> ، وما لَدْنَا في الديوان وَشْمَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وإنا لِعِيَالُ جَرَّةٍ <sup>(٤)</sup> ، فهل من مُعِين ، أعانه الله ، يُمِين ابن سبيل ، وَنِضْوَ طريق ، وقُلْ سَنَةٌ ؟ فلا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا حمل بعد الموت » . ( الأمل ٧ : ١٩٧ )

### ٣٦ - صورة أخرى

ورواها صاحب المقدس فقال : وقف أعرابي على حَلَقَةٍ يُونُس فقال :

« الحمد لله ، وأعوذ بالله ، أن أذكُر به وأنساه ، إنا أناس قَدِمْنَا المدينة ثلاثون رجلاً لا ندفن ميتاً ولا تتحول من منزل وإن كَرِهناه ، فرحم الله عبداً

[١] أنضاه : جمع لضو كثر وهو اللزول ، أي قد هزلنا وأنشأنا سلوك الطريق .

[٢] السنة : الجذب والقص ، وقوم قل : منهزمون ، والجمع قلول وأكلال ، أي هزلنا النقط .

[٣] الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . [٤] حزلت . [٥] الوضع : اللبن ، ممي

وهذا ليأشبهه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في القراع ، يريد الخط .

[٧] الجربة : الكثير ، أو الببال يأكلون ولا يتنصون .

تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفَلَّ سَنَةً ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عملَ بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عوزٍ ، ولكن ليثبُتوا خيار عبادِهِ .  
( العقد الفريد ٢ : ٨٢ )

### ٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :  
« رحم الله امرأ لم تمنحْ أذناه كلامي ، وقَدَّم لنفسه مَعَاذَةً <sup>(١)</sup> من سوء مَقَامِي ،  
فإن البلاد مُجْدِبَةٌ ، والدار مُضِيعةٌ ، والحال سيئة <sup>(٢)</sup> ، والحياء زاجر ينهي عن  
كلامكم ، والمُذَمِّم مَازِرٌ يحملني على إخباركم ، والدعاة إحدى الصدقتين ، فرحم  
الله امرأ أَمَرَ بِمَعِيرٍ <sup>(٣)</sup> ، أودما بخير » ، فقال له بمض القوم : يَمْنُ الرجل ؟  
فقال : « يَمْنٌ لا تنفكُم معرفته ، ولا تضرَّكم جهاته ، ذلُّ الاكتساب ، يمنع  
من عزِّ الانتساب » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ ، والعقد الفريد ٢ : ٨١ ، والأمال ١ : ١٣٨ )

### ٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جذبة وشدة وجهد ، فدخلت  
طائفة منهم البصرة وبن يديهم أعرابي وهو يقول :

« أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ، طابرو سبيل ،  
وأفلال بؤس ، وصَرَعي جذب ، تناهت علينا سنون ثلاثة <sup>(١)</sup> ، غَبَرَتِ <sup>(٢)</sup> النعم ،

[١] المعانة والمعاذ والعياذ : الالتجاء . [٢] وفي الأمال « والحال مشقة » أي مجيبة .

[٣] مار مياله ميلاً : جلب لهم الميرة ( بالكسر ) وهي الطعام ، وفي العقد : « فرحم الله امرأ يعير ،

وداعياً يعير » . [٤] غبره لطفه بالفار ، أو هي « غبرت » بالياء .

وأهلكث النَّعَمَ ، فَأَكَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ جُلُودِهَا فَوْقَ عِظَامِهَا ، فَلَمْ نَزَلْ نَمَالُ بِذَلِكَ أَنْفُسَنَا ، وَنَعْنَى بِالنَّيْثِ قُلُوبُنَا ، حَتَّى عَادَ نُخَنَّا عِظَامَنَا ، وَعَادَ إِشْرَاقُنَا ظِلَامًا ، وَأَقْبَلْنَا إِلَيْكُمْ بِصُرْعَا الْوَعْرِ ، وَيُكَيِّنَا <sup>(١)</sup> السَّهْلَ ، وَهَذِهِ آثَارُ مَصَائِبِنَا لِأُحْمَةٍ فِي سِمَاتِنَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ مُتَصَدِّقًا مِنْ كَثِيرٍ ، وَمُؤَاسِيًا مِنْ قَلِيلٍ ، فَلَقَدْ عَظُمَتِ الْحَاجَةُ ، وَكَسَفَ الْبَالُ ، وَبَلَغَ الْمَجْهُودُ ، وَاللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

### ٣٩ - أعرابي يستجدي

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُنْتُ فِي حَلْفَةٍ بِالْبَصْرَةِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي سَانِلًا ، فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْفَقْرَ يَهْتِكُ الْحِجَابَ ، وَيُزَيِّرُ الْكَمَّابَ <sup>(٢)</sup> » ، وَقَدْ حَمَلْتُنَا سِنُوءُ الْمَصَائِبِ ، وَنَكَبَاتُ الدَّهْورِ ، عَلَى مَرْكَبِهَا الْوَعْرِ ، فَوَاسُوا أَبَا أَيَّتَامٍ ، وَنِعْضُوا زَمَانَ ، وَطَرِيدَ فَاقَةٍ ، وَطَرِيحَ هَلَاكَةٍ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ »

### ٤٠ - أعرابي يستجدي

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِي عَلَيْنَا فَقَالَ :

« يَا قَوْمَ : تَنَابَسَتْ عَلَيْنَا سِنُوءٌ بِتَغْيِيرٍ وَاتِّقَاصٍ ، فَهَاتَرَكْتُ لَنَا هُبَمًا وَلَا رُبَمًا <sup>(٣)</sup> ، وَلَا عَافِطَةً وَلَا نَافِطَةً <sup>(٤)</sup> ، وَلَا نَائِغِيَّةً وَلَا رَاغِيَّةً ، فَأَمَاتَتِ الزَّرْعَ ، وَقَتَلَتِ الضَّرْعَ ، وَعِنْدَكُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ نِعْمَةٌ ، فَأَعِينُونِي مِنْ عَطِيَّةٍ مَا آتَاكُمْ اللَّهُ ، وَارْحَمُوا أَبَا أَيَّتَامٍ ، وَنِعْضُوا زَمَانَ ، فَلَقَدْ خَلَقْتُ أَقْوَامًا يَمْرَضُونَ وَلَا يَكْفَتُونَ

[١] أَيْ يَسْتَرِنَا . [٢] جَارِيَةٌ كَمَّابٌ : نَهْدٌ نَمِيحًا .

[٣] الْمُهْج : الْفَصِيلُ يَنْتِجُ فِي آخِرِ النَّتَاجِ ، وَالزَّرْعُ : الْفَصِيلُ يَنْتِجُ فِي الرِّبْعِ ، وَهُوَ أَوَّلُ النَّتَاجِ .

[٤] الْمَافِطَةُ : النَّسْجَةُ ، مِنَ الْفَطَطِ ، وَهُوَ الْفَرْطُ ، عَفِطَتْ كَضَرْبٍ : ضَعُطَتْ فَهِيَ مَافِطَةٌ ، وَالْمَفْطُ أَيْضًا : ثَبَرُ الضَّائِنِ تَتَرُّ بِأَنُوفِهَا كَمَا يَنْتَرِ الْحَمَارُ ، وَالنَّافِطَةُ : الْمَرْزُ ، مِنَ النَّفْطِ ، نَفَطَتِ الْمَرْزُ كَضَرْبٍ : نَثَرَتْ بِأَقْعِهَا أَوْ عَطِطَتْ فَهِيَ نَافِطَةٌ ، أَوْ لِأَنَّهَا تَنْفَعُ يَبُولَهَا : أَيْ تَدْفَعُهُ دَفْعًا ، أَوْ النَّافِطَةُ لِاتِّبَاعِ الْمَافِطَةِ ، أَوْ

• الْمَافِطَةُ : الْأَمَةُ الرَّاعِيَّةُ ، وَالنَّافِطَةُ : الشَّاةُ .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كَرِهوه ، ولقد مشيتُ حتى انتعلتُ الدِّماءَ ، وَجُمْتُ حتى أَكَلْتُ الثَّرَى .

## ٤١ - أعرابية تستجدى

وقال الأصمعي : وقفت أعرابية فقالت :

« يا قوم سَنَّةٌ جَرَدَتْ ، وأيدٍ جُمِدَتْ ، وحالٌ جَهَّدَتْ <sup>(١)</sup> ، فهل من فاعِلٍ  
خَيْرٍ ، وآمِرٍ بِمَعِيرٍ ؟ رَحِمَ اللهُ مَنْ رَحِمَ ، فَأَقْرَضَ مِنْ لَا يَظْلَمُ .

( المقد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤ )

## ٤٢ - أعرابي يستجدى

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أَشْكُو إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمَلَأُ زَمَانًا ، كَلَّحَ فِي وَجْهِهِ ، وَأَنَاخَ عَلَى بَيْكَمَلِكَلِهِ ، بَعْدَ  
نِعْمَةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَثَرَوَةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَغَبْطَةٍ مِنَ الْحَالِ ، اعْتَوَرْتَنِي جَدًّا أُنْذَهُ <sup>(٢)</sup> ، بِبَنِي  
مَصَائِبِهِ ، عَنْ قِسْيَ نَوَائِبِهِ ، فَاسْتَرْكَأَ لِي نَائِغِيَةً <sup>(٣)</sup> أَجْتَدِي ضَرْعَهَا ، وَلَا رَاغِيَةً  
ارْتَجِي نَفْعَهَا ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ مُبِينٍ عَلَى صَرْفِهِ ، أَوْ مُؤْمِدٍ <sup>(٤)</sup> عَلَى حَتْفِهِ ؟ » ، فَرَدَّ  
الْقَوْمُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُدِيلُوهُ شَيْئًا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قَدْ ضَاعَ مِنْ يَأْكُلُ مِنْ أَمْثَالِكُمْ جُودًا ، وَلَيْسَ الْجُودُ مِنْ فِعَالِكُمْ

لَا بَارِكُ اللهُ لَكُمْ فِي مَالِكُمْ وَلَا أَزَاحُ السُّوءَ عَنْ عِيَالِكُمْ

فَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ صَلَاحِ حَالِكُمْ

[١] جَهَّدَ الرَّضَى كَنَحَ : هَوَلَ .

[٢] سَنَّةٌ جَدَّةٌ : حَلَّةٌ مَجْدِيَّةٌ ، وَالْجَدَّةُ مِنَ كُلِّ حَلَوِيَّةٍ : الْقَابِلَةُ لِلَّذِينَ مِنْ عَيْبٍ ، وَالْجُدُودَةُ : الْقَلِيلَةُ مِنَ الَّذِينَ مِنْ غَيْرِ عَيْبٍ ، وَالْجَمْعُ جَدَائِدٌ وَجَدَادٌ . [٣] النَّائِغِيَّةُ : الْغَاةُ مِنَ النَّفَاةِ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ نَسُوتُ الْمَغْنَمِ ، وَالرَّائِغِيَّةُ : النَّاقَةُ ، مِنَ الرِّغَاءِ ، وَهِيَ صَوْتُ الْإِبِلِ

[٤] مُؤْمِدٌ : مُدَّةٌ عَلَيْهِ : نَصْرُهُ وَأَعَانَةُ وَقَوَاهُ .

### ٤٣ - أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :

« يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَى شَيْخٍ مُعِيلٍ ، وَعَابِرِ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ  
شَكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَدَنُهُ مَطْلُوبٌ ، وَثَوْبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :  
رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَزِمْتَنِي ، قَالَ : فَكَمْ هِيَ ؟ قَالَ : مِائَةٌ بَعِيرٍ ، قَالَ :  
دُونَكُمَا فِي بَطْنِ الْوَادِي . ( المقداد الفرزدق : ٢ : ٨٢ - ٨٣ )

### ٤٤ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :

« إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ طَرِيقٍ وَقَالِيَّةٍ <sup>(١)</sup> ، رَحِمَ اللَّهُ  
امْرَأً أَعْطَى مِنْ سَعَةٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كِفَافٍ » .  
فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دِرْهَمًا فَقَالَ : « آجَرَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَيْتَلِيكَ » .

### ٤٥ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِقَوْمٍ فَقَالَ :

« يَا قَوْمَ : تَتَابَعْتَ عَلَيْنَا سِنُونَ جَمَادٍ <sup>(٢)</sup> شِدَادٍ ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رَجْعٌ <sup>(٣)</sup> ،  
وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ <sup>(٤)</sup> ، فَتَضَبَّ الْعِدُّ <sup>(٥)</sup> ، وَنَشَفَ الْوَشْلُ ، وَأَنْحَلَّ الْخِصْبُ ،

[١] أى وحال قاسية ، وربما كمال الأصل « وظل سنة » . [٢] الجماد : السنة التى لامطر فيها .  
[٣] الرجوع : المطر ، لعمركم كل حين . [٤] أى انشقاق عن النبات ، اقتبسه من الآية الكريمة :  
« وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ » .

[٥] المد : الماء الجارى ابقى له مادة لا تنقطع كماه المن ، ونضب الماء : فار ، والوشل : الماء القليل  
يجعل من جبل أو صخرة ، ولا يحصل قطره ، ونشف الماء فى الأرض : ذهب « ونشف الخوص للماء  
حرية » وأعل : أجبب .



وَكَلَّمَ الْجَذْبَ ، وَشَفَّ<sup>(١)</sup> الْمَالَ ، وَكَسَفَ الْبَالَ ، وَشَطَفَ الْمَعَاشَ ، وَذَهَبَ  
الرَّيَاشُ ، وَطَرَحَتِ الْأَيَّامُ إِلَيْكُمْ غَرِيبَ الدَّارِ ، نَائِي الْمَحَلِّ ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعُ  
إِلَيْهِ ، وَلَا عَشِيرَةٌ أَخْتَقِي بِهَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَ رَحِمَ اغْتِرَابِي ، وَجَمَلَ الْمَعْرُوفَ  
جَوَابِي . ( الغد الفريد ٢ : ٨٠ )

#### ٤٦ - أعرابية تستجدي

وخرج المهدي يطوف بمد هذأة<sup>(٢)</sup> من الليل ، فَسَمِعَ أعرابية من جانب  
المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نَبَتَ<sup>(٣)</sup> عنهم العيونُ ، وَقَدَحَتِهم الديونُ ، وَعَصَنَتْهم  
السنونُ ، بادت رجالهم ، وَذَهَبَت أموالهم ، وَكَثُرَ عيالهم ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ  
طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يُخَيِّرُ ؟  
كَلَّاهُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَقَهُ فِي أَهْلِهِ .

فَأَمَرَ نُصَيْرًا الْخَادِمَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا خَمْسَمِائَةَ دِرْهَمٍ .

( الغد الفريد ٢ : ٨٠ ، وَزَهْرُ الْأَدَبِ ٣ : ٢٤٤ )

#### ٤٧ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يا قوم : لَقَدْ خَتَمَتِ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ عَلَى أَفْوَاهِنَا مِنْ صُبْحِ أَمْسٍ ، وَمَعَى  
بَنْتَانٍ لِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُمَا تَحَلُّلًا بِحَالٍ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمُ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ،  
وَيُرِدُ حُشَاشَتَنَا<sup>(٤)</sup> ؟ مِنْهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلِّ وَعَارٍ وَصَنَارٍ .

[١] شَفَّ : رَقَّ ، وَالشَّطَفَ بِالْتَحْرِيكِ : بَيَسَ الْعِيْشَ وَشَدَّهُ ، وَالرَّيَاشُ : الْمَالُ وَالْخَصْبُ وَالْمَعَاشُ

[٢] أَيْ حِينَ هَذَا اللَّيْلِ ، أَوْ مَرَّةً أَوَّلَ الْيَوْمِ إِلَى ثَلَاثَةِ .

[٣] الْفَتَحَتِهم وَأَزْدَرَتِهم ، وَقَدَحَتِهم : أَثَقَلَتِهم .

[٤] الْحَشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَرِيضِ ، وَالصَّنَارُ : الْقَتْلُ .

فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :  
« أَشَدُّ وَأَلَّهُ عَلَى مَنْ سُوءَ حَالِي وَفَاتِي ، تَوَهَّيْ فِيكُمْ الْمَوَاسَّةَ ، اتَّعَمِلُوا الطَّرِيقَ ،  
لَا تَصِحِّبْكُمْ اللَّهُ ! » . ( القصد الفريد ٢ : ٨٢ )

#### ٤٨ — أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :

« أَيْنَ الْوُجُوهُ الصُّبَاحُ <sup>(١)</sup> ، وَالْعُقُولُ الصُّبَاحُ ، وَالْأَلْسُنُ الصُّبَاحُ  
وَالْأَنْسَابُ الصُّرَاحُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْمَكَارِمُ الرِّبَاحُ ، وَالصُّدُورُ الْفِسَاحُ ؟ تُعِيزُنِي مِنْ  
مَقَامِي هَذَا . » ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

#### ٤٩ — أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :

« هَلْ مِنْ عَائِدٍ بِفَضْلٍ ، أَوْ مُوَاسٍ مِنْ كِفَافٍ ؟ <sup>(٣)</sup> » ، فَأُمْسِكْ عَنْهُ  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنُعْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَنَضِيعَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ )

#### ٥٠ — أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عَلَيْكَ بِالصَّيَّارِفَةِ ، قَالَ : هُنَاكَ وَأَلَّهُ  
قَرَارَةُ اللَّؤْمِ ! ( البيان والتبيين ٢ : ٤٨ )

#### ٥١ — أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَمَلُ اللَّهِ حَفْظُكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَمَلَ حَفْظِ  
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةٍ <sup>(٤)</sup> صَادِقَةٌ . » ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

[١] جمع صبيحة وهي الجيلة من الصبابة كفضاحة أى الجلال . [٢] جمع صريحة وهي الخبطة الخالصة  
[٣] الكفاف من الرزق : ما كف من الناس وأغنى . [٤] العذرة : اسم من العذر

## ٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُورِكَ فِيك ، فقال :  
فَبَحَّ اللهُ هَذَا الْقَمَمَ ، لقد تَعَلَّمَ الشَّرَّ صَغِيرًا » . (البیان والتبيين ٣ : ١٣٦)

## ٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فتموه ، فقال :  
« اللهم اشْفَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ سُخْطِكَ ، وَأَوْجِلْنَا إِلَى عَفْوِكَ ، فَقَدْ  
صَنَعَ خَلْقَكَ بِرِزْقِكَ ، فَلَا تَشْفَلْنَا بِمَا عِنْدَ مَنْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَأَتَانَا مِنَ  
الدُّنْيَا الْقُتْمَانِ »<sup>(١)</sup> ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيمَا يُسْخِطُكَ » .  
(البیان والتبيين ٣ : ٢٧٤)

## ٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :  
« أَخْ فِي كِتَابِ اللهِ ، وَجَارِ فِي بِلَادِ اللهِ ، وَطَالِبُ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللهِ ، فَهَلْ  
فِيكُمْ مِنْ مُوَاسٍ فِي اللهِ ؟ » .  
وسأل أعرابي رجلا ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجَمَلَكَ  
اللهُ صَادِقًا » . (العقد الفريد ٢ : ٨٤)

## ٥٥ - أعرابي يسأل رجلا حاجة له

أتى أعرابي رجلا (لم تكن بينه وبينه حرمة) في حاجة له ، فقال :  
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَبَسَرْتُ عَلَى الْأَمْلِ ، وَوَفَدْتُ بِالشُّكْرِ ،  
وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْ الْأَمْلَ ، وَأَحْسِنِ الْمُثُوبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّ  
الْوَدَّ ، وَتَجَلَّ الْمُرَادُ » . (العقد الفريد ٢ : ٨٧ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)

## قولهم في بكاء الموتي

٥٦ - أعرابية تبكى ابنها

وَحَبَّتْ أَعْرَابِيَةً وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ وَجِيعَةٌ فَقَالَتْ :

« وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيماً ، وَقَفَدْتُكَ سَرِيماً ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مَدَّةٌ أَلْتَذُّ بِمَيْشِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْفَصَارَةِ <sup>(١)</sup> ، وَرَوْتَنِي الْحَيَاةَ ، وَالتَّنَسُّمَ فِي طَيْبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَداً هَامِداً ، وَرُفَاتَا سَحِيحاً ، وَمَسِيداً جُرُزاً <sup>(٢)</sup> .

أَيُّ بَنِي لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبِلَى ، وَرَمَيْتَنِي بِعَدَاةِ نَكْبَةِ الرَّدَى ، أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَهْوَيْتَنِي مِنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجِرِ ظِلَالِهِ <sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبِّ ، وَمَنْكَ الْمَدْلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ ، وَهَبْتَنِي قُوَّةَ عَيْنٍ ، فَلَمْ تَحْتَمِنِي بِهِ كَثِيراً ، بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكاً <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ ، فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضَيْتُ قَضَاءَكَ ، فَرَجِمَ اللَّهُ مِنْ تَرْحَمٍ عَلَيَّ مَنْ أَسْتَوْدَعْتُهُ الرِّذْمَ <sup>(٥)</sup> ، وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَآلِسْ وَحْشَتَهُ ، وَأَسْأَلُكَ عَوْرَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ <sup>(٦)</sup> وَالسُّوءَاتُ .

[١] النصارة : النسة والحسن والبنى ، والنصاراة أيضاً : النعمة والمنة والمحب :

[٢] أطباق جمع طبق : وهو وجه الأرض ، والرفات : الحطام ، وسحيقاً : مسحوقاً ، والصعيد : التراب ، أو وجه الأرض ، وأرض جرز : لانتنت ، أو أكل نباتها ، أو لم يصحها مطر .

[٣] أسفر الصبح وسفر كسفر : أضاء وأفرق ، داج : قال الأصمسي : دجا الليل ، إنما هو ألبس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومنه قولهم : دجا الإسلام أي قوى ، وألبس كل شيء .

[٤] سريماً . [٥] الرمد : السد . وما يسقط من الجدار التهدم . [٦] السيئات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :

أى بنى : إني قد تروّدت لسفري ، فليت شعري ، ماذا لك ليُعدّ طريقك ،  
ويومِ معادِك ! اللهم إني أسألك له الرّضا برضاي عنه ، ثم قالت :

استودعتك من استودعتك في أحشائي جَنِينًا ، وأُتْكِلَ الوالدات !  
ما أَمْضَ <sup>(١)</sup> حرارةَ قلوبهن ، وأَقْلَقَ مضاجعهن ، وأطولَ ليلهن ، وأقصرَ  
نهارهن ، وأَقْلَ أنسهن ، وأشدَّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن  
من الأحزان .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عزّ  
وجل ، واسترجعت وصلت زكّاتٍ عند قبره وانطلقت . ( زمر الآداب ٢ : ٧ )

## ٥٧ — حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو علي التّالّي : عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« دَقَمْتُ يوماً في تَلْشِي بالبادية إلى وادٍ خَلَاءَ لَا أُنِيسَ بِهِ إِلَّا يَنْتُ مُعْتَمِرٌ <sup>(٢)</sup> ،  
بِفِنَائِهِ أَغْنَزُ ، وَقَدْ ظَلِمْتُ فَيَمَمْتُهُ ، فَسَلِمْتُ فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ ، كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ  
رَاحِمٌ <sup>(٣)</sup> ، فَقُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ لَبَنٍ ، فَقُلْتُ : مَا كَانَتْ يُبْعِثُ إِلَّا  
الماء ، فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ اللَّبَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ ، فَقَامَتْ إِلَى قَنْبٍ <sup>(٤)</sup> فَأَفْرَغَتْ فِيهِ مَاءً ،  
وَنَظَفَتْ غَسَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَعْزُ ، فَتَغَبَّرَتْهُنَّ <sup>(٥)</sup> حَتَّى احْتَلَبَتْ قُرَابَ <sup>(٦)</sup>

[١] مضى الشيء : بلغ من قلبه الحزن به كأنه مضى .

[٢] منفرد . [٣] الراحم : التي تحضن يفيها ، أو جبة على يفيها ورعته ، وورعت عليه

فهو مرخم وراحم . [٤] القنب : قذح إلى الصغر ، ويشبه به المائر .

[٥] أى احتلبت الغبر ( كقفل ) : وهي بقية اللبن في القرع ، وجمه أغبار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كبار وكبير وجام وجام .

مِلءَ القَعْبَ ، ثُمَّ أَفْرَغَتْ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَفَا وَطَفَقَتْ تُمَكِّثُهُ <sup>(١)</sup> ، كَأَنَّهَا تَغْمِئَةُ  
يَضَاءٍ ، ثُمَّ نَاولَتْهُ لِيَأْهَ ، فَضَرَبَتْ حَتَّى تَحْيَيْتُ <sup>(٢)</sup> رِيًّا وَاطْمَأْنَنْتُ ، فَقُلْتُ :  
إِنِّي أَرَاكَ مَعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ ، وَالْحَلَّةُ <sup>(٣)</sup> مِنْكَ قَرِيبٌ ، فَلَوْ  
انضَمَمْتَ إِلَى جَنَابِهِمْ فَأَنْتَ بِهِمْ ! فَقَالَتْ :

« يَا بَنَ أَخِي ، إِنِّي لَأَنْسُ بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرْجِعُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمِئِنُّ قَلْبِي  
إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ ، فَأَنْذِرْ مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ أَعْيَانَهُمْ ،  
وَأُتْرَأَى أَشْبَاحَهُمْ <sup>(٤)</sup> ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّةُ رِجَالِهِمْ ، وَمَلَأَعِبٌ وَلِقَائِهِمْ .  
وَمُنْدَى <sup>(٥)</sup> أَمْوَالِهِمْ ، وَاللَّهِ يَا بَنَ أَخِي لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْوَادِي بِشِعِّ الْأَدِيدِينَ <sup>(٦)</sup>  
بِأَهْلِ أَذْوَاحٍ وَقِيَابٍ ، وَنَعْمٍ كَالْهَضَابِ ، وَخَيْلٍ كَالْذَّنَابِ ، وَفَتَيَانٍ كَالرِّمَاحِ ،  
يَبَارِزُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُومُونَ الصَّبَاحَ <sup>(٧)</sup> ، فَأَحَالُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ قَبْلَ بِنْرِفَةِ <sup>(٨)</sup> ،  
فَأَصْبَحَتِ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وَكَذَلِكَ سِيرَةُ الدَّهْرِ فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ .  
ثُمَّ قَالَتْ : ارْزَمْ بَيْنَكَ فِي هَذَا الْمَلَأِ الْمَتَبَاطِينَ <sup>(٩)</sup> ، فَفَنَظَرْتُ فَإِذَا قُبُورٌ نَحْوُ  
أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَرَى تِلْكَ الْأَجْدَاثَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَتْ :  
مَا انْطَوَتْ إِلَّا عَلَى أَخٍ أَوْ ابْنِ أَخٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ أَلْمَأَتْ <sup>(١٠)</sup>  
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ، وَأَنَا أَتَقَرَّبُ مَا غَالَهُمْ ، أَنْصَرِفُ رَاشِدًا وَرَحِمَكَ اللَّهُ . (الأمالي ٧: ٢)

- 
- [١] الثَّمَلَةُ : الرِّغْوَةُ « وَهِيَ مِثْلَةُ الرِّاءِ » . [٢] امْتَلَأَتْ . [٣] الْحَلَّةُ : جَمَاعَةُ بَيُوتِ النَّاسِ  
وَالْجَمْعُ حِلَالُ كِتَابٍ . [٤] أَشْبَاحُهُمْ جَمْعُ شَيْخٍ كَشَمْسٍ وَسَيْبٍ .  
[٥] الْأُنْدِيَّةُ : أَلَدٌ يُوْرِدُ الرَّجُلَ لِبَلَدِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ ، وَلِلْمُنْدَى : الْمَكَانُ الَّذِي  
يَنْدَى فِيهِ الْمَلَأُ . [٦] بِشِعِّ : مَلَأَنَ ، الْأَدِيدَانُ : الْجَانِبَانِ ، وَالْمَوْحِشَةُ : الشَّجَرَةُ الطَّيْبَةُ .  
[٧] الصَّبَاحُ جَمْعُ صَبِيحَةٍ : وَهِيَ الْجَبَلَةُ مِنَ الصَّبَاحَةِ كَصَبَاةِ الْجَبَالِ .  
[٨] قَبْلَ الْبَيْتِ قَبْلَ : كَفَسَهُ « وَالْمَقْعَةُ : الْمَكْنَسَةُ ، وَالْقِدَامَةُ : الْكِنَاسَةُ » وَالْفَرْفَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ  
الْمَرْفِ : وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْعَجْرِ . [٩] الْمَلَأُ : الْفَضَاءُ ، وَالْمَتَبَاطِينُ : الْمَطْلَعُونَ .  
[١٠] أَلْمَأَتْ أَيِ احْتَوَتْ عَلَيْهِمْ ، وَغَالَهُمْ : أَهْلَكَهُمْ .

## ٥٨ - حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خِباء لها ، وبين يديها بُنى لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وَغَصَبَتْهُ وَسَجَّته <sup>(١)</sup> ، ثم قالت :

« يابن أخى ، قلت : ما تشاين ؟ قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت له النَّظْرَةَ <sup>(٢)</sup> ، أن لا يَدَخَ التَّوْتُق من نفسه ، قبل حَلِّ عُقْدته <sup>(٣)</sup> ، وَالْحُلُولِ بِمَقْوته <sup>(٤)</sup> ، وَالْمَحَالَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ » ، قال : وما يَقْطُر من عينها قطرة صبراً واحتساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كَانَ مَالِكٌ لِبَطْنِكَ ، ولا أَمْرٌكَ لِمَرْسِكَ <sup>(٥)</sup> ، ثم أنشدت تقول :

رَجِيبُ الدَّرَاعِ بِالْيَ لَانْثِيْنُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ صَاقَ بِهَا ذَرْعاً <sup>(٦)</sup>  
(الأمال ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

## قولهم في الشكوى

### ٥٩ - أعرابي يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ عَلَيْنَا الْبَصْرَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَصَدْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يَخْضِبُ لِحْيَتَهُ ، فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَفَنِي مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَجِئْتُكَ أَقْبَسَ مِنْ عِلْمِكَ ، فَقَالَ : أَتَيْتَنِي وَأَنَا أَخْضِبُ ، وَإِنْ الْخِضَابُ لِمَنْ عِلَامَاتُ الْكِبَرِ ، وَطَالَ اللَّهُ مَا غَدَوْتُ عَلَى صَيْدِ الْوَحُوشِ ، وَمَشَيْتُ أَمَامَ الْجِيُوشِ

[١] تسجية الميت : تغيبته ، [٢] النظرة : الإيهال . [٣] كناية من الموت .

[٤] المقوة : المحلة ، أى يقويه . [٥] الرس : امرأة الرجل .

[٦] صَاقَ بِالْأَمْرِ فَرَمَا : ضَعَفَ طَاعَتَهُ ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ الْمَكْرُوهِ قِيَةً عَظَمَاءً .

واختَلْتُ بالرِّداء ، وَهُوتُ<sup>(١)</sup> بالنساء ، وَقَرَيْتُ الضَّيْفَ ، وَأَرَوَيْتُ السَّيْفَ ،  
وَشَرِبْتُ الرِّاحَ ، وَنَادَمْتُ الْجَحْجَاحَ<sup>(٢)</sup> ، فَالْيَوْمَ قَدْ حَنَانِي الْكَبِيرَ ، وَضَمُّفَ  
مَنِ الْبَصَرَ ، وَجَاءَ بَعْدَ الصَّفْوِ الْكَدَرُ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :  
شَيْبُ تَغْيِيهِ كَيْمَا تَمُرَّ بِهِ      كَبَيْعِكَ النَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ  
قَدَكُنْتُ كَالْفُضْنِ تَرْتَاخُ الرِّيحُ لَهُ      فَصِرْتُ عُوْدًا بِلَا مَاءَ وَلَا وَرَقِ  
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إِنْ الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ      وَأَهْلُهُ مِنْهُ يَنْ الصَّفْوِ وَالرَّتْقِ<sup>(٣)</sup>  
(الأمال ٢ : ٩٤)

## ٦٠ - كلمات شتى في الشكوى

قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ أَصِيبَتْ بِابْنِهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَائِكَ ! قَالَتْ : « إِنْ فَقَدِي إِيَّاهُ  
أَمَتْنِي كُلَّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَوَّتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبَ بَعْدَهُ » ، ثُمَّ  
أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَنْ شَاءَ بِمَدَّكَ فَلَيْمْتُ      فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ  
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْأَدْيَا      رَحَقَّارُ وَمَقَابِرُ

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَزْنُكَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ قَالَ : « مَا تَرَكَ لِيَّ الْغَدَاءَ وَالْعِشَاءَ  
لِي حُزْنًا » .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَنْحَلَ جِسْمُكَ ؟ قَالَ : « سُوءُ الْغِدَاءِ ، وَجُدُوبَةُ الْمَرْغَى ،  
وَاخْتِلَافُ الْمَعْمُومِ فِي صَدْرِي » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :



الهمُّ ما لم يُنْقِضْهُ لِسِيلُهُ      دأبُ تَضَمُّنِهِ الضَّلُوعُ عَظِيمُ  
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا      إن الذي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

\*\*\*

وقيل لأعرابي قد أخذ به السِّنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحتُ  
تَقِيدُنِي الشَّعْرَةُ ، وَأَعْتُرُّ فِي الْبَهْرَةِ ، قَدْ أَقَامَ الدَّهْرُ صَعْرِي ، بَعْدَ أَنْ أَقْتَصَعَرَهُ » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لَقَدْ كُنْتُ أَتُكِرُّ الْبَيْضَاءُ ، فَصِرْتُ أَتُكِرُّ السُّودَاءُ ،  
فِيَا خَيْرَ مَبْدُولٍ ، وَيَا شَرَّ بَدَلٍ ! » .

\*\*\*

وذكر أعرابي منزلاً بَادَ أَهْلُهُ فقال : « مَنَزِلُ وَاللَّهِ رَحَلَتْ عَنْهُ رِبَابُ  
الْحُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ<sup>(١)</sup> الْقُدُورِ ، وَقَدْ اكْتَسَى بِالنَّبَاتِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَ  
الْحُلْمَلْ ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَمْقُونُ<sup>(٢)</sup> فِيهِ آثَارَ الرِّيحِ ، وَأَصْبَحَتْ الرِّيحُ تَعْفُو آثَارَهُمْ ،  
فَالْمَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْمَلْتَقَى بَعِيدٌ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوما تغيرت أحوالهم فقال : « أَعْيُنُ وَاللَّهِ كُحِلَتْ بِالْمَهْرَةِ  
بَعْدَ الْحَبْرَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَنْفُسُ لَبِسَتْ الْحَزْنَ بَعْدَ السُّرُورِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوما تغيرت حالهم فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ فِي عَيْشٍ رَقِيقٍ  
الْحَوَاشِي ، فَطَوَاهِ الدَّهْرُ بَعْدَ سَعَةِ ، حَتَّى لَبِسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقُرْ<sup>(٤)</sup> ، وَلَمْ أَرَ صَاحِباً

[١] الرواحل جمع راحلة : وهو في الأصل : الناقة الصالحة لأن ترحل ، والمراد هنا الحوامل التي تحمل  
الحمول ، أي الأنثى . [٢] مما للزَّل : درس ، وعلته الرِّيح ، يصدى ويلزم ، وبإيها هنا ،  
وعنه الرِّيح أيضاً بالتعديد للبالغة . [٣] الهبرة : السُّرُور . [٤] القرّ مثلث القاف : البرد .

أَغْرَمَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا ظَالِمًا أَغْشَمَ<sup>(١)</sup> مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ عَصَفَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
أَرْذَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ وَكَلَّ بِهِ الْمَوْتُ أَفْنَاهُ .



وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى دَارِ قَدْبَادٍ أَهْلَهَا فَقَالَ : « دَارُ اللَّهِ مُتَّصِرَةٌ لِلدَّوْعِ ،  
حَطَّتْ بِهَا السَّحَابُ أَثْقَالَهَا ، وَجَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ أَذْيَالَهَا . »



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا تَغَيَّرَ حَالُهُ فَقَالَ : « طَوَّيْتُ صَحِيفَتَهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،  
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْعَيْشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفِيفُهُ . »



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا ضَاقَ عَيْشُهُ بَعْدَ سَعَةٍ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ فِي ظِلِّ عَيْشِهِ  
مَمْدُودٌ ، فَقُدِّحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَابِيَةٍ<sup>(٣)</sup> . »

( القند الفريد ٢ : ٧٩ - ٨٠ )



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ مُصِيبَةً نَالَتْهُ ، فَقَالَ : « مُصِيبَةٌ وَاللَّهِ تَرَكْتُ سُودَ الرُّءُوسِ  
يَبِيضًا ، وَبَيَضَ الْوُجُوهَ سُودًا ، وَهَوَّاتِ الْمَصَائِبِ بَعْدَهَا . »

( القند الفريد ٢ : ٧٩ ، وَزَهْرُ الْأَدَابِ ٢ : ٥ )



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ قَطِيعَةً بِمَضَى إِخْوَانِهِ فَقَالَ : « صَفَرْتُ عِيَابُ<sup>(٤)</sup> الْوُدِّ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا ، وَأَقْفَرْتُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ بِمَاءِهَا ، فَأَذْبَرْتُ مَا كَانَ مُقْبَلًا ،  
وَأَقْبَلْتُ مَا كَانَ مَدْبِرًا . » ( القند الفريد ٢ : ٧٩ ، وَزَهْرُ الْأَدَابِ ٢ : ٤ )

[١] أَظْلَمَ . [٢] أَهْلَكَاهُ . [٣] الزُّنْدُ : الْعُودُ الَّذِي يَقْرَحُ بِهِ النَّارُ ، وَكَأَنَّ الزُّنْدَ : لَمْ يَخْرُجْ  
نَارُهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « زَنْدٌ مِنْ كَابِيَةٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
[٤] صَفَرْتُ : خَلْتُ ، وَعِيَابٌ جَمْعُ عِيَةٍ بِالْفَتْحِ : مَا يَجْعَلُ فِيهِ الْثِيَابُ .

✽

وقيل لأعرابي : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : « من طال أمدُّه ، وكثر ولده ، ودَفَّ عَدَدُهُ ، وذَهَبَ جَلَدُهُ ، ذهبَ شبابه » .

( القد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧ )

✽

وسئل أعرابي عن سَفَرٍ أَكْدَى<sup>(١)</sup> فيه ، فقال : « ما غَنَمْنَا إِلَّا ما قَصَرْنَا في صلاتنا ، فأما ما أَكَلْتَهُ المَواجِرُ<sup>(٢)</sup> ، وَلَقِيتُهُ مِنَ الأَبْعَرِ<sup>(٣)</sup> ، فَأَمَرْتُ اسْتَخْفَفْنَاهُ لِمَا أَمَلْنَا » .

✽

وقالت امرأة من الأعراب : « أَصْبَحْنَا ما يَرْقُدُ لَنَا قَرَسٌ ، وما ينام لنا حَرَسٌ » .  
( اليل والتبين ٢ : ٨٢ )

✽

وقال أعرابي : « مَضَى لَنَا سَلَفُ أَهْلِ تَوَاصُلٍ ، اعتقدوا<sup>(١)</sup> مِنَّنَا ، واتخذوا الأيادي ذخيرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، يَرَوْنَ اصْطِنَاعَ المَرُوفِ عَلَيْهِمْ قَرَضًا لازِمًا ، وإظهارَ البرِّ واجبًا ، ثم جاء الزمان بينين<sup>(٢)</sup> ، اتخذوا مِنْتَهُمْ بضاعة ، وَيَرِّمُ مَرَابِجَهُ<sup>(٣)</sup> ، وأيادِيَهُمْ تجارة ، واصْطِنَاعَ المَعْرُوفِ مُقَارَضَةً ، كَنَقْدٍ ، خُذْ مِنِّي وَهَاتِ » .

✽

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام العِدَّة ، وانقضاء المدة » .

✽

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرَّ فقال : « يا هذا : أَتَشْكُو مِنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ ؟ » .  
( القد الفريد ٢ : ٨٥ )

[١] أصله من « حفر فأكدى » أى صادف الكدية - والكدية كفرصة : الأرض الفليطة ، والصفاء المظلمة الشديدة . [٢] المَواجِر جمع هاجرة ، وهى شدة الحر .  
[٣] من اعتقد مالا : افتناه . [٤] رابحه على السلامة : أعطاه وبجأ .

✽

ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هي رثقة <sup>(١)</sup> المشارب ، حجة المصائب ، لا تُمَتِّمُكَ الدهرَ بِصاحب . »

✽

وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أَسْمِيَّةَ <sup>(٢)</sup> تُوضَع ، وأخفافاً تُرْفَع ، والخير يُطَلَّب عند غير أهله ، والفقر قد حلَّ غير محله . »  
( العقد الفريد ٢ : ٨٦ )

✽

وقيل لأعرابي : كيف ابتك - وكان به طاقا - قال : « عذابٌ لا يقاومه الصَّبرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليكني قد استودعته القبر . »  
( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )

✽

عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قديم الحفْرة <sup>(٣)</sup> ، ما أقدَمَكَ ؟ قال :  
« الحَيْن <sup>(٤)</sup> ، الذي يُنْطَى الْعَيْن . » ( الأمل ١ : ٢٠٢ )

✽

وأصيب أعرابي بآبن له ، فقال وقد قيل له أصبر : « أَعْلَى الله أَنَجِلَّد ، أم في مصيبتى أتبلد ؟ والله لَلْجَزَع من أمره أحبُّ إلىَّ الآن من الصبر ، لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لم أفرح بالمزيد . »  
( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )

✽

وقيل لأعرابي : لِمَ لا تَضْرِب في الأرض ؟ فقال : « بمنعني من ذلك ، طِفْلٌ بَارِكٌ ، ولِعَنَ سَافِكٌ ، ثم إنى لست بعد ذلك واثقاً بِنُجْح طِلْبَتِي ، ولا مُعْتَقِداً

[١] كدرة . [٢] جمع سنام ، والمراد ما كان حاليًا .

[٣] الحفرة : خلاف البادية كالطهر بالصعرك . [٤] الهلاك .

قضاء حاجتي ، ولا راجياً عطف قرايتي ، لأنني أقدم على قوم أطعمهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدتم الزمان ، وأسكروهم حداثة الأسنان .

( زمر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

وقال بعض الأعراب : « نالنا وشيئاً <sup>(١)</sup> ، وخلفه وليٌّ ، فالأرض كأنها وشي <sup>(٢)</sup> عبقريٌّ ، ثم أتتنا غيوم جرّادٍ ، بمنجل حوادة <sup>(٣)</sup> ، نغربت البلاد ، وأهلك المباد ، فسبحان من يهلك القوى الأكول ، بالضعيف المأكول .

( زمر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦١ - قولهم في العتاب والاعتذار

عاب أعرابي أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حقدك عليّ لا يذهب صغير حقك عليك ، والذي تمتّ به <sup>(١)</sup> إليّ ، أمتّ بمثله إليك ، ولست أزعم أنا سواها ، ولكنني أقول : لا يحلّ لك الاعتداء .

( البيان والبيان ٣ : ٢٣١ ، وزمر الآداب ٣ : ١٠٠ )

وقال أعرابي لصديق استبطأه فلأَمّه : « كانت بي إليك زلّةٌ يمنني من ذكرها ما أملتُ من تجاوزك عنها ، وليس أعتذرُ إليك منها إلا بالإفلاق عنها .

وقال آخر لابن عمّ له : « والله ما أعرف تقصيراً فأفليس ، ولا ذنباً فأغيب ، ولست أقول إنك كذبت ، ولا إنني أذنبت .

( زمر الآداب ٣ : ١٦٣ )

[١] الوهمي : مطر الريح الأول ، والولي : للطر الذي يأتي بعد المطر .

[٢] الوشي : هش الثوب ، والعبقري : للمنقطع النظير ، نسبة إلى عبقر ، موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن ، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من خلقه ، أو جودة صنعه .

[٣] المنجل جمع منجل كبير : حديدة يقضب بها الزرع ، وحوادة جمع حادة : أي قاطعة ، وقى الأمل

« حراد » وأراه محرّفاً . [٤] تتوسل .



وقال آخر لابن عم له : « سَأَتَخَطَّى ذَنْبَكَ إِلَى عُذْرِكَ ، وَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَحَدِهِمَا عَلَى يَقِينٍ ، وَمِنْ الْآخَرِ عَلَى شَكٍّ ، وَلَكِنْ لِيَتِمَّ الْمَعْرُوفُ مِنِّي إِلَيْكَ ، وَتَقُومَ الْحُجَّةُ لِي عَلَيْكَ » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٥ )



وَعَدَلْتُ أَعْرَابِيَةَ أَبَاهَا فِي الْجُودِ وَإِتْلَافِ مَالِهِ ، فَقَالَتْ : « حَبَسُ الْمَالُ ، أَفْنَعَ لِلْعِيَالِ ، مِنْ بَذْلِ الْوَجْهِ فِي السُّؤَالِ ، فَقَدْ قَلَّ النُّوَالُ ، وَكَثُرَ الْبُهْخَالُ ، وَقَدْ أَتْلَفَتِ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ، وَبَقِيَتْ تَطْلُبُ مَا فِي أَيْدِي الْعِبَادِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ مَا يَنْفَعُهُ ، أَوْشَكَ أَنْ يَسْعَى فِيمَا يَضُرُّهُ » . ( زهر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رَأَيْتُنِي فِيمَا أَتَمَاعَى مِنْ مَدْحِكَ ، كَأَلْخَبِرٍ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الْبَاهِرِ ، وَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى النَّازِرِ ، وَأَيَقَنْتُ أَفَى حَيْثُ انْتَهَى بِنِ الْقَوْلِ ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ ، مُقْصَرٌ عَنِ الْغَايَةِ ، فَانصرفت عن الثناء عليك ، إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ ، وَوَكَلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ ، إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )



وَأَتْنِي أَعْرَابِي عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ : « إِنْ خَيْرِكَ لَسَرِيحٌ » ، وَإِنْ مَنَعَكَ لَمُرِيحٌ ، وَإِنْ رَفَدَكَ لَرِيحٌ » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي كِلَابٍ يَذْكُرُ رَجُلًا

فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ الْقَهْمُ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرَأِ أَحَدًا كَانَ  
أَرْتَقَى لِحْلَلِ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبْعَدَ مَسَافَةَ رَوِيَّةٍ ، وَمُرَادٌ <sup>(١)</sup> طَرَفٌ ، إِنَّمَا يَرَى  
بِهِمْتِهِ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكَرْمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ،  
وَيُسْقِيهِمْ عُذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » . (الأمل : ١٦ : ٢ ، والهدى الفريد : ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب : ٣ : ٢)

وَقَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ  
بَدُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءُ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَمَنْ قَاصَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .  
(الأمل : ١ : ١٦٦ ، والهدى الفريد : ٨٩ : ٢)

وَوَصَفَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ وَاللَّهِ مِمَّنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيَتَوَاصَفُ  
حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمْرَأُ <sup>(٢)</sup> ظُلْمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعَلَ ، وَإِنْ وَلَّى عَدَلَ » .  
(البيان والتبيين : ٢ : ١٥٨ ، والهدى الفريد : ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب : ٣ : ٢)

وَذَكَرَ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ : « أَذَبْتُهُمُ الْحِكْمَةَ ، وَأَحْكَمْتُهُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ  
تَنْفَرُمْ السَّلَامَةَ الْمُنْطَوِيَّةَ عَلَى الْمَلَكَةِ ، وَجَانِبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ  
مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا  
الْمَقَالَ ، وَشَقَقُوهُ بِالْفِعَالِ » .

(الأمل : ٢ : ٧٣ ، والبيان والتبيين : ٣ : ٢٢١ ، والهدى الفريد : ٨٨ : ٢)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : وَصَفْتُ أَعْرَابِيَّةً زَوْجَهَا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ عِنْدَ  
أُمِّهَا ، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّةُ ، مِنْ نَشَرَ ثَوْبِ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] رُبِدَ الْإِبِلُ : اخْتَلَفَ فِي اللَّحْمِ مَقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً ، وَالْوَضْعُ مَرَادٌ وَمُسْتَرَادٌ .

[٢] لَا يَسْتَمْرَأُ ، مِنْ اسْتَمْرَأَ الطَّعَامُ : وَجَدَهُ مَرِيضًا أَوْ مَنِيحًا حَيْثُ لَمَبَهُ .

كِثَانُ الشُّكْرِ جُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعَمِ ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيْ بُنَيَّةُ : أَطْلَبْتُ الشَّاءَ ، وَقَتَّ بِالْجَزَاءِ ، وَلَمْ تَدْعِي لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمِّهِ وَلَا ثَنَاءً إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّهُ ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .  
( الأمل ١ : ٢٢٥ ) .

ووصف بعض الأعراب أميراً فقال : « إِذَا أَوْعَدَ آخَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ نَجَلَ ، وَعَبِدَهُ عَفْوً ، وَوَعَدَهُ إِنْجَازً » . ( اليال واليبين ٣ : ٢١٧ )

ونعت أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ الْأَلْسُنُ وَالْقُلُوبُ رِيضَتْ لَهُ ، فَمَا تَنْعَقِدُ إِلَّا عَلَى وَدِّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .  
( اليال واليبين ٣ : ٢٣١ ، والقصد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٣ )

وذكر رجل عند أعرابي فوقع فيه قوم فقال : « أَمَا وَاقِهِ إِنَّهُ لَا كَلْكُكُمْ لِلنَّادُومِ ، وَأَعْطَاكُمْ لِلْمَبْرُومِ <sup>(١)</sup> ، وَأَكْسَبَكُمْ لِلْمَعْدُومِ ، وَأَعْطَفَكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ » .  
( الأمل ٢ : ١٦ ، واليان واليبين ١ : ١٦٣ )

وأعطى رجل أعرابياً فأكثر له ، فقال له الأعرابي : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قَدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمْلِي فِيكَ » . ( الأمل ٢ : ٥٠ )

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ وَاقِهِ يُعْنَى <sup>(٢)</sup> فِي طَلَبِ الْمَكَارِمِ ، غَيْرَ ضَالٍّ فِي مَعَاجِرِ طَرَفِهَا ، وَلَا مُتَشَاغِلٍ عَنْهَا بِشِيرِهَا » .  
( الأمل ٢ : ٥٠ ، والقصد الفريد ٢ : ٨٩ )

[١] أَيْ لِلْمَالِ الْغَرُومِ ، فَنَ لُزْمِهِ غَرَمَ حَلِّهِ عَنْهُ . [٢] أَيْ يَضِبُّ وَيَضْبُ .



ودخل أعرابي على زجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : انجلى زماماً من أزمّتك يُجَرِّبها الأعداء ، فإنّ مسرّعَ حربٍ <sup>(١)</sup> ، وَرَكَّابُ نُجُبٍ ، شديد على الأعداء ، ليّن على الأصدقاء ، منطوى الحصيلة <sup>(٢)</sup> ، قليل الثميلة ، غرار النّوم ، قد غدّنتى الحرب بأفاويقها <sup>(٣)</sup> ، وحلّبت الدهر أشطّره ، ولا تمنك منى الدّمامة <sup>(٤)</sup> ، فإن من تحتها شهامة .

(الغد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠)

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستخكم السبب ، من أى أقطاره أتيت ، تنى عليه بكرم فيال ، وحسن مقال .

(زهر الآداب ٢ : ٦ ، والغد الفريد ٢ : ٨٩)

ومدح أعرابي رجلاً فقال « كأنّ والله يفصيل من العار وجوهاً مُسَوِّدة ، ويفتح من الرأى عيوناً مُنْسَدّة .

(الغد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)

وذكر أعرابي قوماً عبّاداً فقال : « تركوا والله النعم لينتعموا ، لهم عبّرات متداقة ، وزّقرات متتابعة ، لا ترام إلّا فى وجهٍ وجيه عند الله .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « ما رأيت أسرع إلى داج بئيل ، على قرّس حسيب ، وجل نجيب <sup>(٥)</sup> ، ثم لا ينتظر الأول السابق ، الآخر اللاحق .

[١] أى مولدها ، والنّجب جمع نجيب . [٢] حصل الفهم تحصيلاً : جمه ، والاسم الحصيلة ، واللحن مكتم السر ، والتميلة فى الأصل : ما يبقّى فى بطن الدابة من الحلف والماء ، وما يخرجه الإنسان من طام أو غيره ، وفى حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقد وليتك الرايين ، فسر إليها منطوى النيلة » واللحن فسر إليها عفا ، والتمرا : القليل من النوم . [٣] الأفاويق جمع أفراف ، وهو جمع فيعة بالكسر ، والفيعة : اسم الذين يجتمع فى الفروع بين الحبطين . [٤] العمادة : قبح للنظر . [٥] النجيب : أجل السرع الخفيف فى السير .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم متاديل أعراضهم ، فالتخير بهم  
أشد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ،  
رِيَاشِرُونَ المعروف بإشراق الوجوه إِذَا بُعِيَ لَدَيْهِمْ .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطئناه  
بأخماس<sup>(١)</sup> أقدامنا ، وإنْ أَقْصَى هِمَمِهِمْ لَا ذَنْقَ فِعَالِنَا »

✽

وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَ لَمْ يُطَاقِبْ بَيْنَ جُفُونِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَأُرْسِلَ  
الْمُيُونُ عَلَى عِيُونِهِ ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، فَالْحَسَنُ رَاجٍ ، وَالْمُسِيءُ خَائِفٌ » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً بिरاعة المنطق فقال : « كَانَ وَاللَّهِ بَارِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ  
الْأَلْفَافِ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ،  
قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، مَا كُنَ الْإِشَارَاتِ »

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رَأَيْتَ لَهُ حِلْمًا وَأَنَّةً ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى  
مَقَاطِعِهِ ، وَيُنَشِّدُ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ<sup>(٣)</sup> ، فَلَا تَسْمَعُ لَهُ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً<sup>(٤)</sup> » .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « آلَتْ<sup>(٥)</sup> سِيُوفُهُمْ أَلَّا تَقْضَى دَيْنُنَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا  
تَضَيَّعَ حَقُّنَا لَهُمْ ، فَاأْخِذْ مِنْهُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكٌ لَهُمْ » .

[١] جمع أخمس كآخر ، وهو من باطن القدم ما لم يصب الأرض .

[٢] أي لم ينم عن شئون رعيته ، والعيون : الجواسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرجة : المنصب والملك . [٤] أحال الكلام إحالة : إذا أفسده ، وأحال

من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحال : أتى بالحال وتكلم به . [٥] حلفت .

✽

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « ما رأيت عيناً قط أُخْرِقَ لِظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ عَيْنِهِ ، وَخَفَلَةُ أَشْبَهَ بِلَهَبِ النَّارِ مِنْ لَحْظَتِهِ ، لَهُ هِزَّةٌ كَهِزَّةِ السِّيفِ إِذَا طَرَبَ ، وَجُرْأَةٌ كَجُرْأَةِ اللَّيْثِ إِذَا غَضِبَ » .

✽

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَتْ ظُلْمَةٌ لَيْلَهُ كَضَوْءِ نَهَارِهِ ، آمِراً بِارْتِيَادِ ، وَنَاهِياً عَنْ فِسَادِ ، لَحْيِبِ السُّوءِ غَيْرِ مَنْقَادِ » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « اشْتَرَى وَاللَّهِ عِرْصَتَهُ مِنَ الْأَذَى ، فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ فَأَقْفَعَهَا ، لَرَأَى بِمَدِّهَا عَلَيْهِ حُقُوقًا ، وَكَانَ مِنْهَا جَاً لِلْأُمُورِ الْمُشْكِلَةِ إِذَا تَنَاجَزَ النَّاسُ بِاللَّامَةِ »

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « يُقَوِّقُ <sup>(١)</sup> الْكَلِمَةَ عَلَى الْمَعْنَى ، فَتَمْرُقُ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرِّمِيَّةِ ، فَمَا أَصَابَ قَتْلَ ، وَمَا أَخْطَأَ أَشْوَى <sup>(٢)</sup> ، وَمَا غَطَّطَ <sup>(٣)</sup> لَهُ سَهْمٌ مِمَّنْ تَحْرُكُ لِسَانُهُ فِي فِيهِ » .

✽

وذكر أعرابي أخاه فقال : « كَانَ وَاللَّهِ رَكُوبًا لِلْأَهْوَالِ ، غَيْرَ أُلُوفٍ لِلْجِبَالِ <sup>(١)</sup> ، إِذَا أُرْعِدَ <sup>(٢)</sup> لِقُومٍ مِنْ غَيْرِ قُرٍّ ، يَهِنُ نَفْسًا كَرِيمَةً عَلَى قَوْمِهَا ، غَيْرَ مُبْتَقِيَةٍ لَعْدٍ مَا فِي يَوْمِهَا » .

[١] يَسْتَدُّ وَيَسُوبُ ، وَالرِّمِيَّةُ : مَا يَرْمِي . [٢] أَشْوَاهُ أَصَابَ شَوَاهُ ، وَالشَّوَى كَمَا : الْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ وَالْأُطْرَافُ وَلَفَّ الرَّأْسَ وَمَا كَانَ غَيْرَ مَقْتُلٍ . [٣] الْغَطَّطَةُ : حِكَايَةُ صَوْتِ الدُّرِّ فِي الْغُلْيَانِ وَمَا أَشْبَهَهَا وَلَوْ يَكُونُ الْأَصْلُ « وَمَا غَطَّطَ » أَيْ مَا اضْطَرَبَ مِنَ النُّطْطَةِ وَهُوَ اضْطِرَابُ مَوْجِ الْبَحْرِ . [٤] الْمَجَالُ جَمْعُ حَبْلَةٍ بِالتَّحْرِيكِ : الْقَبَّةُ وَمَوْضِعُ يَزِينَ بِالْثِيَابِ وَالتَّنُورِ الْقُرُوسُ ، وَالْمَرَادُ الْقَاءُ . [٥] أُرْعِدَ : أَخَذَتْهُ وَهْدَةٌ .



ومدح أعرابي رجلا فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ  
بَحَرَ لَا يُخَافُ كَذْرَهُ »



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ فَقِيَ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاشِئًا ، فَأَحْسَنَ  
لِنَفْسِهِ ، وَزَيَّنَ بِهِ نَفْسَهُ »



ومدح أعرابي رجلا فقال : « يُعِمْهُ أَذْيُهُ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخُفَا ، وَيُخْرِسُ  
لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمَصْقَعُ الْخَطِيبُ » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَهْرُوفِهِ قَبْلَ طَلْبِي إِلَيْهِ ،  
فَالْعِرْضُ وَافِرٌ ، وَالْوَجْهُ بِمَاءِهِ ، وَمَا اسْتَقَلَّ <sup>(٢)</sup> بِنِعْمَةٍ إِلَّا أَقْفَلَنِي بِأُخْرَى » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ رَضِيعُ الْجُودِ وَالْمَفْطُومُ بِهِ ، عَقِيمٌ عَنِ  
النَّفَحِشَاءِ ، مُتَّصِمٌ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ <sup>(٣)</sup> الْأَلْسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ  
بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرْنَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نِهَايَةً ،  
تَهَلَّلَ أَمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « إِنْ جَلِيسُهُ لِعَطِيبٍ عِشْرَتِهِ أَطْرَبُ مِنَ الْإِبِلِ  
عَلَى الْحُدَاةِ ، وَالْإِثْمَلُ عَلَى الْغِنَاءِ »

[١] الشريب والفراب : ما يهرب ، المصق : البليغ أو العالي الصوت أو من لا يرتج عليه في كلامه  
ولا يهتصم . [٢] أي وما أجل ، وأطلق : أوجس وردني . [٣] حذفت : رمت .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كان له عِلْمٌ لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه كذب ، كأنه الوَبَلُ عند المَعْلِ » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ما رأيتُ أُعْشِقَ للمعروف منه ، وما رأيتُ المنكرَ أبغضَ لأحدٍ بُغْضَهُ له » .

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بني بَرَمَتِكَ ، فقيل له كيف رأيْتهم ؟ قال : « رأيْتهم وقد أنِسْتُ بهم النعمة ، كأنها من ثيابهم » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ما زال يَبْنِي المجد ، وَيَشْتَرِي الحمد ، حتى يبلغ منه الجهد » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من المدوح ، وإني والله ما رأيتُ أُعْشِقَ للمكارم في زمان اللؤم منك ، وأنشد :

مالي أرى أرواحهم مَهْجُورَةٌ ؟      وكان بابك يجمع الأسواق  
حايوك أم هابوك أم شامو الندى      يديك فاجتمعوا من الآفاق  
إني رأيتك للمكارم حاشقاً      والمكرّمات قليلة العُشاقِ

( العدد الجديد ٢ : ٨٨ - ٩٠ )



وضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :  
 ما أدري ما أقول ؟ أقول : رَحَمَكَ اللهُ ؟ فقد رَحَمَكَ ، أم أقول : نَوَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 نَوَّرَكَ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَّنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جملني اللهُ فِذَاكَ . ( العدد الفريد ٢ : ٩٧ )



وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَأَقْبَهُ إِذَا أَصْطَفَوْا نَحْتَ الْقِتَامِ »<sup>(١)</sup> ،  
 خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، يَوْفُوْدُ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاغُوا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ<sup>(٢)</sup> الْمَنَائِي  
 أَفْوَاهَهَا ، قَرُبَ يَوْمِ حَارِمٍ<sup>(٣)</sup> قَدْ أَحْسَنُوا أَدَبَهُ ، وَحَرِبَ عُبُوسٌ قَدْ صَا حَكَمَتَهَا  
 أَسِنَّتُهُمْ ، وَخَطَبِ شَنْزٍ<sup>(٤)</sup> قَدْ ذَلَّلُوا مَنَاكِبَهُ ، وَيَوْمَ تَحْمَاسٍ<sup>(٥)</sup> قَدْ كَشَفُوا ظُلْمَتَهُ  
 بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِ ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشَى<sup>(٦)</sup> غِمَارُهُ ، وَلَا يُنْهَتَى  
 تِيَارُهُ . ( الأمل ١ : ١٣٩ ، والعدد الفريد ٢ : ٨٨ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )



ووصف أعرابي رجلا فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طَبَاقًا مِنَ الْهَوَاءِ ،  
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . ( زهر الآداب ٢ : ٣ )

[١] القِتَامُ : الدُّبَارُ ، وَالْحِمَامُ : اللَّوْنُ ، وَرَوَايَةُ الْعَدَدِ : « كَانُوا إِذَا أَصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »  
 - سَفَرَتْ بَيْنَ الْهَرَمِ كَعَرَبٍ وَهَرَمٍ : أَصْلَحَ - . [٢] فَفَرَّتْ : فَتَحَتْ .  
 [٣] الْحَارِمَةُ : الْفَتْحُ وَالْغَرَامُ بِالْفَمِ : الْفَرَاةُ وَالْأَفْئُ ، هَرَمٌ كَعَرَبٍ وَهَرَبٌ وَكَرَمٌ وَعَلَمٌ .  
 [٤] شَنْزٌ : شَدِيدٌ . عَلَقٌ . [٥] تَحْمَاسٌ : الْعِلَاسُ مِنَ الْعِيَالِ : الْعَظْمُ الشَّدِيدُ وَأَمْرٌ لَا يَخَامُ لَهُ وَلَا يَهْتَدِي لَوَجْهِهِ  
 [٦] لَا يُنْكَشَى : لَا يَنْزَحُ ، وَالْفَنَارُ جَمْعُ فَنَرٍ كَعَرَبٍ : وَهُوَ الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، وَنَهْنَهَ : كَفَهُ وَزَجَرَهُ وَفَا  
 رَوَايَةُ الْعَدَدِ : « إِنَّمَا قَرَّبُوا الْبَحْرَ مَا أَكْثَرَتْهُ النَّجْمُ » ، وَرَوَايَةُ زَهْرِ الْآدَابِ : « إِذَا أَصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ  
 السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاغُوا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ لَهُ الْحِمَامُ » .



ووصف أعرابي قومه فقال : لِيُوثُ حَرْبٌ ، وَغِيُوثٌ جَدْبٌ ، إِنْ قَاتَلُوا  
أَبْلَوْا ، وَإِنْ بَدَلُوا أَغْنَوْا . (زمر الآداب ٢ : ٤)



وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إِذَا بَنَتِ الْأُصُولُ فِي الْقُلُوبِ ،  
نَطَقَتِ الْأَلْسِنَةُ بِالْفُرُوعِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي لَكَ شَاكِرٌ ، وَلِسَانِي ذَاكِرٌ ، وَحَالِي  
أَنْ يَظْهَرَ الْوُدُّ الْمُسْتَقِيمُ ، مِنْ الْفَوَادِ السَّقِيمِ » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٥)



وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يَقْتُلُونَ الْفَقْرَ ، عِنْدَ شِدَّةِ الْقُرِّ<sup>(١)</sup> ،  
وَأَرْوَاحِ<sup>(٢)</sup> الشَّتَاءِ ، وَهَبُوبِ الْجَزْيَاءِ<sup>(٣)</sup> ، بِأَسْنَعَةِ الْجَزُورِ ، وَمُتَرَعَاتِ<sup>(٤)</sup>  
الْقُدُورِ ، تَحْسُنُ وَجُوهَهُمْ عِنْدَ طَأْبِ الْمَرْوِفِ ، وَتَعْبِسُ عِنْدَ لَمَعَانِ السِّيُوفِ » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ جُودٌ كَرَامٍ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُهَا ، وَبَأْسُ  
لِيُوثٍ تَذَبُعُهَا أَشْبَاهُهَا ، وَهَمَمٌ مَلُوكٍ انْفَسَحَتْ آمَالُهَا ، وَتَفَرُّ صَمِيمِ آبَاءِ  
شَرَفَتْ أَحْوَالُهَا » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٧)



[١] القرّ بتثنية القاف : البرد . [٢] جمع ربح كريح . [٣] دبح الضمّال أو بردها .

[٤] جمع مترعة : وهي الملوحة .

## ٦٣ - قولهم في الذم

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أولئك سلخيت أبقاؤهم بالهجاء ، ودُبِعتْ وجوههم باللؤم ، لبأسهم في الدنيا الملامّة ، وزادهم إلى الآخرة الندامة » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « لهم ييوتٌ تُدْخِلُ حَبَوًّا ، إلى غيرِ تَمَارِقٍ <sup>(١)</sup> ولا وسائد ، فُصْحُ الألسُنِ برَدُّ السائل ، جِعَادُ الأَكْفِ عن النَّائِل <sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لقد صَمَّرَ فلاناً في عيني عِظَمَ الدنيا في عينه ، وكأنما يرى السائل إذا أتاه ، مَلَكَ الموت إذا رآه » .

\*\*\*

وسئل أعرابي عن رجل فقال : « ما ظنكم بِسِكِّيرٍ لا يُفِيق ، يَتَّهِمُ الصديق ، وَيَمْنَعِي الشفيق ، لا يكون في موضع إلّا حَرُمْتُ فيه الصلاة ، ولو أَفْلَنْتُ كلمةٌ سِوَهُ لم تُصِرْ إلّا إليه ، ولو نزلت لعنةٌ من السماء لم تقعْ إلّا عليه » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن فلاناً لِيُمْدِي بِإِثْمِهِ ، مَنْ نَسِيَ بِإِثْمِهِ ، وَلَنْ خَيَّبَنِي فُلُوبٌ بَاقِيَةٌ قد ضاعت في طلب رجل كريم »

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « تَقْدُوا إِلَيْهِ مَرَاكِبُ الضلالة ، فترجع من

[١] التمارق جمع نمرقة (بالضم) : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] النَّائِل : النائل : وهو جند البدين أو الأناذل (كفيس) : أي بخيل ، وقد جمعوا جند الشر على جِهاد ككتاب كلّي الأسان ، فليكن هذا مثله ، وقد جاء في الأصل « جند » بدون ألف ، وأراه محرفاً ، إذ لا يجمع جند (بفتح) على جند بضم فسكون ، ولا على جند بضمين .



عنده يبدور الآثام ، مُتَمَدِّمٌ مِمَّا تَحِبُّ ، مُكْتَرِ مِمَّا تَكْرَهُ ، وصاحب السوء  
قطعة من النار .



وقال أعرابي لرجل : « أنت والله ممن إذا سأل الحلف ، وإذا سُئِلَ سوِّف ،  
وإذا حَدَّثَ حَلَف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حَسُود ، وتُغْرِضُ  
إِعْرَاضَ حَقُود » .



وسافر أعرابي إلى رجل غمره ، فقال لِمَا سئِلَ عن سفره : « مارِ بِحُنَا فِي  
سَفَرِنَا إِلَّا مَا قَصَرْنَا مِنْ صَلَاتِنَا ، فَأَمَّا الَّذِي لَقِينَا مِنَ الْهَوَاجِرِ » ، وَلَقِيتُ مِنَّا  
مِنَ الْأَبَاعِرِ ، فَعَقُوبَةُ لَنَا فِيمَا أَفْسَدْنَا مِنْ حَسَنِ ظَنِّنَا ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :  
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا وَمَا خَابَتْ صَرِيَّةُ سَالِمِينَا



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبًا مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،  
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَقْبَحْ وَجْهَكَ إِلَى قَبْحه ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتَكَ لَطِيفٍ رَافِعًا ،  
وَلَا خُلُوفٍ رَافِعًا » .



وذم أعرابي رجلاً فقال : « عَبْدُ الْفَعَالِ ، حُرُّ الْمَقَالِ ، عَظِيمُ الرِّوَاقِ ،  
دَنِيءُ الْأَخْلَاقِ ، الدَّهْرُ يَرْفَعُهُ ، وَنَفْسُهُ تَضُمُّهُ » .



وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدٍ ،

إِقْبَالُ حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظِّ الْكَرَامِ ، شَجَرُ أَصُولِهِ عِنْدَ فُرُوعِهِ ، شَفَلَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ  
رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ مُتَمِّجُ الْمَجَالِسِ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلُوسَاتِهِ ،  
أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ نَفْسِهِ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَلِكَ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَهْلِ ، أَحْوَجُ  
مَنْهُ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجَعُ مِنْ قَلَّةِ عَقْلِ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا لَمْ يَدْرِكْ بَثْرَهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَثْرَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ  
مِنَ الْبَلَنِّ حَشَوُ مُرْقَمَةٍ ، لَوْ دُقْتُ بَوَجهِ الْحِجَارَةِ لَرَضَهَا (١) ، وَلَوْ خَلَا  
بِالْكَبَةِ لَسَرَقَهَا » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « تَسَهَّرَ وَاللَّهِ زَوْجَتَهُ جُوعًا إِذَا سَهَرَ النَّاسُ  
سَبِيحًا ، ثُمَّ لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ  
مَا جَمَعَتْ ، وَنَكَحَتْ مَا وَجَدَتْ » .



وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَزَعُّ فَقَالَ : « وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ لِمُؤْمِنٍ أَوْ  
مَظْلُومٍ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَأَرَاكَ يَخْفَى عَلَيْكَ ثِقَلُ الذُّنُوبِ ، فَيَحْسُنُ عِنْدَكَ  
مَقَابِلُ الْعُيُوبِ » .



وذكر أعرابي رجلاً بَصَف فقال : « سَيِّءُ الرُّوْيَةِ ، قَلِيلُ التَّقْيَةِ ، كَثِيرُ السَّمَايَةِ ، ضَعِيفُ الذَّنَايَةِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ فَعْلِهِ شَاهِدٌ بِفِسْقِهِ ، وَشَهَادَاتُ الْأَفْعَالِ ، أَعْدَلُ مِنْ شَهَادَاتِ الرِّجَالِ » .



وذكر أعرابي رجلاً بِذِلَّةٍ فقال : « عَاشَ خَامِلاً ، وَمَاتَ مَوْتُورًا » .



وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، دَنَى الهِمَّةُ : « مَا أَحْوَجَكَ أَنْ يَكُونَ عَرِضُكَ لِمَنْ يَصُونُهُ ، فَتَكُونَ فَوْقَ مَا أَنْتَ دُونَهُ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ حَدَّثْتَهُ يُسَاقِبُكَ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِيثِ ، وَإِنْ سَكَتَ عَنْهُ أَخَذَ فِي التَّرَاهَاتِ (١) » .



وذكر أعرابي رجلاً رَاكِبًا هَوَاهُ فقال : « وَاللَّهِ لَوْ أَقْصَدْتُ إِلَى مَا يَهْوَاهُ ، مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى الْمَيَاهِ ، أَفْقَرَهُ ذَلِكَ أَوْ أَغْنَاهُ » .



وقال أعرابي : « لَيْتَ فَلَانًا أَقَالَنِي مِنْ حَسَنِ غَلَى بِهِ ، فَأَخْتِمَ بِصَوَابٍ إِذْ بَدَأْتُ بِخَطَا ، وَلَكِنْ مِنْ لَمْ تُحْكِمِهِ التَّجَارِبُ ، أَسْرَعُ بِالْمَدْحِ إِلَى مَنْ يَسْتَوْجِبُ الذَّمَّ ، وَبِالذَّمِّ إِلَى مَنْ يَسْتَوْجِبُ الْمَدْحَ » .

❦  
وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تَتَّعِرْ ؟ ولو كنت من حديد  
مُحَمَّى ووُضِعْتَ على عَيْنٍ لم تَذُبْ » .

❦  
وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نهيتك أن تدنُسَ عِرْضَكَ بمرض فلان ،  
وأعلمك أنه سمينُ المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فَجَاءَ ، قصيرُ عمر  
الغنى ، طويل عمر الفقر » .

❦  
وقال أعرابي : « لا ترك اللهُ مُخَاً في سَلَامَى <sup>(١)</sup> ناقةٍ حملتني إليك ، وَلَدَّاعِي  
عليها أَحَقُّ بالدعاء عليه ، إذ كلفها المسيرَ إليك » .

❦  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « لا يُؤانس جارا ، ولا يُوهل داراً ،  
ولا يَبْعَث ناراً » .

❦  
وذكر أعرابي امرأةً قبيحةً فقال : « تُرْخِي ذيلها على عُرْقُوبِي نمامةً ،  
وَتُسْدِلِ خمارها على وجه كالجمالة <sup>(٢)</sup> »

❦  
وقال أعرابي لامرأة : « والله إنك لمُشْرِفة الأذنين ، جاحِظَة المينين ، ذات  
خلق متضائل ، يُمَجِّبك الباطل ، إن شَبِعْتَ بَطِرت ، وإن جُعْتَ صَحِبْتَ <sup>(٣)</sup> ،  
وإن رأيتَ حسناً دَفَنْتِهِ ، وإن رأيتَ سيئاً أَدَغْتِهِ ، تَكْرَمِينَ من حَقْرِكَ ،  
وتُحْقِرِينَ من أكرمك » . (المقد الفريد ٢ : ٩٠ - ٩٣) .

[١] السلايات : عظام الأصابع . [٢] الجمالة : خُرقة يَزَل بها القدر .  
[٣] الصخب : شدة الصوت .



وسأل أعرابي رجلا غرمه ، فقال له أخوه : « نزلت والله بوادي غير مَنطُور ،  
وأُثِبتَ رجلا بك غير مسرور ، فلم تُدرك ما سألتَ ، ولا نلت ما أملتَ ،  
فارتحلَ بِنَدَمٍ ، أو أقيم على عَدَمٍ » . ( المعتمد الفريد ٢ : ٩٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٥٠ )



ودخلت أعرابية على مخدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت فقالت :  
« والله لقد رأيتها فإرأيت طائلا ، كأن بطنها قربة ، كأن نذيتها دُبَّة ، كأن  
استها رُقعة <sup>(١)</sup> ، كأن وجهها وجهُ ديك قد نَفَسَ <sup>(٢)</sup> عَفْرِيتَهُ يُقاتل ديكًا » .  
( المعتمد الفريد ٢ : ٩٢ ، والأمال ٢ : ١٥٦ )



وذم أعرابي رجلا فقال : « أفسدَ آخرته بصلاح دنياه ، ففارق ما أصلح  
غيرَ راجع إليه ، وقَدِمَ على ما أفسد غيرَ منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه  
ما كذَّبته ، ولو ألقى زِمَامَهُ أوطأه راحِلَتُهُ » . ( زهر الآداب ٢ : ٦ )



قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخصمه : « والله لو صورَ الجمل  
لأظلم معه النهار ، ولو صورَ العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما للمُتَدِمِ ،  
تَغْفِي الله واعلم أن من ورائك حَكَمًا لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار يَتَنَقَّه »  
( زهر الآداب ٣١ : ١٦٣ )



وقال أعرابي يعيب قوما : « هم أَقَلُّ الناس ذُنُوبًا إلى أعدائهم ، وأَكْثَرُ  
جُرْمًا إلى أصدقائهم ، يَصُومُونَ عن المعروف ، وَيُفْطِرُونَ على الفحشاء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والمعتمد الفريد ٢ : ٩٠ )



ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَغِيرُ الْقَدَر ، قَصِيرُ الشَّيْرِ <sup>(١)</sup> ، ضَيْقُ الصدر ، لَثِيمُ النَّجَر <sup>(٢)</sup> ، عَظِيمُ الْكِبَر ، كَثِيرُ الْفَخَر .  
( البیان والتبيين ١ : ١٥٧ ، والمعد الفريد ٢ : ٩١ )



وذكر أعرابي أميراً فقال : « يَقْضِي بِالْمَشْوَةِ ، وَيَطِيلُ النَّشْوَةَ ، وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةَ <sup>(٣)</sup> » .  
( البیان والتبيين ٢ : ٥٠ ، والمعد الفريد ٢ : ٩١ )



وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّ أَوْفَى ، قَالَ : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قَالَ : « امْرَأَتِي ، وَإِنِّهَا لَحَمَقَاءُ مِرْقَامَةٍ <sup>(٤)</sup> ، أَكُولُ قَامَتَهُ <sup>(٥)</sup> ، لَا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ <sup>(٦)</sup> ، غَيْرَ أَنِّهَا حَسَاءٌ فَلَا تُفْرَكُ <sup>(٧)</sup> ، وَأُمُّ غُلَامٍ فَلَا تُتْرَكُ » .  
( البیان والتبيين ٢ : ٤٧ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول : « وَاللَّهِ إِنْ شُرْبِكَ لَأَشْفِافٌ <sup>(٨)</sup> ، وَإِنْ ضِجْمَتَكَ لَأَنْجِمَافٌ <sup>(٩)</sup> ، وَإِنْ شِمْلَتَكَ لَأَلْتِفَافٌ ، وَإِنَّكَ لَتَنْشَبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَتَنَامُ لَيْلَةً تُخَافُ » ،

[١] الشبر : القد . [٢] النجر : الأصل . [٣] المشوة والنشوة والرشوة بتثنية الفاء في الثلاثة ، المشوة : ركوب الأسر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الجبل والبرطيل « بكسر الباء » . [٤] الرقاعة : الغضبة ليلها . [٥] قامة : اسم فاعل ، من قم : أى أكل ما على الحوان كالثوب ، وقله : كلفه . [٦] الحامة : الخاصة . [٧] فرك زوجته وفركته كسح ، وكنصر شاذ : أبغضته ، ورجل مفرك بالتشديد يفضه النساء وامرأة مفركة : يفضها الرجال . [٨] اشتف مافى الإتياء : شربه كله . [٩] الانجماف : الاصراف .

فقال لها : « والله إنك لَكَرْوَاءُ السَّاقِينِ <sup>(١)</sup> ، قَعَوَاءُ الْفَخْذَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، مَقَاءُ الرُّفْعَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، مُقَاَضَةُ الْكَشْحَيْنِ <sup>(٤)</sup> ضَيْفُكَ جَانِعٌ ، وَشَرُّكَ شَائِعٌ » . (الأمل : ١ : ١٠٤)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : مرَّ أعرابي برجل يكنى أبا النمر - وكان ضخماً جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال : أعين الفقير الحسير ، فقال : ما ألحف سائلكم ، وأكث - جائعكم ، أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابي : « لو فرَّق قوتُ جسمك في جسوم عشرة منا ، لكفانا طعامك في يومٍ شهراً ، وإنك لعظيم السرَّطة <sup>(٥)</sup> ، شديد الضَّرْطَةِ ، لو ذُرِّي بِحَبَقَّتِكَ يَدْرُ ، لكفته ريحَ الجزْيَاءِ <sup>(٦)</sup> » . (الأمل : ١ : ٢٢٦)

## ٦٤ - قولهم في الغزل

مثل أعرابي عن امرأة فقال : « هي أَرْقُ من الهواء ، وأطيبُ من الماء ، وأحسن من النِّعْماء ، وأبعد من السَّاء » . (الأمل : ١ : ٢٠١ ، والحدائق : ٢ : ٩٤)

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لها جِلْدٌ من لؤلؤ ، مع رائحةِ الْمِسْكِ ، وفي كل عُضْوٍ منها شمسٌ طالعة » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « كَادَ الْغَزَالُ أَنْ يَكُونَهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَمَا نَقَصَ مِنْهُ » .

[١] الكَرْوَاءُ : الدقيقه الساقين .

[٢] النِّعْمَاءُ : الدقيقه ، أو الدقيقه الفخذين ، وقيل : هي التبادعة مابين الفخذين (كلنجواء) .

[٣] الرِّفْعُ : أصل الرِّفْعُ ، والمَقَاءُ : الدقيقه الفخذين ، أو البوابه من اللق بالتحريك وهو الطول .

[٤] المقاضة : المسترخية ، والكشحال : الحاصرتان . [٥] البلمة من سرطه كنمر وفرح : ابتلعه

[٦] الحبقة : الفرطة ، واليدير : للوضع الذي تداس فيه الحبوب ، والجزياء : ريح الشمال الباردة .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متزهاتٍ فقال : « وجوهٌ كالدنانير ، وأعناق كاعناق اليمافير<sup>(١)</sup> ، وأوساطٌ كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بحُجُولٍ<sup>(٢)</sup> تحفُّق ، وأوشجةٌ تُعلِّق ، وكَم أسيرٍ لهن وكَم مُطلقٍ » .



ووصف أعرابي امرأة حسناء فقال : « تبسّم عن خَش<sup>(٣)</sup> اللثات ، كأقاجي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي السُّتْم الذي لا بُرء منه ، والبرء الذي لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما » .



ووصف أعرابي امرأة فقال : « يضاء جَعْدَةٌ<sup>(٤)</sup> لا يمسّ الثوب منها إلا مُشاشَةٌ<sup>(٥)</sup> كنفها ، وَحَلَمَةٌ ثديها ، ورَضَقٌ ركبتيها ، ورانَقَتَي أليتيها ، وأنشد :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ<sup>١</sup> وَالثَّدْيُ لِقَمَمِهَا      مَسَّ البطون وأن تمس ظهوراً  
وَإِذَا الرِّيحَ مَعَ الْعَمَى تَنَاحَتْ      نَهْنَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُوراً

[١] اليمافير جمع يافور : وهو ولد البقرة الوحشية . [٢] الحُجُول جمع حجل بالكسر والفتح : وهو الخنخال ، والأوشجة جمع وشاح بالضم والكسر : أديم عريض يرصع بالجوهر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها . [٣] خَش ، والأقاجي جمع أقحوان بالضم : وهو نبت طيب الريح حوالبه ورق أبيض ، ووسطه أصفر ، وراقه : أعجمه .

[٤] الجعد من الشعر خلاف البسط ، أو انخسار منه ، ورجل جعد الشعر والأنتى جمدة ، والجعد أيضاً المدمج الخلق المجتمع بعضه إلى بعض ، والجعد إذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستجان : أحدهما أن يكون معصوب الجوارح شديد الأسر والخائق غير مسترخ ولا مضطرب ، والثاني أن يكون شمره جعداً غير بسيط لأن سبوطه الشعر هي الغالبة على شعور المعجم من الروم والفرس ، وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب . [٥] المشاشة : رأس العظم ، والرضف : عظام في الركبة كالأصابع المضمومة قد أخذ بعضها بعضاً ، والراهة : أسفل الألية عند القيام .





وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمسٌ ممامها ،  
وليس لي شفيع في اقتضاها <sup>(١)</sup> » ، وإن نفسي لكثوم لدائها ، ولكنها تقيض  
عند امتلائها » .



وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : « والله ما رأيت دمة ترفرق من  
عين يأميد <sup>(٢)</sup> على ديباجة خدّ ، أحسن من عبّرة أمطرتها عينها ، فأعشت  
بها قلبي » .



وقال أعرابي : « إن لي قلباً مرّوعاً <sup>(٣)</sup> ، وعينا دموعاً ، فإذا يصنع كل  
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟ » .



وقال أعرابي : « ما أشدّ جولة الرأي عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا !  
ولقد تقطعت كبدي ! لَوُم الماذنين للعاشقين قرطة في آذانهم ، ولَوَاع الحب  
نيران في أبدانهم ، مع دموع على المغاني <sup>(٤)</sup> ، كغروب السواني » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نعيمت حين نظرت إليها ، وشقي قلب  
تفجع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فبرحّ بي طرفها ، ويتجهمني  
لسانها » قيل له فما بلغ من حبك لها ؟ قال : « إني ذاكر لها وبينى وبينها  
عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك » .

[١] التقى دينه وتفاضله بمعنى . [٢] الأمد : الكحل ، والديباجة : الحد . [٣] مفرقا .

[٤] المغاني جمع غنى : وهو النزل ، والغروب جمع غرب كغمس : وهو النور المطيعة ، والسواني جمع  
سانية : وهي الناقة يبقى عليها ، والغرب وأداته .

وقال أعرابي : « ألهوى هوان ، ولكن غلِطَ باسمه ، وإنما يعرف من يقول ، من أبكته المنازل والطلول » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « إن لساني لذكرها لذلول ، وإن حبها لقلبي لقتول ، وإن قصير الليل بها ليتلول » .

ووصف أعرابي نساء ببلاعة وجمال فقال : « كلامهن أقتل من التبل ، وأوقع بالقلب من الوبل بالمثل ، فروعن أحسن من فروع النخل » .

( القد الفريد ٢ : ٩٣ - ٩٥ )

وقال أعرابي : « دخلت البصرة ، فرأيت أعينا ذمجا <sup>(١)</sup> ، وحواجب زججا ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الأبواب » . ( القد الفريد ٢ : ٩٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٧ )

وذكر أعرابي نساء فقال : « ظمأن <sup>(٢)</sup> في سوافهن طول ، غير قبيحات المطول <sup>(٣)</sup> ، إذا مشين أسبلن الذبول ، وإن ركبنا أثقلن الحمول <sup>(٤)</sup> » .

( زهر الآداب ٣ : ١٧ )

وقال أعرابي : « لقد رأيت بالبصرة برودا كأنها صُبغت بأتوار الرّيع ، فهي ترّوع <sup>(٥)</sup> ، واللابس لها أروع » .

( القد الفريد ٢ : ٩٦ )

[١] دجما جمع دجما ، وصف من الدجج بالتحريك : وهو سواد العين مع سمها . وزجا جمع زجا من الزجج بالتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين في طول .

[٢] ظمأن جمع ظمينة : والظمينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تصير مضمونة ، وهي نيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظن بها . - بالسوالف جمع سالف : وهي ناحية مقدم المتى من لدن معاق القرط إلى قرة القروة . [٣] عطلت المرأة كفرح عطلا بالتحريك ومطولا : إذا لم يكن عليها حل . [٤] المحول : المودج ، أو الإبل عليها المودج جمع حل بالكسر ويتهج . [٥] تهجج .

وقال أعرابي : « شَيْئَنَا الْحَيُّ وَفِيهِمْ أَدْوِيَةُ السَّقَامِ <sup>(١)</sup> » ، فَقَرَأَنَ بِالْحَدَقِ  
السَّلَامَ ، وَخَرِسَتْ الْأَلْسُنُ عَنِ الْكَلَامِ . (الأمل ٢ : ٥٠)

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَامُتُّعَ الْهَوَى بِمَلِكِهِ ، وَلَا مُتَّى <sup>(٢)</sup>  
بِسُلْطَانِهِ ، وَقَبَضَ اللَّهُ يَدَهُ ، وَأَوْهَنَ عَصْدَهُ ، فَإِنَّهُ جَائِرٌ لَا يُنْصَفُ فِي حُكْمٍ ، أَعْمَى  
لَا يَنْطِقُ بِعَدْلٍ ، وَلَا يَقْصُرُ فِي ظُلْمٍ ، وَلَا يَرْعَى لَدَمٍ ، وَلَا يَنْقَادُ لِحَقٍّ ، وَلَا يُبْنِي  
عَلَى عَقْلِ وَفَهْمٍ ، لَوْ مَلَكَ الْهَوَى وَأَطِيعَ ، لَرَدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَالْدُنْيَا عَلَى أَعْقَابِهَا »

وسئل أعرابي عن الهوى فقال : « هُوَ دَاءٌ تَدَاوَى بِهِ النَفُوسُ الصَّحَاحُ ،  
وَتَسَلُّ مِنْهُ الْأَرْوَاحُ ، وَهُوَ سُقْمٌ مُكْتَمٌ ، وَحِمِيمٌ <sup>(٣)</sup> مُضْطَرِمٌ ، فَالْقُلُوبُ لَهُ  
مُنْضَجَةٌ ، وَالْعُيُونُ سَاكِبَةٌ » . (زهر الآداب ٣ : ١٨)

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : « هِيَ زِينَةُ الْحُضُورِ ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ  
السَّرُورِ ، وَلَدِّ كَرْمِهَا فِي الْمَغِيبِ ، وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّقِيبِ ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَلَدٍ  
وَنَسِيبٍ ، وَبِهَا عُرِفَ فَضْلُ الْحُورِ الْمِينِ ، وَاشْتَبَقَ بِهَا إِلَيْنِ يَوْمَ الدِّينِ » .  
(زهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

ووصف أعرابي نساء فقال :  
« يَلْتَمِسْنَ عَلَى السَّبَائِكِ <sup>(٤)</sup> ، وَيَتَشَحَّنَ عَلَى النَّيَازِكِ <sup>(٥)</sup> ، وَيَأْتِرْنَ

[١] أي المحبوبات المداوية للسقام .

[٢] ملاء الله حبيبه تعالى : تمتع به وأطاعته منه طويلا . [٣] الحميم : الماء الحار . وفي الأصل :  
« وحى » وأراه محرفا عن حميم ، وينسبه قوله بعد : « والعيون ساكية » .

[٤] اللاتم على الفم ، والقام على طرف الألف ، تثمت للمرأة وتلفت ، والسباك هنا الأسنان شبهها  
لبياضها بالسباك . [٥] النيازك جمع نيزك كجفر : وهو الرمح القصير .

على المَوَانِك<sup>(١)</sup> ، وَرَتَقْنِ عَلَى الْأَرَائِكِ<sup>(٢)</sup> ، وَيَهَادِنِ عَلَى الدَّرَانِكِ<sup>(٣)</sup> ،  
ابْتِسَامُهُنَّ وَمِيزُ ، عَنْ وَلِيْعٍ كَالْإِغْرِيزِ<sup>(٤)</sup> ، وَهَنْ إِلَى الصَّبَا صُورُ ، وَعَنْ  
الْحَنَّا نُورُ<sup>(٥)</sup> . (الأمالي : ١ : ٤٤ ، وزهر الآداب : ٣ : ١٨)

## قولهم في الوصف

### ٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« اسْتَقَلَّ سُدُّمَعِ انْتِشَارِ الطَّفَلِ<sup>(١)</sup> ، فَشَصَا وَأَخْزَالَ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ اكْفَهَرَتْ  
أَرْجَاؤُهُ ، وَاحْمَوَمَتْ أَرْحَاؤُهُ ، وَابْذَعَرَتْ فَوَارِقُهُ<sup>(٣)</sup> ، وَتَضَاحَكْتَ بَوَارِقُهُ ،  
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَارْتَقَتْ جُوبُهُ ، وَارْتَمَنَ هَيْدَبُهُ<sup>(٤)</sup> ، وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ ،  
وَاسْتَقَلَّتْ أُرْدَاؤُهُ ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَفُهُ<sup>(٥)</sup> ، فَارْعُدْ مُرْتَجِسٌ ، وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ ،

[١] الموانك جمع مانك : وهو رمل منعقد يلتقي فيه البعير لا يقدر على السير .

[٢] الأرائك جمع أريكة وهي السرر أو الفرش ، وارتقى : ارتأى على مرفق يده ، أو على الخدة .

[٣] يهادين : يشين مشياً ضيقاً ، والدرايك : الطنافس جمع درنوكة كصفور ، ودونك كزرج .

[٤] الوميض : اللسان الحني ، والوايع : الضلع ، كأنه نظم اللواؤ في شدة بياضه . قال الشاعر يصف

نمر امرأة : وتبسم عن نير كالوليع ، والإغريض : الطلع حين يلمش عنه كثفوره ، والبرد (بتحريك الراء) .

[٥] صور : موائل ، ومنه قيل للفارس العنق أصور ، ونور : نافرات من الرية جمع نوارك كسحاب .

[٦] استقل : ارتفع ، والسد : السحاب الذي يحد الأفق ، والطفل : الشيء إلى حد القرب .

[٧] شصا ارتفع ، وأخزأله مثله . [٨] المكهفر من السحاب : الذي يركب بعضه بعضاً ،

وأرجأؤه : نواحيه جمع رجاكصا ، واحمومت : اسودت ، وأرحاؤه : أوساطه جمع رحاكصا ، واذهرت

تفرقت ، والفوارق جمع فاروق ، وهو السحاب الذي ينقطع من مقام السحاب ، وأصله في الإبل ، يقال

ناقة فاروق : وهي التي تندم عن الإبل عند تواجها .

[٩] استطار : انتشر ، والودق الذي يكون فيه الودق ( كشمس ) وهو المطر العظيم القطر ، وارتقت

التأمت ، وجوبه : فرجه ، وارتمن : استرخى ، والمهيدب : الذي يشدلى ويدنو من الأرض مثل هذب القطيفة .

[١٠] حشكت : امتلأت ، والأخلاف جمع خلف كحمل ، وهولناقة كالفرع للبحرة ، أردانه : ما آخيره

والأكفاف : النواحي .

والماء مُنْبِجَسٌ <sup>(١)</sup> ، فَاتَّرَعَ النَّدْرُ ، وَاتَّبَتْ الوُجُرُ <sup>(٢)</sup> ، وَخَلَطَ الْأَوْمَالُ  
بِالْأَجَالِ ، وَقَرَنَ الصَّيْرَانِ بِالرَّئَالِ <sup>(٣)</sup> ، فَلَاوِدِيَّةٌ هَدِيرٌ ، وَلِلشَّرَاجِ خَرِيرٌ ، وَلِلتَّلَاحِ  
زَفِيرٌ <sup>(٤)</sup> ، وَحَطَّ النَّبْعُ وَالْعَنَمُ ، مِنَ الْقُلُلِ الشَّمُ ، إِلَى الْقِيَمَانِ الصَّخْمِ <sup>(٥)</sup> ، فَلَمْ  
يَبْقَ فِي الْقُلُلِ إِلَّا مُنْعِمٌ مُتَجَرِّعٌ ، أَوْ دَاحِضٌ مُتَجَرِّجٌ <sup>(٦)</sup> ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ، عَلَى عِبَادِهِ الْمَذْنِينَ . (الأمال : ١ : ١٧٣)

## ٦٦ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيا من غني يذكر مطرا أصاب <sup>(٧)</sup> بلادهم في  
غيبٍ جذب فقال :

« تَذَارِكُ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَيْتِ الْأَحَالَ ، وَتَقَاصَرَتِ الْآمَالُ ، وَعَكَفَ  
الْيَاسُ ، وَكُطِئَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِيُّ مُضْمِرًا <sup>(٨)</sup> ، وَالتَّرْبُ مُعْدِمًا ،

[١] مرجس : مصوت من الرجز كمثل وهو الصوت ، يختلس : كأنه يخلط البحر لشدة أمائه ،  
منجيس : متغير .

[٢] أترع : ملأ والندر جمع هدير ، والوجر جمع وجار ككتاب وسحاب وهو جعر الضبع والشمب ،  
واعيت : أخرج نيبيا وهو تراب البئر والغبير ، أي أنه لشدة مدم الوجر حتى أخرج ما بداخلها من التراب .

[٣] الأوامال جمع وعل ، ( كشمس وكشف ودئل ) : التيس الجبلي ، والأجل جمع أجل كمثل وهو  
القطيع من البقر أي أنه لشدة جمع بين اتحول - وهي تسكن الجبال - وبين البقر - وهي تسكن القيعان  
والرمال ، والصيران جمع صوار كسباع ، وصيار ككتاب وهو الضفادع من البقر ، والرئال جمع راء كشمس  
خرغ النعام ، فالرئال تسكن الجبل ( بالتحريك ) وهي الأرض الصلبة للمستوية التي ( والصيران تسكن الرمال  
والقيعان ، فقرر بينهما .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الابل ، الفراج جمع خرج كشمس وهو - ييل الماء من الحرة الى السهل  
والتلحاح : مسيل الماء من الجبال حتى ينصب في الوادي . [٥] النبع : شجر يتخذ منه القسي ينبت في  
الجبال ، والشم : الزيتون الجبلي كقفل وعنق ، والقفل : أعلى الجبال جمع قلة كفرصة ، والدم : الرثعة  
جمع شواء ، والقيعان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطبقة قد انجرفت ضها الجبال والأكام ، والصخم : التي تلوها  
جرة جمع أصخم . [٦] المصم : الذي قد تمسك بالجبال وامتنع فيها ( ويقال للرجل الذي يسلك بهرف فرسه  
خوف السقوط : مصم ) مجرثم : متقبض ، العاحض : الذي يمسح برجليه ضد الموت ، والمجرم : المصروع .  
[٧] صاب : جاد ، وكلبت : اشتدت ، والأحمال جمع محل كشمس وهو القحط ، وعكف : أقام .

[٨] الماشي : صاحب الماشية ، معنى الرجل وأمتي : كثرت ماشيته ، والمصرم : القارب المال القل ،

وَجُفِيتِ الْحَلَالِ ، وَأُمْتُنَّتِ الْعَقَائِلُ ، فَأَنشَأَ سَحَابًا رُكَّامًا<sup>(١)</sup> ، كَنُتُورًا سَجَامًا ،  
بُرُوقَهُ مَنَاقِقَةٌ ، وَرُغُودُهُ مُتَقَمِّعَةٌ ، فَسَحَّ سَاجِيًا<sup>(٢)</sup> رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ ،  
ثُمَّ أَمْرَ رَبِّكَ الشَّمَالَ ، فَطَحَّرَتْ<sup>(٣)</sup> رُكَّامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ ، فَانْقَشَعَ مَحْمُودًا ،  
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَرْوَى ، وَالْحَدَّ لَهِ الذِّى لَا تُكْتَبُ نِعْمَتُهُ ، وَلَا تَنْقَدُ  
قِسْمَتُهُ ، وَلَا يَحْيِبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ<sup>(٤)</sup> نَائِلُهُ . (الأمال : ١ : ١٧٦)

## ٦٧ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن مطر  
صَابَ بِلَادِهِمْ فَقَالَ :

« نَشَأَ عَارِضًا<sup>(١)</sup> ، فَطَلَعَ نَاهِضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِضًا ، فَأَعَسَ<sup>(٢)</sup> فِي الْأَقْطَارِ  
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ<sup>(٣)</sup> فِي الْآفَاقِ فَطَطَّاهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ<sup>(٤)</sup> فَهَمَّهُمْ ، ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ ،

وَالْتَرَبَّ<sup>(٥)</sup> الْغَى الَّذِي لَهُ الْمَالُ مِثْلُ التَّرَابِ كَثْرَةً ، يَقَالُ : أَتَرَبَّ الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ (وقل أيضاً . ضد)  
وَتَرَبَّ كَفَرَحَ إِذَا انْفَرَّ كَأَنَّهُ اصْبَقَ بِالْتَّرَابِ ، وَأُمْتُنَّتْ : اسْتَعْدَمَتْ وَاعْتَمَلَتْ ، وَالدَّهَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَأَنشَأَ  
أَحْدَثَ ، وَالنَّشَاءُ : السَّحَابُ أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ .

[١] الرِّكَّامُ : المتراكم ، والكُنُوتُورُ من السحاب قطع كأنها الجبال ، أو المتراكم منه ، واحِدُهُ كُنُوتُورَةٌ ،  
وَسَجَامٌ : صَيَابٌ ، وَمَتَقَمِّعَةٌ : لَامِعَةٌ ، وَمُتَقَمِّعَةٌ : مَهْوِيَّةٌ .

[٢] سَحَّ : صَبَّ ، - أَجِيًا : سَاكِنًا ، رَاكِدًا : ثَابِتًا ، وَالْفُوقُ : أَنْ يَصْبُ صَبَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَصْبُ  
أُخْرَى ثُمَّ يَسْكُنُ مَأْخُذًا مِنْ فُوقِ النَّاقَةِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمَاجِبَيْنِ ، كَأَنَّهُ يَجْلِبُ حَابَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَجْلِبُ أُخْرَى  
ثُمَّ يَسْكُنُ . [٣] طَحَّرَتْ : أَزْهَبَتْ وَأَبْجَدَتْ ، وَالْجَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَقَ مَاءَهُ ، تَكَتْ : تَحَمَّسَ .  
[٤] يَنْزُرُ : يَقِلُّ ، وَمِنْهُ قِيلَ : أَمْرَةٌ تَنْزُرُ : إِذَا كَانَتْ قَلِيلَةً الْوَلَدَ .

[٥] الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمُنْتَرِضُ فِي الْأَفْقِ ، وَوَضَعُ الْبَرْقِ كَوَعْدٍ : لَمَعَ خَفِيفًا ، وَلَمْ أَبْدِ فِي كِتَابِ لَدَةِ  
«أَعَسَ» وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهَا «عَمَسَ السَّحَابُ : دَنَا مِنَ الْأَرْضِ» وَأَسْجَاهَا : غَطَّاهَا ، وَفِي الْأَمَلِ «أَسْجَاهَا»  
بَدَأَ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . [٦] ارْتَجَزَ الرَّجْدُ : صَاتَ ، وَارْتَجَزَ السَّحَابُ : تَحَرَّكَ بَطْنًا لِكَثْرَةِ مَائِهِ ،  
وَمِنْهُمْ الرَّجْدُ : إِذَا سَمِعْتَ لَهُ دَوِيًّا وَهَمْسَةً : كُلُّ صَوْتٍ مَعَهُ يَجْجُ ، وَأَرْكَ : أَقْبَى يَلَاكُ (بِمَنْعِ الرَّاءِ وَيَكْسِرِ)  
وَهُوَ الْمَطَرُ الْقَلِيلُ أَوْ هُوَ فَوْقَ الدُّثِّ ، وَالدُّثُّ بِالْفَتْحِ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ ، وَالْبَقِشَةُ بِالْفَتْحِ : الْعَارَةُ الضَّعِيفَةُ  
وَقَدْ غَشَّتِ السَّمَاءَ كَتَبَ ، وَالطَّشُّ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ وَهُوَ فَوْقَ الرِّذَاذِ طُشَّتِ السَّمَاءُ كُنْصَرُ وَضُرِبَ .

فَأَرَاكَ وَدَثَّ ، وَبَفَشَ وَطَشَ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ <sup>(١)</sup> فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دَيْمَ فَأَنْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فَأَنْجَمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنَمَ ، فَقَمَسَ الرُّبَا <sup>(٢)</sup> ، وَأَفْرَطَ الرُّبَى ، سَبَمًا تَبَاعًا ، مَا يَرِيدُ انْقِشَاعًا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى الْحُزُونُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضَخَّضَتْ الْمُتُونُ ، سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلِبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٤٩ )

## ٦٨ — ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

عن الأصمعي قال : مررت بغلبة من الأعراب يتماقلون <sup>(١)</sup> في غدير ، فقلت لهم : أيكم يصف لي الغيث وأعطيه درهما ؟ فخرجوا إلي فقالوا : كلنا ، وم ثلاثة ، فقلت لهم : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصْفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدَّرْهَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

« عَنْ لَنَا عَارِضَ قَصْرًا <sup>(٢)</sup> ، تَسْوِقُهُ الصَّبَا ، وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ ، يَحْبُو حَبْوَ الْمُعْتَنِكَ <sup>(٣)</sup> ، حَتَّى إِذَا اِزْلاَمَتْ <sup>(٤)</sup> صَدُورُهُ ، وَاتَّحَلَّتْ خُصُورُهُ ، وَزَجَّعَ هَدِيرُهُ ، وَصَعَقَ زَيْبِرُهُ ، وَاسْتَقَلَّ لَشَاصُهُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَلَامَّ خَصَاصُهُ ، وَارْتَمَجَ

[١] اللفظ بالكسر : المطر المتتابع العظيم القطر ، وقد انقطعت السماء ، والدَّيْمَةُ بالكسر : مطر يدوم في سكون بلا زهد وبرق ، أو يدوم أيما ، وقد ديمت السماء ، انمط : دام ولازم ، وأنجمت السماء : أسرع مطرها ودام ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر ، وقد بليت السماء كوعد : أمطرت ، وسجم كدخل : سال وانصب . [٢] قس الزيا : كنعن وضرب : غوصها ، وأفرطها : ملأها حق فانت ، والزى جمع زية كفرصة ، وهي الزاية لا يملؤها الماء ، وخفرة تحفر لصيد الأسد ( وهو المراد هنا ) سميت بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في موضع طال .

[٣] الحزون جمع حزن كشمس وهو الغليظ من الأرض ، وللتون جمع تون كشمس : وهو ما صلب من الأرض وارتفع ، والضخضخ والضخضاح والتضخضخ : الماء القليل ، وقيل هو ما لا غرق فيه ، وقيل هو الماء إلى الكعبين أو إلى أضاف السوق — وفي لغة هذيل الكثير — وقد تضخضخ الماء ، والتضخضخ أيضاً جرى السراب ، تضخضخ إذا تفرق .

[٤] ينفاطون في الماء . [٥] عن : مرض ، والضر : المعنى ، والصباء : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . [٦] منك الرمل كنصر : تعد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة طائفة : فيها تعد لا يقدر البئر على الماء إلا أن يجو ، واعتنك البئر واستمنك : حبا في الماء فلم يقدر على السير وقال رؤفة : أوديت إن لم تحب حيو المعتك .

[٧] اِزْلاَمَتْ : ارتفعت ، والحضور جمع خضر : وهو وسط الإنسان ، والرجيع : تردد الصوت في الحلق . [٨] النشاس ككتاب وسحاب : السحاب الرقيق ، أو الرقيق بعضه فوق بعض وخاصه :

ارتعاضه ، وأوفدت سِقَابَهُ <sup>(١)</sup> ، وامتدت أطنابُهُ ، تدارك وَدْقُهُ ، وتأتق بَرَقُهُ ،  
وَحَفَزَتْ تَوَالِيَهُ <sup>(٢)</sup> ، وَاَنْسَفَعَتْ عَزَالِيَهُ ، فنادر التَّرَى مَحْدًا <sup>(٣)</sup> ، وَالْمَزَارَ تَحْدًا ،  
وَالْحُثَّ غِقْدًا <sup>(٤)</sup> ، وَالضَّحَابِجَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً .

وقال الآخر : « تَرَاءَتْ الْمَخَالِيلُ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْأَقْطَارِ ، تَحْنُ حَيْنَ الْمِشَارِ ،  
وَتَتَرَأَى بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَبَوَاسِقُهَا مُتَضَاحِكَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا  
مِتْقَاضِفَةٌ ، وَأَعْجَازُهَا مُتَرَادِفَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ ، فَوَصَلَتْ الْغَرْبَ بِالْشَّرْقِ ،  
وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ ، سَحَادَرًا كَا <sup>(٧)</sup> ، مُتَابِعًا لَكَا كَا ، فَضَحَضَتْ الْجَفَافَ <sup>(٨)</sup> ،  
وَأَنْهَرَتْ الصَّفَافِيفَ ، وَحَوَّضَتْ الْأَصَالِفَ ، ثُمَّ أَقْلَمَتْ مَحْمُودَةَ الْآثَارِ ،  
مَوْثُوقَةَ الْخِيَارِ .

فرجه ، وأصله الفرج بين الأتال والثناب الصغير وكل خلل أو خرق في باب ومنخل وبرق ونحوه ، وارتفع :  
ارتعد ، وارتعس : تلوَّى وانفض ، وارتعس الرمح : اشتد اهتزازُه .

[١] أوفدت : أضرمت ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو عمود الحباء ، والأطناب جمع طناب كنفق وهو  
جبل طويل يشد به الوثد . [٢] حفزه كغربه : دفعه من خلفه ، والتوالى : الأبحاز والمآخير ، والمزالي  
بكسر اللام وفتحها جمع عزلاء : وهي مصب الماء من الراوية ونحوها ، وانسفعت : انصبت ، من سفع الدم  
أرأه . [٣] عهد الترى كفرح : بلله المطر حتى إذا قبضت عليه تمقد لدوته ، والمزار : الأرض الصلبة  
مكان ثد : ثد من الثأد بالحريك وهو الندى . [٤] الحث : اليابس الحشن من الرمل ، والعق ككف  
وجبل : مالمقد من الرمل وتراكم ، والضمض كجفر والضمضاح : الماء اليسير ، متواصية : متواصلة ، والشعاب  
جمع شبة كفرصة : وهي السيل في الرمل ، وماعظم من سواقى الأودية ، وصدرى الجبل يأوى إليه المطر .  
[٥] مخاليل جمع غيلة « بضم الميم وكسر الحاء » والغيلة والغيلة « بتشديد الياء المكسورة » السحابة  
التي تحسبها ماطرة ، والمشار جمع عشاء كفساء : وهي المائة التي مضى لحماها عشرة أشهر أو ثمانية ،  
أو هي كالفساء من النساء ، والعيب جمع شهاب ككتاب : وهو شعلة من نار ساطعة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أى أساسه ، متلاحكة : أى قد اشتد التماسها ،  
والتلاحكة : النافقة الشديدة الخلق ، وبواسقها : أطالها جمع باسقة ، من سبق : أى طال وارتفع ، ومتضاحكة :  
أى يضحك فيها برقها ، ومتقاذفة : أى يقذف بعضها بعضا بالمطر ، وأرحاؤها : أوساطها ، مترافعة : متراكة  
قد رصف بعضها فوق بعض . [٧] أى مينا متناهية ، ولا كاك : تراخا من اللكك ككتاب وهو لزحام .  
[٨] الجفاف جمع جفيف كجفر : وهي الأرض المرتفعة ليست بالقليظة ، وضخضتها : جعلتها فضاضة ،  
والصفافيف جمع صافيف كجفر : وهو المستوى من الأرض ، وأنهر الماء : أساله ، والأصلف والصفاء :  
ما صلب من الأرض ، والنج أصالف ، وحوضت جعلت فيها حياضا .



فقال الثالث : وألله ما خلّته بلغ خمسا ، فقال : هلمّ الدرهم أصفه لك ، فقلت : لا ، أو تقول كما قال ، قال : لا بدّ منهما <sup>(١)</sup> ووصفا ، ولأوفقتهما رصفا ، فقلت : هاتِ لله أبوك ، فقال : « بيننا الحاضر بين الباس والإبلاس ، قد نحرّم الإشفاق ، رهبة الإملاق ، وقد جفت الأنواء <sup>(٢)</sup> ، ورفرف البلاء ، واستولى القنوط على القلوب ، وكثر الاستغفار من الذنوب ، ارتاح ربك لعباده ، فأنشأ سحابة مستجبرا <sup>(٣)</sup> كنهورا ممتونا كحلول كفا ، ثم استقل وأخرأل ، فصار كالسما دون السماء ، وكالأرض المدخوة <sup>(٤)</sup> في لوح الهواء ، فأحسب الشهل ، وأتأق الهجول ، وأحيا الرجاء ، وأمات الصرّاء ، وذلك من فضل رب العالمين . قال : فلا والله يقيع صدرى ، فأعطيت كل واحد درهما ، وكتبت كلامهم . ( بوع الأرب ٣ : ٢٥٢ )

## ٦٩ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : سألت أعرابيا عن مطر صابهم بعد جَدَب فقال : « ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وخامر القلب القنوط ، فأنشأ بنوء الجبهة <sup>(٥)</sup> قرعة كالقمرض من قبل المين ، فاحزألت عند ترجل النهار ،

[١] بدّ : فاته وغلبه ، والحاضر : ساكن الحضر ، والباس : العذاب والشدّة ، والإبلاس : النحير واليأس ، والاشفاق : الخوف ، والإملاق : القافة . [٢] الأنواء جمع نوء : وهو في الأصل سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله في ساعته من المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحروب إليها . [٣] مستجبرا : لم أجده هذه الكلمة في كتب اللغة ، وربما كان الأصل : « مستهرا » من استهرى الشيء إذا انسح ، والحلولك : الشديد السواد ، وقد تهم معنى اعتك واستنك ، واعتوك لفعل من هذه اللمدة ، ولم أجده في كتب اللغة . [٤] البسومة : والقوح : الهواء وأحسبها : أرواها ، من أحسبها إذا أطعمه وسقاه حتى شبع وروى ، وأتأق : هلا ، والهجول جمع هجل كشمس : وهو المطمئن من الأرض ، واليع واليايع : الشاب .

[٥] الجبهة : منزل القمر ، قرعة : قطعة من الحجاب ، والقمرض : القمر ، والمين : القبة ، وترجل : النهار : ارتفع .

لَا زَمِيمَ السَّرَارِ<sup>(١)</sup> ، حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ فِي الْأَفْقِ طَالِمَةً ، أَمَرَ مَسْخَرَهَا الْجَنُوبَ  
فَتَنَسَّمَتْ لَهَا ، فَانْتَشَرَتْ أَحْضَانُهَا ، وَأَتَمَّوْتَ أَرْكَانُهَا ، وَبَسَقَ عَنَانُهَا<sup>(٢)</sup> ،  
وَكَفَهَرَتْ رَحَاها ، وَانْبَجَتْ كَلَالُهَا ، وَذَرَّتْ أُخْرَاهَا أَوَّلَاها ، ثُمَّ اسْتَطَارَتْ  
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَعَمَعَتْ صَوَاعِقُهَا ، ثُمَّ ارْتَمَعَتِ<sup>(٣)</sup> جَوَانِبُهَا ، وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا ،  
وَذَرَّتْ حَوَالِيَهَا ، فَكَانَتْ الْأَرْضُ طَبَقًا<sup>(٤)</sup> ، سَحَّ فَهَضَبَ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبَ ،  
فَعَلَ الْقِيَمَانَ ، وَضَخَضَحَ النِّيطَانَ ، وَجَوَّخَ الْأَنْوَاجَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَتَرَعَ الشَّرَاجَ ،  
فَالْجَدَّ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظُلْمِنَا غُفْرَانًا .

( بولغ الأب ٣ : ٢٥٢ )

## ٧٠ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا من بني عامر بن لؤي بن  
صَمْعَةَ يصف مطرا فقال :

« نَشَأُ عِنْدَ الْقَصْرِ ، بَنُوهُ الْفَقْرُ<sup>(١)</sup> ، حَبِيْبًا عَارِضًا ، ضَاحِكًا وَامِضًا ،  
فَكَلًّا وَلَا<sup>(٢)</sup> » ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَجِبَتْ بِهِ أَقْطَارُ الْهَوَاءِ ، وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الإزيم : لبسة من ليالى الخاق - والحاق مثشة : ثلاث ليال من آخر الشهر ، والسرار :  
آخر ليلة من الشهر ، وأحضانها جمع حضن كحل : وهو جانب الشيء وناحيته ، وأتموت : استودت .  
[٢] بسق : ارتفع ، والعنان : السحاب ، رحاها : وسطها ، وانبعجت : انتفقت ، والكلية من  
السحاب : أسفلها - ومن المزايدة رامة مستديرة تحرز عليها تحت العروة ، وذمرت : حضت - والتناثر :  
التناثر على القتال ، عفاقها : بروقها المشبة للطاقق .

[٣] ارتمن المطر : ثبت وجاد . [٤] غيث طبق : غم واسع يطبق الأرض ، وهضب كفر :  
مطر . [٥] جَوَّخَ السيل الوادى : إذا كسر جنبتيه واقطع أجرافه ، وفي الأصل « خوخ » وهو تصحيف  
والأنواج جمع أنواج كدس : وهو منعطف الوادى ، والشراج جمع شرج كشس أيضا : وهو مسيل  
الماء من المرة ( بفتح الحاء ) إلى السهل .

[٦] القمر : العنق ، والقمر : منزل للقمر ، والهي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، وألذى  
بمنه نوق بهش . [٧] قال في اللسان : « والرعب إذا لوانوا تخليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي  
فاوا : كان فعله كلا ، وربما كرروا فقالوا كلا ولا ، قال الشاعر : يكون نزول الغرم فيها كلا ولا : » ،  
والعجا : ما اعترض في الخلق من عظم ونعمره ، وند شجر ، به كرضي .

ثم أطرق<sup>(١)</sup> فاكفهر<sup>(٢)</sup>، وتراكم فأذلهم<sup>(٣)</sup>، وبسق فازلأم<sup>(٤)</sup>، ثم حدث به الريح،  
فخن<sup>(٥)</sup>، فالبرق مُرتعج<sup>(٦)</sup>، والرعد مُتبوّج<sup>(٧)</sup>، والخروج متبجج<sup>(٨)</sup>، فأنجم ثلاثاً،  
متحيراً ههنا<sup>(٩)</sup>، أخلاءه هاشكة<sup>(١٠)</sup>، ودفعه متواشكة<sup>(١١)</sup>، وسوامه متعاركة<sup>(١٢)</sup>، ثم  
ودّع منجماً<sup>(١٣)</sup>، وأطلع منجماً<sup>(١٤)</sup>، محمود البلاء، مُترع التهاء، مشكور النعماء،  
بطول<sup>(١٥)</sup> ذي الكبرياء<sup>(١٦)</sup>. (بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٤)

## ٧١ - أعرابي يصف مطراً

عن أبي عبيدة قال : خرج النُعمان في بعض أيامه في عَقِب سَمَاء ، فلقى  
أعرابياً على ناقة ، فأمر فأثى به ، قال : كيف تركت الأرض وراءك ، فقال :  
« فيح رُحاب<sup>(١)</sup> » ، منها السهول ومنها الصَّعاب ، منشوطة يَحِبِّهاها ، حاملة  
لأثقالها<sup>(٢)</sup> ، قال : إنى سألتك عن السماء ؟ قال :  
« مُطَلَّة<sup>(٣)</sup> مستقلة<sup>(٤)</sup> ، على غير سِقاب ولا أطناب ، يختلف عَصْرُها ،  
ويتعاقب سِرَاجُها ، قال : ليس عن هذا أسألك ؟ قال : فَسَلْ ما بَدَا لك ، قال :  
هل صَابَ الأرضَ غَيْثٌ ؟ قال :  
« نعم : أغمطت<sup>(٥)</sup> السماء في أرضنا ثلاثاً رَهْوًا ، فثَرَّتْ وأَرْزَغَتْ<sup>(٦)</sup> ،

[١] هو من أطرقت الإبل : تبع بعضها بعضاً ، وادلهم : اسود .

[٢] التَّبَوُّج : الصياح ، والمُرج : السحاب أول ما ينشأ ، متبجج : متنفق .

[٣] الهَبَات : الريح ، هاشكة : كثيرة الماء ، متواشكة : يارب بعضها بعضاً ، والسوام : الإبل الراحية .

[٤] أنجم المار وغيره : أطلع ، ومنها أي سائرنا نحو تهامة ، والهاء جمع نهي بالكسر والفتح وهو الدبر .

[٥] أي بفضل وقدرته .

[٦] فيح جمع فيحاء : راسعة ، وكذا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من نشط الحبل كنصر عقده

(وأشطه : حله) . [٧] مطلة : مرتفعة ، وكذا مستقلة ، والقاب جمع سلق كشمس : وهو عمود الحباء ،

والعصران : الليل والهار ، وسراجها : الشمس والقمر . [٨] أي دامت ولازمت ، والرهو : السكون

والثرة من العيون : الغزيرة كالثرثرة ، وقد ثرثت في ، والرزغة بالتحريك : الوحل ، وأرزغ الطر الأرض

بها ولم تمل ، ورسغ المار : كثر وترى الأرض حتى تبلغ يد الحافر عنه إلى ارسافه .

وَرَسَّعَتْ ، ثم خرجت من أرض قومي أقرؤها <sup>(١)</sup> ، فإذا هي مُتَوَاصِيَةٌ ، لا خَطِيئَةً يَبْنَاهَا ، حتى هبطت بِعِشَارٍ ، فتداعى السحاب من الأقطار ، فجاءنا بالسيل الحرَّار ، ففما <sup>(٢)</sup> الآثَار ، وملأ الجِفَار ، وقَوَّرَ عَلَى الأشجار ، فأَجَحَرَ الحُضَار ، ومنع السَّقَّار ، ثم أَفْلَعَ عن قمع وإضرار ، فلما اتَّلاَبَتْ <sup>(٣)</sup> لى الْقِيَمَان ، ووضعت السُّبُل فى الفَيْطَان ، وفات العَنَانُ ، من أقطار الأعنان ، فلم أجد وَزَرًا إلا النيران ، فقات وجار الضَّبُع ، فنادرت السهول كالبحار ، تتلاطم بالتيَّار ، والحُرُون متلفعةً بالفتاء <sup>(٤)</sup> ، والوحوش مقذوفة على الأرجاء ، فما زلت أطأ السماء ، وأخوض الماء ، حتى وَطِئْتُ أَرْضَكُمْ . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٠٧ )

## ٧٢ — أعرابى يصف مطرا

عن أبى عبيدة قال : وقف أعرابى على قوم من الحاج فتال :  
« يا قومي بدا شأنى ، والذى أَلْفَجَنى <sup>(١)</sup> إلى مسألتكم ، إن النيث كَانَ قد قَوَى عَنَّا ، ثم تَكَرَّفَا السحابُ ، وشَصَا الرَّبَابُ ، وأَذْهَمَ سَيْقُهُ <sup>(٢)</sup> ، فارتجس رَيْقُهُ ، وقلنا : هذا عامٌ بأكْرِ الوُثْمِي <sup>(٣)</sup> ، محمود السُّمَى ، ثم هَبَّتْ له الشَّمال ، فَأَحْزَأَتْ طَخَارِيَهُ <sup>(٤)</sup> ، وتَفَزَّعَ كِرْفَتُهُ متباشراً ، ثم تتابع لَمَعَانُ البرق ، حيث

- 
- [١] ألتبها : والمخططة : الأرض لم تَطْرَبَ بين مطورتين ، أو التى طار بعضها ، وعشار : موضع .  
[٢] عماها وطمسا ، والجفار جمع جفر كشمس : البثر التى لم تقطو ، وقورها : قطع من وسطها خرقا مستديرا ، وأجر ، من أاجر الضب : أى أدخله فى جحره ، والحضار جمع حاضر وهو النقيم فى الحضر ، والسفار جمع سافر وهو المسافر لافضل له . [٣] استقامت ، والعنان : السحاب ، والأعنان من السماء : نواحيها ، ولودر الملبأ ، والنيران جمع نار : وهو الكهف فى الجبل ، والوجار بالكسر والفتح : جحر الضبع وغيرها . [٤] الفتاء : البالى من ورق الشجر المحالط قرب السيل .  
[٥] الجأنى ، وقوى المطر : احتبس ، وتكرفا : تراكم ، وشصا : ارتفع ، والرباب : السحاب الأبيض .  
[٦] أذهم : اسود ، والسبق : السحاب لآما فيه ، والريق : تردد الماء على وجه الأرض .  
[٧] الوسمى : مطر الزبيع الأول ، سمى بذلك لأنه يمس الأرض بالنبات ، والسمى جمع سماء : وهو المطر أو المطرة الجيدة . [٨] الطخادر جمع طخور كصفور بالخاء والحاء : الطلع من السحاب ، والسكرى : السحاب المرتفع التراكم ، وتَفَزَّعَ : تفرق واتسع ، وشام البرق : نظر إليه أين يحد .

تَشِيْمُهُ الْأَبْصَارَ ، وَتَجْدُهُ النَّظَّارَ ، وَمَرَّتِ <sup>(١)</sup> الْجَنُوبُ مَاءَهُ ، فَقَوَّضَ الْحَيُّ زُلُمَتَيْنِ  
نَحْوَهُ ، فَسَرَحْنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانَ وَخِيًا وَخِيًا ، فَاسَافَ الْمَالَ ، وَأَضَفَ الْحَالَ ، فَرَحِمَ  
اللَّهُ اَصْرًا جَادَ بِمَيِّرٍ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرٍ . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٠٨)

## ٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابيا من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتنا في  
أرض عَجَفَاء <sup>(٢)</sup> ، وزمان أَعْجَفَ ، وشجر أَعْمَمَ ، في قَفٍّ غَلِيظٍ ، فبينما نحن  
كذلك ، إِذْ أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ غَيْثًا مُسْتَكِفًا <sup>(٣)</sup> نَشُوهُ ، مُسْبِلَةً عَزَائِيهِ ،  
صَنِخًا مَقْطُرُهُ ، جَوْدًا صَوْبُهُ زَاكِيًا ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِزْقًا لَنَا ، فَمَعَّشَ بِهِ أَمْوَالَنَا ،  
وَوَصَّلَ بِهِ طَرَقَنَا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنُوطَةٌ <sup>(٤)</sup> بِمَبْدَةِ الْأَرْجَاءِ ، فَاهْرَمَتْ مَطَرُهَا ،  
حَتَّى رَأَيْنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ ، وَضَهَوَاتِ الطَّلُحِ <sup>(٥)</sup> ، وَضَرَبَ السَّيْلُ  
النَّجَافَ ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَرَعَبَهَا ، فَالْبَيْتُ الْإِلْعَاشُ ، حَتَّى رَأَيْنَا رَوْضَةً تَنْدَى .

(بلوغ الأرب ٣ : ٢٠٩)

[١] هو من مري المافة كرمي : مسح ضرعها لتدر ، زلّتين : ماضين مرتحلين إليه ، وأساف المال : أهلكه ، والسواف كجبال وشجاع : للموت في الناس والمال ، ساف سوا أي هلك ، وأسافه الله ، ويقال  
أيضاً أساف الرجل : وقع في ماله السواف أي للموت ، وأضف من الضف كدب وهو الغرق والغدة ،  
أصابهم من العيش ضف أي شدة .

[٢] ليس بها نبات ، وأصله من العجف بالتحريك وهو الهزال ، وأععم : يابس ، وأصله من العسم  
بالتحريك وهو يابس في فصل الرسخ تخرج منه اليد والقدم ، والغف : ما غلط من الأرض وارمل ، لم  
يلغ أن يكون جبلا ، وأنت أمة السحاب : رفته . [٣] مستكفا : مستديرا كالسكة ، ( والسكة  
بالكسر ويضم كل مستدير ) ، وصوبه : مطره . [٤] النوطة : الأرض يكثر بها الطلع ( والطلع :  
شجر عظام ) والموضع المرتفع عن الماء ، أو ليس بواد ولا تلة بل بين ذلك ، واهرمع : كثر وأسرع .  
[٥] الضهوة : بركة الماء ، والنجاف جمع نجف بالتحريك ونباء : مكان لا يهلوه الماء ، أو موى أرض  
مستديرة مشرفة على ما حولها ، وزعبها : ملأها .

## ٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة طعنة وطفاء <sup>(١)</sup> ، كأن هوائها الدلاء ، مُرَجِّجَتِ النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تَمَسُّ هامَ الرجال ، كثيرٌ رَجَلُها <sup>(٢)</sup> ، قاصِفٌ رَعْدُها ، خاطف <sup>(٣)</sup> برقها ، حَثِيثٌ وَذْقها ، بطيءٌ سيرها ، مُشْتَجِرٌ قَطْرُها ، مَظْلِمٌ نَوَؤُها ، قد لجئت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصولها بأغلافها ، متجمعة بعد شتاتها ، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بِمِضَاءِ الشجر ، وتعلقنا بِقُنَنِ الجبال ، لكننا جفأ <sup>(٤)</sup> في بعض الأودية ، وَلَقَمَ الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسألك في أجلك يركتك ، وعاد الله بك على رعيتك ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد . فقال سليمان : « لَمَرُّ أهلك لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت مُحَبَّرَةٌ لقد أجدت » ، قال : بل مُحَبَّرَةٌ مَهْدُورَةٌ يا أمير المؤمنين ، قال : « يا غلام أعطه ، فوالله لَصِدْقُهُ عَجِبُ إلينا من صِفَتِهِ » . ( المقدم الفريد ٢ : ٩٦ )

## ٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كَانَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي خِيَابَتِهِ ، وَابْنَةٌ لَهُ بِالْفِئَاءِ <sup>(٥)</sup> ، إِذْ سَمِعَتْ رَعْدًا فَقَالَتْ : مَا تَرَيْنِ يَا بَيْتِيَّةُ ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا حَوَاءَ قَرْحَاءٍ <sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّهَا أَقْرَابُ

[١] سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماؤها ، أو هي الدائمة السح الحثينة ، هوائها : أوائلها ومقاديرها ، مرجحة : ثقيلة مهتزة . [٢] ازجل : الجلبة ، ورفع الصوت ، مشتجر : سائل منسوب ، ولجأ إليه كمن وفرح ، وأغلاف جمع غلف بالكسر وهو للبصرة والشاة والظبي وشبهها كالقدم لنا ، والغن جمع غنة ، وهي قبة الجبل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سقطت من الأصل في الطبع . [٤] الجفأ : الزبد ، ولهم الطريق : سخطه أو وسطه ، وفي الأصل : « اغم » وهو تحريف .

[٥] الفئاء : ما السع أمام الدار . [٦] حواء : وصف من الحوة بالغم وهي حرة الى السواد ،

أَتَانِ قَرَاءَ ، ثُمَّ سَمِعَ رَاعِدَةً أُخْرَى فَقَالَ : كَيْفَ تَرِيهَا ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا جَمَّةَ  
الْتَّرْجَانِ<sup>(١)</sup> ، مُنْسَاطَةً الْأَكْنَافِ ، تَتَأَلَّقُ بِالْبَرْقِ الْوَلَّافِ ، قَالَ : هَلُمْنِي الْمُنْزَقَةَ ،  
إِنْتَنِي<sup>(٢)</sup> تُوَيْيَا . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٥١ )

## ٧٦ - أعرابية تصف مطراً

عن الأصمعي قال : كَانَ أَعْرَابِي ضَرِيرٌ تَقْوَدُهُ ابْنَتُهُ ، وَهِيَ تَرعى غُنَيْمَاتٍ لَهَا ،  
فَرَأَتْ سَحَابًا فَقَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرِيهَا ، قَالَتْ :  
كَأَنَّهَا فَرَسٌ دَعْمَاءٌ<sup>(٣)</sup> تَجْرُجُ جِلَالَهَا ، قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِكِيًا ، ثُمَّ قَالَتْ :  
يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرِيهَا ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهَا عَيْنٌ جَلَّ طَرِيفُ<sup>(٤)</sup> ،  
قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِكِيًا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ  
تَرِيهَا ؟ قَالَتْ : سَطِطَحَتْ وَابْيَضَّتْ ، قَالَ : أَدْخِلِي غُنَيْمَاتِكَ ، قَالَ : لَجَأَتِ السَّمَاءُ  
بِشَيْءٍ شَطَطًا<sup>(٥)</sup> لَهُ الزُّرُوعُ وَأَيْنَعُ ، وَخَفِصِرَ وَنَصِيرُ . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٦٠ )

## ٧٧ - أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحدها فقال :

« خَلَعَ شَيْعُهَا ، وَأَبْقَلَ رَمَثُهَا ، وَخَضَبَ عَرَقُجُهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَنْسَقَ نَبْثُهَا ،  
وَاخْضَرَّتْ قَرْنَائُهَا ، وَأَخْوَصَتْ بُطْنَانُهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَحْلَسَتْ أَكْمَامُهَا ، وَاعْتَمَّ

والفرجة بالقم : في وجه الفرس دون الفروة ، والوصف منه أفرح وفرحاء ، والأقرب جمع قرب كقفل  
ومنى : وهو الحاصرة ، والفروة بالقم : يابس فيه كثرة ، حار أقر ، وأتان قراء .

[١] كثرة الاضطراب ، الولاف : المتتابع ، من ولف البرق كومد ولقا وولافا بالكسر : تابع .

[٢] النوى : الخفير حول الحياء بمنح السيل ، واتأانته عملته .

[٣] سرجاء ، والجلال جمع جل بالقم والفتح : ما تلبسه الهابة لتصان به .

[٤] الجمل يظفل من رمي إلى رمي . [٥] شطأ الزرع : أخرج شطأه ، أي فراخه .

[٦] خلغ الفج : أوردق ( والخالع من الضياء : الذي لا يسطع ورده أبداً ، والضياء كتاب : كل شجر  
له شوك ) والرمث : رمي للإبل ، وشجر يشبه النض ، والرفج : شجر سبلي ، وخضب التجر كقرب  
وصمع وعى : اخضر . [٧] القريان : مجارى الماء من الرو إلى الرياض جمع قرى كقنى ، وأخوس

نَبْتُ جَرَاثِمِهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَجْرَتْ بَقْلَتِهَا وَذُرْقَتِهَا وَخُبَازَتِهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأُخْوَرَتْ خَوَاصِرُ  
إِبِلِهَا ، وَشَكِرَتْ حَلَوْبُتُهَا ، وَسَمِنَتْ قَتُوبُتُهَا<sup>(٣)</sup> ، وَعَمِدَتْ تَنَاهِيَا ،  
وَأَمَامَتْ ثَمَارُهَا ، وَوَيْقَ النَّاسِ بِصَاثَرَتِهَا<sup>(٤)</sup> . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

## ٧٨ - رائد يصف أرضاً جذبة

قال أبو المجيب : وصف رائدُ أرضاً جذبة فقال :

« أَغْبَرَتْ جَادُثُهَا<sup>(٥)</sup> ، وَذَرَّعَ مَرَّتَمُهَا ، وَقَفَّعَ شَجَرُهَا ، وَزَقَّتْ كَرِشُهَا ،  
وَخَوَّرَ عَظْمُهَا ، وَالتَّقَى سَرَّحَاها<sup>(٦)</sup> ، وَتَمَيَّزَ<sup>(٧)</sup> أَهْلُهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،  
وَأَمَوَاهُمُ الْمَزَلُ<sup>(٨)</sup> . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

المرجع : فطر يورق ، وأخوصت النخلة : أخرجت الحوس ، والبطنان جمع باطن وهو الماض من الأرض  
أى الماضئ منها . [١] أحلس التبت : غطى الأرض بكثرة ، وأحلس الأرض فعى محلة : صار  
النبات عليها كالجلس كثرة - المجلس كحل كساء على ظهر البعير - والجراثيم جمع حرثومة بالقم ، وجرثومة  
القم : أصله ، واعتم : أى كأنه ليس عمامة . [٢] أجرت البقلة : صارت لها جراء - وجراء ككتاب  
جمع جرو بالثلاث وهو صغير كل قمى - والقرقة واحدة القرى وهو نبات مثل السراش الجلبى الدقاق فى  
رأسه حب حلو يؤكل رطباً تحبه الرعاة يأتون به أهليهم ، والخبارة والخبازى : التبت المعروف .

[٣] اخووت : أيفت وذلك من القد على خواصرها ثلاث تحبط ( والمبط بالتحريك : اندفاع باطنها من  
مرمى ترها ) والملولبة : الملولبة ، وشكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، والهابية : سميت ، والقنوبة : الأبل  
التي تقيها ( وأقنب الناقة : شد عليها القنب بالتحريك ) وهو إكاف صغير على قدر سنام البعير .

[٤] حمد الثرى : بله المعار حتى إذا قبضت عليه تفقد لندوته ، والتناهى جمع تنهية : وهى مستقر السيل  
حيث ينتهى الماء من الوادى ، وعقدت تناهيا : أن يمر السيل مقبلا حتى إذا انتهى متناه دار بالأبطح  
حتى يلتقى مارفا السيل ، وأمامت ثمارها : أى كثر ماؤها ، والصائرة : المطر والكلا .

[٥] الجادة : الطريق إلى الماء ، وذرع المريع : بعد عن الماء ، وقغم شجرها : تكسر ، يقال :  
سيف قغم كفرح : أى طال عليه الدهر فكسر حده ، وقغم السن : انصدع وتثلم ، وإذا لم يكن للجمال  
جرهم إلا الشجر وحده وقت أكراشه . [٦] ينى أنه إذا أكل كل سارح مايليه ، التيا عند الماء .  
[٧] فرموا فى طلب الكلا ، والوهل : الفزع ، والمزل : موت ، واهى الرجل .



## ٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُناسة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طي<sup>(١)</sup> قال :  
« بعث قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَعَاشِبُ<sup>(٢)</sup> » ، وَكَمَاةٌ<sup>(٣)</sup>  
مُتَفَرِّقَةٌ شَيْبٌ<sup>(٤)</sup> ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَافِهَا النَّيْبُ<sup>(٥)</sup> » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا  
كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ كَأُدَّ مَادُّ ، مَوْلَى<sup>(٦)</sup> »  
وَعَهْدٌ ، مِتْدَارُكُ جَعْدٌ<sup>(٧)</sup> ، كَأَنَّا خَازِ نِسَاءَ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تُعَدُّ<sup>(٨)</sup> » .  
(البيان والتبيين ٢ : ٧٩)

## ٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلًا ،  
وَمَاءً غَيْلًا<sup>(١)</sup> » ، يَسِيلُ سَيْلًا ، وَخَوْصُهُ تَمِيلُ مَيْلًا ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلًا » ، وقال  
الذاني : « رَأَيْتُ دَيْعَةً عَلَى دَيْعَةٍ ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ قَدِيمَةٍ ، وَكَلَّأْتُ نَشْبَ مِنْهُ النَّابِ  
قَبْلَ الْفَطِيمَةِ » . (البيان والتبيين ٢ : ٧٩)

✽

وروى هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :

« خُطِبَ هِنْدُ بَنَةُ الْخُسِّ الْإِيَادِيَّةُ ثَلَاثَةَ ثَمَرٍ مِنْ قَوْمِهَا ، وَارْتَضَتْ أَنْسَابَهُمْ »

[١] العشب : الكلأ الرطب ، والتعاشيب : القطع للفرقة منه . [٢] النيب جمع ناب : وهو  
الثاقفة المسنة . [٣] جاء في اللسان : « قال الأصمعي : قيل لبعض العرب : أصب لنا موضعاً أي اطلب  
فقال رائدكم : وجدت مكاناً ثمناً مثلاً ( بفتح فكسر ) وقال زيد بن كثوة : بشوا رائداً لجاء وقال : عشب  
ثأد مأد ( بفتح فكسر ) كأنه أسوق بني سعد » وثبت النيب كفتح : ندى فهو ثند ، ومأد كنع أمثراً  
وتروى وجرى فيه الماء وتتم ولان ، ولأد : الناعم من كل شيء ، وللولي : الذي أصابه الولي  
( والولي : المطر الذي يأتي بعد المطر ) ، والهد : أول مطر الوسمي ( والوسمي : أول مطر الربيع ) .  
[٤] من قولهم : زيد جعد : أي تراكب مجتمع قد صار بعضه فوق بعض .  
[٥] يعني أن العشب قد طال وتم ، والنيب تشبع منه وهي تعد ، لأنها تتناوله وهي قائمة لا تبرح مكانها .  
ولا تطل أي رأسها . [٦] الغيل : الماء الذي يجري بين العجر .

وجاهلهم ، وأرادت أن تسبر عقولهم ، فقالت لهم : « إني أريد أن ترتادوا لى  
مرعى ، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت ؟ قال : رأيت بقلاً وبقيلاً ،  
وماءً غدقاً<sup>(١)</sup> سَيْلاً ، يحسبه الجاهل ليلاً ، قالت : أمرعت<sup>(٢)</sup> ، قال الآخر :  
رأيت ديمة بدم ديمة ، على عهاد غير قديمة ، فالتاب تشبع قبل الفطيمة ، قال  
الثالث : رأيت غيثاً تمّداً معدداً<sup>(٣)</sup> ، ثمّرا كما جمعداً ، كأغذا نساء بنى سعد ،  
تشيع منه النيب وهى تُعدّ . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦ )

## ٨١ أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبي عمرو بن العلاء قال : لقيت أعرابياً بمكة فقلت له ، ممن أنت ؟ قال :  
أسدى ، قلت : ومن أيهم ؟ قال : نهدي ، قلت : من أى البلاد ؟ قال : من  
عمّان ، قلت : فأتى لك هذه الفصاحة ؟ قال : « إنا سكنا قطراً لا نسمع فيه  
ناجحة التيار<sup>(٤)</sup> » ، قلت : صف لى أرضك ، قال : « سيف أفيج ، وفضاء  
صحصح ، وجبل صردح ، وزمل أصبح<sup>(٥)</sup> » ، قلت : فما مالك ؟ قال : النخل ،  
قلت : فأين أنت من الإبل ؟ قال : « إن النخل تحملها غداء ، وسعفها<sup>(٦)</sup> ضياء ،  
وجذعها بناء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وخوصها وعاء ، وقروها إناء » .  
( ذيل الأملى ص ١٧ )

[١] الغدق : الماء الكثير . [٢] أمرعته : أسابه مريضاً تكسب وزناً ومعنى .

[٣] الغيث : المطر والكلأ ، وقيل : الأصل العار ثم سمى ما ينبت به غيثاً ، والمراد هنا الثانى ، وبقل  
سعد سعد : فخذى رماب رخصى .

[٤] الناجحة : الصوت ، والتيار : للوج . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل الوادى ، أو  
لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان ، وأفيج : واسع ، والصصح : ما استوى من  
الأرض ، والصدوح : الصلب ، والأصبح : الذى يطلو يابسه حمرة . [٦] السعف : جريد النخل أو  
ورقه ، والكرب : أصول السعف الغلاظ المراض ، والرشاء : الحبل ، والفرو : أسفل النخلة ينفر  
فينبذ فيه - أى يتخذ فيه النيد -

## ٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلدا فقال: « بلد كالأرس، ماعشى فيه الريح إلا حابرات سبيل، ولا يمر فيه السفر إلا بأدلة دليل » .  
(الحد الفريد ٢ : ٨٠)

وقال أعرابي: « مررت ببلد ألقى به الصيْف<sup>(١)</sup> بقاعه، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أربائه، وقد نقت الريح القذى عن مأته، فكأنه سلاسل دزيج ذات فضول<sup>(٢)</sup> » .  
(الحد الفريد ٢ : ٩٦)

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين فقال: « ثمر ليلة، وأديم<sup>(٣)</sup> يوم » .  
وقال آخر: « سواد ليلة، أو يياض يوم » .

(البيان والبيان ٢ : ٥١ والحد الفريد ٢ : ٩٧)

وقال آخر: « إن المسافر ومتاعه لئلى قلت<sup>(٤)</sup> إلا ما وثق الله » .

(الحد الفريد ٢ : ٥٢)

## ٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي ف قيل له : ما أشدُّ البرد ؟ قال : « ربح جرياًء ، في ظلّ تماء ، غيب سماء<sup>(٥)</sup> » .  
(البيان والبيان ١ : ١٦٣)

## ٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال : سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال :

« إنها لعظامُ الحنَّاجِرِ ، سباطُ المشافرِ ، كُومُ بهازِر<sup>(٦)</sup> ، نُكْدُ خَنَاجِر<sup>(٧)</sup> ،

[١] السيف كسيد ويخفف : الطريجي . في الصيف أو بعد الريح كالصيف .

[٢] جمع فضل : وهو الزيادة . [٣] أديم الأبر : طاحته أو بياضه . [٤] القلت : الهلاك .

[٥] الجرياء : ربح الدمال البردة ، أو الرخ بين الجنوب والعباء ، والساء : الحجاب للريح ، أو

الكتيف ، أو المطر ، في غيب سماء : أي عقب مطر . [٦] الحنجرية والحنجور كصفور : الخلقم ،

وجهه حنجر ، والمشارف جمع مشفر ككبر : وهو الجبر كالشفة للإنسان ، والكوم : النظام الأسنة جمع أ كوم

وكوماء ، والبهازر جمع بهزرة : كبندة ، وهي المنظمة من النوق .

[٧] النكد : الفزيرات العين من الإبل ( والتي لا لبن لها أيضا ضد ) ، والحناجر : الفزيرات العين

أجوافها رِغَابٌ<sup>(١)</sup>، وأعطائها رِجَابٌ<sup>(٢)</sup>، مُنْتَعَمٌ من أُنْهَمَ<sup>(٣)</sup>، وَتُبْدَلُ لِلْجَمِّ « .  
(الأمال : ١ : ٥٢)

## ٨٥ - أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إِذَا احْكَاثَتْ عَيْنُهَا ، وَاللَّتْ<sup>(١)</sup> أَذُنُهَا ،  
وَسَجَّحَ<sup>(٢)</sup> خَدَّهَا ، وَهَدِلَ<sup>(٣)</sup> مِشْقَرَهَا ، وَاسْتَدَارَتْ جُنْجُمَتَهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ » .  
(الأمال : ١ : ٢١٧)

## ٨٦ - أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « خَرَجْتَ عَلَيْنَا خَيْلٌ مُسْتَطِيرَةٌ  
التَّنْعُ<sup>(١)</sup> ، كَأَنَّ هَوَادِيَهَا<sup>(٢)</sup> أَعْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ ، وَفُرْسَانُهَا أَسْوَدُ  
أَجَامِرَ » .

## ٨٧ - أعرابي يصف خيلا

وذَكَرَ أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أُنْحَدَرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَهُ ،  
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَشْهَلْتُ حَزَنَتَهُ » . (المقد العريد : ٢ : ٩٥)

## ٨٨ - أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ  
الْخَصَائِلِ<sup>(١)</sup> ، ظِلْمَاءُ الْمَفَاصِلِ ، شِدَادُ الْأَبْجَلِ<sup>(٢)</sup> ، قُبُ الْأَيْطِلِ ، كِرَامُ  
النَّوْجِلِ<sup>(٣)</sup> » . (الأمال : ١ : ٥٢)

جمع خنجر كخنجر وبهاء وخنجورة بالفم . [١] رِغَابٌ : واسعة ، وأعطائها : بآركها عند الماء جمع  
عطن كسبب . [٢] أُنْهَمَ جمع بهمة كفرصة : وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى ، من شدة  
أسسه ، والجمل جمع جمة كقبعة ، وم القوم يسأرون في الدلائل .

[٣] آل البعر : نصب أذنيه وحدهما . [٤] سَجَّحَ : سهل وحسن . [٥] هَدِلَ : استرخى .  
[٦] الْيَمَارُ . [٧] أَوَّاعِلُهَا . [٨] الْخَصَائِلُ جمع خصيلة : وهي كل قطعة من اللحم مستطيلة أو  
مجمعة ، وقيل : هي ما نأخذ من لحم العنخ يضنه من فض ، وسباط جمع سبط ككتف وشمس ، رجل  
سبط الجسم إذا كان حسن القصد والاستواء ، وظماء : ضمير . [٩] الْأَبْجَلُ جمع أبجل : وهو عرق  
غليظ في الرجل أو في اليد ، يريد أنها شدة الفؤام . [١٠] الْأَيْطِلُ جمع أيطل : وهو الخافضة ،

## ٨٩ - أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى ضُمُورُه ، وَذَبُلَ فَرِيرُهُ <sup>(١)</sup> ،  
وظهر حَصِيرُهُ <sup>(٢)</sup> ، وتَفَلَّقَتْ غُرُورُهُ <sup>(٣)</sup> ، واسترخت شَاكِلَتُهُ <sup>(٤)</sup> ، يُقْبِلُ بَرْزُورُ  
الْأَسَدِ ، وَيُذْبِرُ بِعَجْزِ الذَّنْبِ » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٣ ، والأمل ٢ : ٢٥٦ )

## ٩٠ - أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ <sup>(٥)</sup> تَقْدِيرُ حَلَقَتِهِ ، وَذُوْرُ كَرَمِي فَضْتِهِ ،  
وَأَحْكَمُ تَرْكِيبِهِ ، وَأَتَقَنُ تَدْيِيرِهِ ، فَبِهِ يَتِمُّ الْمُلْكُ ، وَيَنْفُذُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ ،  
وَيَشْرُفُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ » . ( القد الفريد ٢ : ٩٧ )

## ٩١ - أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « مَا أَطْيَبُ الطَّعَامُ ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ  
مَسْمِيَّةٌ <sup>(٦)</sup> ، مُعْتَبِطَةٌ غَيْرُ ضَمْنَةٍ ، فِي قُدُورٍ رَذِمَةٍ <sup>(٧)</sup> ، بِشِفَارٍ خَدِمَةٍ <sup>(٨)</sup> ، فِي غَدَاةٍ  
مُشِيمَةٍ <sup>(٩)</sup> » ، فقال عبد الملك : وَأَيُّكَ لَقَدْ أَطْيَيْتَ <sup>(١٠)</sup> .  
( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

قَبَّ جَمْعُ أَقْبَ ، وَصَفَ مِنَ الْقَبِّ كَسَبَبٍ وَهُوَ دَنَةُ الْخَصْرِ وَضُمُورُ الْبَطْنِ ، وَالزَّوْجِلُ جَمْعُ نَاجِلَةٍ ، مِنْ  
نَجَلْتُهُ : أَيُّ وَلَدَتْهُ . [ ١ ] الْفَرِيرُ : مَوْضِعُ الْحِجَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْفَرَسِ .  
[ ٢ ] الْحَصِيرُ : عَرَقٌ يَمْتَدُّ مِمَّا تَرْضَأُ عَلَى جَنْبِ الدَّابَّةِ إِلَى نَاحِيَةِ بَطْنِهَا ، أَوْ لَمَّةٌ كَذَلِكَ .  
[ ٣ ] الْغُرُورُ : الْفُضُونُ الَّتِي فِي جِلْدِهِ ، وَاحِدُهَا غُرٌّ بِالْفَتْحِ . [ ٤ ] الشَاكِلَةُ مِنَ الْفَرَسِ : الْجِلْدُ بَيْنَ  
عُرْشِ الْخَاصِرَةِ وَالثَّنَةِ - وَالثَّنَةُ كَفَرَحَةٍ : الرِّكْبَةُ - . [ ٥ ] رَقَّ :  
[ ٦ ] الْبَكْرَةُ : الْفَتْيَةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالسَّنَةُ : الْعَظِيمَةُ السَّامُ ، وَهِيَ كَفَرَحٍ ، عِطْتُ الدَّيْجَةَ كَفَرْحٍ  
واعتبطها : نَحَرَهَا مِنْ غَيْرِ طَلَةِ رَحَى مَحْمِيَّةٍ فَتِيَّةٍ ، وَالضَّمْنَةُ : الزَّمَنَةُ وَالْمَثَلَةُ فِي جَسَدِهَا مِنَ الدَّمَةِ كَفَرَحَةٍ  
وَهِيَ الرُّشُ . [ ٧ ] رَذِمَتْ الْقَصْعَةُ كَفَرَحٍ فَهِيَ رَذُومٌ وَرَذُومٌ كَصَبُورٍ : ائْتَلَتْ وَتَصَبَّتْ جَوَانِبُهَا .  
[ ٨ ] شِفَارُ جَمْعُ شَفَرَةٍ « بِالْفَتْحِ » : وَهِيَ السَّكِينُ الْعَظِيمُ ، وَخَدَمُهُ كَفَرْحَةٍ : قَطَاعُهُ ، وَسَيْفُ خَدَمٍ  
كَسَكَنَتْ وَصَبُورٌ وَعَظَمٌ : قَاطِعٌ . [ ٩ ] الْغَدَاةُ : الْبَكْرَةُ « بِالْفَمِ » أَوْ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ  
الشَّمْسِ ، وَشَبَابَةٌ : بَارِدَةٌ ، وَفُشَلَا كَفَرَحٍ . [ ١٠ ] أَطَابَ الشَّيْءُ وَأَطْيَبَ : وَجَدَهُ طَيِّباً .

## ٩٢ - أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السويق<sup>(١)</sup> بحضرة أعرابي ، فقال : « لا تَبْه ، فإنه عُدَّة المسافرين ، وطعام العجّالان ، وغذاء المبكر ، وبُلْفَة<sup>(٢)</sup> المريض ، وَيَسْرُو<sup>(٣)</sup> فَوَادِ الحزين ، وَيَرُدُّ من نفس المحدود<sup>(٤)</sup> ، ويجيد في التسمين ، ومنعوت في الطب ، وَقَفَّارُهُ<sup>(٥)</sup> يجلو البَنَاحَ ، وملتوته يُصْقِي الدم ، وإن شئت كان شراباً ، وإن شئت كان طعاماً ، وإن شئت قَبْرِيْدًا ، وإن شئت تَخْفِيصًا<sup>(٦)</sup> » . (الأمال ٢ : ١٩٧)

## ٩٣ - أعرابي يصف الجمال

وقيل لأعرابي ما الجمال ؟ قال : « طُولُ القامة ، وَضَخَمُ<sup>(٧)</sup> الهامة ، وَرُحْبُ<sup>(٨)</sup> الشَّدْقِ ، وَبُعْدُ الصوت » ، وسئل آخر : ما الجمال ؟ قال : « غُثُورُ العينين ، وإشراف الحاجبين ، وَرُحْبُ الشَّدْقَيْنِ » . (البيان والتبيين ١ : ٦٧)

## ٩٤ - أبو المخش يصف ابنه

وسأل جعفر بن سليمان أبا المَخْشِ عن ابنه المَخْشِ<sup>(٩)</sup> - وكان جزع عليه جزعاً شديداً - قال : صف لي المخش ، فقال : « كَانَ أَشْدَقَ خُرْطُمَانِيَا<sup>(١٠)</sup> ، سَائِلًا أُمَامَهُ ، كَأَنَّمَا يَنْظُرُ من قَتْنَيْنِ<sup>(١١)</sup> ، كَانَ تَرَقُّوتُهُ بُوَانٌ ، أَوْ خَالِفَةٌ ،

[١] السويق : ما يصل من الحنطة والذير . [٢] ما يتلج به . [٣] يسرو : يكشف ما عليه .  
[٤] المحدود : الذي قد حدث أى قد ضرب الحد . [٥] القفار : التي لم يلبث بقى من آدم ،  
لا زيت ولا سم ولا لبن . يقال طعام قفار . [٦] الخبيس : نقي الدقيق يخلط بالسل .  
[٧] ضخم ككرم ضخمًا وضخامة فهو ضخم . [٨] رحب ككرم وسع رحبا بالضم ورحابة فهو  
رحب بالفتح . [٩] المخش في الأصل : الجري على العمل في الليل .  
[١٠] أشدق : واسع الشدقين ، خرطمانياً : طويلاً . [١١] الفت : الفترة في الجبل .

كَانَ مِنْكَ بِهِ كِرْكِرَةً جَلِيَّةً تَقَالِ (١) ، فَقَالَ اللَّهُ عِنِّي إِنْ كُنْتَ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أَوْ  
بَعْدَهُ مِثْلَهُ . (اليان والتبين ١ : ٦٧)

## ٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي بِحَمِي الرِّبْدَةِ : أَلَاكَ بَنُونَ ؟  
قال : نعم ، وَخَالِقِهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مِثْلِهِمْ مُنْجِبَةً ، فقلت : صِفْهُمْ لِي ، فقال :  
« جَهْمٌ ! وَمَا جَهْمٌ ؟ يُنْغِي الْوَهْمُ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمُ (٢) ، وَيَقْرِي الصَّفُوفُ ،  
وَيُعِلُّ السُّيُوفُ (٣) » ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « غَشْمَشَمٌ ! وَمَا غَشْمَشَمٌ ؟ مَالُهُ  
مُقَسَّمٌ ، وَقِرْنُهُ مُجْرَجَمٌ (٤) ، جِذْلُ حِكَاكِ (٥) ، وَمِذْرَةُ لِكَاكَ (٦) » ، قلت : ثُمَّ  
مَنْ ؟ قال : « عَشْرَبٌ ! وَمَا عَشْرَبٌ ؟ لَيْتَ مُحْرَبٌ ، وَسِمَامٌ مُقَشَّبٌ (٧) ، ذِكْرُهُ  
بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ عَائِرٌ ، وَفِنَاؤُهُ رُمَابٌ (٨) ، وَذَاعِيهِ مُجَابٌ » ، قلت : صف لي  
نفسك ، فقال : « لَيْتَ أَبُو رِيَابِلٍ (٩) ، رَكَابٌ مَعَاضِلٌ ، عَسَافٌ (١٠) مُجَاهِلٌ ،  
سَمَالٌ أَعْبَاءٌ ، نِهَاضٌ يَبْزِلَاءُ (١١) » . (الأمل ١ : ٥٢)

[١] البوان : صمود للبناء ، والمخافة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رحي زور  
الجبر ، ويبر قال : بطل .

[٢] ينغى : يهزل ، والوهم : الضم من الإبل ، والدهم : العدد الكثير .

[٣] يقرى : يشق ، ويصل : أى يوردها السماء ثانية ، مأخوذ من الطل في الشرب .

[٤] المجرم : المصروع . [٥] الجذل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجرب تحك به فتجد

له لذة ، والمعنى أنه من يستشفى به في الأمور بمنزلة ذلك الجذل الذى تستشفى به الإبل .

[٦] للدرة : لسان الفرم ، والمقكام عنهم ، والدافع عنهم ، يقال : دهرته من ودرائه : أى دفته ،

والككاك : الزحام . [٧] المحرب : المفضب الذى قد اشتد غضبه واحدة ، وحربت السكين : إذا

أحدثته ، ومقشب : مخلوط . [٨] باهر : غالب ، ورحاب : متسع .

[٩] ريابيل جمع ريابل بالكسر يهز ولا يهز : وهو الأسد ، وللعاضل : الدواى .

[١٠] الصاف : الذى يركب الطريق على غير هداية ، والأعباء : الأهمال .

[١١] البزلاء : الرأى الجيد الذى يزل ( بضم الزاى ) عن الصواب : أى يشق عنه .

## ٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن العُتْبِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي عَنْ إِخْوَةِ ثَلَاثَةِ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ :  
أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَيْدٍ فَقَالَ : « أَزِيدُ إِنِّيهِ <sup>(١)</sup> ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْكَنَ  
قَوْرًا ، وَلَا أَبْعَدَ عَزْرًا ، وَلَا أَخَذَ لِنَبِّ حُجَّةٍ قَدْ تَقَدَّمَ رَأْسُهَا مِنْ زَيْدٍ » ،  
فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَائِدٍ ، قَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الْعُقْدَةِ ، لَيْتَ الْعُطْفَةَ ،  
مَا يُرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ » ، فَقُلْتُ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنْ  
أَفْضَلَ مَا فِيَّ لَأَمْرَفَتِي بِفَضْلِهِمَا ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ كَنِيرٌ مُنْتَشِرٌ <sup>(٢)</sup> الرَّأْيَ ، وَلَا  
تَحْذُولُ النَّزَمُ » . (الأمال : ٢ : ١٤)

## قولهم في الدعاء

### ٩٧ ... دعاء أعرابي .

قال أبو حاتم : أُمِلِي عَلَيْنَا أَعْرَابِي يَقَالُ لَهُ مَرْتَدٌ :  
« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاجْلِدْ بَارِدًا ، وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ ، وَاللِّسَانُ مَنْطَلِقٌ ، وَالصَّحْفُ  
مَنْشُورٌ ، وَالْأَفْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالْأَنْفُسُ مَرِيحَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَالتَّضَرُّعُ  
مَرْجُوءٌ ، قَبْلَ آتِي الْفِرَاقِ ، وَحَشَاكَ النَّفْسُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَزَ الصَّدْرُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَزَيَّلَ  
الْأَوْصَالُ <sup>(٦)</sup> ، وَتُصُولُ الشَّعْرِ ، وَاحْتِيَافُ <sup>(٧)</sup> التَّرَابِ ، وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى  
اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْعَمَلُ ، وَيَحْضُرُ الْأَجَلُ ، وَيَنْقَطِعُ الْأَمَلُ .

[١] قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي : « هَذِهِ الزِّيَادَةُ تُلْحِقُ فِي الْاسْتِفْهَامِ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ إِذَا أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ  
رَأْيُ النَّكَمِ عَلَى مَا ذَكَرَ ، أَوْ يَكُونَ عَلَى خِلَافِ مَا ذَكَرَ » انظر هذا البحث في الأمال : ٢ : ١٥ .  
[٢] أَيْ مَفْرَقَةٌ . [٣] مَرَحٌ كَفَرَحَ : أَهْرٌ وَيَطُرُ وَنَشَطٌ وَاخْتِلَافٌ وَتَبَخُّرٌ فَهُوَ مَرَحٌ وَمَرَجٌ .  
[٤] الْحَشَاةُ : شِدَّةُ النَّزَعِ . [٥] الْبُرْ : قَلْبٌ وَخِفَةٌ وَهَلَعٌ يَصِيبُ الرِّبِيضَ وَالْمَحْضَرَ .  
[٦] تَزَيَّلَ وَتَزَالَتِ : تَهَرَّقَتْ ، وَالْأَوْصَالُ : الْفَاصِلُ . [٧] الْإِحْتِيَافُ : انْتِمَالٌ مِنَ الْخَيْفِ وَهُوَ  
الْجُورُ ، وَالرَّادُّ أَكَلَ تَرَابَ الْقَبْرِ الْجَنَّةِ ، وَالدِّيُّ فِي كَيْبِ الْفَنَاءِ « التَّحْيِيفُ » تَحْيِيفُ الْعَمَلِ : إِذَا تَنَقَّصَتْ  
مِنْ حُلَاثِهِ .



أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَنَعْمَتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَظِيمًا ، لَا تَنَادِرُ ذُنُوبًا ، وَلَا تَدْعُ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَضْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أُؤْذِهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبَّتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَىَّ مِنْكَ النِّعَمُ ، وَتَدَارَكْتُ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ ، وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وُلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ صَبَرُوا ، وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْابًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا نَحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبْحَتِي <sup>(٤)</sup> ، وَتَعَجَّزْ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دَعَاءَ ضَعِيفٍ ضَعْلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذَنْبُهُ ، ضَعِيفٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دَعَاءَ مَنْ بَدَأَتْهُ ضَعِيفٌ ، وَمُنْتَهُ <sup>(٥)</sup> حَاجِزَةٌ ، قَدْ انْتَهَتْ عُدَّتُهُ ، وَخَلَقْتَ <sup>(٦)</sup> جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظِلْمُوهُ ، اللَّهُمَّ

[١] فُتْلَةٌ مِنْ غَمِّ الشَّيْءِ : أَيْ غَطَاءُ فَائِزَةٍ ، أَوْ هِيَ «نِعْمَتُهُ» بِالْفَمِّ : أَيْ بِلَاغُهُ وَكَرْبُ عَذَابِهِ .

[٢] مِنْ تَظَاهَرُوا إِذَا تَعَاوَنُوا : أَيْ تَنَاصَلُوا . [٣] يَعْبُرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَفَكُنْ حَقًّا عَلَىكَ »

كَلِمَةُ الْقَدَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » . [٤] فُتْلَةٌ مِنَ السَّيْحِ : وَهِيَ التَّغْلِبُ وَالانْتِصَارُ

فِي الْأَرْضِ ، وَالْإِبَادَةُ فِي السَّيْرِ ، وَالتَّصَرُّفُ فِي الْمَالِ . [٥] اللَّتَّةُ : الْقُوَّةُ .

[٦] خَلَقَ الثُّوبَ كَنَصَرَ وَكَرَمَ وَمَعَ : بَلَى ، وَالْعِلْمُ : مَا يَنْبَغِي لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ .

لَا تَخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ <sup>(١)</sup> ،  
وَحَسَنَ التَّبَاعَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَلَشَجَّجِ العُرُوقَ ، وَإِسَاغَةَ الرِّيقِ ، وَتَأْخِرَ الشَّدَائِدَ ، وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بِمَدْعَمِهِ ، وَعَلَى عَفْوِهِ بِمَدْقَرَّتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي <sup>(٣)</sup>  
قَتِيلَهُ ، وَلَا يَخَيِّبُ سُوْلُهُ ، وَلَا يُرَدِّ رَسُوْلُهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ  
الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَمِنَ الذَّكَاءِ إِلَّا لَكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا ، أَوْ أَغْشَى  
جُورًا ، أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَغَضَالِ الدَّاءِ ،  
وَحَيْبَةِ الرَّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ » . (القدالفرج : ٧٧ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ - ١٣٧ - ١٣٨)

## ٩٨ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال :

« إِلَهِي مَنْ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَلِ مِنِّي وَأَنْتَ خَلَقْتَنِي ؟ وَمَنْ أَوْلَى بِالْعَفْوِ مِنْكَ  
عَنِّي وَعِلْمِكَ بِي مَاضٍ ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ ؟ أَطْلَعْتُكَ بِقَوْتِكَ وَالْمِثْلَةَ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ  
بِمَلِكِكَ ، فَاسْأَلْكَ يَا إِلَهِي - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ  
وِغْنَاكَ عَنِّي - أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي .

إِلَهِي لَمْ أَحْسِنَ حَتَّى أُعْطَيْتَنِي ، فَتَجَاوَزَ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَيَّ ، اللَّهُمَّ  
إِنَّا أَطْمَئِنَّاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدَّثَكَ لِأَشْرِيكَ  
لَكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : الشَّرْكَ بِكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

[١] الإيمال والتأخير . [٢] التباعة مثل التبعة بفتح فكسر . قال الشاعر :

أَكَلْتُ حَتِيفَةً رُبَّمَا زَمَنَ النِّعَمَ وَالْجَمَاعَةَ

لَمْ يَحْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ سِوَهُ الْمَوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةِ

« لَأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ اخْتَفَظُوا إِلَهُاً مِنْ حَيْسٍ فَبَدَّوهُ زَمَانًا ، ثُمَّ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ فَأَكَلُوهُ » - والحجس كشمس :

تَمَّ يَخْلُطُ بِالسِّنِّ وَاللَّيْلِ الْخَفِيزُ فَيَجْعَنُ شَدِيدًا ، ثُمَّ يَنْدَرُ مِنْهُ نَوَاهُ .

[٣] ودَى القتل كرمي : أعطى دجته ، والسول تخفف عن سؤل : وهو مأسأته .

اللهم إنا نسئ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك ، إلهي  
أنت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّى لك مكشوف ، وأنا  
إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة آتسني ذكرك ، وإذا أكبّت عليّ  
القوم ، لجأت إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها  
عن قضائك ، فأقلني <sup>(١)</sup> إليك مغفوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،  
يا أرحم الراحمين .

### ٩٩ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : حَجَّجْتُ فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ :  
يا خَيْرَ مَوْفُودٍ سَمِيَ إِلَيْهِ الْوُفْدُ <sup>(٢)</sup> ، قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَذَهَبَتْ مُنْتَى ، وَأَتَيْتُ  
إِلَيْكَ بِذُنُوبٍ لَا تَنْسِلُهَا الْأَنْهَارُ ، وَلَا تَحْمِلُهَا الْبَحَارُ ، أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ  
سُخْطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ : « أَيُّهَا الْمَشْفِقُونَ ، ارْحَمُوا  
مَنْ شِمَلَتْهُ الْخَطَايَا ، وَغَمَرَتْهُ الْبَلَايَا ، ارْحَمُوا مَنْ قَطَعَ الْبِلَادَ ، وَخَلَّفَ مَا مَلَكَ  
مِنَ التَّلَادِ ، ارْحَمُوا مَنْ وَبَّحَتْهُ الذُّنُوبُ ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ الْعُيُوبُ ، ارْحَمُوا أَسِيرَ ضُرٍّ ،  
وَطَرِيدَ فَقْرٍ ، أَسْأَلُكُمْ بِالَّذِي أَمَعَلْتُمْ الرِّغْبَةَ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لِي  
عَظِيمَ جُزْئِي » ، ثُمَّ وَضَعَ فِي حَلْقَةِ الْبَابِ خَذَهُ وَقَالَ : ضَرَعَ خَدِي لَكَ ، وَذَلِكَ  
مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

عَظِيمُ الذَّنْبِ مَكْرُوبٌ      مِنْ الْخَيْرَاتِ مَسْلُوبٌ  
وَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا فَقْرٍ      وَمَا عِنْدَكَ مَطْلُوبٌ

[١] أظنه : حمله . [٢] وفد إليه وعليه : قدم ، وم وفود ووفد كشمس رر كم وأرفاد .

## ١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمع أعرابي بِمِرَفَاتٍ عَشِيَّةٍ عَرَفَةَ وهو يقول :

« اللهم إن هذه عَشِيَّةٌ مِنْ عَشَايَا حُبَّتِكَ ، وأحد أيام زُلْفَتِكَ <sup>(١)</sup> ، يأمل فيها من لَجَأٍ إِلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا ، بكل لسان فيها يُدْعَى ، ولكل خير فيها يُرْجَى ، أُنْتُكَ الْمُصَاةُ مِنَ الْبَلَدِ السَّحِيقِ <sup>(٢)</sup> ، ودَعَتِكَ الْعُنَاةُ <sup>(٣)</sup> مِنْ شُعَبِ الْمَضِيقِ ، رجاء ما لا خُلْفَ لَهُ مِنْ وَعْدِكَ ، ولا انْقِطَاعَ لَهُ مِنْ جَزِيلِ عَطَائِكَ ، أَبَدَتْ لَكَ وَجُوهَهَا الْمَصُونَةُ ، صَابِرَةً عَلَى وَهَجِ السَّهَامِ <sup>(٤)</sup> ، وَبَرَدِ اللَّيَالِي ، تَرْجُو بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ ، يَا غَفَّارُ ، يَا مُسْتَزَادًا مِنْ نِعَمِهِ ، وَمُسْتَعَاذًا مِنْ نِقَمِهِ ، ارحم صوتَ حَزِينٍ دَعَاكَ بِزَفِيرٍ وَشَهيقٍ . »

ثم بسط كلتا يديه إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَيْكَ دَاعِيًا ، فَطَلَمَا كَفَيْتَنِي سَاهِيًا ، بِنِعْمَتِكَ الَّتِي تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ عِنْدَ الْغَفْلَةِ ، فَلَا أَيْأَسُ بِهَا عِنْدَ التَّوْبَةِ ، لَا تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْكَ لِمَا قَدَّمْتُ مِنْ اقْتِرَافِ <sup>(٥)</sup> آثَامِكَ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أُصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا بِكَ ، فَهَبْ لِي يَا رَبَّ الصَّلَاحَ فِي الْوَلَدِ ، وَالْأَمْنَ فِي الْبَلَدِ ، وَالْعَافِيَةَ فِي الْجَسَدِ ، وَعَافِيَةَ مِنْ شَرِّ الْحَسَدِ ، وَمِنْ شَرِّ الدَّهْرِ

التَّكْدُ <sup>(٦)</sup> . ( المقد الفريد ٢ : ٧٧ ، والأمل ٢ : ٢٢٣ )

[١] الزلفة : التربة . [٢] البعيد . [٣] العناة جمع عانة من عنا : أى ذلة وخضوع ، وفى رواية الأمل : « أُنْتُكَ الضَّوَامُ مِنَ الْفَجِّ الْمُبِيقِ ، وَجَاءَتْ إِلَيْكَ لِلْمَهَارِقِ مِنْ شُعْبِ الْمَضِيقِ » والضَّوَامُ الأيل الملهوذة ، والمهَارِقُ جمع مَهْرَقٍ ( بضم الميم وفتح الزاء ) : الصمراء للساء .

[٤] السهام جمع معوم كعجور : وهى الریح الحارة تكون ظأباً بالنهار ، وفى رواية الأمل : « على لُحْجِ السَّهَامِ ، وَرِدَ لَيْلُ التَّهَامِ » - وليل التهام ( ككتاب ) وليل تَمَامٍ : أطول ليالى الشتاء - وفى رواية الأمل : « نَسِطُكَ تَظَاهَرَهَا عَلَيَّ عِنْدَ الْغَفْلَةِ ، فَكَيْفَ أَيْأَسُ مِنْهَا عِنْدَ الرَّجْعَةِ » - وَأَسْأَلُ الْفَقْلَ ( بالتحريك ) : الرجوع من السفر ، ويطلق على الابتداء فى السفر كما هنا تفاؤلاً بالرجوع - .

[٥] اقترف الذنب : آثام وفعله .

[٦] يقال : رجل تكد ككتف وسبب وأنكد : شؤم عسر .

## ١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،  
وَيَا مُجِيرَ الضُّعْفَى <sup>(١)</sup> ، وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ  
مَوَادُّ اللَّيْلِ ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفُ الشَّجَرِ ،  
وَدَوَى الْمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجِيلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرِهِمْ عِنْدَكَ ،  
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ الْعَافِيَةَ لِي شِعَارًا وَدِفْأَرًا <sup>(٣)</sup> ، وَجَنَّةَ دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

## ١٠٢ - دعاء أعرابي

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فِي فَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ :  
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَفْهَرْتُ لِيَاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلَّوْمِ ، وَإِنْ تَرَكْتُ الْاسْتِغْفَارَ مَعَ  
مَرَفَقِي بِسَمَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزُ ، إِلَهِي كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنَى عَنِّي ، وَكَمْ  
أَتَبَغَّضْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَّى »

## ١٠٣ - دعاء أعرابي

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،  
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ ، فَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

## ١٠٤ - دعاء أعرابي

وَقَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَحَمُّلَ  
الْخَاطِئِينَ ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرْكِ النِّعَمِ <sup>(١)</sup> طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ ،  
وَخَوْفًا بِمَا أَوْعَدْتَ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ نِقَمَاتِكَ ، سَبَقْتُ  
لِي ذُنُوبٌ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ <sup>(٢)</sup> ، إِلَيْكَ بِكَ أَتَوَسَّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضعيف جمع ضعيف . [٢] المني : أن هذه الكلمات تدعو للتأمل فيها إلى تسبيحه جل شأنه

[٣] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما يلبس فوق الثمار ، والجنة : الوفاة .

[٤] أي في الدنيا . [٥] حب محبوب : أم .

## ١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بألسنتهم ، لِيَحْقِنُوا دماءهم ، فأدركوا ما أمَّلُوا ، وقد آمنَّا بك بقلوبنا ، لِتُحِيرَنَا مِنْ عَذَابِكَ ، فأدرك منا ما أمَّلناه . »

## ١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أترك معدَّتنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلتَ لَتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك . »

## ١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلَى جديده ، ولا يُحْصَى عديده (١) ، ولا يُبْلَغُ حدوده ، اللهم اجعل الموت خيراً غائباً ننتظره ، واجعل القبر خيراً يَنْتَ نَعْمُرُهُ ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عني قد أغرَّورقتا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزَّلة ، وعُدَّ بحملك ، على جهلٍ من لم يَرْجُ غيرك . »

## ١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : « ساء لك عند بابك ، ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تباؤه ، فارض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعف عنه غير راض . »

## ١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرف إلا بفعل ، ولا فمال إلا بفعل ، فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة »

## ١١٠ - دعاء أعرابي

عن طاووس قال : « بينا أنا بمكة إذ دَفَعْتُ إلى الحجاج بن يوسف ، فتَنَى لِي وَسَادًا جَلَسْتُ ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعًا صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : على المَلَسِّي ، فَأُتِيَ بِهِ فقال : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : من أَفْنَاءِ النَّاسِ <sup>(١)</sup> ، قال : ليس عن هذا سألتُكَ ، قال : نَعَمْ سألتُني ، قال : من أَيِّ الْبُلْدَانِ أَنْتَ ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خَلَقْتَ مُحَمَّدَ ابْنِ يَوْسُفَ - يعني أخاه ، وَكَأَنَ حَامِلَهُ عَلَى الْيَمَنِ - قال : خَلَقْتُهُ عَظِيمًا جَسِيمًا ، خَرَّاجًا وَلَاجِبًا ، قال : ليس عن هذا سألتُكَ ، قال : نَعَمْ سألتُني ، قال : كيف خَلَقْتَ سِيرَتَهُ فِي النَّاسِ ؟ قال : خَلَقْتُهُ ظُلُومًا غَشُومًا <sup>(٢)</sup> ، عَاصِيًا لِلْخَالِقِ ، مُطِيعًا لِلْمَخْلُوقِ ، فَازْوَرَّ <sup>(٣)</sup> مِنْ ذَلِكَ الْحَجَّاجُ ، وَقَالَ : مَا أَقْدَمَكَ لِهَذَا ، وَقَدْ تَعْلَمُ مَكَاتِهِ مِنِّي ؟ فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : أَقْرَأَهُ بِمَكَاتِهِ مِنْكَ أَعَزَّ مِنِّي بِمَكَاتِي مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَأَنَا وَافِدٌ بَيْتِهِ ، وَقَاضِي دَيْنِهِ ، وَمَصْدَقُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَوَجَّهَ <sup>(٤)</sup> لَهَا الْحَجَّاجُ ، وَلَمْ يُحِرْ لَهُ جَوَابًا <sup>(٥)</sup> ، حَتَّى خَرَجَ الرَّجُلُ بِلَا إِذْنٍ .

قال طاووس : فتبعتُه حتى أتَى الْمُنْتَزِمَ فتعلقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ : بِكَ أَعُوذُ ، وَإِلَيْكَ أَلُوذُ ، فَاجْعَلْ لِي فِي اللَّهْفِ إِلَى جِوَارِكَ ، وَالرَّضَا بِضِمَانِكَ ، مَنْدُوحَةً <sup>(٦)</sup> ، عَنْ مَنْعِ الْبَاخِلِينَ ، وَغَفَى عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَثِيرِينَ ، اللَّهُمَّ عُدِّ بِفَرَجِكَ الْقَرِيبِ ، وَمَعْرِوْفِكَ الْقَدِيمِ ، وَعَادَتِكَ الْحَسَنَةِ .

قال طاووس : ثم اخْتُفِيَ فِي النَّاسِ ، فَأَلْفَيْتُهُ بِعَرَفَاتٍ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُوَ

[١] يقال « هو من أفناء الناس » إذا لم يعلم من هو ، واحده فنو كعمل أو فنا كعصا .

[٢] ظلوما . [٣] ازورَّ : انحرف ومال ، أى غضب منه . [٤] وجه : سكت على فيفظ .

[٥] أى لم يردده . [٦] أى مقبولة .

يقول: « اللهم إن كنت لم تقبل حَجَّتِي وَنَصَبِي <sup>(١)</sup> وَتَقَبِّي ، فلا تُخْرِمْني أَجْرَ الْمَصَابِ عَلَى مَصِيبَتِهِ ، فلا أَعْلَمْ مَصِيبَةً أَعْظَمَ مِنْ وَرْدِ حَوْضِكَ ، وانصرف عروماً من وجه رغبتك » .

### ١١١ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :

« إلهي نَجَّبْتُ <sup>(٢)</sup> إليك الأصواتُ ، بفُروِبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نَسِيتني أهلُ الدنيا ، اللهم هب لي حقك ، وأرض عني خالقك ، اللهم لا تُعْنِي في طاب مالم تقدره لي ، وما قدرته لي فيسره لي » .

### ١١٢ - دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ اللَّهُ صَاحِبَهُ فِي أَمْرِكَ ، وَخَلِيفَتَكَ فِي أَهْلِكَ ، وَوَلِيَّ تُجْعِ طَلَبَتِكَ <sup>(٣)</sup> ، امْنُصِ مُصَاحِبًا مَكْلُوءًا <sup>(٤)</sup> ، لَا أَشْمِتُ اللَّهَ بِكَ عَدُوًّا ، وَلَا أَرَى مُجِيبَكَ فِيكَ سِوَاهُ » .  
( المفد الفريد ٢ : ٧٦ - ٧٩ )

### ١١٣ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : خرجت أعرابية إلى مِثَى فَقَطَّعَ بها الطريقُ فقالت : « يارب : أعطيت وأخذت ، وأُنعمت وسلبت ، وكلُّ ذلك ، منك عَدْلٌ وَقَضْلٌ ، والذي عَظَّمُ على الخلائق أَمْرُكَ ، لَا بَسْطُ اسْمَانِي بِمَسْأَلَتِهِ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، وَلَا بَذَلْتُ رَغْبَتِي إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا قُرَّةَ أَعْيُنِ السَّائِلِينَ : أَعْنَتِي بِجُودِ مَنْكَ أَتَبَحِّجُ <sup>(٥)</sup> فِي

[١] في الأصل « ونسي » وأراه محرّفاً عن « نسي » ، ويؤيده قوله بعد « ونسي » .

[٢] هجّ يسج بكسر الهمزة وفتحها : صاح ورفع صوته .

[٣] التبعج : التجاع ، والطلبه : ما طلبته . [٤] من كلامه كنهه : حرسه .

[٥] تبجح : تمكّن في القيام والحلول ، وتبجح النار : توسطها ، والفرايس جمع فردوس : وهو البستان .



فَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رُواقِ نَضْرَتِهِ <sup>(١)</sup> ، اِشْمَلَنِي مِنَ الرَّجُلَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْعَيْلَةِ ، وَاسْتَدِلَّنِي عَلَى سِتْرِكَ الَّذِي لَا تَخْرُقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ صَمِيعُ الدُّعَاءِ .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٨ ، والمقد الفريد ٣ : ١٣٨ )

## ١١٤ - أدعية شتى

وَمَاتَ ابْنُ لَأَعْرَابِي فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي وَهَبْتُ لَكَ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بَرٍّ ، فَهَبْ لِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طَاعَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَجُودُ وَأَكْرَمُ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )

وَوَقَفَ أَعْرَابِي فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنْ لَكَ عَلَيَّ حَقُوقًا فَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَيَّ ، وَلِلنَّاسِ تَبِعَاتٌ قَبْلِي فَتَحَمَّلْهَا عَنِّي ، وَقَدْ أَوْجِبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرَى <sup>(٣)</sup> ، وَأَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةَ ، فَاجْعَلْ قِرَايَ فِيهَا الْجَنَّةَ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٨ )

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ :  
« اللَّهُمَّ لَا تَحْزِمْ نَفْسِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَتَقَبَّلْ تَعْبِي وَتَنْصَبْ ، فَلَا تَحْزِمْ نَفْسِي أَجْرَ الْمُصَافِ عَلَى مَصِيبَتِهِ » .  
( زمر الآداب ٣ : ١٦٣ )

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي لَهُ ، فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جُوعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، خَفِظْتَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٨٤ )

[١] في الأصل « راووق » وهو الصفاة ، وأراء معرفة عن « رواق » وهو السطاط ، والنضرة : النعمة والفنى . [٢] رجل كفرح فهو راجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر يركبه ، والرجلة بالفتح ويكسر : شدة اللقى ، والميلة : الفقر . [٣] قرى الضيف كرمى ، قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .

عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك النُفيرة <sup>(١)</sup> ،  
والنافاة النُزيرة ، والشرف في المشيرة ، فإنها عليك يسيرة » . ( الأماي ٢ : ٢٣ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنِّبِكَ  
الله الأترين <sup>(٢)</sup> ، وكفاك شرَّ الأجوفين <sup>(٣)</sup> ، وأذاقك البرذين <sup>(٤)</sup> » .

( الأماي ٢ : ٧٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الإلتاء <sup>(٥)</sup> ،  
وَحَطَّ الأعداء ، ورفع الأولياء » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

وقال أعرابي : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماء سَوء ، فَأَكُونُ اثْرًا سَوء » وقال  
أعرابي : « اللهم قِنِي عَثَرَاتِ الكرام » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جمل الله للمروف إليك سبيلا ،  
وللخير عليك ذليلا ، وجعل عندك رفدا <sup>(٦)</sup> جزيلا ، وأبقاك بقاء طويلا ،  
وأبلاك <sup>(٧)</sup> بلاء جميلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني مالا  
أَكْبِت <sup>(٨)</sup> به الأعداء ، وَبَنِينَ أَصُولَ بِهِمْ عَلَى الْأَقْوِيَاء » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

[١] النُفيرة : النفرة . [٢] الأتران : الفقر والمهرم ، أو الجوع والحرى . [٣] الأجوفان :  
البطن والفرج . [٤] البرذان : برد العين وبرد العاية . [٥] الإلتاء : الرزق ، من ألت الشجرة  
ألتا وإلتاء : طلع ثمرها ، أو بدا صلاحها ، أو كثر حملها . [٦] الرُفد : العطاء والملة .  
[٧] الإبلاء : الإلزام والإحسان ، أبلت عنده بلاء حسنا ، وأبلاه الله بلاء حسنا .  
[٨] كَبَتَ : صرعه وأدله ، ورد العدو بغيظه .



ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدواً حسوداً ،  
وَجَمْعَ بك صديقاً ودوداً ، وسلط عليك هما يُضْنِيكَ ، وجاراً يُؤْذِيكَ » .  
( القند الفريد ٢ : ٩١ )



ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِر<sup>(١)</sup> والبواقر ، ومن جارِ السوء ،  
في دار المُقَامَةِ وَالظُّلْمِ ، ومما يَنْكُصُ رأس المرء ، وَيُغْرِى به لثام الناس » .



وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذى رَحِمٍ ودَعَوَاهُ ، ومن  
فاجرٍ وَجَدَوَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وعمل لا ترضاه » .

( البيان والنبين ٣ : ١٣٦ )



ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَتَ اللهُ كُلَّ عدوك إلا نَفْسَكَ » .  
ودعا أعرابي فقال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خلقك » .  
وقال أعرابي : « اللهم إنك أمرتنا أن نَعْفُو عَنْ ظُلْمِنَا ، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا  
فَاعْفُ عَنَا » .  
( البيان والنبين ٣ : ١٣٧ )



وقال أعرابي : « مَنْحَكُمُ اللهُ مِنْحَةً لَيْسَتْ بِمَجْدَاءٍ ، ولا نِكَدَاءٍ ، ولا  
ذَاتِ دَاءٍ » .

وقال أعرابي : « اللهم إنك حَبَسْتَ عَنَا قَطَرَ السَّمَاءِ ، فَدَابَّ الشَّحْمُ ،  
وذهب اللحم ، وَرَقَّ العظم ، فارحم أَيْنَ الآثَةِ ، وحنين الحائَةِ ، اللهم ارحم  
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِعِهَا ، وَأَيْنَتَهَا فِي مَرَاتِبِهَا » .

[١] الفَوَاقِر جمع فاقرة : وهي المأهية ، والبواقر جمع بقرة : وهي الفتنة الصاعدة للألفة الشاقة للمعصية .

[٢] الجَدْوَى : العطية .

وحيج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرجه ، وإن كان نائياً فقرّبهُ ، وإن كان قريباً فيسّرهُ » .

( البيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )

ومات ولد لرجل من الأعراب فعلى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدين ، مهمل الجدين ، فاغفر له وإلا فلا » . ( الأمال ١ : ٢٠٢ )

وقالت أعرابية لرجل : « رماك الله بليلة لاأخت لها » أى لاتعيش بعدها . ( الأمال ١ : ٢١٢ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أذل في عزك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد والأمر إليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )

وقال الأصمى : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني قمل الخائفين ، وخوف الماملين ، حتى أنتم بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت » . وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلايد ، بأعناق الولائد <sup>(١)</sup> ، وأزنيه على هامته كرسوخ السجيل <sup>(٢)</sup> » ، على هام أصحاب القيل . ( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

[١] الولائد جمع وليدة : وهي الصبية . [٢] السجيل : طين مطبوخ ، يشير إلى قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وأبابل أى جمادات .

## ١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم ف قيل له : ما رأيت مع رسول الله في غزائك هذه ؟ قال : وَضَعْنَا نِصْفَ الصَّلَاةِ <sup>(١)</sup> ، وأرجو في الغزاة الأخرى أَنْ يَضَعَ النِّصْفَ الْبَاقِي .



وَدَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ ، وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، فَقَامَ يَصَلِّي ، فَلَمَّا قَرَعَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمَ مَعَنَا أَحَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَقَدْ تَحَبَّرْتَ <sup>(٢)</sup> وَاسِمًا يَا أَعْرَابِي .



وَخَرَجَ الْحِجَابُ مُتَصِيدًا بِالْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَعْرَابِي يَرْعَى إِبْلَاءً لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ سِيرَةَ أَمِيرِكُمُ الْحِجَابُ ؟ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : غَشُومٌ ظَلُومٌ ، لَا حَيَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : فَلِمَ لَا تَشْكُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : فَأُظْلِمُ وَأُغْشَمُ ! فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ ، فَأَوْمَأَ الْحِجَابُ إِلَى الْأَعْرَابِي ، فَأَخَذَ وَهْلًا ، فَلَمَّا صَارَمَهُ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا لَهُ : الْحِجَابُ ، فَخَرَّكَ دَابَّتِهِ حَتَّى صَارَ بِالْقَرْبِ مِنْهُ ، ثُمَّ نَادَاهُ يَا حِجَابُ ، قَالَ : مَا تَشَاءُ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : السِّرَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا ، فَضَحِكَ الْحِجَابُ ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ .



وَخَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ مُتَهَرِّجًا بِالْأَنْبَارِ ، فَأَمْعَنَ فِي نَزْهَتِهِ ، وَانْتَبَذَ مِنْ

[١] يعني صلاة الفجر . [٢] أي ضيعت ما وسعها الله . وخصت به هلك دون غيرك .

أصحابه ، فوافى خيباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة ، قال : من أي كنانة ؟ قال : من أبض كنانة إلى كنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فمن أي قريش ؟ قال : من أبض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فمن أي ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .



وولى يوسف بن عمر الثقفي صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة ففرّله ، فلما قدّم عليه ، قال له : يا عدوّ الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : فقال مَنْ آكلُ إذ لم آكلْ مال الله ؟ لقد راودتُ إبليس أن يُعطيني فلئساً واحداً فافعل ، فضحك منه وخلق سبيله .



وأخذ الحجاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعهُ بسوط قال : يارب شكراً ، حتى ضربه سبعمائة سوط ، فلقية أشعب ، فقال له : تدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

يَا رَبِّ لَا شُكْرًا فَلَا تَزِدْنِي أُسَاتٍ فِي شُكْرِي فَاعْفُ عَنِّي

بَاعِذْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي



ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت<sup>(١)</sup> عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذبحها وأغلفها من قوتي ، وألصقها في آناء الليل ، فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدي ، فندرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخمسمائة درهم .



وسُمِعَ أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمي » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبي رجل يحتال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .



وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز ، من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أفضساً .



وجيء بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤم أقرءوا كتابي » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسنات وسيئاتي ، وأنتم جستم بسيئاتي وتركتم حسناتي » .



واشترى أعرابي غلاماً قليل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

يبول في الفراش ، قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشاً فَلْيَبْلُ فيه .



ومرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابناً له ، فقالوا له : صِفْهُ ، قال : كأنه دُنَيْبِر ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جُعْل (١) ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْبِرُ ؟ قال : « الْقَرْنَبِي (٢) في عين أمّها حَسَناء » .



وقيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إنّي لأَبْغِضُ الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه رَكْضاً ؟ .



وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عمّ له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : أعلم أنك لما خرجت ، وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، ورفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمّرنا بعمارة بيتك أنت ، وتخرب بيوتنا ! .



وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت في بعض الطريق عطّبت راحتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « يارب أخرجتني من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .



وعرّضت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

[١] الجبل : الحراء .

[٢] القرني : دوبة من خشاش الأرض فوق الخنفاء إذا مسها أحد تقبضت فصارت مثل الكرة .



إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرِينَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى قوم يلتسون هلال شهر رمضان فقال : « والله لئن آثَرْتُمُوهُ لَتُمْسِكُنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي »<sup>(١)</sup> عيش أغبر .

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى رجل صمين فقال : « أرى عليك قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاسِكَ » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « اللهم إني أسألك مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكَلِ بَذَجًا<sup>(٢)</sup> ، وَشَرِبَ مِشْعَلًا<sup>(٣)</sup> ، وَنَامَ فِي الشَّمْسِ ، فَاتَ ذَقَانُ شَبْعَانَ<sup>(٤)</sup> وَرِيَانَ » .

\*\*\*

وقيل لأبي المِخْشِ الأعرابي : أَيْسُرُكَ أَنْكَ خَلِيفَةً ، وَأَنْ أَمَتَكَ حُرَّةً ؟ قال : لا والله ما يسرّني ، قيل له : ولم ؟ قال : « لأنها كَانَتْ تَذْهَبُ الْأُمَّةَ ، وَتَضِيعُ الْأُمَّةَ » .

\*\*\*

وحضر أعرابي سُفْرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَلَّعَ إِلَى مَا يَنْ يَدِيهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : مَنْ أَجْدَبَ انْتَجَعَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا خَرَجَ عَنَّا فَلَا يَعْذِرُنَا .

\*\*\*

وشهد بعد هذا سُفْرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرَ ، فَرَّ إِلَى مَا يَنْ يَدِيهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبَ تَخَيَّرَ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

[١] الذَّنَابِي : الذَّنَبُ . [٢] الْبَذَجُ : وَلَدُ الْفَأْنِ .

[٣] الْمِشْعَلُ : شَيْءٌ مِنْ جُلُودِ الْأَرَبِمْ قَوَائِمُ يَنْبِذُ فِيهِ ، وَشَرِبَ مِشْعَلًا أَيَّ شَرِبَ مَا فِيهِ .

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالقُلُودِجَ ، جعل يُسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، ومُزْدَرَدًا<sup>(١)</sup> ليئاً ، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدِّماغ ، قال : كَذَّبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل ! » .



وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شجرة في لقمة الأعرابي ، فقال : أرى شجرة في لقمته يا أعرابي ، قال : وإنك أتراعيني مُرَاعاةً من يُبصر الشعر في لقمتي ! والله لا واكلتلك أبداً ، فقال : استره يا أعرابي ، فإنها زلة ، ولا أعود لمثلها .



وقال الأصمى : قلت لأعرابي : أتميز<sup>(٢)</sup> إسرائيل ؟ قال : إني إذن لرجل سوء ، قلت له : أفتجرب فلسطين ؟ قال : إني إذا لَقَوِي .



وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُنْكِحُوا<sup>(٣)</sup> الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : ولا إن آمنوا أيضاً لم ننكحهم ، فقيل له إنه يلحن وليس هكذا يُقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قبحه الله ! لا تجملوه إماماً ، فإنه يُحِلّ ما حرّم الله » . ( القند الفريد ٢ : ١٠٠ - ١٠٥ )

[١] ازدوده : إبطه . [٢] من معاني المعز : التمز . [٣] أي تزوجوا .

✽

وخطب أعرابي فلما أحمله بعضُ الأمر عن التصدير بالتحديد ، والاستفتاح بالتحديد ، قال : « أما بعد ، بغير مَلالٍ لذكر الله ، ولا إِنْثارٍ غيره عليه ، فإنما تقول كذا ، ونسأل كذا » فراراً من أن تكون خطبته بَراءً وشَوْهاً .<sup>(١)</sup>  
( البيان والتبيين ٢ : ٢ ، ١ : ٢١٥ )

✽

ودفعوا إلى أعرابية عِلْكَاً<sup>(٢)</sup> لِمَضْمَنِهِ ، فلم تفعل ، ف قيل لها في ذلك ، فقالت : « ما فيه إلا تَعَبُ الأُضراس وخَيْبَةُ الخَنْجَرَةِ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

✽

وقيل لأعرابي : عند مَنْ تحب أن يكون طعامك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٤٩ )

✽

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عَيْشُ الدهر الماء ، والنوم ، وأم قهرو ،  
لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القبر » .

( البيان والتبيين ٢ : ١٠١ )

✽

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ، قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهداً تُبَدَّد » .  
( البيان والتبيين ٢ : ١٦٩ )

[١] وكانوا يسمون الخطبة التي لم يتدعى صاحبها بالتحديد ، ويستفتح كلامه بالتحديد «البراءة» ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «الشوهاد» .  
[٢] الملك : الابان ( بالضم ) .



وسمع أعرابي رجلا يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ، تَجْرِى  
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا<sup>(١)</sup> » ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي :  
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون » .

( البيان والتبيين ٢ : ١٧٤ )




---

[١] ذات الألواح والدر : هى السفينة ، والدر ما تشد به الألواح من اللسامير وغيرها جمع دسار  
ككتاب ، بأعيننا : يراى منا أى مخطوطة ، وقد قرئ كسر بالبناء للفاعل ، أى للكافرين ، أفرقوا  
عقاباً لهم .

## الباب الرابع

### في

### خطب النكاح

#### ١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يعنى خطبة النساء :

« باسمك اللهم ، ذُكِرَتْ <sup>(١)</sup> فلانة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ، لك ما سألتَ ولنا ما أعطيتَ » .

#### ٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب فيما عنده ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذى خلق الخلق بقدرته ، وميزم بأحكامه ، وأعزّم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

---

[١] ذكر فلان فلانة ذكرا ( بفتح فسكون ) : خطبها أو تعرض لحملتها

جعل المصاهرة نسباً لاجيئاً ، وأمرأاً مُفْتَرَضاً ، وَوَشَّحَ <sup>(١)</sup> به الأرحامَ ، وأزَمه الأنامَ ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَمَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فَأَمَرُ الله يَجْرِي إِلَى قَضَائِهِ ، وَلِكُلِّ قَضَاءٍ قَدَرٌ ، وَلِكُلِّ قَدَرٍ أَجَلٌ « يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » .  
ثم إن ربِّي أمرني أن أزُوجَ فاطمة من عليّ بن أبي طالب ، وقد زوّجتها إياه على أربعمائة مثقال فضّة ، إن رضى بذلك عليّ .

### ٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذي قَرَّبَ من حامِديهِ ، ودنا من سائِليهِ ، ووعَد بالجنة من يَتَّقِيهِ ، وَقَطَعَ بالنار عدد من يعصِيهِ ، أَحْمَدُهُ بِجَمِيعِ محامدِهِ وَأَيَادِيهِ ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ خَالِقُهُ وَبَارِيهِ ، وَمَصَوِّرُهُ وَمُنْشِئُهُ ، وَمِمْنَتُهُ وَنُجِيِّهِ ، وَمَقَرُّهُ وَمُنْجِيهِ ، وَمُثَبِّبُهُ وَمَجَازِيهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ شَهِادَةً تَبْلُغُهُ وَتَرْضِيهِ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَاةُ تَرْافُهُ وَتُدْنِيهِ ، وَتَعَزُّهُ وَتُعْلِيهِ ، وَتُسَرِّفُهُ وَتُجْتَبِيهِ .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قَدَّرَهُ اللهُ تعالى ورضيهِ ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوّجني فاطمة ابنته على صدّاق أربعمائة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فأسألوهُ ، وكفى بالله شهيداً »

[١] وشجت الروق والأفصان كومة : اشتبكت والفت وتداخلت ، ورحم واشجة ووشجة : مثبكة متصلة ، وقد وشجها الله توشيحاً ، وفي الأصل : « وشج به الأرحام » وأراه محرّفاً .

#### ٤ - خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عفّسة بن أبي سفيان إلى عُتبة بن أبي سفيان ابنته ،  
أقّدمه على نخله ، وكان حدّثًا فقال :

« أقربُّ قَريبٍ ، خَطَبَ أَحَبَّ حَبيبٍ ، لا أُستطيعُ له رَدًّا ، ولا أجدُ من  
سَمافه بُدًّا ، قد زَوَّجْتُكُما وأنتَ أعزُّ عليَّ منها ، وهى أَلصُّ بقلبي منك ،  
أَكْرَمُها يَعْذُبُ عَلَيَّ لسانِي ذِكْرُكَ ، ولا تُثْنِها فَيَصْغُرَ عِنْدِي قَدْرُكَ ، وقد  
بَتَّكَ مع قُربِكَ ، فلا تُبْعِدْ قَلْبِي من قَلْبِكَ » .

#### ٥ - خطبة شبيب بن شيبه

وقال المُتَنَبِّي : زَوَّجَ شَيْبِيبُ بنَ شَيْبَةَ ابنتَه بنتَ سِوَارٍ <sup>(١)</sup> القاضى ، فقلنا :  
يومَ يَمُتُّ عُبابُهُ <sup>(٢)</sup> ، فلما اجتمعوا تكلم فقال :  
« الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد : فإن المعرفة مينا ومنكم ، بنا  
بكم <sup>(٣)</sup> ، نتمننا من الإكثار ، وإن فلانا ذَكَرَ فلانة » .

#### ٦ - خطبة الحسن البصرى

وكان الحسن البصرى يقول فى خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه :  
« أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ،  
جمل ذلك فى سُنّة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره ، وقد خَطَبَ إليكم فلان ،  
عليه من الله نِعمَةٌ ، وهو يبدل من الصّدّاق كذا ، فاستخيرُوا الله ، ورُدُّوا خيرًا ،  
بحكم الله » .

[١] هو سوار بن عبد الله من فضاء البصرة وخطبها - انظر البيان والخبيرين ١ : ١٦١ - وقرأ فى  
الى اليد المرتضى ٤ : ٢٢ حديثًا غريبًا لجاحظ عنه فى وقاره وضبطه من نفسه وملاحة من حركته -  
[٢] لأنّ والذى الروسين غطيان . [٣] أى المعرفة منا بكم ، والمعرفة منكم بنا .

## ٧ - خطبة ابن الفقير

وقال العتيبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :  
« وما حَسَنَ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ : وَلَكِنْ أَخْلَاقًا تُدَمُّ وَتُعْدَحُ  
وإن فلانة ذُكِرَتْ لِي » .

## ٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :  
« قَدْ زَوَّجَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ » ، قال : « جَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
خَيْرًا ، فَقَدْ أَجَزَلْتَ الْعُطْيَةَ ، وَكَفَيْتَ الْمَسْأَلَةَ » .

## ٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي المقدم قال :  
كَانَتْ قَرِيْشٌ تَسْتَحْسِنُ مِنَ الْخَاطِبِ الْإِطَالَةَ ، وَمِنَ الْمَخْطُوبِ إِلَيْهِ التَّقْصِيرَ (١) ،  
فَشَهِدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُثْبَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ خُطِبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
أَخْتَهُ أُمَ عُمَرَ بِنْتَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَتَكَلَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِكَلَامٍ جَازَ الْخَفْظَ ، فَقَالَ عُمَرُ :  
« الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْكِبَرِيَاءِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنْ  
الرَّغْبَةُ مِنْكَ دَعَتْكَ إِلَيْنَا ، وَالرَّغْبَةُ فِيكَ أَجَابَتْكَ مِنَّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِكَ ظَنًّا مِنْ  
أَوْدَعَكَ كَرِيْمَتَهُ ، وَاخْتَارَكَ وَلَمْ يَخْتَرْ عَلَيْكَ ، وَقَدْ زَوَّجَتْكَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ :  
إِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ » .

[١] وكذلك روى الجاحظ في البيان والنبين ( ١ : ٦٤ ) قال : « والسنه في خطبة النكاح أن يطبل  
الخاطب ، ويقمر الحبيب » والحمرى في زهر الآداب ( ٢ : ٣١ ) قال الأصمعي : « كانوا يستحبون من  
الخاطب إلى الرجل حرمة الإمالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة » .



## ١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خِثَمَ لنفسه ولأخيه ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ،  
ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخي ، كنا ضالَّينَ فهدانا الله ، عبدينَ فأعتقنا الله ،  
فقيرينَ فأغنانا الله ، فإن تَرَوْجُونَا فالحمد لله ، وإن تَرُدُّونَا فالمستعانُ الله » .

## ١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزوج خالد بن صفوان مَوَلاه من أُمته ، فقال له العبد : لودعوت الناس  
وخطبت ! قال : أدعهم أنت ، فدام العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن  
صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظمُ وأجلُّ من أن يُذكَرَ في نكاحِ هذينِ الكليينِ ،  
وأنا أشهدكم أني زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

## ١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام  
أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِمَحْرُومَةٍ ، وَأَوَلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدَتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُوءٍ ،  
فَقَرَرْتُكَ مَقْبُولٌ ، وَمَا سَأَلْتَ مَبْذُولٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى » .

قال الفضل : لو كان الأعرابي حمد الله في أوَّل كلامه ، وصلى على النبي صلى الله  
عليه وسلم لفَضَحْنِي يومئذ .

## ١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكرم: أراد المأمون أن يزوج ابنته من علي بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلبته أن أقول : « أنكحت » ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذي تصاغرَت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حُكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتهاء إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين » .

✽

وخطب رجل إلى قوم ، فأقْبَى بمن يخطب له ، فاستفتح بحمد الله ، وأطال ، وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام ، وأطال ، ثم ذكر البدءَ وخلقَ السموات والأرض ، واقتصرَ ذِكْرَ القرون ، حتى ضَجَرَ مَنْ حَضَرَ ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما أُنْثِمُك أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنْثِيتُ أُثْمِي من طول خطبتك ، وهي طالِقٌ إن تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا في مجلس آخر .

( مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ ، والقد الفريد ٢ : ١٦٣ ،

وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ٢٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٢١٥ ، ٢١٧ -

٢ : ٥٠ : ١٣٠ - ٣ : ٢٢١ ، وزمر الآداب ٢ : ٣٠ : ٣١ )

## البَابُ الْخَامِسُ

فِي

### خُطْبٍ مِنْ أَرْتَجٍ عَلَيْهِمُ

وَنَوَادِرَ طَرِيفَةٍ لِبَعْضِ الْخُطَبَاءِ

رَوَى الْجَاهِظُ قَالَ : صَعِدَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْمُنْبَرَّ ، فَأَرْتَجَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« إِنْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ كَانَا يُعِدَّانَ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ » .

❦

وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ قَالَ : أَوَّلُ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَرْتَجَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ ، وَإِنْ أَعْيُنُ تَأْتِكُمُ الْخُطْبُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

❦

وَلَمَّا قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الشَّامَ وَالْيَا عَلَيْهِمَا لِأَبِي بَكْرٍ ، خُطِبَ النَّاسَ فَأَرْتَجَى عَلَيْهِ ، فَمَادَ إِلَى الْحَمْدِ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَرْتَجَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْتَجَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« يَأْهَلُ الشَّامَ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ يُسْرًا ، وَمَنْ بَعْدَ عِيٍّ يَأْنَا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ فَاعِلٌ <sup>(١)</sup> » ، أَخْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَاتِلٍ <sup>(٢)</sup> » ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَاسْتَحْسَنَهُ .

وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَلِيُّ ثَابِتٍ قُطَنَةَ <sup>(٣)</sup> بِبَعْضِ قُرَى خُرَّاسَانَ <sup>(٤)</sup> ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ وَهُوَ يَقُولُ :  
فَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ نَخَطِيبُ  
فَقِيلَ لَهُ : « لَوْ قَاتَلَهَا فَوْقَ الْمَنْبِرِ ، لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ » .

وَخَطَبَ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ لِمَا وَلِيَ ، فَخَصِرَ فَقَالَ :  
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعْدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَخَجِيتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَذْلٍ ، أَخْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ، وَإِنِّي أَمُرُّكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

[١] فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « إِمَامٌ هَادِلٌ » . [٢] وَفِي أَمْثَالِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَرَوِي لِحُثَيْنِ بْنِ عِفَّانَ ، وَفِي رَوَايَتِهِ : « إِمَامٌ فَعَالٌ » وَ « إِمَامٌ قَوَالٌ » بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ ، وَفِي الْأَغَانِي أَنَّهُ يَرَوِي لثَابِتٍ قُطَنَةَ ، وَفِيهِ : « أَمِيرٌ نَسَالٌ » وَ « أَمِيرٌ قَوَالٌ » .

[٣] هُوَ ثَابِتُ بْنُ كَعْبٍ ، وَلَقِبَ قُطَنَةَ لِأَنَّهُ سَهْمًا أَصَابَهُ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، فَدَغَبَ بِهَا فِي بَعْضِ حُرُوبِ التُّرُكِ ، فَكَانَ يَجْعَلُ عَلَيْهَا قُطَنَةً ، وَهُوَ شَاعِرٌ فَارِسٌ شَجَاعٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ فِي مَحَابَةِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ يُولِيهِ أَمْثَالَ مِنْ أَعْمَالِ الثَّقُوفِ ، فَيَجِدُ فِيهَا مَكَانَهُ لِكِفَايَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَقَدْ مَالَ إِلَى قَوْلِ الرَّجِئَةِ ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي الْإِرْجَاءِ ، انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَغَانِي ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] فِي رَوَايَةٍ : أَنَّهُ خَطَبَ عَلَى مَنبَرِ سَجِسْتَانَ ، وَفِي رَوَايَةِ الطَّبْرِيِّ : « خَطَبَ النَّاسَ فَخَصِرَ فَقَالَ : مِنْ يَطْعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ نَضَلَ » وَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنْ الْمَنْبِرِ قَالَ الْبَيْتَ الْمَذْكُورَ .

[٥] الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ » .



وصعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة ليخطب فأرتج عليه ، فقال : « أيها الناس : أما بعد ، فإن هذا الكلام يحمي أحياناً ، ويعزب أحياناً ، فيسبح عند بحبته سببه <sup>(١)</sup> ، ويعز عند عزوبه طلبه ، ولربما كوبر فأبى <sup>(٢)</sup> ، وهولج فئأى ، فالتأنى <sup>(٣)</sup> لمحبه ، خير من التماطى لأبئه ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تمذره ، وقد يخلج <sup>(٤)</sup> من الجرى جئانه ، وينقطع من الدرب <sup>(٥)</sup> لسانه ، فلا يبطره ذلك ولا يكسره ، وسأعود فأقول إن شاء الله » ، ثم نزل ، فأرئى حصراً أبلغ منه .



وصعد أبو العنابس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ، ثم نزل ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ، وصعد المنبر وقال : أما بعد ، أرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل ؛ فلما كانت الجمعة الثالثة ، قال : أما بعد : فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، قال : فليخبر الذى يدرى منكم الذى لا يدرى ، ثم نزل .

[١] السب : العطاء ، وفي رواية : « فيسب عند بحبته سببه » .

[٢] وفي رواية : « فسا » أى اشتد وصعب . [٣] تأنى له : ترفى ، وفي رواية : « فالتأنى » بالنون . [٤] يخلج : يضطرب .

[٥] إلحاد اللسان ، وفي رواية : « ويرتج على البلع لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتج على اللسان لسانه ، ولا ينظره القول إذا اتسع ، ولا ينسر إذا امتنع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، غلب أن تن له النبوة » وفي أخرى : « وقد يصاح على الدرب لسانه ، ثم لا يكابر القول إذا اتسع ، ولا يرد إذا اتسع ، وأولى الناس من حذر على النبوة ، ولم يؤاخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، أشهر إحسانه وسأعود فأقول » .



وولى اليمامة رجل من بنى هاشم يعرف بِالَّذَنْدَانِ ، فلما صَعِدَ المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّاَ الله هذه الوجوة ، وجعلنى فِدَاءَهَا ، إني قد أمرت طَائِفِي بِاللَّيْلِ أَنْ لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَنَا نِي بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ » ، ثم نزل .



وخطب عبد الله بن عامر <sup>(١)</sup> بِالْبَصْرَةِ فِي يَوْمِ انْصَحَى ، فَأُتِجَ عَلَيْهِ ، فَكَثَّ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ :

« وَاللَّهِ لَا أَجْمَعُ عَلَيْكُمْ عِيًّا وَلَوْ مَاءً ، مِنْ أَخَذَ شَاةً مِنَ السُّوقِ فَعَيَّ لَهَا ، وَتَمْنَحُهَا عَلَيَّ » .



قال الجاحظ : وَلَمَّا حَصَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَلَى مَنْبَرِ الْبَصْرَةِ ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّكَ إِنْ أَقْتَتَ حَامَّةً مَن تَرَى ، أَصَابَهُ أَكْثَرُ مِمَّا أَصَابَكَ » .



وكَانَ سَمِيدُ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ عَلَى قِفْسَرِينَ <sup>(٢)</sup> ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَأُخْرِجَهُ مِنْهَا ، وَبَايَعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ <sup>(٣)</sup> ، فَلَمَّا قَعَدَ زُفَرٌ عَلَى الْمَنْبَرِ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدَ الْمَادِرِ الْفَاجِرِ » ، وَحَصَرَ ، فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ .

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة بالنعام . [٣] انظر هامش الجزء الثاني ص ١٣١ .

✽

وصعد عدي بن أرطاة<sup>(١)</sup> المنبر، فلما رأى جماعة الناس حصر فقال: « الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم » .

✽

وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم شقوا<sup>(٢)</sup> أبصارهم، وفتحوا أسماعهم نحوه، حصر فقال: « نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم، فإن المنبر مَرْكَبٌ صعب، وإذا يسر الله فتح قلبي يتسر » .

✽

وكان عبد ربه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى<sup>(٣)</sup> على المدائن، فصعد المنبر فحمد الله وأرتج عليه، فسكت ثم قال: « والله إنى لأكون فى بيتي فتجىء على لسانى ألف كلمة، فإذا قت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فحأها من صدرى، ولقد كنت وما فى الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة، فصرت وما فى الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

✽

وأرتج على معن بن زائدة، ف ضرب المنبر برجله، ثم قال: « فنى خروب، لا فنى منابر » .

✽

وحدث عيسى بن عمر قال :

خطب أمير مرة فاقطع نخجل، فبعث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك ولَفَّهم<sup>(٤)</sup>، وفيهم يربوعي جلد، فقال: اخطبوا، فقام واحد فرأى الخطبة،

[١] كان حامل يزيد بن عبد الملك على البصرة .

[٢] شقته كسره وعلقه شقونا : نظر إليه بمؤخر عينيه ، أو رفع طرفه ناظرا إليه كالمتعجب أو كالكاره .

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أخى المنصور وكان أمير الكوفة . [٤] لفهم : جهم

حتى إذا بلغ «أما بعد» قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يدّر ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع <sup>(١)</sup> اليوم ففنعنتى ، وخطب آخر ، فلما بلغ «أما بعد» بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلمحنى ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القراقير <sup>(٢)</sup> من السفن تجرى بينى وبين الناس ، وصعد اليربوعي فخطب فقال : «أما بعد» فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل فى الزيت ، فقال : «الزيت مبارك» <sup>(٣)</sup> ، فكلوا منه وادّهنوا .

قال : فهو قول الشطار <sup>(٤)</sup> اليوم ، إذا قيل : لم فعلت ذا ؟ فقل فى شأن الزيت ، وفى حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما صعد حصّر وقال : «الحمد لله الذى يرزق هؤلاء» وبقي ساكناً فأنزلوه ، وصعد آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقمت عينه على صلعة <sup>(٥)</sup> رجل فقال : «اللهم العن هذه الصلعة» .

[١] جمع الناس بالتشديد ، أى شهدوا الجملة ، كما يقال : حيدوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القراقير جمع فرور كصفور : وهى السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

[٣] يشير إلى الآية الكريمة : «الله نور السموات والأرض ، مثل نور كمشكاة فيها مصباح ، للمصباح فى ذجاجة ، الزجاج كأنها كوكب درى يؤقد من شجرة مباركة ، ويتنور بها شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور» .

[٤] الشطار جمع شاطر : وهو من أعيان أهل خبث ، والمراد به هنا أهل الدعارة وأصحاب النوادر

والتنكيت والفكاهات . [٥] الصلعة : موضع الصلع .





وقيل لوانع اليَشْكُرِيّ : قم فاصمد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتي لعنها الله مَحَلَّتْني على إتيان الجمعة اليوم ما جَمَعْتُ ، وأنا أَشْهَدُ كَم أنها منى طالق ثلاثا » .



وَدُعِيَ أَيُوبُ بْنُ الْقِرِيَّةِ لِكَلَامِ ، فَاحْتَبَسَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « قَدْ طَالَ السَّعْرُ ، وَسَقَطَ الْقَمَرُ ، وَاشْتَدَّ الْمَطَرُ ، فَاذَا يُنْتَظَرُ ؟ » فَأَجَابَهُ فَيٌّ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَالَ : « قَدْ طَالَ الْأَرْقُ ، وَسَقَطَ الشَّقَقُ ، وَكَثُرَ اللَّقَقُ »<sup>(١)</sup> ، فَلْيَنْطِقْ مِنْ نَطَقِ



وجاء في أمالي السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بني العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها ، فرجمت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ »<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .



وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا<sup>(٣)</sup> بهذا القرآن ، فإن معي من أ شمار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو أبراجم حيث قال :

[١] لئن يومنا كفرح : ركعت ربه وكثر نداءه . [٢] وكانوا يطلون أصدانهم بالطيب والزعفران ، ويغفون عليها الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله . [٣] مامرا خلفا .

وما عاجلات الطير يُدنين للفتى رشاداً، ولا من ريشين يخيب<sup>(١)</sup>  
 ورُبَّ أُمُورٍ لَا تَصِيرُكَ صَيْرَةً وَلِلْقَلْبِ مِنْ تَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ  
 وَفِي الشَّكِّ تَقْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدْسِهِ وَيُصِيبُ<sup>(٣)</sup>

فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنصب للشعر ، بل ليُحمد الله تعالى ،  
 وَيُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وللقُرْآن ، فقال : أما لو أنشدتكم  
 شعر رجل من كلب لسرركم ، فكتب إلى يزيد بذلك فعزله ، وقال : قد كنت  
 أراك جاهلاً أحمق ، ولم أحسب أن الحق يبلغ بك إلى هذا المبلغ ، فقال له :  
 أحمق مني مَنْ وَلَا نِي !

✽

وخطب عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ<sup>(٤)</sup> فحث على الجهاد فقال : هذا كما قال الله تعالى

في كتابه :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ<sup>(٥)</sup>

[١] كانت العرب تقيم بالطير السامع ، وهو ما ولاك ميامنسه ، بأن يمر من ميسرك إلى ميامنك ،  
 وتشاءم بالبارح ، وهو ما ولاك ميسره ، بأن يمر من ميامنك إلى ميسرك ، وذلك لأنه لا يمكنك رديه إلا  
 بأن تنصرف له ، وربما كان أحدهم يبيع الطير ليطير ، فيعتمدها ، وعاجلات الطير هي أن يخرج الإنسان من  
 منزله إذا أراد أن يزجر الطير ، فامرأته أول ما يبصر فهو عاجلات الطير ، وإن أبطأت عنه وانتظرها  
 فقد رأت أي أبطأت ، والأول عند محمد محمود ، والثاني مذهبهم .

[٢] خشية خشية ومخشاة : خافه ، ووجب القلب وجيباً : خفق واضطرب . [٣] الحدس : الظن  
 والتخمين ، والأبيات لضابي بن الحارث البرجي ( انظر زهر الآداب ٢ : ٨٨ ) .

[٤] انظر الجزء الثاني ص ٤٣٣ و ٤٤٥ [٥] البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن الزبير  
 بعد أن قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي دعا امرأته - وهي بنت النعمان بن بشير - إلى البراءة من المختار ،  
 فأبت فقتلها ، فقال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عدى قتل حسناء فادع عطبول

قتلت باطلا على غير ذنب إن قتلته دوماً من قتيل



وخطب يوما فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آتٍ قريبٌ » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننتُ إلا أنه من كتاب الله » .



وخطب وكيع بن أبي سُود<sup>(١)</sup> بحُرَّاسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » ف قيل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأيكم لقد قلناها وإني لأستقلها ! » .



وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غَضَابًا على الله مذ بمت نبيه من مُضَرَ ، ألا وإن ربيعة قومٌ كُشِفَ<sup>(٢)</sup> ، فإذا رأيتهم فاطعنوا الخيل في متآخريها ، فإن فرسا لم يُطعنَ في متآخريه إلا كَانَ أَشَدَّ على فارسه من عدوه<sup>(٣)</sup> » .



وضربت بنو مازن الحُتَاتَ بن يزيد المَجَاشِعِيَّ ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالبُ أبو الفَرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجزِ القوم إذا تعاونوا » .



وخطب عدى بن زياد الإبَادي ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ<sup>(٤)</sup> » ، قالوا

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغنائم جبر الذبول

« والمعطول كمصفور : المرأة الفتيمة الجيلة المثلثة الطويلة المتق » . [١] انظر الجزء الثاني ص ٢٩٧

[٢] كشف جمع أكشف : وهو من ينزعم في الحرب ، ومن لا ترس منه في الحرب ، ومن لا يعضة على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عبد الله بن خازم قال ذلك القول لأصحابه بحُرَّاسان ، قال لهم : « إنما

لقيم الخيل فاطنوها في متآخريها ، فإنه لن يطمئن فرس في نخريه إلا أدبر أو رى بصاحبه » . ( الطبري

٢ : ٤٦ ) . [٤] الآية السريفة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . » .

له : « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : « من قاله فقد أحسن » .

✽

وروى الطبري أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عبيدة على المدينة ، ثم نزع عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم : قد رأيتم ما صنع (١) بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسي مقوم الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا هو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا : خطب والي اليمامة (٢) ، فقال : « إن الله لا يقار (٣) عباده على المعاصي ، وقد أهلك الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » ، فسي مقوم ناقة الله .

✽

وخطب قبيصة ، وهو خليفة أبيه (٤) على خراسان ، وأتاه كتابه ، فقال : « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبي وأكبر مني » .

✽

ودعى مضعب بن حيان ليخطب في نكاح فحصر فقال : لقنوا موناكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : تجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟ .

✽

وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح فحصر ، فقال : اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشرك بك .

[١] يشير إلى ثمود قوم صالح عليه السلام - انظر هامش الجزء الثاني ص ٣٣٣ .

[٢] لعلها للدببة . [٣] أى لا يقارم .

[٤] هو المهلب بن أبي صفرة ، وكان والياً على خراسان - انظر الجزء الثاني ص ٢٧٢ .

✽

وخطب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنبَرِ خُرَّاسَانَ ، فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ .  
فَنُقِلَ لَهُ عَدُوهُ بِالشَّرِّ ، وَاعْتَمَّ صَدِيقُهُ ، فَحَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةً ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ :  
« لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنُّ الْمَدُونِ ، وَخَافَ الصَّدِيقُ <sup>(١)</sup> ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوْىُ      كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَّامِ الْمُسَافِرُ <sup>(٢)</sup> »

✽

وَتَكَلَّمَ صَعَصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ <sup>(٣)</sup> الْقَوْلُ ! فَقَالَ  
صَعَصَعَةٌ : إِنْ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ .

✽

وَشَخَّصَ يَزِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ هُبَيْرَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَكَلَّمَ فَقَالَ هِشَامُ :  
مَا مَاتَ مِنْ خَلْفٍ مِثْلَ هَذَا ! فَقَالَ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : لَيْسَ هُنَاكَ ، أَمَّا تَرَاهُ يَرَشِّعُ  
جَبِينَهُ لِضَيْقِ صَدْرِهِ ! قَالَ يَزِيدُ : مَا ذَلِكَ رَشَّعَ ، وَلَكِنْ جُلُوسِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

✽

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : « نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ ، لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ ،  
وَالْتَشْرِيفُ لِلْخَطْبِ »

✽

وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : تَجَلَّ عَلِيكَ الْمَشِيبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :  
كَيْفَ لَا يَتَجَلَّ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؟  
« أَوْ قَالَ : شَيْئِي صَعُودَ الْمَنَابِرِ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّحْنِ » .

( القُدِّ الْفَرِيدُ ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ و ٣ : ٢٥٦ ، وَمِوْنُ الْأَخْبَارِ ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و ٢٥٩ ، وَأُمَمُ الْبَيْدِ الْمُرْتَضَى ٤ : ١٩ - ٢٢ ، وَالْأَفَاقُ ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، وَتَارِيخُ الطُّبَرِيِّ ج ٧ : ص ٩٠ ، ج ٨ : ١٨٨ ، وَالْبَيَانُ وَالْتَبْيِينُ ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ - ٢ : ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، وَالْأُمَمُ ١ : ١١١ ، وَتَهْذِيبُ الْكَامِلِ ١ : ١٧ ، وَسَرَحُ الْعِيُونِ ص ١٢٥ ، ٢٠٥ ، وَالصَّنَاعَتَيْنِ ص ٢١ )

[١] وَفِي رَوَايَةٍ : « كَأَسَاءَ الصَّدِيقِ ، وَسَرَّ الْمَدُونِ » . [٢] النَّوْىُ : الْغَرَبَةُ الْبَعِيدَةُ .  
[٣] أَيْ غَلَبَكَ .

## بدء الخطب وختامها

قال ابن قُتَيْبَةَ في عيون الأخبار :

تَبِعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا :  
« الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ،  
وَنَسُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسَنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ  
لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » ،  
وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِهَا : « أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْكُمَ عَلَى طَاعَتِهِ » ،  
وَوَجَدْتُ كُلَّ خُطْبَةٍ مِفْتَاحَهَا الْحَمْدُ ، إِلَّا خُطْبَةَ الْعِيدِ ، فَإِنْ مِفْتَاحَهَا التَّكْوِينُ .  
( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١ )

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

وَكَانَ آخِرُ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ :  
« اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ زَمَانِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ الْقَائِلِ »  
وَكَانَ آخِرُ كَلَامِ عُمَرَ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ : « اللَّهُمَّ  
لَا تَدَعْنِي فِي عُمْرَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْنِي عَلَى غِرَّةٍ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ » .  
وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ : « اللَّهُمَّ إِنْ ذَنْبِي قَدْ  
عَظُمْتُ وَجَلَّتْ أَنْ تُخَفِّىَ ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ فَاعْفُ عَنِّي » .  
( العقد الجديد ٢ : ١٣٣ ، ١٤٢ )

تمَّ بحمد الله

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
ولى	ولى	١٦٧	١١
يقولون	يقولون	١٧٩	٤
البر	البر	١٩١	١٥
الموصل إلى المرغوب	الموصل المرغوب	١٩٣	٥
ولى	ولى	١٩٣	١٣
تتلى	تتلى	٢٠١	١١
الازدراء	الازدراء	٢٠٥	١٨
بضائهما	بضائهما	٢٠٨	١٣
شديد	شديد	٢١١	١١
يضيّف	يضيّف	٢٢٣	١٥
يداً	يداً	٢٣٥	١٣
غفلنا	غفلنا	٢٦٤	٢٠
أذابت	أذبت	٢٧٨	١
الرّدى	الرّدى	٢٨٧	١٠
شربك	شربك	٣١٣	١٤
وتسلّ	وتسلّ	٣١٨	١٠
صاب	أصاب	٣٢٠	٧
كالترس	كالترس	٣٣٤	١
التي	لتي	٣٤٠	٦

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٤١	٢	وتشنيج	وتشنيج
٣٤١	•	الذل	الذل

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب

في عصور العربية الزاهرة



# فهرس ذيل الجمهرة

## الباب الأول

في خطب الأندلسيين والمغاربة

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة
خطبة عبد الرحمن الداخل يوم حربه مع يوسف الفهري	١٦٦
عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين	١٦٧
عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنته بفتح سرقطة	١٦٨
تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر	١٦٨
عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً	١٧٠
يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه	١٧١
وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز	١٧٢
خطبة منذر بن سعيد البلوطي في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم	١٧٣
خطبة أخرى له	١٧٧
أحد حساد الرمادي الشاعر والنصور بن أبي عامر	١٧٨
ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صامح	١٨١
دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى بحضرة ابن تاشفين	١٨٣
موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي للأفضل بن أمير الجيوش	١٨٤
خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين	١٨٥
مقال لسان الدين بن الخطيب في الحضر على الجهاد	١٨٨
ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني	١٩٠
وصية لسان الدين لأولاده	١٩٢
خطبة وعظية له	٢٠٨

٢١٦	وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه
٢٢٦	خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف
٢٢٩	» القاضى عياض التى ضمنها سور القرآن
٢٣١	» سعيد بن أحمد المقرئ التى ضمنها سور القرآن
٢٣٤	» الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً

## الباب الثانى

فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

٢٣٦	خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة
٢٤١	وصية أعمى من الأزرد لشاب يقوده
٢٤١	» رجل لآخر وقد أراد سفراً
٢٤٢	» » لابنه وقد أراد الزواج
٢٤٢	» بعض العلماء لابنه
٢٤٢	» لبعض الحكماء
٢٤٣	» أخرى
٢٤٣	» »
٢٤٤	عظة لبعض الحكماء
٢٤٤	نصيحة » »
٢٤٤	كلمات شتى لبعض الحكماء
٢٤٦	رجل من العرب والحجاج
٢٤٦	أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز
٣٢٧٠	كاتب وأمير

٢٤٧	وصف الملبأة
٢٤٩	بعض البلاء يصف رجلا
٢٤٩	خمس جوار من العرب يصفن خيل آباءهن
٢٥٢	رجل من العرب يصف مطراً

## الباب الثالث

### في نثر الأعراب

٢٥٣	قولهم في الوعظ والتوصية
٢٥٣	مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك
٢٥٤	أعرابي يخطب هشام بن عبد الملك
٢٥٤	خطبة أعرابي
٢٥٥	» أخرى
٢٥٦	» »
٢٥٦	أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر
٢٥٧	أعرابية توصي ابنها
٢٥٧	أعرابي يوصي ابنه
٢٥٧	» ينصح لابنه
٢٥٨	» » »
٢٥٨	» » لأخيه
٢٥٨	» يخطب أخاه
٢٥٩	» » صاحبه
٢٥٩	» » أخاه
٢٥٩	» » رجلا

أعرابي يعظ رجلاً	٢٦٠
أعرابي يعظ رجلاً	٢٦٠
كلام أعرابي لابن عمه	٢٦٠
كلمات حكيم للأعراب	٢٦١
أجوبة الأعراب	٢٦١
مجاوبة أعرابي للحجاج	٢٦٧
مسألة الحجاج أعرابياً فصيحاً	٢٦٨
مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان	٢٦٨
مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري	٢٦٩
أجوبة شتى	٢٦٩
قولهم في الاستمناح والاستجداء	٢٧٢
أعرابي يجتدي عتبة بن أبي سفيان	٢٧٢
أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز	٢٧٣
خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك	٢٧٣
مقام أعرابي بين يدي هشام	٢٧٣
أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد	٢٧٤
أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر	٢٧٥
أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري	٢٧٦
» » معن بن زائدة	٢٧٧
خطبة الأعرابي السائل في للمسجد الحرام	٢٧٨
» » » » الجامع بالبصرة	٢٧٨
صورة أخرى	٢٧٩

صورة أخرى	٢٧٩
أعرابي يستجدي	٢٨٠
» »	٢٨٠
» »	٢٨١
» »	٢٨١
أعرابية تستجدي	٢٨٢
أعرابي يستجدي	٢٨٢
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
أعرابية تستجدي	٢٨٤
أعرابي يستجدي	٢٨٤
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
يأل رجلا حاجة له	٢٨٦
قولهم في بكاء الموتي	٢٨٦
أعرابية تبكي ابنها	٢٨٧

٢٨٨	حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها
٢٩٠	حديث امرأة مات ابنها بين يديها
٢٩٠	قولهم في الشكوى
٢٩٠	أعرابي يشكو حاله
٢٨١	كلمات شتى في الشكوى
٢٩٦	قولهم في العتاب والاعتذار
٢٩٧	قولهم في المدح
٣٠٧	قولهم في الذم
٣١٤	قولهم في الغزل
٣١٩	قولهم في الوصف
٣١٩	أعرابي يصف مطراً
٣٢٠	» » مطراً
٣٢١	» » مطراً
٣٢٢	ثلاثة غلّة من الأعراب يصنون مطراً
٣٢٤	أعرابي يصف مطراً
٣٢٥	» » »
٣٢٦	» » »
٣٢٧	» » »
٣٢٨	» » »
٣٢٩	» » »

أعرابي يصف مطراً	٣٢٩
» » »	٣٣٠
أرضاً	٣٣٠
رائد يصف أرضاً جديدة	٣٣١
» » »	٣٣٢
» » »	٣٣٢
أعرابي يصف أرضه وماله	٣٣٣
بلداً	٣٣٤
أشد البرد	٣٣٤
إبلًا	٣٣٤
ناقة	٣٣٥
خيلاً	٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » »	٣٣٥
فرساً	٣٣٦
خاتماً	٣٣٦
أطيب الطعام	٣٣٦
السويق	٣٣٧
الجمال	٣٣٧
أبو الحش يصف ابنه	٣٣٧
أعرابي يصف بنيه	٣٣٨
أعرابي يصف أخويه	٣٣٩

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ ذفاء أعرابي

٣٤١ » »

٣٤٢ » »

٣٤٣ » »

٣٤٤ » »

٣٤٤ » »

٣٤٤ » »

٣٤٤ » »

٣٤٥ » »

٣٤٥ » »

٣٤٥ » »

٣٤٥ » »

٣٤٥ » »

٣٤٦ » »

٣٤٧ » »

٣٤٧ » »

٣٤٧ » »

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نوادر وملح لبعض الأعراب



## الباب الرابع في خطب النكاح

- ٣٦٠ خطبة قریش فی الجاهلیة  
» النبی صلی الله علیه وسلم فی زواج السیدة فاطمة ٣٦٠  
» الامام علی کرم الله وجهه ٣٦١  
» عتبة بن أبی سفیان ٣٦٢  
» شبيب بن شبة ٣٦٢  
» الحسن البصری ٣٦٢  
» ابن الفقیر ٣٦٣  
» عمر بن عبد العزیز ٣٦٣  
» أخرى له ٣٦٣  
» بلال ٣٦٤  
» خالد بن صفوان ٣٦٤  
» أعرابی ٣٦٤  
» المأمون ٣٦٥

## الباب الخامس

- ٣٦٦ فی خطب من أرتج علیهم ونوادر طریفة لبعض الخطباء  
٣٦٧ بدء الخطب وختامها













